مذكرات الرائد هلايلي محمد الصغير



شاهد على الثورة في الأوراس

مذكرات الرائد هلايلي محمد الصغير

شاهد عل الثورة

في الأوراس

دار القدس العربي

2012

ISBN : 978-9947-927-58-8
EDITIONS DAR ELQUDS EL ARABI
84 cooperative elhidaya belgaid – ORAN
Tel: 0556230762-0792339956 FAX:041462204
QUDS_arabi@hotmail.fr



تقديم

لقد كانت ثورة حتى النصر تلك التي فجرها ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر وانطلاقا من جبال الأوراس الشامخة، الزعيم الفذ "مصطفى بن بولعيد" طيب الله ثراه، وبجانبه كان عدد من قادة الحرب المغاويرمن أمثال "عاجل عجول" و"عباس لغرور" و"شيحاني بشير"، ورفقائهم الأخرين من مجاهدين وقادة أبرار.

ولقد احتضنت تلك الثورة كل جماهير الشعب الجزائري بعد ذلك في جميع الجهات والأصقاع لسبع سنوات كاملة دون تراجع ولا توقف حتى جاء النصر المبين من عند الله تعالى وبتوفيق منه.

إن صاحب هذه المذكرات هو مجاهد وضابط من مجاهدي وضباط جيش التحرير الوطني أثناء كل سنوات الثورة في جبال "الأوراس" التي هي إحدى القلاع الكبرى لثورة التحرير المجيدة.

ويبدو من هذه المذكرات أن بعض القادة المتمكنين في تونس عملوا على التنكيل ببعض قادة "الأوراس" الكبار بقصد إخضاعهم وانتزاع تلك المكانة، التي اكتسبتها المنطقة الأولى" أوراس "نمامشه" في مقاومة الاستعمار مما بوأتها المكانة الكبرى في الإعلام الدولي آنذاك، لقد عمد هؤلاء القاده إلى التسلط على "قادة الأوراس" والتنكيل بهم مستعينين "ببورقيبه" الذي كان يحقد على "قادة الأوراس" لعلاقتهم الطيبة بثوار تونس، ومما لاشك فيه أن هذه القضية وغيرها ستكون من أولى اهتمامات المؤرخين لقراءة الحقائق وتحليل الوقائع والبحث عن الأسباب التي أدت إلى كل ذلك بقدر ما يتوفر لديهم من وثائق ومذكرات رجالات ثورة التحرير المجيدة.

إننا ونحن نقرأ هذه المذكرات "للرائد محمد الصغير هلايلي" لايسعنا إلا أن نعطي كل الإكبار لكل أولئك المجاهدين الذين قهروا واحدا من أكبر وأبشع أنواع الاستعمار الاستيطاني في العالم كله، وكما انني أستطيع القول للقارئ الكريم على ذلك فإني أستطيع أن أقول للقارئ الكريم:

تعظ واعتبر وارفع رأسك يا أخي، إنها الأوراس الشامخة بأمجادها في التضحية والفداء، وإنها الجزائر التي هي كما يعرف الجميع بلاد العز وأرض الشهداء.

كما أنه يبدوا من هذه المذكرات أن قادة الحرب في "الأوراس" كانوا يتطلعون وباحترام كبير لقرارات مؤتمر الصومام الذي مع الأسف صادفتهم معيقات انية منعتهم من حضور مداولاته، ولعل من أبرز هذا الإحترام تثمينهم خاصة لقراره بإنشاء "المجلس الوطني للثورة"، إلا أن تصرف البعض في استهداف اكتساب الزعامة الشخصية من وراء ذلك المؤتمر حطم أمال القاده الأوراسيين، وكانت بعض تلك التصرفات وبالا عليهم.

لقد استقبل "عميروش" استقبالا يليق بمقامه كضيف من قبل "قادة الأوراس" ولكنه سرعان ما تورط مع بعض من كانوا ضد "عاجل عجول" لما أمر بقتله ومحوه من الوجود.

أما العقيد "أوعمران" ممثل "عبان رمضان" منسق لجنة التنسيق والتنفيذ في تونس فقد أشرف على استدعاء بعض قادة الحرب في "الأوراس" إلى تونس بهدف كان ظاهره الاتفاق على كيفية تعين قيادة جديدة لولايتهم، ولكنه تعسف في حقهم، واتخذ ماشاء من إجراءات في حق الولاية الأولى، التي كانت وقد بقيت حتى بعد تأكد المأساة تتصدر ميادين القتال ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم.

لقد تحدث ويتحدث الكثيرون من الجزائريين عن كتابة تاريخ الثورة، وكأنهم لايدركون أن كتابة تاريخ الثورة من جميع جوانبها يقتضي بالدرجة الأولى تواجد الوثائق أمام الباحثين والمؤرخين، وهذا مالم يتم إنجازه لحد الساعة مع كل أسف.

لقد أنشأت وزارة المجاهدين مركزا للأبحاث في تاريخ الثورة ولكنه بقي كغيره من المؤسسات الجزائرية يسبح في الفراغ بسبب قلة الكفاءة لدى المشرفين عليه.

إن واجب تجميع الوثائق عن الثورة يندرج بالدرجة الأولى ضمن مهام وزارة المجاهدين والمؤسسات الأخرى ذات الصلة كوزارة الدفاع الوطني ومتحف المجاهد مثلا، وإنني لأنصح وزارة المجاهدين أن تنشئ في كل بلدية من بلديات الوطن لجنة أو لجنتين أو ثلاث لجان، يسند الإشراف على أعمال كل منها إلى مديرية المجاهدين في كل ولاية، وتعمل كل لجنة على إنجاز مايلي:

1) تمكين المجاهدين من أبناء حدود البلدية من كتابة مذكراتهم، ومن لايكتب يتم تسجيل كل ما عنده من سنوات الثورة ومشاركته فيها.

2) التقرب من أرامل وأبناء الشهداء في محيط تراب البلدية والحصول على ما يعرفونه عن شهيدهم وصورته وذكرياتهم عنه، وما يكونوا قد لاقوه من متابعات من طرف الإدارة الفرنسية في محيطهم.

3) كتابة تقارير توثيقية عن إدارات الفرق المتخصصة (لاصاص) وما كانت تقوم به من ترويج وأبحاث وتعذيب في الجهة.

4) أعمال الحركيين وزعمائهم وتجاوزاتهم ضد السكان في الجهة.

5) تقارير توثيقية عن السجون والمسجونين في الجهة.

6) المقابر الجماعية والمحتشدات، والترحيل لفصل السكان وقطع الصلة بالمجاهدين في البلدية.

7) المداهمات الليلية والترويع الذي كان يقوم به الجيش الفرنسي والشرطة العسكرية والحركى على البيوت.

8) تقارير توثيقية كذلك عن دور المرأة الجزائرية وما كانت تقوم به من تأقلم مع الأوضاع الصعبة أثناء الثورة وإبراز دور أشهر النسوة وبنات المنطقة اللاتي كن قد حملن السلاح، أو دخلن السجون أوتم تعذيبهن أو التضييق عليهن بمختلف الأساليب.

9) كتابة تقارير توثيقية عن المعارك والكمائن وإنجازات "المسبلين" في المنطقة ضد قوات الإحتلال وأنواعهم والمتعاملين معهم.

إننا حين تكون لدينا الوثائق اللازمة لكتابة تاريخ الثورة ويتم تجميعها كأرشيف بحيث يتواصل إغناؤه باستمرار ويتم ترتيبه، كبقية الأرشيفات في العالم، ويتم وضعه في مركز البحوث في ثورة نوفمبر 1954 أمام الباحثين والمؤرخين، فإنه عندئذ فقط يمكننا الوصول إلى تحقيق طموح أجيالنا في إنجاز كتابة تاريخ ثورتنا الكبرى المجيدة، ويمكن لمركز البحوث الحالي أن لايبقى مجرد اسم فقط ويتحول بالفعل الى مركز بحث في التاريخ لثورة نوفمبر المجيدة.

لقد قام حزب (نيكولا ساركوزي) صاحب الأغلبية في البرلمان الفرنسي منذ 2007 إلى إصدار مقولة تمجيد أعمال الاستعمار الفرنسي في الجزائر، كما ذهب "ساركوزي في استكباره إلى تكوين هيئة وطنية فرنسية أوكل اليها بالعمل على تبييض الصورة السوداء لأعمال الجيش الفرنسي في الجزائر أثناء حرب التحرير وقبلها وفي الجزائر، ومما لاشك فيه أن

مثل هذه الوثيقة الهامة تاريخيا بين أيدينا اليوم والمتمثلة في هذه المذكرات للرائد "هلايلي" ومثيلاتها سيكون لها دائما دورها المميز أمام الباحثين والمؤرخين كي يكونوا في منأى عن الوقوع في أي خطأ قد يعمد بعض المزيفين للحقائق إحداثه تلبية ل " ساركوزي ".

وأؤكد أننا مازلنا في اشد الحاجة إلى أن يكون بين أيدينا المزيد من المذكرات التي تصدر عن مجاهدينا الأشاوس للاستفادة من محتوياتها في كتابة تاريخ الثورة الجزائرية الكبرى.

إن مركز البحث في ثورة نوفمبر لايجب أن يقتصر عمله على جمع الكتب التي تم نشرها، ولا على الإنفاق السخي على ترجمة البعض منها، وإنما يجب أن يشمل كما ذكرت، القيام بالعمل الجدي لتكوين أرشيف غني بمحتوياته من الوثائق غير المنشورة والبرمجة الجادة لإنجاز ذلك بالسرعة اللازمة قبل فوات الأوان.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أكرر أولا وأخيرا أننا كباحثين ومؤرخين في حاجة أكيدة إلى العناية بجميع الوثائق عن الثورة وتخليد مآثرها العظيمة.

نسأل الله التوفيق

الدكتور عبد القادر زبادية
أستاذ التاريخ - جامعة الجزائر

المقدمة

هذه مساهمة متواضعة مني في تسجيل بعض الأحداث التاريخية لثورة التحرير بما يتناسب وسمعتها العالمية، والتزاما مني بالواجب المقدس إزاءها، ونتيجة لمشاركتي المبكرة في مسيرتها، ومواكبتي لأحداثها العظيمة، ومعايشتي شخصيا لصياغة وقائعها على أرض الميدان في منطقة "الأوراس" خلال سنواتها السبع، ونتيجة لملازمتي الدائمة لأوائل المسؤولين الفاعلين، الذين هيؤوا المنطقة للثورة ثم قدحوا فتيل شرارتها، وتعهدوها بالرعاية والتوجيه والسيطرة الميدانية على أحداثها كقادة ميدانيين للفترة الذهبية الأولى التي غطت سنوات 1956/1955/1954.

كل ذلك شجعني على خوض غمار تجربة تسجيل ما تبقى مترسخا في الذاكرة من أحداث بعد أن شمل النسيان بعضه بحكم السن والزمن، وتقديمه كمجهود متواضع مساهمة مني تضاف لما تفضل به زملائي الذين سبقوني لكتابة مذكراتهم كإثراء لعملية كتابة تاريخ الثورة الذي يعد فرض عين على كل من شارك في ملاحم ثورة التحرير بمعاناته وعرقه ودمه ووجدانه.

إنه مجهود متواضع يتضمن مذكراتي الشخصية، ورؤيتي الخاصة، وتحليلي لبعض الأحداث الجسيمة التي عرفتها منطقة الأوراس أثناء سنوات الثورة، دون أن ادعي فيها الكمال أو أجزم بأنها الحقيقة المطلقة، ولكنها بالتأكيد ستكون جزءا أساسيا منها تساعد المؤرخين على تجميع أجزاء الصورة المتكاملة دون زيادة ولا نقصان، وعلي أن أعترف بأني لم أفصح على بعض الحقائق التي يمنعني التحفظ من ذكرها.

وكل أملي أن لا أحاسب لا على الأسلوب ولا على المنهجية أو الهيكلة، فأنا لست بكاتب أكاديمي موهوب ولا بمؤرخ محترف، فالمهم تبليغ الحقائق.

لقد ركزت في كتابة هذه المذكرة على الوقائع والحقائق مستشهدا في كثير من الحالات على صحتها ومطابقتها للواقع بما تعرض له غيري من الزملاء والكتاب في شهاداتهم وكتاباتهم بغية إضفاء المزيد من المصداقية على صحة ما يقرؤه القارئ الكريم من حقائق حول الوقائع وذلك هو الهدف المطلوب.

لقد مهدت في البداية بنبذة عن حقيقة المجتمع الفرنسي الواقع بين حالتين متناقضتين حقيقة ما يزخر به من ثقافة نافعة وحضارة عريقة ومساهمات إنسانية إيجابية خاصة في ميدان حقوق الإنسان والعدل والمساواة والحرية، وحقيقة أخرى تعاكس تماما ذلك الرصيد الإنساني المشرف، إنها حقيقة الإستعمار والإستعباد والغطرسة والقتل والتدمير والإبادة الجماعية والفردية للشعوب التي كتب لها أن تقع فريسة لأشرار المجتمع الفرنسي الذين نهبوا الخيرات واستباحوا الأعراض واغتصبوا الأراضي بعد أن شردوا ملاكها الأصليين، وهو ما استمرت تقترفه حكومات فرنسا المتلاحقة في الجزائر بإصرار.

ثم قسمت موضوع المذكرة إلى أربع فترات، كل فترة تختلف عن غيرها من حيث الوقائع والقاده الذين سيروها:

الفترة الأولى: تغطي سنوات تهيئة المنطقة لإحتضان الثورة، وتجنيد خلايا المنظمة السرية، وتدريب الطلائع الأولى التي نفذت أحداث الفاتح من نوفمبر الخالد".

الفترة الثانية: تشمل فترة إعلان الثورة في الأوراس، بدءا من 1954/11/1 وحتى أخر سنة 1956، وهي الفترة الذهبية بامتياز لكونها سيرت من طرف القائد الفذ "مصطفى بن

بولعيد" ونوابه الثلاثة: شيحاني، وعباس لغرور، وعاجل عجول، فكانت من أنجح الفترات رغم ضغط الحصار المفروض على الأوراس، وضعف الإمكانيات ونقص التجربة، فقد ميزتها عبقرية وجدية وإرادة قادتها التاريخيين والمنجزات التاريخية المبكرة في الميدان، وتصاعد وتيرة النجاحات في وجه العقيد "بيجار" التي فرضت عليه سحب مراكزه التي غامر بزرعها في عمق الأوراس منذ بداية الحصار الكبير المبكر، وذلك خوفا من تكرار سيناريو الهند الصينية، فسحب تلك المراكز خلال صيف 1955 يعد في حد ذاته هزيمة، واعترافا بسيطرة الثوار.

الفترة الثالثة: تغطي فترة مابعد مؤتمر الصومام، أي الفترة التي سيطر فيها السياسيون بالأغلبية على لجنة التنسيق والتنفيذ، وظهور بعض التحفظات والإحتجاجات التي إستفزت "عبان رمضان" ودفعته إلى تجنيد رجاله لتحدي منافسيه وخصومه، مستعينا في ذلك "بجهود الرئيس بورقيبه"، وذلك بعد إستشهاد "زيروت يوسف"، وأسر "العربي بلمهيدي"، وسجن أفراد الوفد الخارجي، وسكوت "كريم بلقاسم".

الفترة الرابعة: هي الفترة التي أصبحت الولاية الأولى فيها تسير من الداخل كسائر الولايات الأخرى وبإطاراتها المحلية، حيث عين لقيادتها "الحاج لخضر عبيد"، ثم الطاهر الزبيري الذي أثره صديقه وزير الدفاع "كريم بلقاسم" على الرائدين سوايعي علي، ومرارده مصطفى رغم كونهما سبقاه لتسيير الولاية في الداخل بالنيابة.

الرائد

هلايلي محمد الصغير

- المجتمع الفرنسي بين الحضارة والاستعمار

عندما نقرأ تاريخ الأمة الفرنسية، ونطلع على حضاراتها المتعاقبة ونتأمل شعارات ثورتها التي ادعت بأنها قامت على أبعاد إنسانية صرفة مثلتها ألوان علمها الثلاثية التي ترمز حسبهم للحرية والأخوة والمساواة نبهر بها.

غير أننا وبمجرد العودة لواقعنا المر والبائس كضحايا لنفس هذا المجتمع الذي ما فتئ يتغنى بمكاسبه الحضارية والإنسانية التي حققها عبر الزمن، فإننا نصدم بحقيقة مغايرة تماما لما ترسب في أذهاننا من إكبار وإجلال لمنجزاته، وبالتالي فإننا نكاد نجزم أن ما قيل لنا عنه ونقل لنا عليه إنما هو مجرد افتراء وذر للرماد في العيون. فالنظرية الموغلة في المثالية التي تبناها إنما تفضحها تلك الممارسات اليومية والفظائع التي كانت تسلط علينا، نحن سكان شمال إفريقيا، من وحشية في المعاملات وعجرفة في التصرفات يندى لها جبين الإنسانية والضمير الحر، تتفنن في تطبيقها علينا صفوة هذا المجتمع وزبدة قياداته التي حولت حياتنا إلى مأساة حقيقية.

إن واقع الأمر ينبئ بأن المجتمع الفرنسي تنكر لكل معتقداته ومقدساته واستبدلها بممارسات فرضها عليه حب الهيمنة والتوسع على حساب شعوب، كانت بالأمس القريب اليد البيضاء التي كثيرا ما استنجد بها في محنه الكثيرة خلال القرنين 16 و17، كالجزائر التي كانت تربطه بها نحو سبع وثلاثين اتفاقية صداقة وتحالف. نعم، فلقد استنجد "الملك فرانسوا الأول" خلال القرن السادس عشر الميلادي بدولة الجزائر لتحرره من زحف الأسبان على ساحل "بروفونس"، تماما كما فعل" الملك هنري الرابع "عندما هاجم الأسبان مرسيليا. ولا شك أن المجتمع الفرنسي يتنكر بالتأكيد الضائقة المالية التي ألمت به نتيجة لظروف الثورة الفرنسية، حين استنجد بسخاء الدولة الجزائرية التي لم تبخل عليه بأي شيء.

غير أنه وبكل أسف فقد تنكر المجتمع الفرنسي لكل ذلك، وقابل الحسنة بالسيئة، وسمح لنفسه بأن يتحول من ضحية للنازية الألمانية إلى جلاد مستبد يتصرف بدون إنسانية، قاهرا بذلك شعوب منطقة الشمال الافريقي. لم يكن ذلك لشيء إلا لطمعه في خيراتها التي استهوت أشرار حكامه، الذين عملوا على توطين المرتزقة والمستخدمين من كل حدب وصوب من القارة العجوز "أوروبا" التي استنزفت مواردها، فجعلوهم مرافقين لهم أينما حلوا وارتحلوا وعمدوا إلى زرعهم في أوطان غير أوطانهم ومكنوهم من أخصب الأراضي وأجودها مردودا، وأحسن المناطق التي أفرغت من سكانها الأصليين الذين هجروهم قسرا منها اذ تحولوا بقدرة قادر من ملاك وأصحاب عقارات إلى مستخدمين وأناس مستغلين يعملون مقابل قوت يومهم وفي وضعية من الفقر المدقع.

تلك هي الحقيقة التي استفاق عليها الشعب الجزائري الذي كان موهوما بالشعارات الجوفاء التي كانت فرنسا الحرة تنادي بها ثم تطبق عليهم العكس تماما، وكانت أشنعها على الإطلاق تلك التي جربت على المجتمع الجزائري في حرب دموية شاملة، شنتها فرنسا المتحضرة دون وازع من ضمير، على شعب أعزل الا من إيمانه بقضيته العادلة.

وقد كان هذا أصدق برهان على أن جوهر المجتمع الفرنسي إنما هو مبني على الاستبداد وإخضاع الآخرين بالسيطرة المطلقة وبأساليب تتبرأ منها الحضارة والأخلاق والإنسانية. كإتباع سياسة الأرض المحروقة والتدجين الاحتقاري المنظم والممنهج للأهالي، وتجريدهم من ممتلكاتهم وتحويلهم إلى أجراء، وعبيد سخرة مجانية، وإقامة المحتشدات التي حشر فيها الحيوان والبشر على السواء إمعانا في الاهانة المقصودة للمواطنين الأصليين.

لقد أمر الجنرال (بيجو) الأهالي في بدايات الإحتلال بان يعلق كل واحد منهم على ظهره لافتة مكتوب عليها (عربي خاضع) !!. تماما كما حاول غيره من قيادات المجتمع الفرنسي نفي كثير من أبناء الشعب الجزائري (الأهالي كما يسمونهم) إلى جزيرة كليدونيا وغيرها، يا لها من حضارة، ويا له من تحضر ذلك الذي يصدر عن أناس لا يفرقون في المعاملة بين الإنسان والحيوان، بل وربما يعاملون الحيوان أفضل بكثير مما يعاملون به بني البشر من المنتمين إلى غير جلدتهم كخدمة للجنس السامي الذي ينسبون أنفسهم له.

تلك هي حقيقة المجتمع الفرنسي المتخفي وراء أقنعة مزيفة، وتلك هي سياساته وممارساته الوحشية التي تبناها براحة ضمير، والتي حاول جاهدا أن يخفيها وراء المساحيق التجميلية التي اجتهد أن تكون براقة وأكثر جاذبية لتجلب إليها مزيدا من المضللين والمغرر بهم، إنها ممارسات نفذها بواسطة شرذمة أشرار من جنرالاته المتعطشين للدم ولفيف من مرتزقة توافدوا من كل الأسقاع، همهم الوحيد هو اغتصاب الأرض، وهتك الأعراض والتمكن من المال والسلطة وهدم مقومات المجتمع الجزائري وطمس معالم شخصيته وإنهاء وجوده.

لكن هيهات، هيهات فان إرادة المقاومة كانت أقوى من إرادة الاستعباد، فلقد برهن من كانوا ينعتونهم بالأهالي (les indigenes)، على أنه إذا كان لا بد لهم أن يخسروا أراضيهم وقراهم وممتلكاتهم، فإنهم لن يقبلوا بأي حال من الأحوال أن تمحى شخصيتهم، ولا أن يعمد إلى إضعاف مقاومتهم أو كسرها، لقد صمموا على أن لا يمكنوا الجنرال (دوكرو) من تحقيق أمنيته التي كان قد عبر عنها من خلال تعليمته التي أكد فيها ضرورة وضع كل العراقيل أمام المدارس الإسلامية والزوايا، لكي لا تتمكن من الانتشار السريع، ليتم بذلك تحطيم المجتمع الجزائري روحيا، بعد أن تم تحطيمه ماديا واقتصاديا.

لقد واجه الجزائريون كل المخططات الإستعمارية الهدامة بكل إصرار وتحدي، حيث لم يستطع الجنرال (بيجو) من خلال إصراره على وضع كل السلطات بيد العساكر والمعمرين، من أن يحقق أحلامه التي وضعها نصب عينيه، ما عدى تحقيقه لهدف واحد وهو متعة القتل والحرق والتشريد والتعسف الأعمى الذي مارسه بواسطة قيادات بدون إنسانية ولا ضمير، من أمثال الجنرال (كافينياك) الذي كان يتبجح بتفننه وتمتعه بالقتل والاضطهاد، مؤكدا على أنها مهنة كريهة ولكنها لا تخلو من متعة كما جاء في كتاباته. مثله مثل القائد العسكري الإستعماري (سانت أرنو) الذي كان يتباهى هو الآخر بكونه قد محى قرى كاملة من الوجود، وأقام في طريقه جبالا من جثث قتلاه العزل وكذا الشأن بالنسبة (لبيليس) الذي كان يفتخر بكونه حرق جماعة من البدو، بأبنائهم ونسائهم وحيواناتهم في مغارات، دون رحمة ولا شفقة !!.

فباسم التحضر يزايدون فيما بينهم على مقدار فظاعة ما يقترفون من جرائم بطش وتنكيل في حق الإنسانية ذلك بأسلوب واحد، وعقيدة عنصرية واحدة، نجدها راسخة في عقول قادتهم عبر الأجيال مثل (مونتانياك)، العقيد (دومونتي) العقيد (فوري)، (المارشال الوالي العام (كلوزيل) ووزير الشرطة الدوق (روفيقو) والمارشال (فالي) الذي عامل الأهالي كرهائن في وطنهم. والقائمة طويلة طول الجرائم المرتكبة باسم المجتمع الفرنسي المتحضر، على أيدي ساسته وجنرالاته السابقين واللاحقين أمثال (بيجار)، (شال)، (موريس)، (قودار) و(صالون) وغيرهم ممن مارس نفس الإجرام في حق الجزائريين، لا لشيء إلا لأنهم أصروا على استرجاع حريتهم وأرضهم من المغتصبين بكل الوسائل المتاحة لديهم، وسأورد في الملحق شهادة لجندي فرنسي أدى خدمته العسكرية لمدة عام في محيط خنشلة يسجل فيها شهادته على جرائم تعذيب وقتل لم يستوعبها عقله، كانت المخابرات الفرنسية تمارسها بوحشية

ومنها قطع رؤوس ضحايا التعذيب (بشفرات الحلاقة -من نوع جيلات-).

لقد سلم المجتمع الفرنسي وبكل أسف لأشراره وحثالته، مقاليد الحكم وفوضهم لتسيير مستعمراته بشمال إفريقيا بأسلوب الأرض المحروقة، واعتماد تجربة إبادة الهنود الحمر في أمريكا، كأسلوب ينبغي الاحتذاء به.

فكيف يقبل المجتمع الفرنسي على نفسه مثلا ما ينشر على أعمدة صحفه المفضلة مثل (لو كنار أونشيني)[1]، التي نشرت مقالا، لا يشرف المجتمع الفرنسي الحر، هذا المقال الذي يمكننا تلخيصه في المقتطفات التالية: ((يجب قتل 8 ملايين من الجزائريين المسلمين. اقتلوهم هؤلاء اللقطاء. إليك هذا المثال وحده: فلو أخذنا بعين الاعتبار مسألة الحقوق المدنية لثمانية ملايين من الناخبين المسلمين، الذين إذا تمتعوا بحقوقهم كفرنسيين، فسيكون عدد النواب الذين يمثلونهم في الجمعية الوطنية مائة وعشرون نائبا.

نعم، مائة وعشرون من الأفارقة في" قصر بوربون " لينجينا الرب من ذلك، إنهم غصة في حلق حكوماتنا، بل سيصبحون هم الذين يتحكمون فينا ويقررون القانون !! يا الله ! ألا ترون أن الحل مستحيل؟، يا للقطاء. أما كونهم (فلاقة) فليس من الضروري أن يكونوا في الأوراس ليكونوا كذلك، ففي أي مكان كان، وفي (غرو نوبل) أو شارع "شابيل" يكون بإمكانهم أن يسطوا على جلدتك يا أيتها الفتيات، ويا أيتها الصغيرات اللطيفات بنات الفرنسيين الشرعيات. فلا تفكروا في المرور من هذه الشوارع.

إن أفضل ما يجب أن ينقذوا به أنفسهم هو أن لا يأتوا لهذا العالم، وأن لا يولدوا بتاتا. يا للنبات الخبيث المزعج، إن

---

[1] كنار أونشيني تاريخ 1955/07/1.

حضارتنا هي التي فعلت كل تلك، والتي تحدث عنها رئيس جمهوريتنا في خطاب مرسيليا. لقد كانوا في الماضي لا يكادون يخلقون لقطاء صغارا حتى يموتون، ثم جاء الطبيب الفرنسي وجاءت الأدوية السحرية، فتمكن هؤلاء المحكوم عليهم بالإعدام وهم صغارا من أن يحرزوا على تأجيل التنفيذ، فأصبحوا يحيون عشرين عاما، وثلاثين عاما وأكثر.

وهم الآن ثمانية ملايين، إننا لا نعرف أين نضعهم. ماذا يريدون؟ الأكل؟ من أين نأتي لهم بالأكل؟. فليذهب هؤلاء اللقطاء ليشنقوا أنفسهم في مكان اخر. يا لها من ثمانية ملايين من الزوائد والفضلات والعرب. إن فرنسا ليست جمعية خيرية على أية حال، ولا هي جيش للإحسان. أصدقاؤنا الأمريكان أكثر منا حيلة، فقد عرفوا كيف يتلافون الوقوع في الخطأ، وذلك عندما أبادوا السكان الأصليين في أمريكا، فأراحوهم من أنفسهم واستراحوا منهم، وأصبح أصدقاؤنا اليوم متحررين من كل معرة استعمارية، أما نحن فإن الخطأ يكلفنا غاليا، ولكن في أثناء تلك التجأنا إلى كلمة الوأد أو قتل الأطفال الصغار، إلا أن عملية كهذه تنعت اليوم بأنها إجرام). أقفل القاس وأقول:

فهؤلاء المتغطرسون، يتناسون بأنهم هم من احتلوا أرضنا، وهم من وأدوا أطفالنا، وهم من روعوا شيوخنا، وهم من اغتصبوا نساءنا، وهم من داسوا على كرامتنا.

ولكن ما ضاع حق من ورائه مطالب، فالعنف لا يولد إلا عنفا أشد قساوة منه، لقد فرض على الجزائريين التضحية بدمائهم لتسقي أرض الجزائر شبرا شبرا خلال المعركة الفاصلة فحولوا الأدغال والغابات والمخانق الضيقة وقمم الجبال والسفوح إلى ساحات مفضلة للتصادم المباشر مع المحتل في معارك فاصلة، واختاروا الجبال كمأوى بديلا عن دفئ البيوت، ونقاط التقاء لتجديد العهد والوعد: فهذه "قرية منعة" عروس الأوراس كنموذج لمثيلاتها تحكي لنا كيف أوت طلائع الأمير عبد القادر،

وكيف كانت جارتها "قرية نارته "مركزا للمقاوم أحمد باي، وقاعدة خلفية لثوار ثورتي 1871، و1916، وكذا عصيان "بن زلماط الأول" و"بن مصران" و"بن ناصر" خلال الفترة الممتدة من 1914 إلى غاية 1921، ثم تلتها أحداث 8 ماي الأليمة سنة 1945 التي إرتكب الفرنسيون خلالها أبشع المجازر، وها هي من جديد قرية "ناره" خلال ثورة التحرير المباركة تتحول إلى عرين" لمصطفى بن بولعيد" في ملحمة جهاده، ومرقدا لرفاته الطاهرة، وبذلك أصبحت قرى "ناره" و"منعه" و"تشرة الحمام بكيمل" و"الهاره بشناوره" وغيرها من قرى الجزائر المدمرة (متاحف تاريخية) متناثرة هنا وهناك، تحكي أحداثا جسيمة لبطولات وملاحم جهادية مشرفة ترسخت في الذاكرة الجماعية للجزائريين ضد همجية الجيوش الجرارة التي استقدمها ساسة المجتمع الفرنسي بحجة إخراج الجزائريين من التخلف، والإدعاء بربسكلتهم مع الحضارة التي تتغنى بها الاستعمار كذبا وبهتانا..

لقد حاول الجيش الفرنسي عبثا أن يقتص لهزائمه بالهند الصينية، فراح بذلك يقترف أشنع الجرائم ضد الإنسانية في حق الجزائريين باسم المجتمع الفرنسي المتحضر، تلك هي حقيقة المجتمع الفرنسي الذي يتغنى بشعار؛ حرية وأخوة ومساواة، الشعار الذي ترمز له ألوان العلم الفرنسي التي حولها غلاة الإستيطان إلى احتلال، عداوة، تفرقة، رغم أنف النخب المثقفة الفرنسية التي حاولت عبثا غسل العقل الفرنسي من عقيدة الإستعمار المدمرة وذلك من خلال كتاباتها وحتى مشاركتها بنصرة كفاح الشعوب المستعمرة، فشملهم العنف الأعمى، وتعرضوا للتصفية الجسدية والسجن والتعذيب هم أيضا.

أولا: النشأة

كانت نشأتي وسط كتلة الأوراس، ذات الطبيعة الجغرافية المتميزة بتضاريسها وانكساراتها، وأحراشها وأدغالها ووديانها المعروفة بالمخانق الضيقة والمسالك الوعرة. تعلو هذا المحيط الجيولوجي "قمة شلية"، رمز الأوراس وبطاقة تعريفه والمشهورة محليا (بلاله كلثوم) وهي أعلى قمة في جزائر العز، وهي منطقة لم تعرف أي تنمية قاعدية تغير واقعها التنموي، الذي إستمر على حاله منذ عهد الكاهنة، فهي منطقة مهمشة معزولة، مغلقة في وجه الغرباء، وهو ما جعلها مسرحا دائما لمقاومة المحتلين، خاصة الفرنسيين الذين تعمدوا تهميشها وإفقارها وتهجير سكانها وتسليط كل وسائل البطش والتعنيف والإكراه عليهم، ولتلك الأسباب بقيت حياة السكان بدائية قاسية متوقفة على الفلاحة الجبلية ذات المردود المحدود، وتربية الماشية المضايقة بالممنوعات والمحرمات المفروضة من طرف حراس الغابات.

تخضع أعراش الأوراس إلى نظام البلديات المختلطة Les Communes Mixtes والتي تعود السيطرة المطلقة فيها للعائلات التي تربط مصيرها بالاستعمار وأذنابه، فمنهم يعين القياد والبشغوات كمراتب موروثة أبا عن جد، نعم لقد ترعرعت في هذه البيئة التي عرفها الفرنسيون (بأن مساحتها الإجمالية نحو 200 الف هكتار من الغابات وسط جبال ذات طبيعة متنوعة تعتبر معقلا رئيسيا للثورات وبعض الخارجين عن القانون) فهم يعتبرونهم خارجين عن القانون ونعتبرهم نحن الجزائريون، شرفاء وأحرارا يأبون الظلم والضيم، فكانوا دوما ثائرين بسبب المهانة التي سلطت عليهم باسم القانون الفرنسي الظالم.

لقد كان مولدي بتاريخ 03 ماي 1934 من الأب الشيخ عمر بن بلقاسم والفاضلة كحول علجية وسط عرش "كيمل"، وتحديدا في قبيلة السراحنة المنتمية لبني هلال من (بني سليم الهلالي) الوافدة زمن الفتوحات الإسلامية من مصر، حسب رواية ابن خلدون، وهم لا يزالون إلى حد الساعة يحتفظون بلهجتهم العربية القريبة إلى الفصحى، وبحكم موقعهم الجغرافي الواقع في قلب الأوراس بين القبائل البربرية فإنهم يتكلمون اللهجة الشاوية بطلاقة، تماما كما ينطق الشاوية سكان المنطقة الأصليين اللهجة العربية، وحتى الفصحى نتيجة الاندماج الكامل الذي اقتضاه العيش المشترك والجوار في ذلك الموقع الجغرافي المميز الذي يحده شمالا السفح الجنوبي لجبل "شلية" وهو ينحدر جنوبا ليلامس "قرية" زريبة الوادي، ويحده شرقا وادي العرب، وغربا الوادي الأبيض وهو يشكل بحق القلب النابض للمنطقة، لكونه المسرح التقليدي للثورات المتتالية ضد المحتل الفرنسي خاصة، وخلال ثورة التحرير 1954 أصبحت المساحة الغابية الكبرى -لكيمل- بني ملول - البراجة - هي القاعدة الخلفية للولاية الأولى ومراكزها المهمة (المستشفى والمنطقة 2 وبعض النواحي)، لقد تكونت علاقة معنوية حميمة بين المجاهدين وتلك المنطقة الغابية مما جعلهم يطلقون عليها تشريفا إسم (كيمل العظيم).

تشكل قبيلة السراحنة إحدى قبائل المنطقة المتماسكة فيما بينها بحكم الجيرة والتعايش والتقاليد والأعراف المتعارف عليها ضمانا للأمن والاستقرار وحماية الكيان والتراث والمصير المشترك، فهي قبائل مكابدة متمسكة بالحياة رغم قساوتها ومرارتها فسكانها مقاومون شرسون، تأبى عليهم كرامتهم وأنفتهم ووطنيتهم الخضوع المذل.

يعودون في منازعاتهم لكبرائهم وأعيانهم المؤهلين للفصل فيها بأحكام صارمة ونهائية لا يمكن تجاوزها أو الطعن فيها، فأحكامهم نافذة وغير قابلة للنقض ومن يتجرأ على رفضها وتجاوزها يتبرأ الجميع منه.

لقد وحدتهم الأخطار والصعوبات وصهرتهم في بوتقة واحدة كالجسد الواحد لهم أسواقهم الداخلية التي تضمن المبادلات بالمقايضة أو بالعملة، وبذلك أصبحت منطقتهم المحضن الأمن لطلائع ثورة نوفمبر، وقاعدتها الإستراتجية ومعينها بالرجال الأشداء الذين سطروا بطولات في المقاومة حفظها لهم التاريخ، من ذلك المغامرة بتفجير ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 الخالدة.

تحيط بمسقط رأسي "كيمل العظيم" الأعراش التالية: شرقا: عرش "الولجة" وقرى وادي العرب ثم عرش البراجة، وشمالا عرش بني ملول وأعراش بوحمامة وأعراش منطقة تامزة وشلية ويابوس، أما من الشمال الغربي فيوجد عرش التوابة أهل الزعيم الخالد مصطفى بن بولعيد ومسعود بن العقون، وغربا عرش بني بوسليمان العرش الذي يكاد يندمج تماما مع عرش كيمل ومن وراء بني بوسليمان عرش واد عبدي وعرش الغواسير. أما من الجنوب فتوجد قبائل "سلسلة جبل احمر خدو" من الغرب إلى الشرق بني بحمد، ثم أولاد أيوب ثم أولاد سليمان بن عيسى، وعرش أولاد عبد الرحمان كباش وعرش بني ملكم.

أما من ناحية الجنوب توجد المدينة الجامعة "بسكره" وشرقها قرية الصحابي الفاتح "سيدي عقبه" وقبائل الزاب الشرقي المتمثلة في عرش الخذران - وسكان قرى: زريبه الواد - الفيض - زريبة حامد - بادس - ليانه، وأخيرا خنقة سيدي ناجي.

ونؤكد هنا على أن سكان هذا الخط الصحراوي مندمجون تماما مع سكان الكتلة الجبلية لناحية "كيمل" مما جعلهم خلال

الثورة يتحملون عبء توفير حاجيات مجاهديها من مال ولباس ورجال أوفياء.

ذلك هو الأفق الجغرافي الذي كان يحيط بأبصارنا منذ الطفولة، وتلك هي القبائل التي تعلمنا في أحضانها وبين ربوعها الوطنية وقوة الشخصية، والصبر والجلد أمام القهر المسلط علينا الذي واجهناه بالعزيمة على تغيير واقعنا المزري الذي فرضه المحتل بآلام الجوع والعوز وضنك الحياة وتعاسة الحرمان وبؤس الطفولة وظلمة الجهل، وخطر الأوبئة، وذل ذلك السجن القهري المحاط بسياج من الممنوعات، والمبالغة في فرض الواجبات المرهقة على أيدي القياد والباشغوات مصاصي الدماء الذين كانوا يتعمدون سد الآفاق في وجوهنا لنستمر خدما لأسيادهم ولأبنائهم.

لقد ولدت في هذا الوسط سنة 1934 من عائلة محافظة متدينة متكونة من أخوين شقيقين لهما ثمانية أبناء ذكور وبنتان، وبحكم تقاليد المنطقة فهم يعيشون تحت سقف واحد، فأبي الشيخ عمر كان معتكفا على تحصيل العلم وتعليمه والتطوع بإسداء الوعظ والإرشاد، أما عمي "علي" فكان يتولى لوحده رعاية العائلة وأداء الأعمال الأساسية الأخرى كالزراعة والتجارة، وبمجرد إعلان الثورة إنضمج كل أفراد العائلة نساء ورجالا وأطفالا في الثورة تلبية لفريضة الجهاد المقدس، وفرارا من ذلك التعسف المسلط علينا خاصة من طرف أعوان الإدارة نتيجة لتلك العلاقة التي كانت تربطنا بالقائد "عاجل عجول" الرفيق الأول للزعيم" مصطفى بن بولعيد"، فمن كان قادرا منا على حمل السلاح إنخرط في جيش التحرير ولم يتخلف عن ذلك الواجب إلا الأب الذي فرضت عليه الشيخوخة والمرض البقاء في محتشد (شناورة) صابرا على المضايقات ووجع القلب وفراق الأهل والأبناء الى أن وافته المنية وهو بين أحضان ابن عمه المناضل الوطني صاحب العقل الكبير والقلب الرحيم" عمار بن عبد القادر زبايدية " فجزاه الله عنا كل خير.

وخلال الأسبوع الأول لاندلاع الثورة ألقي القبض على أخي "محمد الطاهر" وعمي "علي" بن بلقاسم شقيق أبي الوحيد بتهمة امتلاكهما للسلاح، فحكم عليهما بسنتين سجنا نافذة، وبعد إطلاق سراحهما مباشرة التحقا بجيش التحرير الذي جمع بيننا كبيرا وصغيرا، وخلال المعارك جرح وأسر الأخ الأكبر "بلقاسم هلايلي" في جبل "شليه" وأسر أيضا الأخ الأصغر "عبد المجيد هلايلي" مع مجموعة من المجاهدين في معركة (عين العزازة) سنة 1960، كما استشهد أبناء عمي الثلاثة: "محمد لخضر هلايلي" سنة 1957 بالصحراء، و"محمد الهادي هلايلي" في معركة "فرغوس" خلال حملة الجنرال "شال" سنة 1960، أما "أحمد هلايلي" الذي كان كاتبا لمسؤول القسمة الثالثة "عمار نوبوه" فقد استشهد سنة 1961 وواصلنا نحن الباقون واجبنا الجهادي في صفوف جيش التحرير الى غاية توقيف القتال بفضل من الله، أما النساء والأطفال فقد كانوا مختفين في أدغال المنطقة المحرمة في حرمة جيش التحرير إلى غاية الإستقلال حيث وجدنا الأب الشيخ عمر قد وافته المنية بعد عملية جراحية أجراها له أطباء الخدمة العسكرية، فكان بذلك محل تجارب، لم يكن حالنا مختلفا عن حال أغلب العائلات الأوراسية التي عرفت نفس المصير حيث استشهد من استشهد وأسر من أسر وعاش من عاش بلطف من الله.

ففي هذا الوسط الريفي المقاوم ولدت وسط عائلة ثائرة تحت رعاية والدي الشيخ "عمر بن بلقاسم" الذي كما ذكرت كان قد حصن نفسه بالعلم والوطنية والتقوى على يد "الشيخ الصادق بالحاج" المنتمي للزاوية الرحمانية (بتيبرمسين) الذي قام بانتفاضة 1858 التي إنتهت به وبأبنائه وأتباعه الى السجن فحكم عليهم خمسة وعشرين سنة نافذة.

كان لهذه الزاوية الفضل على والدي الشيخ عمر بن بلقاسم الذي أصبح بفضلها أحد علماء كيمل الثلاثة وهم على التوالي: الوالد الشيخ "عمر بن بلقاسم" والثاني الشيخ "مصطفى محيا"

الصوفي الورع والثالث الشيخ "احمد السرحاني تيمقلين" الذي كان له الفضل في رفع الأمية التي كانت قدرا محتوما على أبناء المنطقة فتخرج على يديه كثير من الطلبة فرحمة الله عليه وجازاه خيرا.

كان الوالد الشيخ "عمر هلايلي" يقوم بدوره الإصلاحي، يتطوع بالفتوى الدينية في محيطه، يصلح بين الناس ويحث على تعليم القرءان خاصة، يحارب الخرافات التي الحقت بالدين وعادات الناس للتأثير على عقولهم، وقد حاولت الإدارة الفرنسية ربطه بوظيفة إدارية أو دينية بأحد المساجد فامتنع واستمر حرا يدعو للإصلاح ويحارب البدع، كان منتميا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مواظبا على صحافتها "البصائر" و"الشهاب"، مثله مثل الشيخ "أحمد السرحاني" أحد تلامذة الشيخ "عبد الحميد بن باديس" الذي تطوع للتدريس في منطقة الأوراس، حيث أشرف على "مدرسة كيمل" ومدرسة "مشونش" ومدرسة "الولجة"، ولايزال طلبته يثنون على جهوده وتضحياته من أجلهم.

ثالثا: الدراسة والتعليم

نتيجة الإحساس بكابوس الأمية سارع أهلنا بإمكانياتهم المحدودة جدا إلى إنقاذنا مما حرموا هم منه قهرا. فتحدوا إدارة المحتل بإنشاء مدرسة ابتدائية متواضعة تواضع إمكانياتهم، مدرسة تفتقر لكل الوسائل البيداغوجية ولواحقها فلا تتوفر إلا على التلاميذ والمعلم، في منطقة شديدة البرودة، كانت مقاعدنا الحصير المنسوج من أوراق الحلفاء، وطاولاتنا أطرافنا الغضة، وضوؤنا نور الشمس نهارا وضياء الشموع ليلا، كنا نتلقى كل الدروس وجميع المواد على معلم واحد. كان يمثل كيانا مستقلا بذاته فهو المدير وهو المدرس وهو المراقب، إنه الشيخ تيمقلين احمد السرحاني العصامي المنتمي للمنطقة كما ذكرنا، ذلك

الانتماء الذي كان رحمة من الله سخرها لنا لننال قسطا من العلم والتعليم.

في تلك المنطقة النائية المعزولة، وبحكم انتماء الشيخ أحمد السرحاني لجمعية العلماء المسلمين، فإنه نسب مدرستنا إليها تحايلا على القانون الفرنسي الذي كان يمنع تكوين المدارس في محيطنا الريفي المعزول، وبما أن سكان كيمل لم يكونوا مستقرين في مكان واحد حيث كانت لهم رحلتا الشتاء والصيف تماشيا مع واقعهم الجغرافي، فقد اضطروا إلى البحث عن قرية يكون سكانها مستقرين صيفا وشتاء، فوقع اختيارهم على قرية الولجة ليتخذوا مسجدها مدرسة لنا ولأبناء القرية. إلا أن الاستعمار وأذنابه قرروا إبطال هذه المدرسة بافتعال فتنة بين الشيخ أحمد السرحاني وبعض الأطراف المسخرة لخدمتهم من اهل تلك القرية، وكادت تلك الفتنة أن تؤدي لمكروه كبير لولا تبصر العقلاء من أهل القرية الذين أخمدوا فتيل تلك الفتنة. فعاد اهلنا من جديد للبحث على مكان اخر قد يصلح لاحتضان مدرستنا، فوفقوا لإختيار قرية (تغليسية) وهي قرية تقع في اعالي جبل برقه المطل على قرية خنقة سيدي ناجي وقريتي ليانه وبادس جنوبا، وهي قرية صغيرة أكرم الله سكانها بعين جارية ماؤها سلسبيل مكنتهم من الاستقرار والعيش البسيط بما كانت تجود به تلك الأرض المحدودة جدا من غلال كشجيرات الزيتون والنخيل المحدود العدد الذي كان لا يكاد يكفي لعيش متواضع، هناك أقمنا مدرستنا تحت إشراف شيخنا السرحاني الذي عانى معنا ومن أجلنا لسع البرد القارص، صابرا على الام الجلوس فوق الأرض، يكابد معنا المشاق وقلة الإمكانيات الضرورية للدراسة ومتطلباتها، وبذلك يكون شيخنا المبجل قد انتشل مجموعة كبيرة من أبناء كيمل من براثن الجهل والأمية فمكنهم من إنهاء تعليمهم الابتدائي ثم ساعدهم على الإلتحاق بمعهد إبن باديس ثم جامع الزيتونة وقد كنت من بينهم

كانت المجموعة التي انقذها تتشكل من حوالي عشرين تلميذا منهم: محمد الصغير هلايلي (صاحب المذكرات) والمجاهد عبد المجيد هلايلي أخي الأصغر، والدكتور عبد القادر زبادية، والأستاذ عبد المجيد سعداوي مدير ثانوية وعمار سعداوي، والمدرس أحمد لزروي مدير مدرسة والمجاهد محمد تغليسية مدير دائرة الآثار، والمجاهد محمود غواطي رحمة الله عليه، والشهيد محمد الهادي هلايلي، وأخيه الشهيد أحمد هلايلي والشهيد عمر دبابي والشهيد محمد الصالح تمرسيت، والشهيد محمد مدور تغليسيه ضابط في جيش التحرير وغيرهم ممن انقذوا من سوء المصير.

استمرت رحلتي مع التعليم متواصلة كما بينت من المرحلة الابتدائية بكيمل والثانوية بمعهد بن باديس، ومنه إلتحقت بجامع الزيتونة بتونس، وبمجرد إعلان الثورة إلتحقت بها مبكرا للمساهمة في تحرير البلاد والعباد، وبعد الإستقلال إلتحقت بأول جامعة فتحت في وهران (جامعة السينيه) التي كانت في الأصل ثكنة عسكرية، وقد كان لي شرف تسليمها للسلطات المحلية بصفتي أنذاك قائدا للقطاع العسكري لولاية وهران، وذلك بأمر من قائد الناحية في ذلك التاريخ الرائد الشاذلي بن جديد أطال الله عمره قبل أن يصبح رئيسا للجمهورية، حيث أمرني بتحويلها من ثكنة عسكرية إلى جامعة، فكان لي حظ مواصلة تعليمي الجامعي بها وتحصلت منها على شهادة "الليسانس" خلال السبعينات.

رابعا: النشاط السياسي قبل الثورة

كنت طالبا أتابع الدراسة وكان والدي المنتمي للتيار الإصلاحي (جمعية العلماء المسلمين) ينصحني دائما بعدم التحزب قبل إنهاء التعليم الثانوي على الأقل، بينما كان قريبنا رئيس قسم حزب حركة انتصار الحريات الديمقراطية عاجل عجول يدفع بي وبإلحاح للالتحاق به كعضو في الحزب ولكنني خضعت في الأخير لرغبة والدي وذلك بتأجيل هيكلتي في الحزب إلى غاية إتمام الدراسة. غير أنني وبحكم العلاقة الخاصة بعجول والاحتكاك الدائم به فقد إستهوتني الميولات السياسية فأصبحت في حكم المحب وهي الدرجة الأولى في سلم المنتمين للحزب ومتطوعا أساعده في كثير من الأحيان على تحرير بعض الكتابات السرية الموكلة إليه كمسؤول على القسم رقم 2 في تنظيم حزب حركة الإنتصار[1].

خامسا: المهام والمسؤوليات التي أديتها خلال الثورة

1)- في البداية توليت مهمة كاتب عام لفرع كيمل العسكري في جيش التحرير بقيادة "كعباشي عثمان" و"الصالح شنخلوفي" وذلك خلال السداسي الأول لسنة 1955.

2)- ثم عينت عضوا في خلية (النشر والطبع والتوثيق) وهي خلية متكونة من ثلاث شبان متمكنين من اللغتين العربية والفرنسية فأصبحت رابعهم، هذه الخلية تتواجد في مكان سري جدا، تتولى حراستها وتقديم الخدمات لها مجموعة جد محدودة من المجاهدين الثقاة العارفين بأسرار المنطقة، تنحصر مهمة الخلية "في طباعة" ما يحول إليها من القيادة العليا من وثائق وتعليمات وأوامر عسكرية وسياسية ليتم طبعها ثم تعاد للقيادة

---

1. وهو قسم يشرف على منطقة شاسعة في قلب الأوراس تمتد غربا من وادي عبدي والواد الأبيض ويتجه شرقا إلى سفوح وادي العرب وجبل عالي الناس ومن سلسلة جبل تاموزة وغمدة شلية شمالا إلى الزاب الشرقي جنوبا أنها المنطقة التي زرعت في وسطها خلايا التنظيم السري وأعلن منها ميلاد الثورة في الأوراس ليلة الفاتح من نوفمبر 1954

العامة لتوزيعها شهريا على من يهمهم الأمر من القيادات الفرعية، وكانت تقوم أيضا بطباعة رسائل الشكر والتهاني والتشجيع، ورسائل التهديد التي كانت تحمل صورة سيف تقطر منه قطرة دم. وتطبع المناشير الموجهة للعساكر الأجانب والقومية والعملاء وبعض المتورطين في الخيانة من المواطنين. يقوم أفراد الخلية برقن الوثائق على الآلة الكاتبة عربي فرنسي ثم تسحب بآلة السحب التي تعمل بمادة الكحول (لالكول)، وقد استمر عملي في هذه الخلية عدة أشهر.

3)- بعدها تم استدعائي من طرف عضو القيادة العليا "عاجل عجول" لأصبح كاتبا خاصا معه، وخلال شهر أوت من سنة 1956 وقعت معركة كبرى "بعالي الناس" استشهد فيها مسؤول الجهة الشهيد (الصحراوي بيشة) وكل مساعديه، فأمرت بأن التحق بتلك الناحية لأعيد تنظيمها حيث استمرت مهمتي هناك لعدة أشهر، ثم عدت إلى العمل مع "عجول" إلى غاية وقوع حادثة إغتياله في حضرة "عميروش" موفد لجنة التنسيق والتنفيذ وذلك يوم 20 أكتوبر 1956.

4)- وبعد محاولة إغتيال "عجول" إلتحقت بالناحية (الثانية شلية) تقلدت فيها عدة مهام منها كاتب عام للناحية المذكورة.

5)- ثم عينت مسؤولا (لقسم الرميله)، وبعد دخول الرائد علي سوايعي للولاية قام بتعييني ككاتب معه في الولاية لمدة قصيرة وذلك بتزكية من "الحاج عبد الصمد عبد المجيد".

6)- بعد ذلك قام "الرائد" على سوايعي" بتعييني عضوا في مجلس الناحية الأولى (أريس) برتبة ملازم أول مكلف بمهمة "الإتصال والأخبار"

7)- وخلال حملة "شال" 1960 عينت قائدا عاما برتبة ملازم ثاني على الناحية الرابعة (كيمل) وذلك بعد إستشهاد قائدها في معركة "فرغوس".

8)- بعدها عينت عضوا في (مجلس المنطقة الثانية) برتبة ضابط أول مسؤولا سياسيا، الى جانب سي عمار ملاح بنفس الرتبة مسؤولا على الأخبار وسي محمد حاية كعسكري للمنطقة وذلك تحت قيادة الضابط الثاني "محمد الصالح يحياوي.

9)- وبعد ترقية "يحياوي" (لمجلس الولاية) عوضته كمسؤول عن المنطقة الثانية بالنيابة ثم قائدا عاما عليها برتبة "ضابط ثاني" واستمريت كذلك الى غاية توقيف القتال.

بعد الإستقلال واصلت عملي في الجيش الوطني الشعبي كقائد (قطاع عسكري) لكل من ولاية ورقله، وولاية وهران، وولاية لغواط وولاية سطيف، ثم إنتخبت عضوا في المجلس الشعبي الوطني كنائب على (دائرة أريس) ولاية باتنه لفترة 1977.

وبعد وفات المرحوم الرئيس "بومدين" ثم إنعقاد مؤتمر جبهة التحرير في أواخر 1979 أنتخبت عضوا رسميا في القيادة السياسية للحزب إلى غاية إحداث التعددية الحزبية في البلاد، وخلال عضويتي في اللجنة المركزية لجبهة التحرير الوطني، توليت مهمة (محافظ وطني للحزب) في ولاية بلعباس، ثم في ولاية تلمسان، وأخيرا مسؤولا لمنطقة في حزب جبهة التحرير التي كانت تضم ثلاث ولايات هي: بلعباس، وتموشنت، وتلمسان إستمرت عضويتي في اللجنة المركزية لجبهة التحرير منذ مؤتمر 1979 حتى كتابة هذه المذكرات.

نبذة عن سيرة معلمنا الشيخ أحمد السرحاني

ولد الشيخ أحمد تيمقلين" السرحاني"

بمنطقة كيمل بتاريخ 20 /10/ 1912 بكيمل (حوز أريس) من عائلة متدينة تشتغل بالفلاحة.

بدأ تعليمه في حفظ (القران الكريم عن الشيخ "مصطفى بن محمد المالحي"، ثم إنتقل الى زاوية (الشيخ الصادق بلحاج "(بتنيرماسين) "جبل أحمر خدو"، ثم واصل تعليمه في "خنقة سيدي ناجي" على يد الشيخ "الصادق بلمكي"، وأخيرا إكتمل تعليمه "بمعهد عبد الحميد بن باديس" بقسنطينه.

إستغل الشيخ أحمد السرحاني جمعية العلماء المسلمين وأنشأ مدارس إبتدائية باسمها في "مشونش" لإنقاذ ابناء الأوراس المحرومين من نعمة التعليم، فأدار بنفسه تلك المدرسة الإبتدائية بقرية "مشونش" سنة 1943، وقد تخرج من تلك المدرسة علماء منهم الأستاذ "مهمري محمد" المحلمي، والشيخ "زروق موساوي"، والشيخ "فرحاة نجاحي" وغيرهم كثيروت بعضهم إلتحق بالثورة وإستشهد خلال معركة التحرير، وبعد مدرسة "مشونش" أنشأ مدرسة ثانية (بقرية الولجه) التابعة لحوز خنشله وذلك سنة 1949 ولكنه لم يستقر فيها لأكثر من سنة لأن عيون العدو الفرنسي كانت تلاحقه، فانتقل الشيخ أحمد السرحاني لمسقط رأسه "كيمل" وانشأ مدرسة ثالثة هناك بقرية (تاغليسيه) وهي قرية تقع في أعالي جبل "برقه" وقد تخرج من مدرسة (تاغليسيه) أكثر من 20 إطارا ساميا في مختلف التخصصات.

بعد إعلان الثورة تفاعل "الشيخ أحمد السرحاني" معها بنشاطات خفية لها مدلولها، وبعد أن إكتشف "الجنرال بارلانج"

نشاطه مع الثورة، قام بنفيه من "الأوراس"، فرجع يعلم في معهد بن باديس مرة أخرى وذلك خلال سنة 1956، ثم عاد لمدينة بسكرة حيث تسكن عائلته فباشر فيها التدريس في مدرسة التربية والتعليم "ببسكرة" إلى غاية 1958 تاريخ إقفالها من طرف إدارة الإحتلال.

لقد كان للشيخ أحمد السرحاني صديقا وفيا يدعى (مصطفى بن حسين) راح يختفي نده عن أعين العدو بعمق الصحراء في (فور- فلاتيرس) ومنها عاد إلى "وادي ريغ" و"وادي سوف" إلى غاية توقيف القتال، بعد الإستقلال عين مديرا (للشؤون الدينية بولاية باتنة)، وبصحبة الشيخ "عمر دردور" كونا (المعهد الإسلامي بباتنة)، وبعد نضال مرير توفي "الشيخ أحمد السرحاني رحمه الله، وقد رثاه أصدقاؤه ومحبوه داخل الجزائر وخارجها.

الـفـتـرة الأولـــى

مرحلة التحضير لإعلان الثورة

في الأوراس

كما ذكرنا في المقدمة فإن الثورة في الأوراس قد مرت بثلاث فترات متباينة على بعضها البعض من حيث التنظيم والظروف والصعوبات وخاصة القادة الذين سهروا على تنظيمها وتسييرها.

كانت الفترة الأولى فترة التحضير وتهيئة المنطقة لإحتضان الثورة، وزرع خلايا التنظيم السري، وتدريب الطلائع الأولى وتهيئتهم جسديا وعقائديا ونفسيا للعمل المسلح، وهي من أصعب الفترات أداء وفعالية أمام إدارة المحتل المتكالبة، وعملائها الذين كانوا يسترزقون من تحرشاتهم على المواطنين، وعيونها الذين لا عمل لهم غير تتبع مناضلي حزب حركة الإنتصار والتنظيم السري لها، وهو ما فرض على بعض المناضلين النشطين اللجوء لحياة العصيان والتمرد في الكهوف والمغارات داخل الغابات البعيدة عن الأنظار.

كان سي مصطفى بن بولعيد عضو اللجنة المركزية لحزب الحركة هو من ألهمه الله مهمة توعية المجتمع الأوراسي والعمل على تغيير الواقع المزري الذي فرضه عليه المحتل، لقد سبل حياته وماله وسعادة أسرته من أجل إعلان الثورة، حيث آمن بها إيمانه بالله، فسخر لها كل وقته وإمكانياته.

من حسن حظه أنه تمكن من تجنيد عناصر فعالة على مستوى الأعراش ممن كانوا يتمتعون بالسمعة الطيبة والكلمة المسموعة والنشاط الفعال، ومن بين هؤلاء نجد رؤساء الأقسام الثلاثة الذين إقتنعوا بأفكار مصطفى بن بولعيد حول ضرورة تبني العمل المسلح، فأعلنوا التمرد على زعيم الحزب مصالي الحاج الذي كان رافضا للثورة، فمن بين 7 أقسام لدائرة الأوراس لم يساند مصطفى في توجهاته الثورية غير الثلاثة أقسام التي توجد في المحيط الجغرافي لمولد سي مصطفى، وهو محيط يتميز بخاصيات جغرافية وبشرية، فالبشر متمردون ثائرون منذ الإحتلال، والطبيعة الجغرافية للمنطقة صعبة

ومعزولة ومحرومة من أية تهيئة قاعدية، فلا طرقات ولا إعمار ولا منشآت قاعدية أساسية، وهو ما وفر شروط العمل السري الذي هيأ للثورة في محيط متجانس مع بعضه البعض، والأقسام الثلاثة المعنية هي قسم أريس الذي يشمل عمق كتلة الأوراس التي تعلوها قمة شليه المشهورة وهو يحمل رقم 2 في التنظيم الحزبي، والمسؤل عليه هو عاجل عجول الذي عوض المناضلين الكبيرين بلعقون وبن عكشة بعد سجنهما، والقسم الثاني هو قسم خنشله ومسؤوله المناضل الكبير عباس لغرور، والطبيعة الجغرافية لذلك القسم منسجمة تماما مع طبيعة قسم أريس رقم 2، أما القسم الثالث الذي يقع بين أريس وباتنه ويرأسه الطاهر النويشي (غمراس) فكان الفضل كل الفضل في تهيئة المنطقة للثورة يعود لهذه الأقسام الثلاثة بإشراف القائد الفذ مصطفى.

- **الخصائص الجغرافية والبشرية للأوراس**

تنقسم منطقة الأوراس الكبير (أوراس النمامشه) الى ثلاثة أقسام هامة حسب طبيعتها الجغرافية والبشرية المتباينة وهي:

الأوراس الشرقي: يمتد من الحدود التونسية حتى جبل عالي الناس، وهو ما كان يعرف خلال فترة جيش التحرير في السنوات الأولى من 1954 إلى اخر سنة 1956 بسكتور عباس لغرور، وجبال هذه المنطقة بيضاء جرداء مفتقرة لأي غطاء نباتي، تتخللها أودية عميقة بها متاهات ومخانق، كانت تلك الأودية مسرحا لمعارك طاحنة، أبطالها مغاوير رسموا على كل شبر من تلك المنطقة لوحة تاريخية ناصعة سطروها بدمائهم وأشلائهم.

الأوراس الغربي: الذي لا يقل أهمية عن غيره، فهو الآخر كان مسرحا لمعارك كبرى وبطولات، امتزجت فيها دماء مجاهدين من الوسط والغرب خاصة على مستوى جبل وستيلي وجبل الأشعث وجبل أبو طالب، وأولاد تبان والحضنة وغيرها

من المناطق المشهورة بثوراتها السابقة التي كانت قد مهدت لثورة 1954، بالتمردات والعصيان، كثورة 1912 وثورة 1916.

الأوراس الأوسط: وهي المنطقة التي سأركز عليها تركيزا خاصا وذلك لعاملين مهمين وهما:

العامل الأول: ويتمثل في كونها كانت المهد الذي إنطلقت منه الثورة ليلة الفاتح من نوفمبر لخصوصياتها الجغرافية والديمغرافية.

العامل الثاني: لكونها مهد ولادتي ونشأتي الأولى، ومسرح نشاطي الثوري، وقد أسهبت في عرض تفاصيلها لأنها سوف تكون فيما بعد مسرحا لأحداث جسام توالت على أديمها، ولا يعني ذلك أن المناطق الأخرى كانت أقل شأنا من منطقة الوسط ابدا لم يخطر ذلك ببالي لأني أدرك جيدا أن كل المناطق الأخرى تكاد تكون نسخ طبق الأصل لمنطقة وسط الأوراس وبدرجات متفاوتة ولذلك فقد ركزت على ما أعرف وتحاشيت ما لم أعشه عن قرب.

إن وسط الأوراس هو عبارة عن شبه جزيرة مربعة، تكسوها الغابات المتنوعة النباتات، تتخللها منحدرات وأودية ومرتفعات وسهول محدودة المساحة أغلب أشجارها من الصنوبر الحلبي والبلوط والعرعر، تعلوها قمة "شليه" الشاهقة المغطاة بأشجار (البقتون)، وتنعدم في وسطها المساحات الفلاحية ذات المردود الجيد، عدا بعض القطع الهامشية محدودة المردودية على سفوح الأودية لا تؤمن غذاء السكان المعنيين، الذين يلجأون في كثير من الأحيان إلى الهجرة نحو السفوح الشمالية، الممتدة من خنشلة إلى باتنة. لذلك فهم يعتمدون على تربية المواشي المحاصرة من طرف حراس الغابات بممنوعاتهم المجحفة.

فعندما تحلق فوق وسط الأوراس بالطائرة، تجد نفسك فوق جزيرة خضراء تنحصر بين ثلاث مدن رئيسية هي "مدينة خنشلة" في الشمال الشرقي، و"مدينة باتنة" في الشمال الغربي، و"مدينة بسكرة" و"الزاب الشرقي" في الجنوب، تطوق هذه الجزيرة الخضراء سلسلة جبلية تحيط بها من جميع الجهات كالسوار حول المعصم. فمن الجنوب تجد سلسلة "جبل احمر خدو" ومن الشرق "جبل عالي الناس" ومن الشمال جبال "بزاز" و"تامزة" و"شلية" ومن الغرب "جبل الشمول"، و"المحمل" و"الجبل الأزرق" مكان استشهاد بن بولعيد مصطفى. وهذه الجزيرة الخضراء كانت تعرف (بسكتور عجول) تشكل غابة (كيمل - بني ملول ـ البراجة) عمقها الاستراتيجي التي أصبحت منطقة محرمة إبان الثورة، وملجأ للسكان المدنيين الفارين من المحتشدات المسيجة بالأسلاك الشائكة التي أقاموها في محيط مراكز العدو، كما كانت المأوى الأمن لمراكز جيش التحرير، منها مركز الولاية، ومركز المنطقة الثانية والمستشفى المركزي ومراكز العجزة والجرحى والشيوخ، بالإضافة إلى وحدات جيش التحرير المقاتلة.

تتخلل الأوراس الأوسط أربعة أودية مهمة تنحدر من الشمال نحو الجنوب مطوقة بسلسلة جبال تحدد خصوصياتها الطبيعية المتميزة وهي على التوالي:

أولا: وادي العرب المنحدر من السفوح الواقعة بين جبل تامزة وجبل شلية وأهم التجمعات السكانية التي يمر عليها من الشمال نحو الجنوب تتمثل في بوحمامة، شبلة، خيران، الولجه، تبويحمت، خنقة سيدي ناجي.

ثانيا: وادي قشطان (بدوار كيمل) وهو ينحدر من السفوح الجنوبية لقمة شلية، وتقع على حافتيه التجمعات السكانية التالية: قرية سيدي علي مقر بلدية كيمل الحالية، وسيدي فتح الله قبر الولي الصالح، ثم قرى غاسكيل، وبودر الأعلى وبودر الأسفل، ثم البرج (مقر عائلة عجول)، تليه البرمة، ثم قرية البعل وجنوبها قرية الدرمون، ثم قشطان ومنه إلى قرية زريبة الوادي في الزاب الشرقي.

ثالثا: وادي الأبيض وهو ينحدر من محيط (قرية المدينة الواقعة فوق كتف جبل - الشمول) والتجمعات السكانية المحاذية له تتمثل في(قرية المدينة) التي ينعقد فيها السوق الأسبوعي للمنطقة كلها، وقرية الشمول، وقرية الحجاج التي أعلن مصطفى ورفاقه منها الثورة، ومدينة اريس مقر البلدية المختلطة، تاغيت مكان مقتل المعلم الفرنسي ليلة اندلاع الثورة، قرية غوفي، قرية بانيان، قرية مشونش، قصد سيدي عقبة المشهور

رابعا: وادي منعة (أو واد عبدي) المنحدر من جبل المحمل والمار شرق جبل الأزرق مكان استشهاد الرمز بن بولعيد مصطفى، وتحفه القرى التالية: ثنية العابد، ثم قرية النوادر، وبعدها قريتا منعة ـ وناره (مكان قبر بن بولعيد)، ثم أولاد سعاده، ثم بني فرح وأخيرا مدينة بسكره.

في هذه البحيرة الغابية كان عجول وبلعقون وبن عكشة يسهرون على تنظيم خلايا المنظمة السرية قبل الثورة وفي ربوعها كان سي مصطفى وضيوفه المطاردين من طرف الإستعمار (بطاط وبن طوبال، وعمار بن عوده، وبلمهيدي، وزيروت يوسف، وغيرهم ممن كانوا يجتمعون بالمناضلين في حلقات سرية لتعميق الوعي الثوري، وكانت ورشات التدريب على حرب العصابات تضم الرجال الذين سيكتب لهم شرف تنفيذ العمليات المباركة ليلة الفاتح من نوفمبر العظيم.

• الأهمية الإستراتجية لمنطقة وسط الأوراس

إن كتلة الأوراس الأوسط هذه يعرفها الجنرال الطيار ميشال المكلف بمراقبتها من الجو بأنها (منطقه محرمه مساحتها 15000 كيلومتر مربع تساوي مساحة جبال الألب الثلاثة، وهي النواة الصلبة ومهد التمرد والمسرح المفضل لعملياتنا الجوية)، ثم يضيف والأوراس أكثر المناطق إثارة وتوحشا وجمالا، ويتكلم على غلبة بني ملول التي كانوا يخصصون لها ساعات طيران طويلة ومستمرة صباح مساء وحتى خلال الليل، ومساحتها هي الأوسع في الجزائر كلها).[1]

تلك هي كتلة وسط الأوراس ذات الطبيعة الجغرافية المتميزة بتضاريس وسلاسل جبلية شامخة، وأحراش، وأدغال، وغابات، ومخانق، ومسالك ضيقة، ودروب لا يعرفها إلا أهلها ولا يعبرها إلا المشاة أو الدواب تتوسط هذا المحيط " قمة شلية" رمز الأوراس يشمله مناخ الأطلس الصحراوي لم يعرف الأوراس الأوسط أي تنمية قاعدية أساسية فاستمر على طبيعته زمن الكاهنة، فمنطقة الأوراس الأوسط منطقة مغلقة في وجه الغرباء والمحتلين، فلا طرقات معبدة، ولا منشآت اتصال ولا كهرباء، ولا هياكل سياحية أو ثقافية ولا مؤسسات تعليمية أو دينية، ما عدا كتاتيب تحفيظ القرآن المتكفل بها محليا وبصفة سرية. وهكذا استمرت حياة السكان بدائية قاسية.

وكما ذكرنا يحكم قبائل الأوراس نظام البلديات المختلطة ويؤطرها الإستعمار بأبناء العائلات التي ربطت مصيرها بالمحتل بالوراثة أبا عن جد، يتولى مهمة الأمن فيها رجال الجندرمة المتنقلين بواسطة الخيل، وعند الضرورة تستدعى كتائب الحرس المتنقل (قارد موبيل) للتنكيل بكل من يريدون إلحاق الأذى به.

1.من كتاب الجنرال الطيار ميشال الحرب الباردة في الجزائر ص 88

لم تكلف الإدارة الفرنسية نفسها أية جهود لتطوير حياة السكان، فاقتصرت مسؤوليتها على جمع الضرائب وتسليط العقوبات الفردية والجماعية وفرض السخرة المجانية المدعومة بشتى أنواع القهر والتعسف والاهانات والتفقير، وهو ما دفع بالمنطقة إلى التمرد والانتفاضة والخروج على الطاعة والقوانين وهو ما يؤكده الكتاب الفرنسيون بقولهم (بأن الشاوية بدائرة باتنة ثاروا كلهم بدون استثناء ضد الاستعمار الفرنسي لأن الثورة تجري في عروقهم)، وهي شهادة تدل على استمرار تمردهم مرة ضد الخدمة العسكرية ومرات ضد وجود الاحتلال ونهب الأراضي وهتك الأعراض بواسطة كتائب السنغال المستقدمة خصيصا لترويضهم عبر الفترات المتتالية من سنة1845 1849 و1858 و 1871 إلى ثورة 1916 وأخيرا انتفاضة 8 ماي 1945.

• **خصائص مهمة شجعت على إنشاء خلايا الثورة**

ظلت منطقة أوراس نمامشه طوال آلاف السنين تشكل محضنا رئيسيا لتفريخ الثورات ومقاومة المحتلين والغزاة وبالأخص خلال حقبة الإحتلال، وتتسم هذه المنطقة بالخصائص التالية:

الخاصية الأولى: تتعلق بطبيعة المنطقة الجغرافية الصعبة التضاريس والتي جعلت العدو يتعمد تقسيمها تقسيما سياسيا وأمنيا وإداريا رغم كونها متكاملة لاتقبل التقسيم ومع ذلك تعمد العدو تجزئتها إلى نصفين بخط مستقيم شمال جنوب فألحق الجزء الشرقي منها إداريا ببلدية خنشلة المختلطة، وألحق الجزء الغربي ببلدية أريس المختلطة، وبما أنه تقسيم استعماري مجحف فإن السكان لم يتأثروا به في حياتهم اليومية ومعاملاتهم، واستمروا محافظين على ما تقتضيه وحدتهم، ومستلزمات مصالحهم لذلك فإنهم تجاهلوه ولم يتعاملوا معه إلا في حدود الضروريات الإدارية القهرية، فهم مدركون لخلفياته،

وأبعاده الاستعمارية المتناقضة مع متطلبات حياتهم، ومعيشتهم اليومية، وحتى حزب الشعب منذ الأربعينيات كان قد تجاهل ذلك التقسيم الاستعماري وأصر على التعامل مع المنطقة كجزء لا يتجزأ فأخضعها في تنظيمه إلى قسم واحد (أطلق عليه قسم أريس رقم 2 رغم شساعة مساحتها، وتعداد الأعراش المستقرة بها، فكان شعاع بلدية اريس، وبوعريف، وجزء من بلدية خنشله المهد الأول الذي إنطلقت من عمقه ثورة نوفمبر، وكان سكانه القوة المتماسكة التي تحملت بصبر وثبات مواجهة جبروت العدو وقواته الوحشية، بعد إعلان الثورة مباشرة، وبفضل ذلك الصمود الأسطوري لثوار وسكان هذه المنطقة بالذات تمكن ثوار مناطق الوطن الأخرى من استكمال عدتهم وتعدادهم لدخول المعركة بفعالية أكبر ، فتحقق بذلك الانتصار الكبير بعون الله وإرادة المخلصين الثابتين على العهد.

الخاصية الثانية: تعود لصمود السكان الريفيين بالمنطقة المدفوعين بغريزة البقاء والذود عن الكيان، والتمسك بالأرض والعرض والتراث الثقافي المشترك والتضامن في الشدائد والصمود أمام الهزات العنيفة، ذلك الصمود الذي تجلى في مواجهتهم للمحتل بالتمرد والعصيان نتيجة ما فرضه عليهم من حرمان وفقر وتهميش وتجهيل بدأ "بالمسعود بن زلماط الأول" الذي سيطر على المنطقة مما جعل السكان يتغنون ببطولته مرددين (كول غداك وتوقع بن زلماط المسعود حذاك).

وكان بن زلماط الأول ورفاقه رافضين للتجنيد الإجباري، مثلهم مثل عناصر ثورة الصادق بن الحاج "بتيرما سين"، والمقاوم (أحمد باي) الذي إتخذ من الأوراس عرينا له "بوادي فرغوس"، وكذلك الناشط ممثل الأمير عبد القادر(أحمد بن الحاج) الذي كان بدوره متخفيا بقرية منعه في قلب الأوراس.[1] وصولا إلى قرين بلقاسم، والصادق شيبوب وزوجته وغيرهم

1. زوزو عبد الحميد ثورة 1879 ص 19

ممن عاصروا فترة الإعداد للثورة واندمجوا في جهود مصطفى بن بولعيد للتعجيل بالثورة وبذلك أصبحوا مجاهدين مقاتلين في صفوفها داخل شعاع بلدية أريس المختلطة مهد ولادتهم التي يصفها ضابط المخابرات "فارال دومنيك" بقوله (هذه المنطقة تابعة لعمالة باتنة، وكانت مساحة بلدية أريس المختلطة لوحدها تغطي معظم مساحة الأوراس، وعدد سكانها قرابة 100000.)[1]

لقد تمكن مصطفى ورئيس القسم عجول ورفاقهما من استغلال تلك الطبيعة الوعرة المعزولة وسكانها الرافضين للخضوع، والمتمرسين على القتال فوجهوهم الوجهة الصحيحة بعد أن شحذوا هممهم وسقلوا إرادتهم بالانضباط الثوري الضروري لمعركة التحرير الطويلة. فحقق بذلك سي مصطفى بن بولعيد ما عاهد به رفاقه الستة خلال إجتماعهم التاريخي الذي قرروا فيه تفجير الثورة حين أكد لهم (بأن الأوراس جاهز لإعلان الثورة، وسيصمد أمام العدو لمدة ستة أشهر كاملة مهما جند من إمكانيات مدمرة ريثما تتمكن المناطق الأخرى من الإلتحاق بالمعركة).

الخاصية الثالثة: تكمن في الأهمية التاريخية التي تميز الأقسام الثلاثة المنضوية في حزب الشعب وهي على التوالي (قسم أريس ـ قسم بو عريف ـ وقسم خنشله) فهذه الأقسام الثلاثة دون غيرها إنشقت على مصالي وانضمت لمصطفى بن بولعيد من أجل إعلان الثورة، وأيضا الأهمية التي تميز بها مسؤولوا تلك الأقسام من وعي وحنكة سياسية مكنتهم من تجنيد المواطنين والمناضلين الذين إلتفوا حولهم وحول المسعود بن العقون وخليفته بن عكشة الذين قبض عليهم العدو مبكرا فتولى مكانتهما على قسم أريس الطالب الذكي عاجل عجول الذي اشتهر بالنشاط والفعالية وموهبة التنظيم تلك الصفات التي أهلته ليصبح المساعد المباشر لسي مصطفى، وبذلك أصبح مطاردا

1ـ فارال دومنيك معركة جبال النمامشة 1954/ 1962 ص 71

من طرف الإدارة الفرنسية فلجأ الى حياة الكهوف مثله مثل الخارجين عن القانون الفرنسي.

الخاصية الرابعة: المهمة التي تتعلق بشخصية سي مصطفى بن بولعيد المولود بنفس المنطقة، والمنتمي لأعراشها المتماسكة مهد طفولته، ومصدر إلهامه ومسرح نشاطه، فهي التي أكسبته صفات شخصيته المتميزة، وإرادته الصلبة، ومرونته، وتواضعه، والمثالية التي أثر بها على نفوس وطباع وعقول أتباعه، لقد خصه الله بمؤهلات الزعامة التي مكنته من كسب ثقة سكان الأوراس وتعبئتهم في صفوف متلاحمة إصطفى من بينهم الطلائع التي نفذت أحداث ليلة الفاتح من نوفمبر وفاء للعهد، فحقق الله للجميع النصر، وأغشى أبصار أعدائهم عنهم.

لقد توفق مصطفى في اختيار مناضلي الأقسام الثلاثة الذين تخلوا عن الزعيم مصالي والتزموا بتوجيهات بن بولعيد، كما نجح في كسب ولاء الأعراش التي دخلها بأبنائها كمفاتيح مؤتمنة فكان له بن عكشة وغزوي على مستوى عرش التوابه، وكعبا شي عثمان وعجول ومستيري عمر وورتان بشير على عرش كيمل، ومصطفى بوستة وغقالي وعايسي مسعود على عرش زلاطو بني بوسليمان، وعثماني عبد الوهاب وسوفي عبد الحفيظ على عرش الولجه وبني ملول، وعمار معاش وعاقلة رداح على عرش بني وجانه، وناجي ناجي بعرش فم الطوب وغيرهم من الرجال الذين كانوا النواة الأولى الصلبة التي زرعت خلايا الحزب بتوفيق من الله، فحبا الله الجميع بالنصر المبين: (وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) صدق الله العظيم).

• نبذة عن حياة القائد الفذ: مصطفى بن بولعيد*



ولد القائد الفذ مصطفى بن بولعيد سنة 1917 بالمكان المسمى "إينركب" وسط عرش التوابه، تلقى تعليمه الإبتدائي بمدرسة "الأهالي" بمدينة أريس ثم بالمدرسة العسكرية من 1939 الى 1943 بأريس دائما، باشر نشاطه الإجتماعي والسياسي مبكرا حيث أسس جمعية خيرية تولت بناء مسجد أريس، بدأ نشاطه السياسي مع المسعود بلعقون أول رئيس لقسم أريس رقم 2، وذلك سنة 1945، وخلال سنة 1947 انضم للمنظمة الخاصة، وأصبح عضوا في اللجنة المركزية للحزب، ركز كل إهتماماته على تهيئة المنطقة للثورة، سعى جاهدا لجمع شمل أعضاء المنظمة السرية بعد قرار الحزب بحلها، ترأس اجتماع مجموعة 22، حاول مرارا الإتصال بمصالي من أجل إقناعه بتبني الثورة لكنه فشل في مسعاه، فصرف جهوده لإقناع كريم بلقاسم بالانضمام لأفكار النخبة المصرين على تبني العمل المسلح وقد توفق في ذلك. شارك مصطفى في إنتخابات 1951 فحقق نجاحا باهرا لكن ادارة الإحتلال زورت النتيجة لصالح "خليل" ممثل حزب البيان، كما شارك في تكوين اللجنة الثورية للوحدة والعمل سنة 1954 والتي مثل حزب الشعب فيها (العربي نعاع العدروس) الذي زار "كيمل" اثر (فتنة) القتال بين الخارجين على القانون الفرنسي وسكان "كيمل"، فكانت الفرصة لتشكل "قبيلة كيمل" للحوار مع "العربي نعاع العدروس" منهم والدي الشيخ عمر هلايلي والشيخ أحمد السرحني، وقد أصبح "نعاع العدروس" يذكرني بتلك الزيارة كل ما لاقيته، ويذكرني وجبة (الزرداوي) التي أعدتها له أختي في بيت الشيخ أحمد السرحني ويردد (الززاوي القلب شبعان

والبطن خاوي) وهي اكلة لذيذة يدخل في إعدادها العسل والجوز والسمن.

• سر إختيار وسط منطقة الأوراس لتفجير الثورة

لكل هذه العوامل، فقد كان لزاما أن يتم إختيار هذه المنطقة المهمة جدا لتكون المهد الأول لإعداد الثورة والرحم الطبيعي لولادة أعظم ثورة شعبية في التاريخ الحديث، فمن وسطها ومن بين أبنائها خرجت الطلائع الأولى التي استدعيت لتنفيذ هجمات أول نوفمبر 1954 انطلاقا من "قرية الحجاج" بأريس ومن دار" بولقواس" ببوعريف.

لقد ركز مصطفى ورفاقه على هذا الجزء المحدود من الأرض الجزائرية ليصبح الحلقة الضيقة لعمله السري من أجل مفاجأة المحتل بثورة أعد لها خلال نضال ربع قرن من الزمن.

وهكذا كتب لهذا الجزء من الأرض شرف إحتضان خلايا الثورة وتوفير شروط استعداداتها الحثيثة من تدريب على السلاح مستوفيا بالتطبيقات العملية لفنون القتال، وتأقلم مع الطبيعة الوعرة التي ستصبح ميدانها المفضل.

إن التركيز على هذه المنطقة لتكون الميدان المفضل للعمل السري لايعني أن سكانها أصدق وأخلص من غيرهم، ولكن ضرورات الحرص على السرية هي التي فرضت إختيارها لبعدها عن المراكز العسكرية للعدو وإداراته وعيونه، بغية الإطمئنان على إكتمال التدريبات في سرية كاملة من أجل الوصول لمفاجأة العدو حين يتم إعلان الثورة في غفلة منه، وبعد ذلك ستعمل طلائعها على نشرها بالسرعة المطلوبة في الأماكن المحددة، ولقد بقي هذا الشعاع الجغرافي الإستراتيجي محافظا على حدوده زمن التنظيم الحزبي خلال الثورة، في البداية كان يسمى (سكتور عجول) وبعد مؤتمر الصومام أصبح يعرف بالمنطقة الثانية من الولاية الأولى.

• مصطفى بن بولعيد يكسب الأعراش بأبنائها

بما أن مصطفى بن بولعيد كان من أبناء "منطقة الأوراس" وكان يدرك تماما العادات والتقاليد الداخلية للأعراش والطابع التضامني الذي يميزها عن غيرها، تضامن جعل إستحالة التوغل في عمقها والتمكن من أسرارها إلا لمن كان واحدا من بين أبنائها.

وما دامت رغبة مصطفى الأساسية هي تجنيد المنطقة، فإنه أدرك إستحالة تحقيق غرضه الشريف إن لم يقم بتجنيد عدد من صفوة أبنائها الذين يحظون بالمصداقية، والكفاءة، والصدق، والإخلاص للوطن، والكلمة المسموعة في العشيرة، ثم ليوكل لكل واحد منهم مهمة كسب ثقة عشيرته بكل سرية وثقة لينوبوا عنه في أعراشهم ويعفونه من التنقلات التي قد تجلب له إنتباه عيون العدو، لأنه كان يؤمن بأن الأسلوب الذي يؤمن النجاح هو التنظيم عن بعد بعناصر مؤتمنة ملتزمة وفعالة تكون على أهبة الإستعداد لتنفيذ ما سيطلب منها.

وبعد تمكنه من إختيارهم بالمقاييس التي حددها مسبقا عمل على تأهيلهم وتحصينهم والنفاذ إلى قلوبهم وأحاسيسهم ليعدهم الإعداد الصحيح ويضمن ولاءهم، وبهذا الأسلوب حقق مبتغاه بالوصول بكل ثقة واطمئنان إلى تجنيد المنطقة بأبنائها دون أن يلفت إليه أنظار مخابرات العدو مما حقق الغرض الثوري وحمى التنظيم السري من الكشف على غرار ما وقع في مناطق أخرى بعد حادثة تبسه 1950 وبعد ذلك تفرغ للعمل الخارجي مع زملائه المعنيين بتفجير الثورة، وهكذا كان له عباس لغرور مشرفا على "خنشلة"، وعمار معاش المدعو (مارشينوار) على" يابوس"، وعجول، ومستيري وكعباشي على "كيمل"، ومصطفى بوستة، وعقالي والمسعود عايسي على "دوار زلاطو"، ونواورة، ومحمد بن المسعود على "وادي غسيرة"، وعثماني عبد الوهاب على "الولجة" وعبد الحفيظ سوفي على

"بني ملول"، والطاهر النويشي وناجي على "عين القصر"، ومدور وبن شايبه وعزوي على "التوابه".

وبتلك الإستراتيجية المحكمة التي لا تصدر إلا على قائد ملهم وذكي وضع مصطفى بإلهام من الله قطار الثورة على سكة النجاح مؤمنا سلامته بعزائم القيادات المختارة على مستوى الأعراش، والمقاتلين من الطلائع الأولى الذين تم تدريبهم لحمل السلاح في الوقت المناسب، كما أمن خطته الإستراتجية باتباعه سلوكا إنضباطيا صارما ومحسوب العواقب أمام العدو، وذلك بتحاشي التجول وسط الأعراش المجاورة عن قصد حتى لا يلفت أي انتباه أو يحدث تشويشا على العمل الموكل إلى مناضليه داخل الأعراش، وليوهم العدو بأنه بعيد عن أي نشاط سياسي حزبي مشبوه، مما جعله يستغفل المخابرات بذلك السلوك الذي أضلها به فراحت تعتقد بأن المنطقة قد روضت واستسلمت للأمر الواقع، وظهر ذلك من خلال تقاريرهم المرفوعة لقياداتهم العليا.

• بوادر عصيان نتيجة تزوير الإنتخابات

لقد تجلى ذلك التشوق الشعبي للثورة في تلك الحوادث التي صنعها سكان المنطقة إحتجاجا على تزوير إنتخابات 1951 التي ترشح لها "سي مصطفى بن بولعيد"، ممثلا عن سكان الأوراس الذين وضعوه في صدارة الناجحين، فراح العدو يساومه ويخيره بين استمالته لصفهم أو شطب إسمه من قائمة الناجحين، فكان جوابه صلبا كصلابة صخور "الأوراس" (إن **ثقة أبناء عمومتي لا تقدر بثمن إنها لا تباع ولا تشترى،** لقد كانت هي هدفي المنشود فكيف تريدون مني أن أفرط في هذا الهدف النبيل والغالي). حينها سارع الحاكم الفرنسي "فابي fabet" إلى شطب إسم مصطفى وتسجيل ممثل حزب البيان السيد بن خليل مكانه، وبذلك ثارت ثائرة الناخبين في كيمل فحطموا صناديق الإنتخابات وحشروا رجال الدرك المكلفين

بحراسة صناديق الإنتخاب في ركن، وبذلك إنتشرت العدوى الى "عرش بوزينه" و"عرش الشمول" وهو ما أربك العدو الذي لم يكن يتوقع ذلك فعجل بمحاصرة المنطقة عسكريا وزج ببعض المناضلين في السجن بعد أن حكم عليهم بستة أشهر نافذة منهم ستة من "عرش السراحنه" أولهم المجاهد "محمد الطاهر كبور".

ثم باشرت الكتائب العسكرية التفتيش وخلال ذلك إشتبكت مع الخارجين عن القانون الفرنسي، فالإشتباك الأول وقع في شهر أوت من سنة 1952 "بغابة كيمل" مع الحسين برحايل، وشيبوب الصادق، وزلماط المسعود الثاني، وأحمد قادة، وعاجل عجول مسؤول قسم أريس، الذي أصبح هو الآخر مطاردا لكونه متهما بحوادث الشغب، ثم وقع الإشتباك الثاني "بوادي أولاد سي عمران بتاجموت"، حيث قتل على إثره أحد أفراد المجموعة الثائرة المدعو "المكي عايسي"، وخلال شهر مارس 1953 دارت معركة ثالثة بين المطاردين و"قائد دوار يابوس" المنتمي لعائلة بن شنوف في محيط" يابوس" بمنطقة بني وجانه.

وبالإضافة إلى هذه المشادات المحدودة ظهرت تحركات أخرى على الحدود الجزائرية التونسية يرجح أنها كانت لثوار تونس الذين كانوا مكلفين بجمع السلاح والمال من بينهم "شريط لزهر" الذي قام بنصب كمين لرجال الدرك الفرنسيين بتاريخ 23 أكتوبر 1954، وإنتشار أخبار ظهورمسلحين في محيط خنشلة.

وهذا يعني أن المنطقة أصبحت تتعجل الثورة نتيجة الشحن الذي كان التنظيم السري يشحن به المناضلين والمواطنين مستغلا في ذلك جهود الفارين السياسيين للأوراس، وهو ما أكده "بن طوبال" خلال ملتقى "كتابة تاريخ الثورة" فيقول: (لقد وجدنا "منطقة الأوراس" قد سبقت الحزب في وعيها بضرورة

قيام الثورة، وعندها فقط أدركنا أننا لم تكن على إطلاع بحقيقة سكان الريف في الأوراس) علما أن "بن طوبال" ورفاقه كانوا قد مكثوا مدة 26 شهرا بين مناضلي الأوراس.

إن هذه التطورات وبوادر الإضطراب دفعت الجنرالين (شاربار وسبيلمان)، إلى التعجيل بإخراج دوريات عسكرية في المنطقة الشرقية من الجزائر، كما راح "القياد" يأمرون السكان في محيط "وسط الأوراس" بضرورة إقامة حراسات ثابتة ليلا نهارا في نقاط مرتفعة على قمم الجبال لرصد التحركات المشبوهة، وتكون تلك الحراسة تحت رقابة السلطات العسكرية، لتوضع المنطقة بعد ذلك تحت المجهر، ولتصبح ضحية للتعسف الوحشي الذي حول منازل المناضلين إلى أهداف دائمة للمراقبة والكمائن والمداهمات الليلية، مما دفع "سي مصطفى بن بولعيد" للمطالبة بتكوين "لجنة للدفاع عن الحريات" تلك اللجنة التي كان لها بعض الأثر في رفع الضغط المسلط على المنطقة خاصة بعد زيارة أحد أعضائها لمنطقتنا، وحصل لي شرف التعرف عليه إنه ممثل "حزب الشعب" المدعو" العربي دماغ العتروس" الذي دخل في حوار مهم مع "والدي الشيخ عمر، ومع الشيخ أحمد السرحاني.

فبقدر ماكانت هذه الأحداث مفرحة "لإبن بولعيد مصطفى" ورفاقه، ولكنهم كانوا في نفس الوقت متخوفين كونها قد تؤدي إلى كشف الإستعدادات الجارية للعمل المسلح،فحالة العصيان والهيجان وكثرة الإضطرابات قد تؤدي بالتأكيد الى إستنفار العدو لقواته، وهو ماتم عمليا حيث حاصرت المنطقة كتائب متنقلة للعدو إستمر مكوثها داخل "دوار كيمل" مدة ستة أشهر. قضتها في التفتيش والترويع...

- **إجراءات عاجلة لنزع فتيل التصعيد**

إذا كانت الأحداث التي سردناها مشجعة للحزب والشعب على الثورة، فإنها بالنسبة للعدو كانت مقلقة جدا لأنها كانت تنبئ بالعودة للتمردات والثورات السابقة.

وتحت تأثير هذه الأحداث أيضا تباينت وجهات النظر بين طرفي القضية الإستعمار و"حزب حركة إنتصار الحريات الديمقراطية" حول حقيقة الوضع في المنطقة؛ فالعدو يراها تمردا وعصيانا، أما "حزب الحركة" فيراها نضجا سياسيا ومقدمات تهيئة لمواجهة جبروت المحتل الذي جثم على صدر الأمة 130 سنة.

غير أن تلك المواجهات والتصعيد قد يؤدي إلى كشف الإستعدادات الحثيثة لإعلان الثورة، ولذلك سارع سي "مصطفى بن بولعيد" ورفاقه إلى إخماد تلك الإضطرابات الناتجة عن حوادث الإنتخابات[1]، والتي أدت إلى تصادم الخارجين على القانون مع قوات الجيش الفرنسي، حاول "بن بولعيد أن يبدد مخاوف إدارة المحتل،و يظهر لها عدم أهميتها، وينفي علاقتها مع ظهوربعض المسلحين من ثوار تونس على الحدود الشرقية، كل ذلك من أجل كسب الوقت لإنهاء إجراءات النشاط المكثف لإعلان الثورة الذي كان يجري التخطيط له في الخفاء.

فسارع سي "مصطفى بن بولعيد" إلى تطويق تلك الأحداث، وذلك باتخاذ إجراءات عاجلة تساعد على إعادة الهدوء والطمأنينة للمنطقة، وتطمين العدو على أن الأوضاع قد عادت إلى طبيعتها الهادئة، وأن الأسباب التي فجرت مخاوفه قد زالت، وقد تمكن سي مصطفى ورفاقه من تضليل العدو بصفة

1. الإنتخابات التي ترشح لها سي مصطفى وفاز بها، فقامت إدارة الإحتلال بالشطب على اسمه فهجم السكان على صناديق الإنتخابات إحتجاجا على التزوير

فعلية، حين رفعت الإدارة المحلية تقارير تبشر القيادات العليا بإعادة الهدوء إلى منطقة الأوراس بعد الإضطرابات التي سببتها الإنتخابات.

- إجراءات التهدئة تضمنت مايلي:

أ) إخراج "سي مصطفى بن بولعيد" المسؤولين السياسيين الذين لجؤوا إلى منطقة الأوراس منذ أكثر من سنتين، حيث كلف المناضل "مصطفى بوستة" بإعادتهم إلى محيط قسنطينة بصفة سرية.

ب) إخضاع ما كانوا يسمونهم بالخارجين على القانون الفرنسي إلى سلطة الحزب وإجبارهم على الانضمام لصفوفه، وفرض الطاعة الحزبية عليهم، دون أن يعطيهم أي حق في حضور الاجتماعات الرسمية للحزب، مع إعفائهم من دفع الاشتراكات، لأنهم في الأصل غير منتمين للحزب ولا إمكانية مادية لهم.

ج) الإسراع بالمصالحة المطلقة بين الأعراش جميعها والقضاء على كل أسباب الخلافات التي كانت إدارة الإحتلال تنشرها وتشجعها بواسطة (القياد)، ومن أهم مساعي هذا الصلح تلك التي كانت بين عرش التوابة وعرش بني بوسليمان على إثر جريمة قتل استغلها العدو لتعميق العداوة بينهما.

د) حرصا على وحدة المناضلين وعلى تضليل العدو تعمد "سي مصطفى" إستغلال إسم "مصالي الحاج" في كل نشاط يبادر به وخاصة في فتح الإجتمعات الروتينية بين المناضلين التي كان يتعمد فتحها "باسم مصالي الحاج" للتمويه مع علمهم الأكيد بأن "مصالي الحاج" كان رافضا للعمل المسلح، وفي حقيقة الأمر فإن مناضلي الأوراس كانوا على الحياد في الخلاف بين المركزيين والزعيم مصالي الحاج، وبغية طمأنة العدو أكثر جمدت الاشتراكات.

هـ) العمل بكل جهد على دفع كل العناصر النافذة والأحزاب والشخصيات السياسية والثقافية وبعض المنتخبين إلى المطالبة بتكوين " لجنة للدفاع عن الحريات" مستغلين تلك الأعمال التي اقترفت في حق المواطنين، على سبيل المثال حادثة المرأة المنتمية "لدوار الشمول" والتي داهمتها دورية عسكرية فرنسية ليلا فأسقطت جنينها نتيجة الخوف والفزع، فراح"سي مصطفى" يطلب من طبيب يهودي تحرير شهادة طبية لها تطالب بها حقها أمام العدالة، وقد أقنع سي مصطفى الطبيب اليهودي بأن الخارجين على القانون الفرنسي من هجموا على المرأة الضحية، وبذلك حصل منه على تلك الشهادة التي إستغلها مع "لجنة الدفاع عن الحريات ضد القمع الفرنسي الهمجي.

ومن خلال هذه النقاط يمكن القول بأن "سي مصطفى" بقراراته هذه أراد إعادة الطمأنينة وتهدئة الأوضاع ريثما يكمل تنظيماته لتفجير الثورة. ولإبراز نجاعة هذه الإستراتيجية التي خطط لها ونفذها "سي مصطفى" نجد ان الحملة العسكرية التي لم تتوصل لأية نتيجة عادت لثكناتها خوفا من صقيع برد المنطقة، كما إستغنى عن الحراسات الدائمة التي وضعت في قمم بعض الجبال وفي مفترق الطرق من أجل رصد الحركات المشبوهة لأنها لم تسجل هي الأخرى ما كان متوقعا منها في الكشف عن أية تحركات مشبوهة، وقد رفعت تقارير عن كل ذلك من طرف إدارة العدو بالمنطقة لتؤكد نجاحها في القضاء على التمرد والعصيان وتبين بأن المنطقة كلها قد هدأت وأصبحت تحت السيطرة، ولعل من أبرز هذه التقارير ذلك الذي رفعه رئيس الدائرة إلى رئيس عمالة قسنطينة بتاريخ 23 جوان والذي جاء فيه (فيما يخص البلديات المختلطة بأريس وخنشلة التي تتضمن الأوراس الجغرافي والبشري والتاريخي، فإن الوضعية السياسية لم تكن أسهل بالنسبة للإدارة مما هي عليه في الشهور الأخيرة، وبالفعل فإن السكان الأهالي في هاتين

المقاطعتين لا يتطلعون إلا للعيش في سلم تحت العلم الفرنسي، وقد تخلصوا نهائيا من شعارات المشوشين، ودعاة التفرقة والمعادين لفرنسا، كما أن الأحزاب السياسية المعادية لفرنسا في حالة احتضار، والخارجون على القانون الذين يجري البحث عنهم منذ زمن طويل يوجدون في البادية في عزلة تامة، والقضاء عليهم ليس سوى مسألة أيام معدودة)[1].

وبعد أن تأكد سي مصطفى من أن المنطقة أصبحت جاهزة للقيام بالثورة، إنتقل إلى الجزائر ليناقش مع زملائه تحديد موعد إعلان الثورة التي يجب أن تكون شاملة.

ـ التنظيم السري في منطقة الأوراس

منذ نشأة المنظمة السرية سنة 1947 إعتبرها مناضلوا الأوراس الوسيلة الوحيدة الحاسمة للتحرر، لذلك اجتهد مصطفى ونوابه في زرع خلاياها في المنطقة داخل شعاع الأقسام الثلاثة "أريس"، و"بوعريف"، و"خنشله"، كما إنصبت جهود "سي مصطفى بن بولعيد" و"بوضياف" و"بلمهيدي" و"بطاط" و "ديدوش مراد" وبن طبال"على تفعيل دور المنظمة والعمل على دعمها وتوسيع إنتشارها وإضفاء العناية اللازمة على أفرادها، وبذلك تسلم "بن بولعيد مصطفى" مسؤوليتها من بوضياف حيث حرص على دعمها خاصة في الأوراس إيمانا منه بأنها الوسيلة الأساسية لتحقيق حلم إعلان الثورة المسلحة، وقد جند في سبيل تحقيق ذلك كل إمكانياته لتفعيل دورها[2].

ولإبراز قيمة هذا التفعيل راح "سي مصطفى" يبحث على عناصر فعالة تتكلف بالمهمة المراهن عليها من بين أبناء النسيج

1ـ إرجع إلى أرشيف ولاية باتنه

2ـ كان بلوزداد رحمه الله متخوفا على مستقبل المنظمة وكذلك من تولوا مسؤوليتها بعده مثل آيت أحمد، وأحمد بن بلة وصولا إلى محمد بوضياف الذي بذل كل جهوده في تطوير التنظيم السري وتوسيع خلاياه إلى أن اضطرته مطاردة العدو لمغادرة البلاد نحو فرنسا سنة 1952.

السكاني المكون للأعراش خاصة على مستوى محيط: "شلية"، "بني ملول"، "كيمل"، "زالاطو" "التوابه"، عناصر مقتدرة فعالة ذات نفس طويل، تتميز بصفات الصبر والجلد، والإصرار على التضحية، توكل إليهم مهمة تجنيد مناضلين أوفياء، مقتدرين جسديا ونفسيا ليتم تكوينهم تكوينا عسكريا مكثفا بما في ذلك التمرن على إستعمال السلاح، وإتقان فنون المناورة في حرب العصابات، إستعدادا لخوض معركة طويلة وشاقة، تتطلب المهارات والكفاءات غير العادية.

ولأجل ذلك زودهم بما توفر لديه من مخلفات الحرب العالمية الثانية من أسلحة وذخيرة، إيمانا منه بأن العناصر البشرية بدون سلاح وذخيرة لا يمكنها أن تكون فعالة، ولن تستطيع أداء المهام المطلوبة منها بنجاح.

وباستراتجية "سي مصطفى" يمكن القول بأنه توفرت لخلايا التنظيم السري في الأوراس خلال الخمسة سنوات الماضية كل الشروط الضرورية لجاهزيتها لثورة التحرير.

- **الحزب يتحدى المناضلين بحل المنظمة السرية**

في هذا الظرف الذي كان سي مصطفى وزملاءه منكبين على تهيئة الأجواء لإعلان العمل المسلح، فاجأتهم قيادة "حزب حركة إنتصار الحريات الديمقراطية" بحل "المنظمة السرية" بعد إنكشاف أمرها في تبسه وسجن العدد الهائل من عناصرها، كما قررت أيضا ضرورة تسليم عناصرها أنفسهم لإدارة المحتل، أو قبول تهجيرهم خارج الجزائر، وهو ما يعني القضاء النهائي على حلم العمل المسلح المعول عليه للثورة والذي إستغرقت مدة تهيئته للمهمة نحو ربع قرن من النضال، ويجب التأكيد على أن هذا القرار كان بكل المقاييس قرارا مدمرا لايمكن قبوله من طرف الذين امنوا بالثورة وناضلوا من أجل تحقيقها على أرض الواقع.

من حسن الحظ أن إصدار هذا القرار قد صادف عودة بوضياف من فرنسا سنة 1954 مما جعل "بن بولعيد مصطفى" يهرع إليه لتجنب الأسوأ وإنقاذ التنظيم وجمع شمل عناصره المهددين بالسجن، وكذا العمل على بعث نشاطهم من جديد والاستفادة من العرض المغربي الذي تقدم به "عبد الكريم الخطابي" بتوحيد الكفاح المسلح على مستوى جبهة المغرب العربي وتجاوز القيادات الحزبية المتخاذلة عندئذ سارع "بن بولعيد" و"بو ضياف" بعقد اجتماع للفصل في الخلافات المتمرة التي قسمت ظهر الحزب والعمل على تجاوز قرار حل التنظيم السري وتشريد عناصره الفعالة، وأيضا عدم التورط في خلافات المركزيين والمصاليين وذلك بالتزام الحياد ولقد إتفق المجتمعون على نشر قراراتهم في بيان سموه (نداء العقل) وهو عبارة عن دعوة صريحة وعاجلة لكافة المناضلين بالتزام الحياد التام حفاظا على وحدة الصفوف وتماسكها. ثم أتبعوا ذلك البيان بسلسلة منشورات إعلامية كانت تصدر باسم (اللجنة الثورية للوحدة والعمل)، التي أسست في 23 مارس 1954، والتي كان كل من "بوضياف" و"بن بولعيد" عضوين في أمانتها العامة.

- **الإجتماع التاريخي لمجموعة 22**



بعد يأس عناصر التنظيم الفاعلين، من تحقيق وحدة الحزب، بادر بوضياف، وبن بولعيد، وديدوش مراد بعقد اجتماع عاجل لحسم الموقف وذلك بضرورة استدعاء أعضاء المنظمة الخاصة الذين يمكن الاتصال بهم في اقرب وقت ممكن، هؤلاء

الأعضاء الذين تمكنوا بشجاعة ومسؤولية من عقدالإ جتماع المعروف بإجتماع 22 المشهور، وذلك خلال شهر جوان 1954 بمنزل المضيف "دريش الياس" تحت رئاسة "مصطفى بن بولعيد" وكانت النقاط الجوهرية في جدول الأعمال كالآتي:

1- تقييم المرحلة.

2- التفكير في التمثيل السياسي للحركة الجديدة.

3- الإطار السياسي للحركة.

4- السلاح والمال وأسلوب تفجير الثورة.

5- المكان والزمان والرجال والعدة.

كانت النقطة الجوهرية هي تقييم مسيرة الحزب والخلاف الذي كان موضوع تحليل عميق من طرف "بوضياف" و"بن مهيدي"، وعلى إثر تلك التحليلات الشاملة للوضع تبنى الحاضرون موقفين مختلفين:

الأول: اعتماد العمل المسلح كوسيلة لإنقاذ الحزب والخروج من حالة التردد.

الثاني: إعتماد العمل المسلح كهدف وحيد ولكن بعد توفير الشروط الموضوعية لذلك.

وهذا الموقف الأخير هو الذي دفع المناضل" سويداني بوجمعة" إلى الصراخ والبكاء مرددا قولته المشهورة (هل نحن حقا مناضلون؟) فكان له الفضل في توحيد الكلمة حول تبني فكرة العمل المسلح نتيجة لتلك الصرخة الصادقة التي أعادت الجميع إلى جادة الصواب، فقرروا الموافقة على الشروع في الإعداد للعمل المسلح، وهو القرار الذي يبدو أنه لم يعجب البعض حين إختفوا عن المشاركة منذ ذلك اليوم، وقد تم تشكيل أمانة من خمسة أشخاص إنتخبوا بدورهم منسقا لهم، ولقد جرى ذلك

الإنتخاب السري في دورتين زكي فيه "بن بولعيد" لفرز الأصوات فاعلن "بن بولعيد" بأن الناجح هو "بوضياف" وقيل حينها أنه هو من فاز بالأصوات ولكنه كتم ذلك وأعلن عن نجاح "بوضياف" قائلا له: (إنهم انتخبوك). فأكمل بوضياف الجملة: (مع الرفاق الثلاثة ("مراد"، و"العربي"، و"بطاط")

- **إجتماع الأمانة المنبثقة عن مجموعة 22**



في يوم 28 جوان 1954 وبعد يومين من تشكيل الأمانة الآنفة الذكر، اجتمعت هذه الأخيرة، لإصدار النظام الداخلي وبيان أول نوفمبر وتقسيم التراب الوطني إلى خمسة مناطق وكذا ضبط إجراءات الاستعداد لساعة الإعلان الفعلي للثورة، بعد كسب منطقة القبائل التي لم تزل في ذلك الوقت تقف "بجانب مصالي" مما دفع "بن بولعيد مصطفى" لمحاولة الاتصال "بكريم بلقاسم، وأوعمران في مقهى (العريش) حيث إنضم إلى هذا الإجتماع بوضياف دون نتيجة والاجتماع الثاني تم عند المناضل "نذير قصاب" دون أن يتمخض أيضا عن أية نتيجة، وقد تلاهما إجتماع ثالث لم يحقق الغاية إلا بعد أن تلقى" كريم بلقاسم" التوبيخ والتهديد من طرف "مولاي مرباح" على اثر الاستبيان المعد من طرف الأمانة الخماسية حيث أصبح "كريم بلقاسم العضو السادس في هذه الأمانة.

ثم تواصلت اجتماعات الستة بعد ذلك لتوفير شروط النجاح وخاصة بعد أن شجعهم "أحمد بن بله" بالموقف الإيجابي لمصر من الثورة، كلف "بطاط" بنقل مبلغ من المال الى "الفاسي" لشراء السلاح، وكلف "مصطفى بن بولعيد " بالسفر

إلى طرابلس للاتصال "بابن بلة" لتحديد طرق دخول السلاح.
وأما "ابن مهيدي" و"بوضياف" فقد اتجها لإسبانيا من أجل استحداث طريق لتهريب السلاح إلى الجزائر.

ثم بعد ذلك إنكب أعضاء الأمانة التنفيذية على توفير كل الشروط الضرورية لإنجاح تفجير الثورة، فقرروا البحث عن شخصية سياسية معروفة تضمن الغطاء السياسي للثورة من بين الشخصيات التي لها ثقل نضالي وولاء جماهيري، فعرض الأمر على الدكتور "الأمين دباغين" فاعتذر، ثم عرض الأمر على "مهري عبد الحميد" فلم يرد عليهم لا بالسلب ولا بالإيجاب، ونظرا لثقل تلك المسؤولية وخطورتها فقد إضطروا لتجاوز تلك المشكلة بتبني قرار مبدأ (القيادة الجماعية لتسيير الثورة).

لم تكن هذه المشكلة هي العقبة الوحيدة التي واجهتهم، فلقد قرر مصالي مع المركزيين حل (المنظمة السرية) كما ذكرنا ودفع أعضائها إلى تسليم أنفسهم للسلطات الفرنسية، أو قبولهم الهجرة للخارج، ومن يرفض منهم إحدى الخيارين يعرض نفسه للتصفية الجسدية، وهي الشعرة التي قسمت ظهر البعير، ولكن "مصطفى بن بولعيد " لم ييأس فراح يحاول من جديد الإتصال برئيس الحزب" مصالي الحاج" لإقناعه بمبدأ العمل المسلح، وتبنيه "زعامة الثورة"، فكان جوابه: (قبل محاربة العدو لابد لي من محاربة المركزيين والثورة التي لم أقررها أنا فهي ثورة باطلة). وبذلك قطع كل خيوط الرجعة أمام أمانة الستة، ولم يبق لهم من خيار سوى الشروع في تنفيذ الإجراءات المتفق عليها كل حسب موقعه.

وبما أن إهتمام "مصطفى بن بولعيد" الأساسي كان على الأوراس فقد رفض المسؤولية والعمل في العاصمة مصمما على العودة للأوراس لتهيئته عمليا للثورة إعتقادا منه بأنه المؤهل في تلك الظروف للتكفل بالمهمة التاريخية، ولذا نجده

عاد مسرعا للأوراس وانكب مع نوابه على عقد سلسلة من الاجتماعات مع المؤطرين الميدانيين الفعليين للعملية، فكان أول إجتماع له بدار "بلعقون مسعود" حيث بشر أعوانه بقرارات مجموعة 22 وقرارات أمانة الستة بتبني الكفاح المسلح بسرعة.

- **اجتماعات العد العكسي لإعلان الثورة في الأوراس**

وكبداية فعلية لإنجاز هذا المشروع التحرري العظيم وضع "بن بولعيد" ورفاقه رزنامة من الإجتماعات بين المؤطرين الميدانيين كانت على النحو التالي:

- **الاجتماع الأول:** انعقد كما ذكرنا بدار المناضل الكبير "مسعود بن العقون" بحي الزمالة بباتنة يوم 30 مارس 1954، وحضر مساعدوه منهم مسؤولوا الأقسام الثلاثة: "عاجل عجول" عن قسم "أريس" رقم 2 في التنظيم الحزبي، وعن قسم بوعريف "الطاهر النويشي"، وعن قسم خنشلة "عباس لغرور"، وعن قسم باتنه الذي كان لايزال ملتزما مع مصالي حضر "بوشمال" بصفة شخصية.

كان هذا الاجتماع بداية عهد جديد زف للحاضرين بشرى إقرار العمل المسلح وتجاوز القيادة الشرعية للحزب المنشق على نفسه.

في هذا الاجتماع وضع "سي مصطفى بن بولعيد" الحاضرين أمام مسؤولياتهم التاريخية التي قد لاتتكرر، وبين لهم ما ينتظر منهم من أعمال عاجلة، محذرا إياهم (بأن المهمة ليست سهلة كما قد يتبادر إلى أذهان الكثير منهم فهي ثورة)، وعلى الجميع إدراك ما يترتب عليها من تضحيات، ومآسي وما تتطلبه من جاهزية تامة.

لقد كانت اللحظات حاسمة وخطيرة خطورة المهمة الجليلة الملقاة على عاتقهم، فبقدر ارتياحهم للقرار الذي انتظروه

طويلا، والذي أخذ منهم الجهد الكبير خلال سنوات خلت وما لحقهم فيها من أذى في الجسم والنفس والأهل والمال، فإن شعورهم بثقل مسؤولية التنفيذ كان جاثما على صدورهم ومسيطرا على تفكيرهم، لم تكن المهمة سهلة ولا مستحيلة، ولكنهم على ثقة تامة بما كانوا قد أعدوه وما غرسوه في نفوس المناضلين والمواطنين من حتمية تبني مقولة: (ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة) وها هي ذي ساعة الحسم قد حانت وما كان يبشر أكثر بنجاح المهمة هو شمولية الثورة الذي وقع الإتفاق بشأنها لأول مرة في تاريخ المقاومة الجزائرية.

لم يخف "مصطفى بن بولعيد" التعهد باسمهم لزملائه في الجزائر بأن الأوراس مستعد من اليوم للقيام بالثورة، وأنه يتعهد بالصمود لمدة ستة أشهر ريثما تلتحق المناطق الأخرى به، وهو يدرك جيدا بأن تعهده هو تعهدهم، لأنه قائدهم المطلع على خلفيات التنظيم ورجاله، والإمكانيات التي عملوا جميعا على توفيرها للحدث منذ مدة طويلة.

لم يوضح "بن بولعيد مصطفى" للمجتمعين تاريخ انطلاق الثورة، إنما أكد لهم قرب الموعد الذي قد لا يعطيهم الوقت الكافي لوضع مناضليهم على أهبة الاستعداد، لذلك ينبغي عليهم مراجعة مدى جاهزيتهم جسديا ونفسيا لهذا الموعد، وكذا التأكد من أن كل الإمكانيات المادية من سلاح وذخيرة متوفرة، ملحا على ضرورة إشراك المواطنين المالكين للأسلحة الفردية في المجهود الحربي، سواء بتسليم أسلحتهم للثورة تطوعا، أو التجنيد بها في صفوف الثورة، كما حث المجتمعين على تقديم دراسة متمعنة حول استعداد السكان وتحديد الفئات التي قد لا تستجيب بل وقد تكون عيونا عليهم، وأخذ الحيطة والحذر منها مستقبلا، وتنبيههم الى ضرورة توقع ردود فعل العدو المبكرة لمواجهة الثورة بالوسائل الردعية وبالإغراء.

لقد أعد "ابن بولعيد مصطفى" نفسه لعهد جديد لم يترك فيه أي شيء للصدفة، فالمرحلة حرجة ولا بد من توفير عوامل نجاحها، وكان من بين تلك الإجراءات عقد إجتماع مع بعض العقلاء لسبر الآراء حول توقعهم لمدى تجاوب السكان مع الثورة، تقدم المجاهد "ناجي ناجي" بتحليل دقيق جدا حول تجاوب الأعراش وقد أثبتت الأيام صدق حدسه وتكهناته.

- **الاجتماع الثاني**: خصص لتقديم حوصلة ما اتفق عليه في الاجتماع الأول، وذلك بتقديم عروض حول الإستعدادات، وما استوقفهم من نقائص قد تستوجب المعالجة الفورية. كانت خلاصة العروض أن الظروف مواتية للحدث، وعزائم المناضلين راسخة وسكان المنطقة في عمومهم متعجلون لتحقيق الحلم، وليس هناك ما يدعو للتشكيك والتردد.

كان المركزيون في هذه الظروف قد دخلوا في عقد إجتماعات لم يعرها "بن بولعيد مصطفى" إهتماما كبيرا لذلك عين ممثلين عنه لحضورها للتمويه فأوصاهم بالبقاء على الحياد كملاحظين، حين فوض عاجل عجول لحضور إجتماع قسنطينة وفوض آخرين لإجتماع الجزائر مؤكدا عليهم ضرورة المطالبة بدعم مالي من المركزية وفي النهاية لم يحصلوا إلا على مبلغ زهيد لا ينفع الأوراس فيما هو مقدم عليه.

- **الاجتماع الثالث**: انعقد بمزرعة "بن بولعيد مصطفى" الواقعة بتازولت (لامبيز). استدعى لحضوره مسؤولي الأقسام الثلاثة، عاجل عجول، عباس لغرور، النويشي الطاهر، وبلعقون مسعود وشحاني بشير، اضافة إلى "خنتري محمد" ممثلا عن بريكة، و"حاجي موسى" ممثلا عن الخروب، حيث انصب اهتمام الجميع على إتمام الاستعدادات التي كلفوا بها في الاجتماع السابق بدار بلعقون لضبط النقائص، مركزين على إنتقاء المناضلين الذين سيكون لهم شرف القيام بالعمليات الأولى وإمكانيات تسليحهم، والكيفية المثلى التي سيتم استدعاؤهم بها

قبل 48 ساعة من الموعد المحدد دون لفت انتباه العدو ودون أن يكونوا هم أنفسهم على علم بموضوع الاستدعاءات ولا بعدد المستدعين، واتفقوا على أن يكون الإستدعاء شفويا وفرديا أي من الفم للأذن، كما تدارسوا الإحتياطات الضرورية لتأمين حضور العدد المطلوب لتنفيذ العمليات بالعدد الكافي.

- الإجتماع الرابع: كان أهم الاجتماعات على الإطلاق، حيث حددت فيه كل الترتيبات الأساسية للإعلان الفعلي للثورة، إنه الاجتماع الفاصل بين مرحلتين هامتين، مرحلة التردد، ومرحلة الحسم في تحقيق الحلم الذي راود الجميع منذ فترة الإستعدادات الحثيثة لأعضاء التنظيم السري.

في هذا الاجتماع راجع المجتمعون اللمسات الأخيرة لنجاح المهمة المقدسة. تم تحديد عدد الأفواج المعدة لتنفيذ المهمة والأماكن التي ستكون هدفا للعمليات، وتلك التي ستتعرض للتخريب أو الحرق، ثم وسائل نقل الطلائع لأهدافها، والطرقات المتبعة، وكلمة السر المخصصة لكل فوج، والأماكن التي سينسحبون إليها بعد تنفيذ العمليات، وأخيرا تموينهم وإيوائهم.

وهكذا قدم رؤساء الأقسام الثلاثة قوائم المناضلين مصنفة إلى ثلاثة أصناف:

- الصنف الأول: يشمل المناضلين المدربين جيدا والذين يمثلون النخبة لاستعدادهم التام نفسيا، وجسديا لحمل السلاح، والتضحية بكل غال ونفيس، من زوجة، وأبناء، ووالدين.

- الصنف الثاني: ويشمل المناضلين الذين سيكونون بمثابة إحتياطي لتطعيم الأفواج المقاتلة عندما تقتضي الضرورة ذلك أو تكوين أفواج جديدة بعد توفر السلاح.

- الصنف الثالث: ويتكون من المناضلين الذين اختيروا خصيصا ليبقوا في كنف السرية من أجل تأطير المواطنين وجمع المال والمؤونة والدواء، والتكفل بالإعلام والجوسسة

والعمليات الفدائية وتأطير اللجان الشعبية ومعالجة أحداث الهلع واللا أمن على مستوى المواطنين ورفع المعنويات إلى غير ذلك من المهام التي تفرضها المستجدات في الميدان.

وفي هذا الاجتماع طبع بيان أول نوفمبر وبقية المناشير التي خصصت للتعريف بالثورة وبأهدافها، بغرض توزيعها على نطاق واسع ليلة الحسم على كافة المستويات التي يهمها الأمر. وأهم هذه المناشير على الإطلاق، هو بيان أول نوفمبر، الذي تولى عاجل عجول طباعته باللغة العربية، وعباس لغرور باللغة الفرنسية.

أما فيما يخص إطعام المستدعين من الأفواج الأولى فقد أوكل أمره لعائلات "أولاد موسى" المضيفين بدشرة الحجاج، ومثيلاتها بالقرين. وزيادة في الإحتياط تقرر:

أولا إختيار مكاني إستدعاء الطلائع ليكون قرب الغابة، **وثانيا** أن يتم إستدعاء المناضلين كما ذكرنا بصفة فردية ومن الفم للأذن دون تحديد موضوع المهمة بناء على القسم الذي تعهدوا به للتنظيم، ويجب أن يشعر المستدعي بأنه وحده المستدعى لمهمة سرية شخصية بناء على كونه قد وضع نفسه تحت تصرف التنظيم الذي له مطلق الحرية في أن يوجهه حيثما تكون مصلحة الوطن والملاحظ هنا هو أن سي مصطفى بن بولعيد قد راعى بعد المسافة التي تفصل بعض الأفواج عن مكان التنفيذ لذلك فقد عين الأفواج المنفذة للمهام البعيدة بيوم قبل ليلة نوفمبر مثل مجموعة خنشله وبسكره، وهناك من شكك في تنفيذ جماعة بني وجانه للمهمة مع عباس في تلك الليلة والله أعلم، وهكذا فإن "بن بولعيد مصطفى" قد راعى عدة إحتياطات في إختياره لمكاني التجمعين من ذلك؛ الطريق المعبد لتسهيل التنقل ثم القرب من الغابة للانتشار السريع في حالة إكتشاف الأمر، وكذلك توفر السكنات الكافية لإيواء المستدعين وأخيرا القدرة على إطعامهم، ففي دشرة أولاد موسى وحدها اجتمع

أكثر من 300 مناضل منهم المكلفون بالإطعام والنقل، والبقية لتنفيذ مهام مهاجمة الأهداف المحددة بوضوح.

في هذا الاجتماع الرابع أيضا تم طبع القانون الأساسي لجيش التحرير، وإعداد التوصيات الضرورية لضبط تصرفات المسؤولين بعد إعلان الثورة، وفيه أيضا صدرت التوصيات بعدم تعرض أي مواطن لأية عقوبة خلال الأيام الأولى، حتى ولو ثبتت عليه الخيانة الظاهرة، حتى لا يشاع على الثورة الإفراط في العنف، وبالعكس من ذلك لابد من إشاعة الطمأنينة لدى القاصي والداني، وبالتالي إشعار الجميع بأن الأهداف النبيلة للثورة لا تزيد عن طرد المحتل من البلاد وتحرير الشعب المستضعف من ذل الاستعباد، كما حددت في هذا الاجتماع أيضا الجهات التي ينبغي أن تبقى آمنة من أجل توفير التموين وجمع السلاح، مثل منطقة الصحراء، ومنطقة تامزه، وبعض الجهات القريبة من وسط الأوراس، لتبقى مصدرا للتموين، وأخيرا ضبطت في هذا الاجتماع حدود المنطقة الأولى الأوراس.

وهكذا بعد أداء اليمين إنفض الجميع على أمل اللقاء الأخير الذي سيكون بدار (برغوث علي) بدوار الشمول، بالمدينة، لتقييم خلاصة الاستعدادات المتخذة قبل استدعاء الأفواج، التي أوكل أمرها لرؤساء الأقسام الثلاثة، فكلف عاجل عجول باستدعاء المناضلين المنتمين لقسم أريس المسؤول عليه وعددهم نحو 280 مغوارا، وكلف عباس لغرور باستدعاء من سيقومون بالعمل معه في محيط خنشلة بيوم واحد قبل موعد الفاتح من نوفمبر 1954 نظرا لبعد المسافة مثل مجموعة موسى رداح التي عين لها مكان اللقاء "بعين السيلان" قرب الحامة بجوار الحمام الطبيعي غرب خنشلة. أما النويشي الطاهر فقد كلف باستدعاء مناضلي بوعريف وفم الطوب والشمرة وخنقة لحدادة وكان عددهم في حدود 70 مغوارا.

الفترة الثانية

الإعلان التاريخي للثورة في الأوراس

- **توزيع السلاح وانطلاق الطلائع لأهدافها**

لقد تحققت المعجزة في يوم 31 أكتوبر 1954، بعد أن تأكد حضور الطلائع التي استدعيت ملبية نداء الواجب وهي تجهل كل شيئ عن غايات وأهداف المهمة التي إستدعيت لتنفيذها، فلا أحد منهم كان يدري بأن اسمه سينقش ابتداء من تلك اللحظات بحروف من ذهب في سجلات التاريخ، وكم كانت سعادتهم عارمة حين بلغوا بحقيقة المهمة النبيلة، فلا شيء يعيقهم عن تنفيذ المهمة، ولا أهمية لما سيلاقونه من متاعب ما دام الهدف عظيما عظمة هذا الشعب المكبل با لإحتلال.

في لحظة ترقب تسارعت فيه نبضات القلوب ظهرت طلعة القائد "مصطفى بن بولعيد" مصحوبا برئيس القسم "عاجل عجول" أمام مجموعة 280 مستدعيا "لدشرة الحجاج" حضروا من عرش "التوابه" وعرش "بني بوسليمان" وعرش "كيمل" حيث كان لهذه الأعراش الثلاثة العدد الكبير من المستدعين، يضاف لهم بعض المستدعيين من عرش بني ملول والولجه، ووادي "غاسيره"، وأفراد من أعراش جبل حمر خدو، كانت تحية "بن بولعيد مصطفى" لهم متميزة وهو في أوج السعادة، كيف لا وهو يحقق حلمه في هذه اللحظة بتوزيع السلاح على السابقين الأولين الذين سيكتب لهم شرف تنفيذ قرار إعلان ثورة التحرير التي ستخلص المجتمع الجزائري من كابوس الاحتلال الغاشم، وسيصبحون النواة الأولى لجيش التحرير الوطني التي سيتدعم بأبناء كل الأعراش المحيطة بسرعة البرق.

ومن خلال كلمة "بن بولعيد مصطفى" التاريخية بشرهم بالمهمة التاريخية، مؤكدا لهم بأن الله قد شرفهم (بتوليد التاريخ) حسب تعبيره، ثم شكل الأفواج ووضع كل واحد منهم تحت تصرف رئيسه،وذلك بعد أن وزع السلاح وحدد المهام داعيا لهم بالنصر، بدأ يصرف الأفواج الواحد بعد الآخر لتنفيذ ما

كلف به، وكان الله معهم جميعا في تنفيذ مهامهم ماعدا " فوج أريس" بقيادة "نواورة أحمد" الذي لم ينفذ ما كلف به لأمر تجهله، لذلك بقي "نواورة" يعاني من تلك العقدة التي إستمرت ترهقه وتضعف موقفه، وبعد صرف آخر فوج إنتقل "بن بولعيد مصطفى" إلى التجمع الثاني (بدار بولقواس) حيث كان "النويشي الطاهر" ينتظر دوره، ولما دخل عليهم "القائد بن بولعيد" بشرهم بأن (زملاءهم المجتمعين بدشرة الحجاج قد إنصرفوا لتنفيذ أول المهام التي ستفاجئ العالم، والآن حان دوركم أنتم لتلتحقوا بمهامكم بعد إستلامكم السلاح والتوصيات الضرورية الي توضح مكان المهمات المسندة لكم، ومكان اللقاء بعد التنفيذ، و"كلمة السر" المتفق عليها في تلك الليلة المباركة وكانت (خالـد×عقبه)) إنطلقوا مسرعين لأهدافهم المحددة، وكانت المدينة الرئيسية للأوراس "باتنة" من نصيب "الحاج لخضر عبيد"، و"بلقاسم قرين"، أما بسكرة فكانت من نصيب "برحايل" ومجموعته، وكلف بمدينة "خنشله" "عباس لغرور" والتى حقق بها إنتصارا باهرا مع مجموعته أسفر عن قتل "ضابط فرنسي".

ذلك هو شأن ليلة نوفمبر 1954 التي لم تكن كسائر الليالي الأخرى، لقد كانت ليلة لبداية العد التاريخي لأعظم ثورة تحررية فاصلة بين عهد الظلم والتعسف والتفقير والتجهيل، وعهد الحرية والكرامة والسيادة المطلقة، ثورة ظهرت كأعظم ثورات العصر حققت الهدف وحررت شعوبا أخرى بتبنيها شعار تقرير المصير للشعوب المستعمرة.

انطلق الجميع كل لغايته مودعا بذلك حياة الدفئ والفراش الوثير والمأكل اللذيذ والسقف الواقي إلى صقيع البرد ولفح الحر، لم تكن المهمة يسيرة على الأنفس المفعمة بالتفاؤل، ولم تكن مستحيلة أمام الإرادات الصادقة، ولكنها في حقيقة الأمر كانت ثورة بما تعنيه هذه الكلمة من مصاعب ومشاق وأخطار.

• مصطفى يختم التجمعين بإجراءات أمنية

إذن نفذ "بن بولعيد مصطفى" ورؤساء الأقسام الثلاثة، عجول، وعباس لغرور، والنويشي في قلب الأوراس الأشم ما عاهد به رفاقه وهو إعلان الثورة والصبر على المواجهة لمدة ستة أشهر ريثما تلتحق المناطق الأخرى بالواجب، لقد وزع الطلائع على نقاط التنفيذ، وحدد أماكن اللقاء بعد التنفيذ، وعين من يربط الإتصالات بينه وبين الأفواج، ولقن كلمة السر لتلك الليلة، متفائلا ببطولة خالد بن الوليد سيف الإسلام المسلول، وفاتح المغرب العربي "الصحابي الجليل عقبة بن نافع"، فكانت (خالد، عقبه) وقبل مغادرته وتوابه مكان التجمع الأخير نحو "جبل الظهري" قام بعدة إجراءات أمنية، والسعادة تعلو محياه، كيف لا، وقد تحقق له حلمه الذي كثيرا ما كان يستعجله من زملائه وهو يخاطبهم: (أعطوني فرصة إعلان الثورة في الأوراس، وسأضمن لكم النجاح بعون الله).

تماما كما كان يردد زميله "محمد بوضياف" رحمة الله عليه (سنفجر الثورة ولو بقردة خراطة) إنها فرحة التحرر من كابوس التردد والشك والانتظار القاتل.

• مصطفى يقوم بإجرائين آنيين

- **الإجراء الأول:** تكليف المناضل عزوي المبارك ليتولى تبليغه بكل المستجدات أولا بأول ويكون بذلك نقطة ربط لكل الاتصالات المدنية والعسكرية، وموافاته بجديدها في الوقت والمكان المتفق عليه بينهما، وذلك للتعامل مع الأوضاع الميدانية بالفعالية اللازمة.

- **الإجراء الثاني:** وهو حرصه على إزالة كل الآثار التي من شأنها أن تدل العدو على مكاني التجمع، وإجراءات توزيع السلاح، ليبعد بذلك أي شبهة أو مسؤولية، قد تتسبب في ضرر للسكان الذين احتضنوا التجمعين. وبلغ به الحرص على سلامة

السكان أن كلف من ينقل سيارته الشخصية إلى أطراف الغابة، وذلك حتى لا يكون لأي أحد من السكان علاقة به وبسيارته المهجورة التي أصر على عدم إتلافها لتكون دليلا على تحمله لمسؤولية الثورة.

- **القيادة تختار جبل الظهري لمراقبة المستجدات**

للجبال شأن مع التاريخ فإذا كان "لجبل ثور" علاقة بهجرة رسول الله صلى الله عيه وسلم، فإن "لجبل الظهري" المطل على مدينة أريس أهمية بالنسبة "للقائد بن بولعيد" ونوابه، فهو الذي مكنهم من المراقبة المباشرة بالعين المجردة للقوات المستقرة المحاصرة "لمدينة أريس"، بقصد التعامل معها بما تقتضيه الضرورة التي تحقق الإنتصار عليها منذ الوهلة الأولى.

لقد تسلل "القائد بن بولعيد" رفقة أعضاء القيادة العامة الجديدة للثورة في الأوراس الى الجبل المطل على مدينة أريس لمراقبة التطورات،وذلك لأن المسافة في الهواء بين "قمة الجبل" و"مدينة أريس"ملتقى القوات الفرنسية المستقرة لاتزيد عن أربعة آلاف متر بتحليق الطائر، لذلك إختاره القائد مصطفى عن غيره من الجبال التي يمكن أن توفر له الأمن أكثر، ولكنه إختار "جبل الظهري" لرصد التحركات أولا بأول، ليتمكن بالعين المجردة من تقدير النجدات التي إستنفرها العدو لمحاصرة المنطقة، فيصدر التعليمات، ويتخذ الإجراءات التي تقتضيها الضرورة لمواجهة الحملة الشرسة للعدو المعول عليها لإطفاء شعلة ثورة نوفمبر في مهدها بعمق الأوراس.

لم يتفاجأ "القائد مصطفى" بتلك النجدات المتكالبة التي إستنفرت لمحاصرة عمق الأوراس، فقد كان يتوقعها، وما كان يشغل باله في تلك الليلة التاريخية، هو وضع زملائه في المناطق الأخرى، هل تمكنوا من تنفيذ ما اتفقوا عليه لتشمل الثورة كل أرجاء البلاد؟ وما هي الصعوبات التي ستواجههم؟ وكيف سيكون رد فعل العدو؟ وكيف سيكون تجاوب الشعب

الجزائري مع الثورة؟ وهل سيصمد المجاهدون والشعب أمام وحشية القوات الفرنسية الغاشمة؟.

- **زلزال ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 وتداعياته**

لم يكن صباح ليلة الفاتح من نوفمبر كسائر الأيام بالنسبة لجحافل عساكر الاحتلال الغرباء الذين تقيأهم البحر ذات يوم على شواطئ الجزائر الجميلة التي أغوتهم بسحرها، لقد حان الوقت لأن يدفعوا فاتورة تلك الظلم والتعسف والحرق والنهب والتدمير الممنهج، لابد من قلع تلك الجذور الخبيثة ورميها في البحر من جديد كجذوع نخل خاوية لتترسب في سحيق الهاوية.

لقد كانت عمليات ليلة الأول من نوفمبر 1954موجعة جدا لجحافل المحتلين وغلات الإحتلال وحتى الخونة من المسلمين، بما ستلحقه من خسائر مادية وبشرية وسياسية وإعلامية، فها هو عباس لغرور ورفاقه قد أعطوهم نموذجا مما سيلحق بهم، وهو المتمثل في قتل الملازم الأول (دارنو) قائد الصبايحية، وغنم كمية من الأسلحة. أما على مستوى بسكرة فقد أسفرت الهجمات على سقوط أكثر من أربع جرحى. وما تم تنفيذه على مستوى المدن الأخرى كان أخطر،

وقع العدو في إرتباك خطير بسبب جهله لطبيعة مفجري الأحداث، لقد حمل فجر ليلة الفاتح من نوفمبر البشائر للسكان الجزائريين وذلك بخلاصهم من الاستعباد الذي جثم على صدورهم 130 سنه.

لقد لاح "برق" ثورة نوفمبر المقدسة من حنايا جبال الأوراس، ليحرق آمال المحتلين المتغطرسين، ويزيل عنفهم الفظيع، وقوانينهم العنصرية الجائرة، لقد فاجأ نوفمبر العدو بعنف ثوري ساحق وماحق، لم يسبق له أن واجه مثله خلال التمردات والثورات السابقة، لأنه جاء في هذه المرة منظما وشاملا مستوفيا لكل شروط النجاح، مدعما بإرادة وعناد

الجماهير التي لم يبق لها ما تخسره أمام عدو استيطاني بالغ في إذلالها وإرهاقها بكل أنواع التعسف والقهر.

لم يكن زلزال أول نوفمبر من صنيع أحزاب متمرسة في السياسة، ولا من إيحاء زعيم ملهم، إنما جاء من رجال صادقي الوعد والعهد مؤمنين بنبل الهدف والغاية، رجال محدودي العدد عانوا كثيرا من مطاردة العدو، وهوان حال حزبهم المتهالك الذي قسمت ظهره الخلافات، وحجمت قدراته الاجتماعات الروتينية العقيمة، داخل صالونات الرفاهية على حساب المناضلين العقائديين، فحرمت بذلك قيادته شرف الجهاد في سبيل الله وتحرير البلاد بعامل التثاقل والتقاعس المخجل الذي عطل إرادتهم، ومنعهم من أداء الواجب، فبعد ما فكروا وقدروا أحجموا ثم هددوا وتوعدوا بالويل والثبور لمن يتحداهم ويغامر بإعلان الثورة من خلفهم.

لقد انقذ هؤلاء الرجال العصاميون ما كانوا يؤمنون به خلال ربع قرن من نضال الشرفاء الذي أفنوا فيه شبابهم، فتحدوا الجميع بإشعال فتيل الثورة متوكلين في ذلك على الله ونصرة الشعب، فكان لهم ما أرادوا ليلة الفاتح من نوفمبر، وذلك بميلاد ثورة مجيدة، كان دليلها "بيان أول نوفمبر" الفاصل بين حقبتين تاريخيتين، حقبة مظلمة موغلة في المهانة والاحتقار والازدراء المفروض من طرف المحتل، وحقبة عظيمة مشعة بالأنوار والبشائر سيرفع خلالها الأحرار هاماتهم شامخة، وستهوي بروس الخونة في دنس العار، أولم يقل معلمهم "بن بولعيد مصطفى" ذات يوم (بأننا سنولد التاريخ)، وها هم قد ولدوه عمليا؟، رغم ما آل إليه حزبهم الذي تأسفوا على حاله، فهو من احتضنهم يافعين، وحصن شخصيتهم، وعمق وطنيتهم، وفتح عبقرياتهم، وعزز تصميمهم على التضحية والاستشهاد في سبيل الوطن.

• أثر المفاجأة على العدو والصديق

لقد فوجئ الجميع بالزلزال الرهيب الذي أحدثته الثورة في الفاتح من نوفمبر 1954، فلا أحد كان يتوقع من مجموعة محدودة العدد والعدة، مشتتة بين خطر مطاردة إدارة الإحتلال، والحكم التعسفي لحزبهم "حركة إنتصار الحريات الديمقراطية" أن تقوم بتلك المغامرة الفريدة من نوعها، إنه أمر لايصدق، مجموعة مطاردة تصنع الحدث بإعلان أكبر ثورة فرضت نفسها عالميا.

نعم لقد فعلت تلك المجموعة ما عجزت عنه الأحزاب السياسية، وليس ذلك فحسب بل انتصرت على العدو في الميدان، بفضل الجرأة والتحدي والثقة في النفس، وفي الشعب الذي امتحنوا جاهزيته، من خلال معايشتهم لأوضاعه المزرية عندما كانوا يتنقلون بين صفوفه، على مستوى المدينة والريف. فهذا بطاط المتخفي بين دهاليز العاصمة كان يدرك أكثر من غيره حقيقة وعي شبابها بحتمية الدخول في العمل المسلح بمقاومة إيجابية تغير أوضاعهم المزرية، ونفس الشيء بالنسبة لزملائه الفارين من السجون والمختبئين في ثنايا الأوراس، والذين كانوا يدركون أكثر من غيرهم حقيقة تعجل سكان المنطقة لخوض معركة التحرير المسلحة بتلهف واستعداد.

فمحمد بوضياف ومن خلال تنقلاته بين الأوراس وقسنطينة، والجزائر العاصمة كان يدرك مدى قلق المناضلين على التباطئ الغير مبرر، والجمود الذي شل فعاليات الحزب، وهو في ذلك لايختلف في حكمه عن زميله أبو الثورة مصطفى بن بولعيد، الذي وهب نفسه وماله تحقيقا لهدف التحرير وهو يعلم علم اليقين مدى الاستعداد النفسي والمادي لسكان منطقته رغم الحصار المضروب عليهم وتحرشات "بني وي وي" من قياد وباشاغوات ضد مناضلي المنطقة الذين أصبحوا مطاردين في الجبال ليل نهار يباتون في الكهوف يعانون صقيع البرد تماما

كالخارجين عن القانون الفرنسي الملاحقين بالدرك وكتائب الحرس الجمهوري المتنقل، خاصة بعد حوادث شغب انتخابات 1951 وما عرفته من تمرد وكسر لصناديق الاقتراع إحتجاجا على تزوير نتائج الإنتخابات التي كانت تقوم بـه الإدارة الفرنسية وعملاؤها علنا.

- **الثورة تواجه العنف بالعنف المضاد**

وهكذا دخل المناضلون المطاردون عهدا جديدا يواجهون عنف العدو بعنف أشد منه، عنف لا يقبل الفشل ولا المساومات، فبعد أن كانوا مجرد مناضلين ينتقلون خفية من مكان إلى مكان آخر خشية القبض عليهم، ها هم اليوم يكونون جيش تحرير متميز بهيكلته وتنظيمه وامتداداته المتجذرة وسط السكان مباركا التفافهم حوله بالمساهمة الفعالة متحدين بذلك كل أنواع القهر والتعسف، فلا السجن ولا المحتشدات ولا عمليات التفقير الممنهجة تثنيهم عن وقوفهم مع الثورة التي جاءت من أجلهم لتحررهم.

لقد مثلت إنطلاقة نوفمبر حدا فاصلا بين إرادتين لا تقبلان الوفاق، إرادة محتل امتص الدماء، وهشم العظام واستباح الحرمات ودنس المقدسات واقترف الموبقات ولا يزال مصمما على جرائمه التي يندى لها جبين الشرفاء، وإرادة شعب مستعمر مل حياة الخضوع والخنوع المذل، فوقف متحديا ومصمما على تحرير نفسه بنفسه.

- **القائد مصطفى يتفقد الأفواج**

بعد تأكد مصطفى من التنفيذ الدقيق لما أمر به ليلة الفاتح من نوفمبر الخالدة، بدأ في التنقل بنفسه لمراقبة الأفواج في جبهات القتال المخصصة لها ليقف على أوضاع أفرادها ويتحسس شعورهم ومعنوياتهم وتصميمهم على الإستمرار فيما تطوعوا

له، فكان عليه أن يعيش بينهم ليشجعهم على التأقلم مع حياتهم الجديدة،فكانت يومياته كما يلي:

اليوم الأول: خلال هذا اليوم إستمرت القيادة تراقب تحركات العدو من قمة جبل الظهري، حيث كانت تراقب تدفق القوات المستنفرة المستعان بها من أنحاء جهات الوطن لمحاصرة الأوراس الثائر ولنجدة وحدات الدرك المحاصرة بدورها في عمقه صارخة طالبة النجدة العاجلة سواء على مستوى قرية "تكوت" أو غيرها.

ومن ذلك المكان توصلت قيادة الثورة بمعلومات تفيد بأن السلطات المدنية والعسكرية الإستعمارية تتخبط تحت تأثير القلق والإضطراب الناتجين عن الغموض الذي سيطر على عقولها وسلوكاتها نتيجة مفاجأتها بإعلان الثورة وشموليتها ووحدة زمنها وحجم أدائها المدمر، حين لم تتبين هذه القوات حقيقة من كان وراءها، وعن كيفية إعلانها، هل من طرف عناصر داخلية؟ أم هي إنتاج عناصر خارجية؟ وما علاقة السكان المحليين بها؟

وفي الأخير إنحصر إعتقادهم بأن "حزب حركة إنتصار الحريات" هو من تجرأ على إعلان الثورة بهذه السرعة، ولذلك سارعوا لإلقاء القبض على مناضليه النشطين، وذلك ما تم عمليا في الميدان نتيجة التقديرات والتحليلات الخاطئة من أساسها.

وحتى قادة الحملة العسكرية المبكرة كانوا متأثرين بتلك التحليلات الخاطئة، تجلى ذلك في هجوماتهم الإنتقائية التي خصوا بها بعض التجمعات السكانية المشهور عليها الإنتماء "لحزب حركة إنتصار الحريات" بزعامة "مصالي الحاج"، وكانوا حريصين جدا على إحترام حدود القبائل التي لم يشتهر عليها الإنتماء الحزبي، حيث إقتصر نشاط الكتائب العسكرية الأولى التي حاصرت المنطقة قبل دخول الحملة الكبرى، وقد

كلفوا أسراب "الطائرات" بمهمة حرق "مشتة الحمام بكيمل"، و"مشتة الهارة بجبل زلاطو". غير أن ذلك التحفظ لم يدم إلا فترة محدودة جدا ثم شمل العنف والتعسف كل القبائل بدون تمييز، حيث عاملوا كل القبائل كثوار، وبتلك المعاملة الشرسة خدموا الثورة دون أن يشعروا، فعملوا على ترسيخ المزيد من الكراهية في أعماق السكان نتيجة تلك الممارسات العنيفة التي لم تميز بين المذنب والبرئ

وفي **اليوم الثاني:** تنقلت القيادة العامة إلى حيث يوجد الفوج الذي تسبب في "حادثة الحافلة" التي قتل فيها "القايد" والمعلم الفرنسي لمدرسة (تيفلفال) وجرحت زوجته، وذلك في الطريق الرابط بين "أريس" و"قرية غوفي" وبالضبط في خنقة "تاغيت بني بوسليمان". تلك الحادثة الموصوفة الغير مقصودة التي حاولت إدارة المحتل إستغلالها لتشويه سمعة الثورة في بدايتها والتي تسبب فيها "القايد" الذي أشهر سلاحه في وجه المجاهد الذي صعد للحافلة بقصد توزيع "بيان أول نوفمبر "على الركاب، وقبل أن يستعمل مسدسه فاجأه أحد أفراد الفوج برصاصة أصابته في مقتل وأصابت أيضا المعلم وزوجته، لأن الثلاثة كانوا مصطفين في صف واحد، وقد إستغلت إدارة الإحتلال والإعلام الفرنسي تلك الحادثة للتشهير بالثورة والثوار على أنهم قطاع طرق ومجرمون كانوا محل متابعات عدلية وأمنية

وبعد معاينة القيادة العامه للحادث خرجت بسرعة من تلك المنطقة التي سارع الجيش الفرنسي لتطويقا، ولكنها إستمرت متصلة "بخلية الإدارة" القارة في مغارة وسط جبل (الأشعث) القريب من تلك المنطقة المحاصرة، كان عجول يشرف على خلية الإدارة ويقوم بطبع المناشير للرد على الإعلام الفرنسي الذي كان ينشر سمومه وسط الشعب للتشكيك في الثورة وأهدافها النبيلة، كان "عجول"دائم التنقل بين "نواة الإدارة" والقائد سي مصطفى، يبلغه المستجدات، ويؤمن الإتصالات

والمستعجلات، ويرد على الرسائل العاجلة، بينما كان سي مصطفى دائم التنقل بين الأفواج يعالج قضاياهم ويرفع من معنويات أفرادها، على مستوى "جبل الظهري"، و"جبل الحدور"، و"جبل خنقة بني بوسليمان" وجبل الهارة"، و"سلسلة جبل أحمر خدو"، وجبل كيمل" و"وادي الشرفة"، و"غابة بني ملول"

كانت القيادة تتعامل مع المستجدات والتطورات بالجدية والواقعية، مستخلصة النتائج من ردود فعل العدو الأولى،تتابع الأخبار المحلية والدولية بإنتظام.

وخلال نهاية الأسبوع الأول عقدت القيادة إجتماعا مهما لتقييم مجريات الأسبوع الأول في حياة الثورة، وإستخلاص نتائج الهجومات، ومعرفة ما نفذ منها وما لم ينفذ، والأسباب التي حالت دون ذلك، وحصر الخسائر في صفوف الطلائع التي تولت التنفيذ، وأماكن تجمعها

كانت نتائج ذلك التقييم جد إيجابية، ماعدا تخلف "أحمد نواوره" عن تنفيذ ما أمر به في "مدينة أريس"، وأيضا "حادثة الحافلة "وقتل المعلم الفرنسي وجرح زوجته

لقد واصل "سي مصطفى" وأعضاء القيادة التنقل بين الأفواج لإكتمال تنظيمها وتحسس متطلباتها، والإطمئنان على معنويات أفرادها وإرادة الصمود لديهم، إلى درجة أنه رفع الحرج على من ضعفت عزيمته منهم فسهل لهم العودة لأهليهم شريطة تسليم السلاح، على أن لا يفشوا ماعرفوه من أسرار لجيش التحرير

ونتيجة لقرار تجنب التصادم مع قوات العدو إنتقلت القيادة الى "سلسلة جبل أحمر خدو، حيث إتصلت ببعض الشيوعيين على مستوى عرش أولاد أيوب، وأولاد عبد الرحمان كباش الذين ترددوا في تسليم أسلحتهم للثورة بأمر من الحزب

الشيوعي، ولكن ترددهم لم يبطل حيث أنهم وبالإقناع تبرعوا بأسلحتهم لجيش التحرير دون إنتظار إذن الحزب الشيوعي، ذلك لأن إنتماءهم للحزب الشيوعي لا يزيد عن المصلحة الإنتخابية، حيث عقيدتهم الدينية إسلامية خالصة؛ يصلون ويصومون ويحجون ويزكون ويؤدون كل الطقوس الإسلامية بإيمان راسخ.

وخلال النصف الأول من شهر ديسمبر 1954 عقد "القائد بن بولعيد وأعضاء القيادة العامة إجتماعات الأفواج، وخصص الإجتماع الأول للأفواج المنتمية لقسم أريس.

أما الإجتماع الثاني فقد شمل كل أفواج جيش التحرير بالأوراس وذلك يوم 25 /12/ 1954 بقصد الإطلاع على ظروفها، وتمكينهم من التعرف على القيادة العامة بصفة مباشرة، والتعرف أيضا على بعضهم البعض، وأخيرا ليثبت لهم بأن جيش التحرير أصبح قوة وعلى درجة عالية من التنظيم والقصد من كل ذلك رفع المعنويات.

- **إهتمام القائد مصطفى بحياة المجاهدين**

هكذا كان سي مصطفى ونوابه مهتمين بحياة المجاهدين وساهرين على تربيتهم نفسيا وجسديا، يجتهدون على أن يكونوا دائما قدوة لهم فلا يميزون أنفسهم عليهم، يعيشون عيشتهم بحلوها ومرها لحظة بلحظة، يشاركونهم أكلهم وشربهم ونومهم تحت صقيع البرد ولفح الحر، يقدمون المثال بأنفسهم في كل ما يقوي الإرادات ويحقق التحدي والجلد، يحاولون النفاذ إلى قلوب مرؤوسيهم المجاهدين، يحرصون على أن لا يتسرب اليأس والإحباط لنفوسهم بسبب ما يتعمده العدو من تعسفات في حق عوائلهم بقصد التأثير على معنوياتهم طمعا في دفعهم للإستسلام ووضع السلاح من أجل إنقاذ شرف زوجاتهم وأبنائهم.

لقد كان سي مصطفى نعم المربي للمجاهدين يقوي عزائمهم وصبرهم، يشحنهم بعزة النفس ومقومات الشخصية المثالية المعتزة بالكبرياء والإقدام والصبر على التضحيات التي تخلد ذكراهم وترفعهم نحو المجد والخلود.

- **قيادة الثورة في الأوراس تدرس قضية السلاح**

كان سي مصطفى قد بذل مجهودات جبارة لشراء السلاح من مخلفات الحرب العالمية الثانية بصحراء ليبيا، بعضه حوله للأوراس على طريق واد سوف ثم زريبة حامد والفيض وليانة وبادس ثم الولجه مرورا بغابة كيمل وإنتهاء "بالمطامير" التي أعدها سي مصطفى لنفس الغرض على مستوى حوز النوابه، ذلك السلاح الذي وزعه على الطلائع الأولى ليلة الفاتح من نوفمبر، يضاف له السلاح المملوك من طرف المواطنين في الأوراس، أما الجزء الأخر فإنه قد إحتفظ به في وادي سوف على يد المناضل أحمد بلحاج، وبعد تفجير الثورة دخل مصطفى مدينة بسكرة لربط الإتصالات مع المناضل أحمد بلحاج لرفع السلاح الذي تركه تحت يده، إلا أن هذا الأخير أشعر سي مصطفى بأن الحزب أمره بعدم تسليم السلاح للثورة لأنه لم يكن متفقا على إندلاعها، عاد سي مصطفى متألما على حرمان الثورة من تلك الكمية المهمة من الأسلحة المعول عليها، وبدأ يفكر في فتح طريق الشرق نحو ليبيا للتزود بالسلاح الذي يتوقف عليه نجاح الثورة واستمرارها، لقد فكر في تكليف سي مسعود شحاني بمهمة التنقل إلى ليبيا، ليتفرغ هو شخصيا لمواصلة تأطير الثورة التي كانت لاتزال في أيامها الأولى، فدوره لايزال أساسي لرفع معنويات الثوار وكسب عطف السكان، غير أنه تفاجأ بأن سي شحاني لم يكن مؤهلا للمهمة، ذلك أن صهره السرجان "سليمان" الذي كان معهم قد فر سرا الى العاصمة وارتكب هناك أخطاء ضد الثورة، ثم أن رئيس فوج بسكرة أشعر سي مصطفى بأن سي بشير شحاني إستغل فرصة دخول سي مصطفى لبسكرة وحاول أن يتسلل ليتبع

صهره سليمان للجزائر ولكنه منعه من ذلك، وكان ذلك المؤشر الأول على عدم أهلية شحاني لتولي المهمة، أما المؤشر الثاني الذي أكد لسي مصطفى عدم قدرة شحاني على مواجهة الأخطار العسكرية، فبالرغم من كونه رجلا مثقفا وذكيا إلا أن الشجاعة كانت تخونه إلى درجة الضعف القاتل، وقد أدرك سي مصطفى بنفسه ذلك الضعف في شخصية شحاني من خلال حادثة حصار لمجموعة القيادة المتكونة من سي مصطفى وعجول وشحاني والشيخ مدور والجندي الجودي بوستة المرافق الشخصي لعجول، لقد إشترت مجموعة القيادة شاة (عنزة) وبمجرد أن شرعوا في شيها إذا بالعدو يحاصرهم فانصرفوا بسرعة دون أن يتمكنوا من حمل كل حاجياتهم الشخصية، وبعد قطعهم لمسافة محدودة تفطنوا بأن شحاني لم يكن من بينهم، فأمروا الجودي بالعودة للمكان، وإذا به يجده منبطحا على بطنه في مكانه من شدة الخوف، أخذ الجودي بيده والحقه برفاقه، ومنذ تلك اللحظة أدرك سي مصطفى بأن شحاني لايستطيع الذهاب بمفرده إلى ليبيا، وبذلك قرر بأن يتولى بنفسه السفر لليبيا بعد إتمامه إجراءات التنظيم والهيكلة واختيار المسؤولين السياسيين المؤهلين للتعامل الحسن مع السكان بما تقتضيه مصلحة الثورة، فالمراهنة على تأييد السكان للثورة كانت الغاية التي لا بديل عنها، حيث كان سي مصطفى يردد مقولته المشهورة (إذا شاهدتم العدو يبالغ في قهر الشعب بالعنف والتعسف والظلم الأعمى، فابشروا بنجاح الثورة) لأن ذلك يدفع الشعب دفعا قويا لإدارة ظهره للعدو وهو المطلوب.

- **مشكلة الدواء والتموين**

هناك مسألة في غاية الأهمية واجهت أيضا جيش التحرير مبكرا إنها مسألة الدواء والممرضين وهي قضية جوهرية لم تغفلها أبدا قيادة الثورة في الأوراس التي كانت تدرك أهميتها ولكن تم تأجيلها إلى ما بعد إعلان الثورة، لقد كان من السهل تخزين كميات من التموين والدواء ومستلزمات العلاج في

الكهوف، ولكن حساسيتها وتعرضها للتلف من جهة والخوف من كشفها من جهة أخرى، ذلك الكشف الذي قد يؤثر على العمل السري الذي يجري لإعلان الثورة، ولذلك أجل التفكير في تلك المتطلبات إلى ما بعد إعلان الثورة وهو ما جعل الثوار يعانون نقصا فادحا في مجال الدواء وحتى الممرضين، وبذلك دفع جرحى المعارك حياتهم ثمنا خاصة على مستوى محيط مدينة أريس وفم الطوب وخنقة معاش التي عرفت حصارا خانقا تسبب في عدة معارك منها معركة يوم 7 نوفمبر 1954 والتي جرح فيها قائد المعركة تاجي تاجي، ومعركة (انزاء احمد) التي استشهد فيها قائدها قرين بلقاسم وكل رفاقه. ثم معركة (ثبا بوشث الجنين) بكيمل التي إستشهد فيها المجاهد على بدره، ومحمد صبايحي يضاف لها القنبلة المبكرة للقرى كمشتة (سراء الحمام) بكيمل التي قتل فيها المناضل كمين سليمان وولده وأسرت زوجته وبناته، وكذلك مشتة الهاره الخاصة بأهل بوستة، إلى غير ذلك من الحوادث الدامية التي بدأت مبكرة منذ مطلع شهر نوفمبر 1954 في جهات متعددة، مخلفة وراءها أعدادا من الجرحى بدون علاج، لأنه لا يوجد من بين الطلائع الأولى كما ذكرنا ممرضون وأطباء، وكذلك الشأن بالنسبة للتموين الذي لا تقل أهميته عن السلاح والدواء، فقد عانى أفراد جيش التحرير من سوء التغذية بل تعرضوا للمجاعة خلال الثلاثة أشهر الأولى لأن القيادة لم تتمكن من تأمينه في الكهوف والمخابئ قبل ليلة الفاتح من نوفمبر لنفس السبب وهو الخوف من الكشف الذي قد يجلب إنتباه العدو للإعدادات الجارية تحت السطح، فتحاشت القيادة عمدا فكرة تخزين كميات من المؤونة في الجبال، ومما زاد في تأزم الوضع هو ذلك الترحيل المبكر لكل سكان الجبال إلى التجمعات والمحتشدات التي أعدها الجيش الفرنسي لسجنهم فيها مبكرا.

• سي مصطفى يختار قيادة عامه للثورة في الأوراس

كان على سي مصطفى تعيين القيادة العامة للثورة في الأوراس التي ستتولى تسيير الأفواج المقاتلة والقيادات الفرعية ومتابعة التنفيذ الصارم للتعليمات العسكرية والسياسية التي لاتقبل التفريط فلا مجال للإنتصار على العدو في الميدان إلا بوجود قيادة فاعلة وحاسمة ومتبصرة تمتلك مؤهلات القيادة لمواجهة جنرلات محترفين مصرين على غسل أثر الهزيمة التي لحقت بهم في الهند الصينية وكلهم إصرار على عدم تكرارها في الجزائر؛ جنة الفردوس فمرحلة مابعد الهزيمة بالنسبة إليهم تختلف كثيرا عن ماقبلها، إلا أن الفرق شاسع بين النضال السري والمقاومة المسلحة في مواجهة أكبر جيش على مستوى أوربا الإستعمارية.

عين "سي مصطفى" القيادة العامة مباشرة بعد توزيع الطلائع الأولى ليضع الجميع أمام مسؤولياتهم فكان إختياره لشحاني بشير ليغطي الجوانب الثقافية والسياسية كنائب أول له، واختيار عباس لغرور وعاجل عجول ليحققا الفعالية في ميادين التنظيم والتجنيد والسيطرة القتالية في الميدان "كنائبين له" ولشحاني لم يخطئ مصطفى في إختيار هؤلاء النواب الثلاثة الذين كونوا بحق قيادة متكاملة لأصعب مرحلة، فلم يخيبوا ظنه حين برهنوا ميدانيا على انهم أكفاء لقيادة الأوراس المعول عليه خلال الستة أشهر الأولى من عمر الثورة، فكانت مرحلتهم من أنجح المراحل رغم الصعوبات الأولى الخطيرة التي واجهتهم ومع ذلك حققوا فيها نجاحات على العدو كانت محل إعجاب من طرف جنرلاته وساسته ورجال إعلامه (إنها بحق المرحلة الذهبية للأوراس خلال السنوات الأولى 1954 /1955/ 1956 بدون منازع).

لقد واصل "سي مصطفى" بعد تعيينه للقيادة العامة جهوده الرقابية والتقييمية والتنظيمية من خلال جولاته الماراطونية على

جبهات القتال ليطمئن بنفسه على أوضاع أفواج جيش التحرير في مختلف الجوانب المادية والمعنوية ليحفزهم على التضحية والصبر وتجاوز ما يواجههم من إحباطات وتأثيرات نفسية نتيجة ما سلط على عوائلهم من تعسفات لا أخلاقية ولا إنسانية من طرف ضباط المخابرات الفرنسية للتأثير على معنوياتهم طمعا في تركهم الجهاد إنقاذا لشرف عائلاتهم، كان سي مصطفى مدركا لخطورة مؤامرات المخابرات لذلك كان يتعمد مشاركة المجاهدين حياتهم القاسية لحظة بلحظة، يشاركهم أكلهم وشربهم ونومهم في صقيع البرد، يقوي عزائمهم على التحدي والجلد، يتحسس مشاغلهم ومشاعرهم والنفاذ إلى قلوبهم يتولى بنفسه تعليمهم نصوص القانون الداخلي الذي يعلمهم واجباتهم وحقوقهم يوصيهم بالطاعة في كل الظروف والحالات، وينصحهم بعدم التركيز على حفظ أسماء الأماكن والأشخاص والمراكز حتى لا يتسببوا في كشف الأسرار، يأمرهم بعدم المبالغة في مخالطة السكان بصفة انفرادية والترفع على مغريات الحياة وملذاتها ومنع حمل النقود مهما قلت، والابتعاد عن كل ما من شأنه أن يؤدي إلى كشف أسرار الثورة في حالة الأسر لا قدر الله وأخيرا قام سي مصطفى بعقد أجتماعات للأفواج بهدف أن يتعرف المجاهدون على بعضهم البعض، والتأكد من القوة التي أصبح جيش التحرير يتمتع بها، وتمكينه من معالجة النقائص، وتبليغ التعليمات بصفة مباشرة ليسمعوها مباشرة منه، وليتولى بنفسه معالجة النقائص، وأكمال تعداد وتنظيم الأفواج وتعيين مسؤولي الأفواج، وتثبيت الحدود الجغرافية بين (جبهات القتال) التي ركز العدو مراكزه داخلها بصفة قارة، ثم حدد "سي مصطفى" مسؤولية كل فوج أو فرقة لضمان الفعالية وتشديد الخناق على مراكز العدو حتى لاتفاجئ المجاهدين بهجوماتها المفاجئة.

• تعيين القيادات الفرعية

أ- القيادات الفرعية على مستوى "قسم أريس"

تماما كما فعل مع أعضاء القيادات العامة فقد حافظ سي مصطفى على نفس الإطارات التي كان لها الفضل في تأطير السكان قبل الثورة على مستوى الأعراش المجاورة، تلك الأعراش المتواجدة على مستوى المحيط الغابي الذي يشكل شبه جزيرة غابية خضراء منسجمة مع بعضها تحيطها سلسلة جبال من الجهات الأربع، وهي المشهورة باسم (غابة كيمل وبني ملول والبراجه، وشلية، وجبل تامزه، وسلسلة جبل أحمر خدو) تنتشر في حنايا تلك المساحة الغابية قبائل عدة متلاحمة مع بعضها البعض بحكم عزلتها وطبيعتها الجغرافية المتميزة ولكي لا تضيع تلك الخبرة الميدانية المكتسبة خلال فترة التنظيم السري الذي حقق الغرض المطلوب منه، فقد حرص سي مصطفى على تثبيت كافة مسؤولي الأعراش على جبهات القتال التي تشمل محيط أعراشهم، ذلك لأن الفعالية تتحقق بمعرفة الأرض، فلا إنتصار على العدو المنتشر جيشه كالذباب إلا بحفظ أسرار الأرض وخباياها ومغاورها وكهوفها ومنابع مياهها، ومسالكها الوعرة وطرق التموين والإتصال بها.

لذلك تعمدت القيادة، في بداية الأمر، هيكلة مجاهدي كل عرش في وحدة عسكرية تغطي مساحة العرش المنتمية إليه الى غاية إنهاء الحملة الكبرى للجيش الإستعماري لتفتيشها وعودتها لمراكزها خارج المنطقة، بعدها تصدر القيادة قرارات أخرى، وتعيد الهيكلة والتنظيم من جديد حسب مقتضيات المرحلة، وبفضل تلك الإستراتجية تعذر على الحملة العثور على الثوار الذين كانوا يتجنبون عن قصد التصادم مع الحمله وتركها تواجه الطبيعة دون تحقيق أية نتيجة غير سخط وسائل الأعلام وغضب المعمرين المهددين في حياتهم وأملاكهم.

وهكذا إستمر مسؤولوا الأعراش في مناطقهم مسؤولين على المجاهدين الذين جندوهم، والذين كان من بينهم:

1) "عمار معاش" المدعو "مارشينوار"، مسؤولا على ناحية "يابوس بني وجانه" الوجه الشمالي لجبل شلية وهو رجل متزن، راجح العقل جاد ومحترم في عرشه، تلك المنطقة التي أعطت للثورة أبطالا مغاوير من أمثال "عمار عشي" الذي أصبح قبل استشهاده مسؤولا على المنطقة الأولى برتبة ضابط ثاني. وكذلك الشيخ "إبراهيم مزوزي" إبن الشيخ "عمار" الذي كان قبل تجنيده أستاذا منتسبا إلى جمعية العلماء المسلمين وأنهى مشواره كقائد على الناحية الثانية (شلية)، التابعة للمنطقة الثانية برتبة ملازم ثاني.

2) وعلى مستوى عرش بني بوسليمان، كان المناضل "مصطفى بوستة" الملتزم، الصادق الوعد والعهد، لقد أبقاه "سي مصطفى" مسؤولا مباشرا على "جبل زلاطو "تكوت" و"شناورة"، ومساعدوه الأخيار من ذوي الكفاءات العالية المنتمون للجهة منهم "غقالي" و"المسعود عيسى" مسؤول الجهة الشمالية "بناحية نوغيسن "ومحيطها يساعده "محمد الشريف عيسى" و"مختاري "وغيرهما.

3) أما بالنسبة لمنطقة "كيمل" فنذكر "كعباشي عثمان" السرحاني الرجل العصامي الكتوم الصبور الذي كان مكلفا بشراء السلاح، فعين منذ البداية من طرف "عجول" مسؤولا على جبهة كيمل بمساعدة "العايش بادسي" و"محمد بو النخل" و"المكي بيوش" و"المسعود بن الزحاف" الصالح شنخلوفي" و"محمد جرموني".

4) وعلى محيط "عرش الولجة" كان الطالب الطموح "عثماني عبد الوهاب" الذي أبقاه "سي مصطفى" و"عجول" مسؤولا على ناحية "خنقة سيدي ناجي" و"تيويحمت"، و"الولجة"، و"عالي الناس" وما تلاها. وهو شاب مثقف نشيط

وطموح كلف بمعية البطل السوفي عبد الحفيظ و عيساوي محمد الصالح بالهجوم على نقاط عدة ليلة نوفمبر 54، وكان من المقربين لعاجل عجول، حيث أوكلت له مسؤولية ناحية كيمل في فترة شحاني وذلك قبل تعيينه منسقا للجنة الرقابة في شؤون سوق اهراس، وأيضا لتهيئة شروط عقد مؤتمر عام للثورة هناك.

5) كما عين على منطقة الصحراء "وادي ريغ"، و"وادي سوف" في البداية "مسعود بن الزحاف" لجمع المال والسلاح وتوعية السكان، كما تم ابقاء نواورة أحمد على محيط مدينة أريس رغم كونه لم ينفذ الهجوم على أريس، وذلك تحاشيا لإتهامه بالعاطفة مع المجاهد علي بعزي وأبقي أيضا المسعود برحايل خلال الأيام الأولى للثورة كمسؤول على جهة" مشونش، بسكرة" قبل أن يحولوه إلى "تامزه" التي كانت منتمية إداريا لبلدية "خنشله" مع محيط "واد العرب"، و"ملاقو"، فهذه المنطقة تركت عمدا كبواية للتموين وللأمور اللوجستية بكافة أنواعها، غير انه لم يلبث أن حمل أبناؤها السلاح واشتهروا ببطولاتهم مثل :"شباطي" و"عمار عشي" و"بلواعر عمر" والشاب المرح "تاج الدين"، و"محمد الهادي"، و"عبد الرحمان العمراني" و"الجمعي ماني برحايل" وغيرهم.

أحمد نواورة

ب- القيادات الفرعية لقسم بوعريف فم الطوب

واصل سي مصطفى ترتيب الأمور على مستوى هذا القسم بنفس الطريقة التي اعتمدها في قسم أريس، حيث أشرف بنفسه على توزيع المسؤوليات على مغاوير هذا القسم المنضوين تحت إمرة المنسق العام الطاهر نويشي، أذكر بالخصوص.

"ناجي ناجي" المنتمي لفم الطوب المنطقة التي أطلق عليها إسم (فرموزه) نظرا لكثرة المعارك التي سجلت في ربوعها مبكرا كما ذكرنا، وقد كان "ناجي: رجلا مبجلا في قبيلته كريما، ذا سمعة طيبة"، لذلك أسندت له مسؤولية منطقه "فم الطوب خنقة معاش" حيث خاض معارك طاحنة فقد فيها إحدى عينيه.

كما عين ايضا، الشهيد قرين بلقاسم" على المنطقة الشمالية لمدينة أريس حيث إستشهد في معركة في المكان المسمى" إنزا أحمد" ورفاقه الإثني عشر شهيدا، (أفتح قوسا لأذكر بأنه نتيجة لتلك المعارك المبكرة فإن جنرلات العدو قرروا تكوين {كوماندو} من رجال الحركى الذين جندوهم خلال الثلاثة أشهر الأولى للثورة وقد أساؤوا للثورة وألحقوا بالشعب وبجيش التحرير متاعب لاتحصى.

ج- القيادات الفرعية لقسم خنشلة

كان هذا القسم يقع تحت إشراف عباس لغرور منذ الأربعينات في التنظيم الحزبي قبل الثورة، وظل كذلك بعدها حيث أشرف هو شخصيا على توزيع الأفواج وإعدادها لتكون الطلائع الأولى التي نفذت الهجمات الأولى على مراكز متعددة بمدينة خنشلة ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 والتي أسفرت على مقتل ضابط فرنسي كما أوقعت خسائر مادية معتبرة في صفوف العدو. وتتموقع هذه المجموعة في شعاع يشمل مدينة خنشلة وجنوبها وهو ما أصبح يعرف بالقلعة والهنشير. وقد كانت هذه المساحة الشاسعة ميدانا لصناديد منضوين تحت قيادة شبان متحمسين منهم:

"التجاني عثماني" والثائر "مسعود معاش" والبطلين "غزالي بن عباس" و"موسى رداح"، وتجدر الإشارة بأن هذه الأفواج قد تمكنت من أسر مجموعة من عساكر القوات الفرنسية خلال شهر فيفري 1955 بكمين نصب لهم جنوب "مدينة خنشلة"

على الطريق الرابط بين "بوبقضان" و"تابرنقة" غنموا فيه تسع أسلحة متطورة، وقد قامت قيادة الثورة انذاك بإطلاق سراح "الأسرى الستة" كعمل دعائي لصالح الثورة، وسهلت لهم مكاتبة أسرهم في أروبا وقد تسابقت الصحف لنشر تلك الرسائل.

د- القيادات الفرعية لغرب الأوراس

أما بالنسبة لجهات غرب الأوراس والتي كانت تمتد من باتنة إلى برج بوعريريج والحضنة، فقد كان لها وضع خاص، لأن مناضليها لم يلتحقوا بقيادة مصطفى بن بولعيد قبل الثورة، حيث كانوا لايزالون موالين لمصالي ماعدا بعض القيادات المميزة التي التحقت بصفة فردية للمشاركة في التجمع الكبير ليلة فاتح نوفمبر 1954 "بدشرة الحجاج"، و"القرين ببوعريف"، وبعد اندلاع الثورة إلتحقوا بمناطقهم لزرع خلايا الثورة بها بمساعدة وموازرة عناصر أخرى اختيرت من طرف القائد بن بولعيد لتأطير الجهة وهم:

1) "الحاج لخضر عبيد" الذي عين للإشراف على ناحية" باتنة" بحكم انتمائه لهذه المدينة التي تولى مهمة الهجوم عليها ليلة الفاتح من نوفمبر بصحبة الشهيد" قرين بلقاسم".

2) المجاهد "رعايلي مصطفى" حفيد بن بولعيد: المنتمي إلى عرش التوابة الذي كلف بجهة سطيف.

3) "عبد الحفيظ طورش" المنتمي إلى ناحية" أريس" كلف بتأطير جهة الحضنة برفقة مجاهدين أخرين ينتمون لنفس الجهة.

4) "محمد الشريف بالة" و"بوسماحة" وقد كلفا بجهة" بريكة".

5) "محمد الشريف بن عكشة" تولى المسؤولية على منطقة "التوتة "و ما جاورها.

بالاضافة إلى عناصر أخرى فعالة شاركت في توسيع ونشر خلايا الثورة وفتح جبهات قتال أخرى هناك، وكان لها الفضل في الاستجابة السريعة انسجاما مع ماضي المنطقة وتاريخها المجيد خلال الإنتفضات السابقة.

- **"مصطفى بن بولعيد" يعتزم السفر إلى ليبيا**

كما سبق ذكره وبعد أن يئس سي مصطفى من الحصول على الأسلحة التي كانت مخزنة بواد سوف، وبعد تأكده من انتشار الثورة وترسيخ قواعدها واحتضان الشعب لها، وبعد الإنتهاء من التنظيمات العسكرية بهيكلة الأفواج المقاتلة، وترسيخ التنظيمات السياسية على مستوى التجمعات السكانية، كان عليه أن يحقق للثورة الدعم الدبلوماسي والسياسي والعسكري وذلك بربط الإتصالات مع الوفد الخارجي ليزودوا جيش التحرير بمستلزمات إستمرار الثورة بالسلاح والذخيرة الحربية واللباس والمال، لذلك قرر أن يتنقل بنفسه إلى ليبيا كما ذكرنا لتوفير ضروريات المعركة التحررية المقدسة وقبل سفره استدعى كل المسؤولين لاجتماع عام بنزاع الشرفة الواقع بين كيمل وجبل شلية إتخذ في هذا الإجتماع قرارات هامة لضمان الإستمرارية بالوتيرة التي رسخها خلال الأربعة أشهر الماضية، حدد صلاحيات كل مسؤول والزمهم بالانضباط والطاعة والعدالة بين المقاتلين، والتعامل الإجابي مع السكان الجزائريين حلفاء الثورة، ثم وضعهم في الصورة بالنسبة لمهمته التي يتوقف عليها مستقبل المعركة في الداخل والخارج وأخيرا أكد أمام الجميع تثبيت أعضاء القيادة العامة المتكونة من البشير شحاني نائبه الأول قائدا عاما وعباس وعجول نائبين ميدانيين له، وبوسته مصطفى والشيخ مدور مستشارين، ثم إنفرد "بعباس لغرور "وعجول" ليحملهما مسؤولية الثورة خلال غيابه مؤكدا عليهما الإستفادة من ثقافة وذكاء شحاني بشير رغم ضعف مؤهلاته العسكرية وأوصاهم به خيرا، ثم ودعهم لينضم للدورية التي عينت لمرافقته للحدود التونسية مع دليله الشخصي

مستيري عمر، وبمجرد دخوله التراب التونسي تفطنت له المخابرات الفرنسية وعبثا حاول التخلص منها ولكن القدر لم يسعفه فتم القبض عليه بعد عملية مطاردة قتل على إثرها أحد مطارديه، وعاد مرافقه عمر المستيري وحده، وقبل إلقاء القبض عليه كان قد وجه رسالة لنوابه في الأوراس يحثهم فيها على ضرورة دمج ثوار الجبل الأبيض الذين كانوا منضمين لجيش التحرير التونسي والذين كانوا قد أبدوا رغبة في الإنضمام للثورة في الأوراس.

- **مصطفى يبعث بتعليماته لنوابه من تونس**

ما هي إلا أيام بعد مغادرة "بن بلعيد مصطفى" منطقة "كيمل" حتى وردت على "شحاني ونائبيه" رسالة منه حررها في الحدود التونسية تضمنت عدة تعليمات منها الإسراع بإدماج ثوار الجبل الأبيض[1] "للثورة الجزائرية في الأوراس"، وبناء على ذلك أجمعوا أمرهم وانتقلوا الى جنوب "خنشلة" لتنفيذ الوصية وقبل مغادرتهم مركز "القيادة بكيمل" فوجئوا بخبر ينزل عليهم كالصاعقة، إنه (أسر سي مصطفى بن بلعيد) لكنهم إمتصوا الضربة القاسية وتجلدوا بالصبر والشجاعة متعهدين بالوفاء لقائدهم الفذ "بن بولعيد مصطفى" وللثورة التي جمعت بينهم، فلا زعيم للثورة الجماهيرية التي قرر مفجروها تسييرها بقيادة جماعية، تهيئوا للسفر كي يتقربوا من ثوار الجبل الأبيض، وعينوا من سيضمن المداومة في غيابهم، حيث أسندوا مهمة المداومة في مركز القيادة العامة للمناضل الكبير "مسعود بلعقون" الذي تكلف بالشؤون الإدارية يساعده "مصطفى بوستة" و"الشيخ مدور"، وكما أسندت مهمة المالية والتموين "لعايسي مسعود"، ولما وصل "شحاني بشير" و"عباس لغرور" و"عاجل عجول"، ودليلهم "البشير ورتان" الى شرق

[1] ثوار الجبل الأبيض بقيادة شريط لزهر كانوا يكافحون ضمن ثوار تونس، ولما سمعوا باندلاع الثورة في الجزائر، قرروا الإنضمام لها خاصة بعد قرار الرئيس "بورقيبة" قبول الإستقلال الداخلي وإنهاء الثورة في تونس

مدينة خنشله في محيط (مركز القلعه) بشروا بحادثتين عظيمتين.

الحادثة الأولى: هي أسر سته عساكر فرنسية وقتل إثنين؛ من قبل أفواج عباس لغرور بجنوب خنشله، ولهول الحادثة على الجيش الفرنسي، فإن الوالي العام الذي كان في زيارة لمدينة بسكرة قد تنقل بنفسه للوقوف على مكان أسر جنوده.

أما الحادثة الثانية: هي إنضمام ثوار الجبل الأبيض عمليا للثورة الجزائرية، وذلك بجهود مرافق "بن بولعيد" مستيري عمر الذي رجع من تونس بعد أسر "بن بولعيد"، ولما مر على ثوار الجبل الأبيض قام بهيكلتهم بصفة مؤقتة ريثما يتم ذلك رسميا من طرف القيادة العامة، وبمجرد إتصال "عمر مستيري" بأعضاء القيادة وإخبارهم بحادثة أسر سي مصطفى يوم 12/2/1955، وما كان قد قام به مع ثوار الجبل الأبيض،مباشرة بعد ذلك أمروه بالعودة إلى الجبل الأبيض من أجل إحضار ثواره المندمجين حديثا "لمركز القيادة بالقلعة"، وبعد أقل من أسبوع عاد "مستيري عمر" لمركز القيادة مصحوبا بثوار الجبل الأبيض، حيث إستقبلوا بحفاوة كبيرة ثم أدمجوا بصفة رسمية من طرف القيادة وعين عليهم قائد من بينهم كما سنرى.

وبذلك أصبحت منطقة الجبل الأبيض جزء من منطقة الأوراس، وأضيف للختم الرسمي للقيادة العامة كلمة "النمامشه" وأصبح الختم بعد ذلك مدون داخله (منطقة أوراس النمامشه). ثم عينت قيادة جهوية للمنطقة الجديدة سميت (قيادة الجبل الأبيض).

تولى "البشيرورتان" قيادتها، وعين له نواب من بين قادة المجموعة الجديده، أما القائد "لزهر شريط" فقد نقل إلى "سكتور كيمل" الذي يشرف عليه في تلك الأونة، "عثماني عبد الوهاب الولجي"، وقد شارك شريط في الكمين الذي جرح فيه "الكاهن جاك"، تلك العملية التي جاءت مباشرة بعد قتل "القائد

الفرنسي ميكال" الذي خصصت له القيادة الفرنسية حفلا "جنازريا" مع الكاهن في مدينة "باتنة.

• ثوار الجبل الأبيض ينضمون للثورة في الأوراس

كما ذكرنا تم إدماج ثوار الجبل الأبيض رسميا من طرف القيادة العليا وذلك بتاريخ 1955/3/5 وكان عددهم نحو 150 بطلا، لتعم الفرحة الجميع بهذا المكسب الثمين الذي عزز صفوف الثورة بانضمام هذا العدد المعتبر من المجاهدين المتمرسين على فنون الحرب والقتال، فما أحوج الثورة لهذا الكم الكبير من المجاهدين الذين سيتولون مهمة تأطير المنطقة ومواجهة الجيش الفرنسي المرابط بتخومها.

وبذلك أصبحت منطقة الأوراس تمتد من الحدود التونسية حتى حدود الولايتين الثانية والثالثة، وجنوبا تخوم الصحراء، توزعت الأفواج المقاتلة لتغطي جبهات القتال، ورسمت الحدود بين نواحي القيادة الجديدة بوادي هلال) بعد أن عين لها كقائد عام "البشير ورتان" المدعو (سيدي حني) يساعده كل من "عمر مستيري" و"ساعي" و"الجيلاني بن عمر" و"عمر البقصي" و"محمد بجاوي"[1]

---

[1]- يذكر الرائد عثمان سعدي في مذكراته الشخصية ص11، بأن المجاهد بوزيان العساوي، قد سلم لوالده الحاج امحمد سعدي يوم 1954/12/17 رسالة ممضاة من طرف شحاني بشير، ويذكر أيضا في ص14 بأنه خلال شهر جانفي 1955 إتصلت مجموعة "علي العفيف" مرتان بوالده، ثم يؤكد بأن مجموعة "العفيف" كانت تحت قيادة "البشير ورتان" وكانت متمركزة بمنطقة "تازريونت"

وهي شهادة غير مؤسسة للأسباب التالية: :اولا ـ أنه خلال هذا التاريخ لاتوجد أي علاقة للقيادة في الأوراس بثوار الجبل الأبيض الذين إنضموا عمليا للثورة في الأوراس بتاريخ 1955/3/5 وذلك بتعليمات من القائد مصطفى قبل أسره، وأن "ورتان البشير" لم يعين على قيادة الجبل الأبيض الا بعد تاريخ 1955/3/5

ثم نعلق على شهادة أخرى للرائد "عثمان سعدي" غير صحيحة، وهي قوله أن الشهيدين عبد الحفيظ سوفي ومحمد لمزيان "كانا قد تسلمهما من "عجول "مقيدي اليدين ومحكوم عليهما بالموت، وأمره عجول بنقلهما لعباس لغرور" لتنفيذ حكم الإعدام

• ردود الفعل على إعلان الثورة

لقد هز زلزال أول نوفمبر 1954 كيان العدو هزا عنيفا زعزع توازنه وأفقده صوابه، فتعالت ردود أفعال متباينة شابتها الضبابية والإنزعاج وعدم توضيح الرؤية حول طبيعة الأحداث، ومن كان وراءها.

أولا: ردود فعل العملاء والمشككين

كان يوم الفاتح من نوفمبر 1954 يوم شؤم على العملاء والمشككين، لأنهم ربطوا مصيرهم بمصير المحتل على حساب وطنيتهم وأهلهم وانتمائهم العربي الإسلامي، لذلك كان فزعهم أكثر من فزع المعمرين.

بالتأكيد أن للفرنسيين وللأوروبيين عموما أوطان أصلية يستطيعون العودة إليها في كل وقت ومتى استدعت الحاجة لذلك،ولكن الجزائريين الذي تنكروا لوطنهم بالعمالة لن يجدوا وطنا بديلا، وستلاحقهم لعنات ضحاياهم المعذبين، وتفرض عليهم خيار الهجرة المذلة تحت وطأة الإحباط والندم، وسيصبحون هدفا للتمييز العنصري الذي سيلاحقهم دون أن يشفع لهم ما قدموه من عمالة مجانية، رحم الله "ملود قاسم نايت بلقاسم" الذي أطنب في وصفهم بقوله: (وما أغرقوا به الحكومة الفرنسية من البرقيات طمعا في طول البقاء بالترقيات، وما تبرعوا به من تدخلات، وما تذللوا به من توسلات، خوفا مما قد تأتي به الرياح من تبدلات، فلقد ظلوا يتبحون مستنكرين

فيهما، وأنه فتح قيدهما بعد ما أسرا له بأن سبب الحكم عليهما، يعود لكونهما قد تحادثا مع زميلات لهما في المدرسة

أولا- لاتوجد مدرسة مختلطة في منطقة المذكورين، لأن البنات محرومات من التعليم في تلك الفترة.

ثانيا- أن "السوفي عبد الحفيظ" هو من تولى تنفيذ عمليات ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 بواد لعرب مع "عبد الوهاب عثماني، وأنه كان القائد المقرب جدا من القائد عجول، وأنه إنتقل الى تونس من وسط الأوراس بتعليمات من العقيد محمدي السعيد مع كل القادة وذلك بتاريخ فيفري 1957 بصحبة "عمر بن بولعيد، و"حوحا بالعيد وآخرين

تمردات هؤلاء الناكرين لجميل فرنسا الحنون، ومجددين لها التعبير عن ولائهم حتى لا تنساهم، متبرئين من هؤلاء "الضالين" من بني جلدتهم "الثوار"، يدلون العدو عليهم في حيهم وقريتهم وبلدتهم، مطالبين أن تستعمل ضدهم أقصى الصرامة بالإبادة أو السجن أو الغرامة)،ومن يعود لجريدة لوموند، والجريدة الرسمية الفرنسية، وغيرهما يجد العجائب والغرائب من مثل هذه المهاترات[1].

وفي سياق ردود فعلهم نجد رئيس المجلس العام "عبد القادر السايح " يصف أحداث نوفمبر بأنها (إرهاب فريد من نوعه، معلنا الاستنكار والسخط المطلق على ما وقع، موجها النداء برابطة الجأش[2].

ولم يشذ عنه زميله الهاشمي بن شنوف رئيس بلدية خنشلة، ونائبها في البرلمان الذي جدد تعلقه المطلق والدائم، وولاءه العميق لفرنسا منددا بالأعمال الإجرامية المرفوضة من طرف السكان[3]. حسب تعبيره.

أما الدكتور بن جلول فقد راح يتوسل لفرنسا بأن لا يشمل غضبها وقمعها إلا الثوار المجرمين، مطالبا الاندماج لتصبح الجزائر فرنسية عمليا[4].

وبالنسبة لشيخ العرب "بن قانة" فقد صرح بأنه (لاوجود لثورة في الجزائر إنما هي أعمال موجهة من الخارج، وطالب بمساعدة الجماهير الجائعة، وتطبيق الدستور الجزائري لسنة 1947)[5].

---

[1]. عد مولود قاسم في كتاب الطريق الى نوفمبر طبعة جبهة التحرير الوطني

[2]. جرنال دالجي 3نوفمبر 1954

[3]. نفس المرجع

[4]. جريدة لوموند 15 نوفمبر 1954

[5]. هامش جرنال الجزائر 3نوفمبر 1954

وحتى "السيد قارة " فإنه أكد من جهته : بأن عدد الضالين محدود جدا، والجزائر ليست محمية كتونس والمغرب متهكما على مصالي[1].

ودون أن نتغافل عن تصريح السيد" قاضي قدور" الديغولي الذي أكد ثقته المطلقة في وزير الداخلية، وقدرته على إعادة الأمن بكل الوسائل للجزائر.

فهذا فيض من غيض كما يؤكد مولود قاسم، وما أكثر من عبروا على حقيقتهم في الصحف اليومية الفرنسية دون أن يشفع لهم كل تلك التودد والتذلل وبيع الضمير لأسيادهم الفرنسيين الذين تنكروا لتذللهم المخزي.

فهذا أحد أسيادهم يقول عليهم: (إن إذنابنا هناك بدأوا يشعرون بضرورة أخذ حذرهم وحيطتهم، فالباشاغوات والقياد وأذنابهم من عملاء الإدارة الفرنسية يحاولون أن يلعبوا في الجزائر نفس الدور الذي لعبته جماعة "بوداي" في الهند الصينية)[2].

فما أبخس من أن يتعرض المرء للإهانة من طرف من ملكه رقبته وسلمه مصيره؟! إنها مرارة ما بعدها مرارة نتحسسها نحن اليوم في مكانهم بألم حينما نروي هذه الوقائع التي كان أبطالها جماعة هجينة من بني جلدتنا الذين اضطرونا اضطرارا إلى التعرض لمهازلهم التي هي وللأسف وقائع لحقبة من حقبات تاريخنا، فنبرأ بأنفسنا من تناولهم بأقبح النعوت والأوصاف التي صدرت ضدهم من عدو باعوا له رقابهم بأبخس الأثمان دون أن يقبلها منهم، وبما انهم قبل كل شيء جزائريون فإنه يؤلمنا ما آلت إليه أوضاعهم.

---

[1]. لوموند 15 نوفمبر 1954

[2]. لوبسرفاتار الباريسية 3 فيفري 1955

ثانيا-ردود فعل الجزائريين المخلصين (الشعب)

بقدر ما كانت أحداث ثورة نوفمبر مدعاة للهلع لدى الجزائريين الذين ربطوا مصيرهم بمصير عدوهم، فإنها كانت بالنسبة للجزائريين المخلصين لقضيتهم وعامة الناس أفراحا ومسرات، وفخرا، لأنهم كانوا ينتظرونها بفارغ الصبر، بل ويتعجلونها ليكونوا وقودها، وخزانها الذي لاينضب، وملاذها في زمن الخذلان، وتوالي الشدائد. لقد كانت هذه الشريحة الشعبية الواسعة هي الرابح الأكبر من كل هذه الأحداث رغم ما أصابها من ويلات وشدائد ومضايقات من طرف المحتل وعملائه، ولكن قناعتها الراسخة كانت أقوى من كل ذلك "ما ضاع حق وراءه طالب" وما بعد العسر إلا اليسر.

ثالثا- ردود فعل المعمرين

أما رد فعل المعمرين الذين دنسوا الشرف، واستباحوا الأرض والعرض، وحولوا مالكي الارض الشرعيين من الجزائريين إلى مجرد أجراء فيها، فكان هلعهم وخوفهم طبيعيا وعاديا لأنهم يدركون جرائمهم ضد أصحاب الأرض، وبدؤوا يتحسسون ردة فعل المقهورين، ولذلك ضاعفوا نشاطهم من أجل سحق الثورة والثائرين، فالقضية بالنسبة إليهم قضية وجود لايقبل الإستسلام، مكررين في ذلك تجاربهم السابقة مع المنتفضين في كل الثورات الوطنية السابقة في الجزائر والذين سحقوهم بالحديد والنار.

فلا مفر لهؤلاء المستغلين من إستعمال السلاح لمواجهة ما يسمونهم ب"الإرهابين" قبل إستفحال أمرهم تنفيذا لمقولتهم الشائعة (قتل الطير في البيضة) إن أمنهم أصبح مهددا وأملاكهم باتت عرضة للنهب والحرق والهدم، مصممين في ذلك على فرض العقوبات الفردية والجماعية الصارمة على السكان الأصليين للإقتصاص منهم، فقرروا تعويض من ضاعت ممتلكاتهم أونهبت أو حرقت من طرف الثورة، أن يعوضهم السكان الجزائريين بصفة آلية.

وللمطلع على وضعية الجزائر في أيام الإستعمار لايجد غرابة في ذلك ؛ فهم من نادوا بنفي الأهالي وسحقهم ليستقر لهم المقام، رافضين أية مساوات لهم مع السكان الأصليين، ومستنكرين الإصلاحات التي كانت السلطة الفرنسية تدعيها، ورافضين لأي إنتخابات عادلة، وملحين على أبنائهم الجنرلات تلامذة "الجنرال "بيجو" الذين عادوا من الهند الصينية منهزمين بضرورة تطبيق الإجراءات الصارمة على الثورة والثوارحتى لا يفقدوا أرض "الفردوس" في الجزائر، مع العلم أن الجنرالات المهزومين في الهند الصينة، كانوا مصممين على غسل عار تلك الهزيمة بالقضاء على الثورة الجزائرية بكل الوسائل، وإعادة الإعتبار لشرفهم العسكري المهان، مع ضمان ترسيخ جذور ابائهم إلى الأبد، متوقعين خطأ بأن سحق الثورة سيتم لهم خلال جولة سياحية تضفي عليهم المزيد من متعة القتل والنهب وقطع آذان الضحيا، ليحاسبوا بها من كانت فصيلة تمهم من فصيلة ثم ملهمهم المرشال "بيجو "الذي كان يتستر على جرائم قياداته العسكرية التي كانت تسبي النساء لتبيعها بالمزاد العلني لمرتزقتها في كتائب الموت، والتي كانت تخطف الأطفال وتزج بهم في البواخر المتجهة نحو فرنسا، وتسحق السكان على طريقة" الهنود الحمر "في أمريكا وغلاة الإحتلال الإنجليزي، والتي كانت تستغل المروضين كجنس أسفل لخدمة الجنس السامي من "لقطاء أروبا " تجسيدا لمقولة (التضحية بالأدنى ليعيش الأسمى[1])

فعقيدتهم واحدة وأساليبهم مستنسخة من طرف الأحفاد مثل (شال) و(برلانج) و(سالو) ولكن بعنف أكبر

---

[1] .كتاب بوديشون دراسات حول الجزائر وافريقيا وكتاب اوليفيي الاستعمار والابادة ص 153.

رابعا- ردود فعل الصحافة

لقد كانت تعاليق الصحافة تعاليق كثيرة حول ظروف اندلاع الثورة، وحول فجائية أحداثها التي لم تتمكن المخابرات من التنبؤ بها، مما جعل مفجري الثورة يتميزون بالخطة الناجعة المحسوبة العواقب، وللبرهنة على كل ذلك لابأس من الوقوف على تعليقات بعض الصحف التي إندهشت لفجائية الأحداث التي تميزت بالتنظيم والدقة في التوقيت والشمولية والإنضباط).

لقد عبرت "جريدة جرنال دا لجي" على مايلي:(أن أحداث نوفمبر ليست زلزال الأرض، ولا ثورة الجماهير، إنما هي الإرهاب)[1] وراحت تؤكد وتطمئن بأن فرنسا الرسمية قد سارعت إلى وضع إستراتيجية حربية عاجلة جوهرها الأساسي المراهنة على التفوق العسكري عدة وعتادا، كعامل حاسم لإطفاء شعلة الثورة الجديدة، وذلك انسجاما مع ثقافة البطش الموروثة في ثقافة الفرنسيين أبا عن جد مذكرة هذه الصحف بأنه لا نصر مع الضعف، وبأنه لابد من استغلال عملائهم من العرب المسلمين الذين مكنوهم في معاركهم السابقة من إخماد المقاومات، والتمردات، ولماذا لا يكونوا في هذه المرة وقودا لهذه المعركة وسيوفها الأساسيين، وكاشفي أسرارها، تصديقا لمقولة (العربي يقهر العربي لفائدة الأوربي المستغل).

وهناك جرائد أخرى أكدت على (أن الحوادث العنيفة التي كانت تجري في الأوراس، قد دفعت الفرنسيين لان يفتحوا أعينهم على الحقيقة التي لم ينظروا لها كما ينبغي من قبل)[2].

وبذلك راحت الحكومة الفرنسية تؤكد على أنها لن تقبل بأية صفة كانت تجدد حدوث ذلك (أي ارهاب فردي أو جماعي)، وأن جميع التدابير الصارمة ستتخذ، وستحضر حالا من فرنسا

---

[1] جورنال الجزائر وأيضا لوموند 3نوفمبر 1954

[2] شريط الثورة في الصحافة الدولية 228.

القوات التي عادت من الهند الصينية للقضاء على التمرد بالأوراس، مع إستغلال كثير من العناصر البشرية الجزائرية المتعاطفة، من قياد، وبشغوات، وحركي، إضافة إلى رجال الدرك، والشرطة بأنواعها القارة والمتنقلة. زيادة في الإعتماد في ذلك على القوات المجندة من الأهالي المسلمين (الحركة والصبايحية) الذين يعملون معنا، وستدعمهم القوات المسلحة الفرنسية المحلية المستدعية من فرنسا.

وخلاصة لكل ذالك يجب التأكيد على أنه ظهر التخبط في قرارات القيادات الفرنسية وإعلامها تحت تأثير مفاجاة الثورة القاسية التي لم يتمكنوا من استيعاب أسبابها ولا معرفة من يقف خلفها، ولاحتى كيفية التصدي لها، فظهر التخبط واضحا منذ الوهلة الأولى، ومما زادهم قلقا واضطرابا خيبة الأمل في نتائج الحملة العسكرية التي إستدعيت لمحاصرة الأوراس لإطفاء شعلة الثورة، رغم مما جند لها من إمكانيات جمعت على أرض الأوراس فإن النتيجة كانت سلبية جدا، لقد عادت الوحدات لثكناتها دون أن تتمكن من القضاء على الثوار أو على أكثرهم على الأقل.

وبذلك راحت جريدة[1] "فرانس براس" تعبر بوضوح عن خيبة الأمل في العملية العسكرية التي رغم تعزيزها بالطائرات والدبابات والمدفعية فإنها لم تحقق الغرض المعول عليه حيث حكم عليها بالفشل.

خامسا- ردود فعل السلطات الرسمية

أما السلطات الرسمية فكان رد فعلها ميدانيا، فلقد هرعت أغلب القيادات العسكرية والمدنية لزيارة منطقة الأوراس خلال شهر نوفمبر 1954 ثم تكرررت بعد ذلك جولاتهم للشرق الجزائري خاصة مدن باتنة، قسنطينة، سوق اهراس، وذلك لتطويق الخطر القاتل دون جدوى، فبالرغم من الاجتماعات

---

[1] فرانس براس 1955/01/19

والإجراءات المتخذة على أرض الواقع، فإن الذعر ظل مسيطرا على القلوب والعقول، خاصة على مستوى المعمرين، والخونة الجزائريين الذين راح المتحدث باسم الولاية العامة يطمئنهم بقوله:(بأن أغلب المحركين للأحداث هم الآن موقوفون وهم في عجز تام عن مواصلة أعمالهم الإجرامية)[1].

كل تلك التصريحات كانت تدل على مدى جهلهم بحقيقة الثورة ومفجريها الحقيقيين الذين خرجوا في غفلة منهم من رحم "حركة الانتصار" التي حلت التنظيم السري فأعمى الله بذلك أعين المخابرات عن مفجري الثورة مما شجعهم على الإسراع في التنفيذ. لأنهم كانوا يرون أن العمل المسلح هو المخرج الوحيد لنيل الإستقلال.

وهكذا حضر كاتب الدولة للدفاع (جان شوفالي) إلى الأوراس بصحبة الجنرال (شيريير) قائد منطقة الجزائر، والجنرال (فرولون) قائد القوات الجوية، والجنرال "اسبيلمان "قائد منطقة الشرق بقسنطينة، وقيادات فرعية مساعدة، حيث وضع هؤلاء الترتيبات العاجلة لنشر المزيد من القوات في محور "أريس"، و"بسكرة"، و"خنشلة"، و"باتنة"، مما جعل الجنرال (جيل) يتمركز بالفيلق 22 ببسكرة، وتم تعيين العقيد (ديكورنو) على رأس أربع فيالق للفيف الأجنبي توزعوا على المناطق الساخنة قرب مدينة أريس، وخلال ثمانية أيام بلغت القوات الأولى التي وصلت الأوراس أكثر من 25000 عسكري.

وفي يوم 1954/11/6 حضر مدير ديوان وزير الداخلية السيد (بيار نوكلاي) إلى دائرة الأوراس لعقد إجتماعات تنسيقية مع كل الحكام المدنيين، ووحدات الأمن من درك وشرطة، من أجل إحكام قبضتهم على المنطقة، والسيطرة على الوضع الأمني بها، دعما للقوات العسكرية، وعين رئيس دائرة باتنة

---

[1] يوم 1 نوفمبر 1954 الطريق إلى نوفمبر من خلال ندوة كتابة التاريخ لجبهة التحرير

كمنسق عام لكل الأجهزة الأمنية والمدنية بالمنطقة، ووقف على حال السكان المرحلين على مستوى: كيمل، تاجموت، زالاطو، اريس، تاوزيانت، وبلفرايس، فم الطوب، تيمقاد، ثم قايس، ولكن بالرغم من كل ذلك لم تكن النتائج في مستوى كل تلك الاستنفار الشامل لقواتهم.

كما ضاعف رئيس منطقة الشرق المنسق للقوات المجمعة الجنرال (سبليمان) وكل أعضاء القيادات العسكرية المكلفين بإعادة الأمن للمنطقة من نشاطاتهم، وهو ما فرض على كاتب الدولة للدفاع العودة مرة أخرى إلى المنطقة خلال أسبوع واحد فقط، يصحبه في هذه المرة السيد (روني مير) النائب بالمجلس الوطني الفرنسي، حيث استقبلهم والي قسنطينة وقائد المنطقة الشرقية الجنرال (سبليمان) والجنرال (شريار) قائد منطقة الجزائر والسيد (فوجور) المدير العام للأمن، وكثير من القيادات السامية، وذلك لدراسة وإعداد مخطط العمليات التفتيشية التطهيرية التي كانوا ينوون القيام بها في الأوراس بحالة إستعجالية، وبذلك توسعت العمليات لتشمل محور الحدود التونسية، خاصة منطقة "سوق اهراس" التي كانوا يتخوفون من التحاقها بالثورة، زيادة على كونها منفذا لتسريب الأسلحة إلى المنطقة، بحكم النشاط المكثف لثوار تونس، ورغم كل الإجراءات والتحركات المكثفة فإن الجنرال (روني مير) الذي رافق كاتب الدولة (شفالي) لسوق اهراس لم يكن راضيا على نتائج المجهودات المبذوله، فوجه لوما لقائد المنطقة الشرقية (سبيلمان) قائلا له: (رغم ما سخرناه من إمكانيات فإننا لم نلمس نتائج مقبولة).

في يوم 11/ 11/ 1954 زار الوالي العام (روجي ليونار) مدينة باتنه، وبعد الإجتماعات التنظيمية توجه مع الجنرال (سبيلمان، والعقيد ديكونو) الى أريس وقم الطوب وخنشله.

وفي يوم 28/11/1954: قام وزير الداخلية "ميتران" بزيارة قسنطينة، وباتنة، وأريس للإتصال بجنرالات الميدان الذين كانوا منهمكين في شن حملة تفتيشية على المنطقة الشمالية لأريس (قم الطوب وما حولها)، ثم عاين وزير الداخلية بعض الأماكن الساخنة واجتمع ببعض الجزائريين المتعاونين مع الاحتلال؛ مثل بن شنوف رئيس بلدية خنشلة وممثلها في البرلمان، كما عاين عملية الترحيل المبكر لسكان المناطق الجبلية في عمق الأوراس، حيث أشرف بنفسه على تنفيذ هذا القرار الهادف إلى اجتثاث سكان الجبال من قراهم الأصلية، وتوزيعهم على المحتشدات التي أعدت خصيصا لهذا الغرض، وشملت هذه العملية على وجه الخصوص تجمعات سكان كيمل؛ ايدال، وسرى الحمام، والهاره، والمصارة، والشمول، ويابوس، وغيرها، وقد حدد لهؤلاء السكان تاريخا محددا لإخلاء مناطقهم ومساكنهم، ومن يتخلف منهم سيكون هدفا لقصف الطائرات التي سوف تقتل كل من تراه في تلك المناطق من بشر وحيوانات، وقد وزعت لهذا الغرض خلال الأسبوع الأول من بداية الأحداث آلاف المناشير بواسطة الطائرات، تنذر الجميع من مغبة البقاء في مساكنهم وفي قراهم، فأصبحت الجبال مناطق محرمة.

كما عاين (ميتران) بنفسه مجموعة من المرحلين المجمعين في (تاوزيانت) والمستقدمين من شلية ويابوس، حيث شاهد أوضاعهم المزرية، التي لم تحرك ضميره، ولم يخجله تهجيرهم ولا مأساتهم تحت الخيام في عز الشتاء، فراح يتبجح بأنه وقف على أوضاعهم المقبولة لأنه وبكل بساطة، لايعتبرهم رعايا ثم بالإضافة إلى تصريح "متران" نجد الوالي العام "سوستيل" الذي زار الأوراس ووقف بنفسه على حال السكان الذين وقع

ترحيلهم من قراهم لأماكن (الأمن) حيث أكد (على أن وضعهم المادي والمعنوي جيد جدا)، فما كان يهمه بالدرجة الأولى هو فصلهم عن الثوار (قطع الماءعن السمك)[1].

وحتى الوالي العام "سوستيل" فإنه زار الأوراس ووقف بنفسه على حال السكان الذين وقع ترحيلهم من قراهم، وأن وضعهم المادي والمعنوي جيد.

ثم في 10 /12 /1954 وصل لخنقة سيدي ناجي فيلق الخدمات 19 لفتح الطرقات داخل كتلة وسط الأوراس، واصدرت التعليمات للفيلق 25 لفتح مطارات للعمليات العسكرية في محيط كتلة الأوراس، وكذلك تعيين فرق للتموين تتولى توفير التغذية للقوات التي دخلت وسط الأوراس لمطاردة الثوار، وبذلك وفرت كل الشروط لهذه الحملة العسكرية الشرسة، ولكن قرار قيادة الثورة بعدم التصادم المباشرمع تلك القوات جعلها تصارع الطبيعة دون أن تتمكن من رؤية أي فرقة للثوار ماعدا تلك العمليات المبكرة في محيط "قم الطوب" شمال أريس والتي كانت بمثابة تنبيه للثوار بعدم المغامرة بالتصادم مع الحملة.

سادسا – رد ود فعل القيادات العسكرية:

لقد عمت الحسرة وخيبة الأمل الجميع نتيجة سوء أداء الحملة العسكرية التي بدأ ت نشاطا مكثفا بعد شهر ونصف من إعلان الثورة عندما فوجئت القيادة العسكرية بالأسلوب الجديد للثوار، وهو ما ينبئ بحرب مختلفة عن سابقاتها، فعلى الرغم من الإمكانيات المجنده، وما ترتب عليها من إستنفار واستنزاف للأموال، فإنها لم تتمكن من العثور على الثوار، وكأن الأرض قد بلعتهم أو أنهم لم يكونوا من صنف البشر، والملفت للإنتباه أن السلطات العسكرية في الأسبوع الأول دخلت المنطقة

1. البصائر العدد 308

بخرائط تبين المشاتي المشهور عنها الإنتماء "الحزب الشعب" بقصد إخضاعها، إعتقادا منها بأن" حزب الشعب" هو من فجر الثورة ويتحتم على دولة الإحتلال الإقتصاص من السكان المنتمين إليه، ونتيجة لذلك الإعتقاد الخاطئ إحترمت الكتائب العسكرية الحدود الإدارية لتلك المشاتي: مثل مشتة الحمام بكيمل التي عجلوا بحرق وتدمير كل مافيها بواسطة الطائرات، وكذلك الشأن بالنسبة لمشتة الهارة في محيط (زالاطو) ولعل المحلل لهذه الأحداث كلها يصل إلى نتيجة واحدة هي أن سي مصطفى ونوابه قد تمكنوا عمليا من تضليل إدارة الإحتلال عند ما أوهموهم بأن الهدوء قد عاد للمنطقة بعد الإضطربات التي إندلعت إحتجاجا على تزوير نتائج انتخابات 1951، ولكن بمجرد دخول حملة التفتيش الكبرى التي حاصرت الأوراس تغيرت لدى القوات الفرنسية تلك القناعة، حيث أصبح كل السكان مشبوهين في نظرهم، وبذلك أصروا إخضاعهم للتحقيق والعنف الأعمى كأعداء، فلا أحد ممن يصادفهم ينجو من بطشهم، فالكل يعامل كمشبوه في أمره، يجر مباشرة الى مراكز التوقيف والتحقيق، بما في ذلك الأطفال ما بعد سن 15 والشيوخ العجز، أما الشباب والكهول فهم جميعا مقبوض عليهم كمتمردين يخضعون للأعمال الشاقة والسخرة المجانية الطويلة الأمد في خدمة الحملة.

لقد تجمع خلال الثمانية أيام الأولى من الثورة، أكثر من 25000 عسكري بمنطقة الأوراس، إضافة إلى 800 جندي أحضرت على عجل من فرنسا يوم 1954/12/15، ومع هذا لم يحقق الغرض المطلوب من تلك الحملة، لذلك سارعت القيادة العسكرية لطلب المزيد من الإمدادات ليصل عددها في نهاية سنة 1954 أي خلال شهرين الى أكثر من 85000، ومع ذلك أدركت قيادة الحملة أن العدد غير كافي، ولا يفي بالغرض، فاضطرت لمضاعفة العدد ليبلغ خلال سنة 1955 حوالي 120000 جندي، بالإضافة إلى 10 كتائب للطابور المغربي

التي طلبها الجنرال (شيربير) القائد العام من وزير الدفاع (كوبيق)، وكتائب الحركى الذين جندوهم بسرعة منذ الشهر الأول للثورة، وبذلك ارتفع العدد سنة 1956 الى186000، ليصل في ما بعد إلى أكثر من 400000 جندي بالإضافة إلى 120000 من الحركى الإضافيين[1].

وتحت تأثير الخطة المحكمة للثوار الجزائريين في المنطقة نجد أن كل تلك القوات المسخرة لم تؤثر على الثورة بل زادتها إنتشارا في مناطق أخرى خارج محيط كتلة الأوراس، ودفعت السكان الجزائريين للإلتفاف حول الثوار تحت لواء الجهاد من اجل طرد المحتل، وبالمقابل ساد الأوروبيون والكلون القنوط واليأس والإحتجاجات على الإجراءات الغير مجدية، مطالبين بالضرب من حديد على يد من يتعمد تهديد بقائهم.

ونتيجة لذلك التذبذب في السياسات أسقطت الحكومة بعد ثلاثة أشهر من اندلاع الثورة، وكان أول انتصار سياسي وعسكري للثورة على (جاك سوستيل) رغم ما بذله من جهود عسكرية وإعلامية وديبلوماسية، ممادفع المحتلين إلى فرض حالة الطوارئ في منطقة الأوراس مبكرا وذلك بتاريخ 3 أفريل 1955 قبل أن يصدرها برلمانه في تاريخ 21 مارس1955، حيث شملت حالة الطواري هذه:

أولا: إنشاء المحتشدات في المناطق النائية.

ثانيا: إعطاء السلطة للعسكريين.

ثالثا: إنشاء جهاز للشرطة الريفية وتمكينها من إعتقال أي شخص دون رأي القضاء.

---

1. المرجع ارشيف حرب الجزائر ص 34 قصر فينسون باريس، وأيضا كتاب إستراتيجية العدو لتصفية الثورة وزارة المجاهديم ص156

رابعا: منع التنقل للبشر والسيارات دون ترخيص مكتوب، وبذلك قيدت هذه الحالة الحريات من اليوم الأول في الأوراس ومورس التعذيب والتوقيف التعسفي الغير قانوني، وأقيمت المحاكم العسكرية، وحرقت المداشر والقرى والمساكن الفردية، وبددت المحاصيل، وأتلفت الممتلكات، وفرض التهجير الذي نتجت عليه البطالة والتجويع والبؤس والحرمان[1].

كان الجيش الفرنسي معلقا كل أماله على الحشود العسكرية التي طوق بها المنطقة، ومراهنا على الإستفادة من الترحيل المبكر للسكان من الجبال لقطع المدد عن الثوار، ثم راح يستفز السكان بحتمية تعاملهم مع المخابرات بالترهيب والإغراء، ومن لايقبل أن يكون عميلا فهو عدو يخضع للسؤال والجواب والمحاكمات العسكرية التي أقرها النائب العام للعدالة على مستوى الجزائر بعد الجولة التي قام بها لمنطقة الأوراس بتاريخ 1954/11/12 ومنذ تلك الجولة أصبحت نشطة.

ورغم كل تلك الإجراءات الردعية، والحشود العسكرية المسخرة للقضاء على الثوار، فإن النتيجة كانت عكسية تماما، حيث بدأ الشباب المشتبه فيهم الالتحاق بصفوف الثورة، فتضاعف بذلك عدد أفواج جيش التحرير، بعد أن أصبح التجنيد في صفوف الثورة غاية نبيلة وشرفا ما بعده شرف تتغنى به الفتيات.

وهكذا فرض الثوار على المحتلين حرب استنزاف مكلفة وطويلة الأمد، سوف تأتي على كل مقدرات الجيش الفرنسي دون أن يجني منها سوى النكسة والخيبة وضياع الشرف العسكري، لكونهم وجدوا أمامهم سكانا مؤمنين بقدسية قضيتهم حرموهم من أية معلومة قد يدلي بها مغفل أو ساذج أو ضعيف إيمان بسبب تلك الكراهية والعجرفة التي لاقوهم بها فعمقت

1. المجاهد عدد 39 تاريخ 2أفريل 1955

الحقد في النفوس، وهو حصاد طبيعي لما زرعوه بأيديهم، فلو نشروا التعليم والمعرفة والإحسان بين الناس، وأقاموا العدل والرعاية الإنسانية لوجدوا حتما من يساعدهم ويكون إلى جانبهم سواء عن قناعة أو كنتيجة لذلك الإحسان والتعاطف، فمن زرع الجهل والبؤس لا بد أن يحصد الكراهية والحقد.

• الحملة الكبرى لحصار الأوراس

بعد تجمع القوات المستدعاة عن عجل لمحاصرة الثورة في الأوراس خلال شهر نوفمبر 1954 شرعت الحملة في تجميع قواتها قبل إقتحامها لعمق الأوراس تحت اسم (التطهير) هذا المصطلح الذي يعبر عن نفسه ويدل على أن فرنسا تريد تطهير الأوراس من أبنائه الثوار الذين أصبحوا خطرا على وجودها، لقد تقاطرت القوات الفرنسية من جميع الجهات لا قتحام حرمة المنطقة بقوة لم تشهدها خلال تاريخ الإحتلال، لقد تمركزت القوات المستدعية في خط يحيط بكتلة الأوراس كالخاتم لإقفال كل الأبواب في وجه السكان والثوار قبل الهجوم على وسطها لتفتيشها وكشف أسرارها واضعة في مخططها جملة من الأهداف منها:

الهدف الأول: يتمثل في تحديد العدد الحقيقي للثوار من خلال التحقيق مع كل الرجال في المنطقة مستغلين في ذلك سجلات الحالة المدنية، فمن أمسكوا به فهو مشبوه، أما من لم يعثروا عليه فهو ثائر، يصنفون الخاضعين للتحقيق حسب ميولاتهم منهم الحياديون، ومنهم المشاكسون، ومنهم العملاء الذين يمكن تجنيدهم للإستفادة منهم على مستوى المكاتب العربية والقياد والبشغوات والقومية لحراسة السكان والمراكز والقسم المهم يستغلونه في الجيش.

الهدف الثاني: ويتمثل في تطهير عمق المناطق الجبلية التي بدا لهم عدم القدرة على حمايتها من سكانها نهائيا، وقد وزعوا مناشير تحدد تاريخ إخلاء السكان لمناطقهم محذرين من لايطبق

أمر الإخلاء بالقتل، وستتولى الطائرات تدمير القرى والمساكن بعد تاريخ الإنذار.

أما المهمة الأخرى فهي قطع الأرزاق وكل مايستغل للغذاء من محاصيل زراعية ومواشي، وثمار فمايحمل ويصلح لهم يحملونه، والباقي يتلف أويحرق حتى لايستغله الثوار، مع تسريع إخراج السكان للمناطق المفتوحة حول المراكز العسكرية لقطع صلتهم نهائيا بالثوار.

الهدف الثالث: إستغلال كل السبل للقبض على الثوار وتشديد الحصار الطويل على من لم يتم القبض عليهم حتى يضطرون تحت وقع الجوع والخوف والقنبلة الجوية والبرية والتفتيشات لتسليم أنفسهم، وهو ما لم يتحقق خلال الحملة وحرموا من التصادم مع الثوار الذين عرفوا كيف يتوارون عن أعينهم ويتحاشون التصادم تطبيقا لتعليمات القيادة مستغلين زمن الحملة لتنظيم أنفسهم والتأقلم مع الحياة الجديدة في تلك الطبيعة التي ستصبح مجالهم المفضل وميدان حياتهم ومصدر قوتهم.

ونشير إلى أنه قبل دخول الحملات لعمق الأوراس أحضرت القيادة العسكرية كل المصالح المختصة في الجيش الفرنسي ليهيئ شروط الدخول السريع والمفاجئ من ذلك مثلا:

أ- إحضار قوة الهندسة المخصصة لفتح الطرقات في المناطق الجبلية المغلقة وفتح مطارات عسكرية تقتضيها المهمة قرب المراكز الكبرى، وأيضا وحدات الخدمات المختلفة كالتموين والإمداد.

ب- إدخال قوة خاصة من الإضافيين لحراسة المراكز العسكرية والتجمعات السكانية المنتشرة هنا وهناك ودوريات جلب المياه وقوافل التموين.

جـ- وحدات الخدمات الصحية والميكانيكية والإنقاذ التي تسند الفيالق المطاردة للثوار.

لقد شرعت الحملة بعد اكتمال عددها وعدتها في زحفها على الأبواب الأربع، باب الشمال الشرقي تابردقه خنشله فايس بوحمامه فم الطوب، ثم باب الشمال الغربي باتنه عين التوته حتى القنطرة، ومن الجنوب باب بسكرة ثم الزاب الشرقي وخنقة سيدي ناجي التي إستعملوها كقاعدة كبرى ومركز قياده عامة يجمع مختلف الوحدات المقاتلة والخدمات والمصالح الإدارية الإستخبارية التي أخضع لها كل السكان للتصفية والتحقيق والفرز.

خلال هجوم الحملة أوقفت في طريقها كل الرجال مافوق 16 سنة بما في ذلك الشيوخ الطاعنون في السن مستغلة أغلب الشبان والكهول لخدمة أفراد الحملة كمرشدين للطرقات، أومترجمين لتوضيح أسماء الأماكن والقرى لتطابقها مع الخرائط التي بين أيدي الضباط للتأشير عليها بما يلزم من ملاحظات جديدة، مع استغلال البقية من الرجال لحمل الأثقال مكان الشاحنات والدبابات.

يقول الجندي الفرنسي (جاك بيشو) الذي أدى خدمته لاحقا قرب خنشله لقد إحتفظنا برجل من جملة المشبوهين الذين أوقفناهم وحملنا عليه الجهاز (س 300) ثم قتلناه، وهكذا من لايقتلوه يقومون بتقديمه لمراكز التحقيق والفرز التي أنشوؤها في:بسكرة وخنقة سيدى ناجي، أريس، باتنه، خنشله.

والأشداء من الرجال يحجزونهم لعدة أشهر على مستوى المراكز العسكرية لأداء أشغال السخرة بفتح الطرقات وبناء الأكواخ، وغسل الثياب وطهي الطعام. ... ... الخ

وأكثر ما كان يعانيه السكان جهلهم للغة الفرنسية وجهل الفرنسيين للغتهم العربية وأسلوب حياتهم وتقاليدهم، كانوا يتصرفون مع من يجدون أمامهم كالوحوش أو كمخلوقات نزلت من القمر مجردين من أية إنسانية، فهم غاضبون مستنفرون حذرون وكأنهم يتعاملون مع الثعابين، فلا ثقة لهم في أي عربي

بما في ذلك عملاءهم من القياد والبشغوات الذين شملهم العنف والتحقيق بأساليب مهينة.

فالحملة خدمت الثورة في بدايتها، فلم يبق من يفكر في التعامل مع المحتل، فمن كان قادرا على حمل السلاح بدأ بطلب التجنيد في صفوف جيش التحرير، والقليل حمل السلاح مع العدو ليحموا أنفسهم وعائلاتهم وأموالهم ومصالحهم الضيقة من الجيش الفرنسي.

تفاجأ السكان المسالمون بأسلوب الحملة العدائي والهمجي، حيث كانوا يبعثرون محتويات البيوت البسيطة، ويحطمون الأواني الطينية، ويحرقون كل أنواع المؤونة بما فيها طعام الأطفال، وتمزيق كل ما هو مكتوب، خاصة المصاحف، ينهبون المواشي والدواب ويأكلونها، أما الدجاج فتلوى رقابها وتعلق في المعصم، بحمل البيض، تلتهم محتويات البيوت من سمن وعسل وزيت وتمر، ويسكب ما زاد عن الحاجة أو يسمم، تنهب الأشياء النفيسة خفيفة الوزن وغالية الثمن، تجرد النساء من مصوغاتهن التقليدية ذهبية كانت أم فضية فتختطف خطفا من أطرافهن غير مبالين بما يسببوه لهن من جراح، ليحتفظوا بها كذكرى يتباهون بها كدليل على مشاركتهم في حربهم النظيفة في الأوراس، وما يوجع القلب أكثر هو أن تلك التعسفات ضد الأطفال والنساء كانت تمارس أمام أعين الآباء والأزواج من الرجال الغيورين الذين يساقون قصرا ودون تمكينهم حتى من التزود بما يقيهم برد الشتاء القارص.

حقيقة كان أداء الحملة فعالا من ناحية الانتشار الشامل والتفتيش الدقيق الذي مس المنطقة بجزئياتها من جبال وسهول وشعاب ووديان ومخانق ومغارات، فلم يسلم شبر واحد من دنس أحذية عساكرهم، ولم ينجو بشر من قبضتهم ما عدا الثوار الذين كانوا يتفرجون على المشهد من بعيد يعدون أنفسهم للرد

على تلك التعسفات والممارسات في الوقت المناسب عندما تهدأ العاصفة ويصبح الرهان على ميدان القتال.

فذلك الحقد وتلك الكراهية تعتبر ان حصادا طبيعيا في حق الطغاة والحاقدين على الشعب الجزائري الأبي المسلم الذي أخذت منه أرضه ظلما وعدوانا.

- **شهادات على فظاعة الحملة العسكرية في الأوراس**

إن ما قامت به هذه الحملة من فضائع وما منيت به من خسائر وخيبة أمل كان مادة خاما لبعض الصحف مثل البصائر التي باتت تتكلم بكل صراحة عن خيبة الأمل التي منيت بها العملية العسكرية التي شنت على جبل احمر خدو والتي لم تتمكن من القضاء على أي فرقة من فرق الثوار الذين كانوا قد تسربوا إلى جهات أخرى حسب تكتيك معين يطبقونه في الميدان[1].

فنجد صحيفة "فرانس برايس" تعلق على ذلك بقولها: (ابتدأت اليوم عملية عسكرية جديدة في بلاد الأوراس تكتسي نفس أهمية العملية السابقة ويقوم بها نفس العدد الضخم من الجنود الذين قاموا بالعملية الأولى. وقد توصلت السلطات العسكرية قبل ذلك بأنباء تؤكد وجود جماعات كثيرة من الثائرين المنظمين في فرق تشمل كل واحدة منها نحو ثلاثين رجلا ولكن الحملة خلال العمليتين لم تحرز أية نتيجة من النتائج المعول عليها)[2].

وتذكر "البصائر" أيضا (بأن الحملة العسكرية إستمرت في التفتيش الدقيق، فكانت تلقي القبض على المشبوهين وتتلف

---

[1] البصائر عدد 303 1955/01/22

[2] صحيفة" فرانس بريس" يوم 1955/01/23

الكثير من مؤونة الأهالي وأودعت أربعين مشبوها في السجون، وفي عدد الموالي ذكرت (بأنهم قبضوا على 300 مشبوه)[1].

أما صحيفة (لوبسرفاتور) فنجدها تقول: (كنا نقول بأن العملية العسكرية الفرنسية في جبال الأوراس سوف لن تكون لها نتائج قبل الربيع القادم، وأن منطقة القبائل توشك أن تصبح بمثل ما هي عليه الأوراس، حيث قام الجيش الفرنسي بعمليتين داخل المنطقتين شاركت فيها عدة آلاف من الجند ولكن النتيجة الهزيلة التي لمسناها تذكرنا بتلك التي كنا نقوم بها في شمال الهند الصينية، وذلك نتيجة الإصرار على الحلول العسكرية على حساب الحلول السياسية ـ وكنا نحذر ونقول بأن التظلم الشعبي مع الثوار في الجزائر لايمكن إلا أن يتضاعف، كما كنا نلح على أن القمع والإضطهاد والمتابعات لاتخدم إلا المتشددين على حساب فكرة المعتدلين الأوروبيين في جبال الأوراس[2].

كما نجد أيضا الرأي الصريح للمسيحيين في المقال الذي نشروه في "بارسماتش" حيث أكدوا فيه :(بما أن الإستقلال هو حق من الحقوق، فيجب علينا أن نعترف به للآخرين كما نعترف به لأنفسنا، وعلينا أن نعترف صراحة بأن هؤلاء الثوار محافظون على صمودهم أمام جيش قوي)[3].

أما جريدة (لاكتزان) المسيحية فإنها راحت تستفسر عن شعار الحملة بقولها (ما معنى كلمة التطهير؟ إن كلمة التطهير، والتطهير المدقق وغيرهما، هي كلمات نفاق محض، تدل على التنظيف ولكنها في الواقع تخفي أشياء ليست بريئة ولا نظيفة، وكلمة التطهير بالنسبة لنا تعني استفاقة قرية نائمة على دق أبواب المساكن بكل خشونة وصلف، ودخول الجنود إليها بشكل لا يحترم شيئا من تقاليد قاطنيها، يقومون بتحطيم لأدوات

1. البصائر عدد 300
2. لوبسرفاتور 23 /02/ 1955
3. بارسماتش أورد المقال شريط الثورة في الصحافة الدولية 13/7/1955

المنازل، وقلب للأثاث رأسا على عقب، وهي تعني أيضا علامات التعجب التي تظهر على سحن السكان، والتي فحواها سؤال محير، كيف تسمح الحضارة الفرنسية لأبنائها استباحة الحرمات؟ وهي تعني جر رب البيت بين جنديين بحجة أنه مشبوه، هذه الكلمة التي تمثل في حد ذاتها الواقع المر والمهزلة الكبرى، فمثلا عند ماتقرؤون خبر إلقاء القبض على 300 مشبوه، فعليكم أن تفهموا بأن 600 أو900 رجل قد انتزعوا من عائلاتهم دون أي مبرر، ولكم أن تتساءلوا عما سيؤول إليه مصير أطفالهم وزوجاتهم الذين خلفوهم وراءهم، وعليكم أن تتصوروا هلعهم ومخاوفهم عندما لا يعود الأب بعد أيام وأيام. ....)[1].

وفي موضع آخر تتحدث صحيفة "فرانس بريس"، بأن وحدات الجيش الفرنسي بالأوراس قد أنهكها التعب ونال منها الإعياء نظرا لصعوبة الأرض التي تجري بها العمليات العسكرية دون أن تتمكن من تحقيق الأهداف التي حددت لها، ويمكن القول من الآن بأن هذه الحملة لم تحرز إلا مقدارا ضعيفا من النتائج الايجابية لأنها لم تتمكن من الإلتحام مع الثوار في أي معركة)[2].

ثم نجد السيد "هوذار" النائب الأوربي يندد بسياسة القمع والزجر والتعذيب التي تمارسها القوات الفرنسية ضد السكان، ويصفها بأنها شنيعة وجريمة منكرة وأنها خيانة للمبادئ التي إعتنقناها طيلة حياتنا).

أما السيد "ريموت فيو" الشيوعي فيقول :(نطالب بإنهاء العمل العسكري في الأوراس والقبائل، ونؤكد على أن إتباع

1. جريدة لاكتزان 4 فيفري 1955
2. فرانس براس 23 /01/1955

الحكومة لأساليب القمع والجزر سيقود الوطن للمصائب التي لا تعود على الفرنسيين إلا بالدم والدموع)[1].

وتؤكد نفس الصحيفة المذكورة (بأن القوات العسكرية التي تفتش جبال الأوراس في العملية الثانية التي بدأت يوم الأحد وشاركت فيها قوى عديدة من مختلف الأسلحة، بأنها قد إنتهت كسابقاتها ولم تحقق أي التحام مع الثوار فضلا عن القضاء عليهم، وإنما كل الذي حققوه هو القبض على بعض المشبوهين، وذكرت بالمثل المعروف (تمخض الجمل فولد فارا) وتضيف في موضوع آخر: (بدأت حملة كبرى أخرى في الأوراس بحشود متنوعة من رجال ومعدات، حيث انطلقت من جبال الملح شمال غربي بسكرة وامتدت حتى جبال النمامشة شرقا، وكانت معززة بالطائرات والمدفعية والدبابات، وقد أنهك التعب الشديد الوحدات، ونال منها الإعياء نظرا لصعوبة الأرض، ولم تتمكن من الوصول لغرضها ولا للأهداف التي حددت لها، وحكم عليها بالفشل لكونها لم تحقق ما جندت من أجله)[2].

ونقرأ للبصائر قولها (بالرغم من أن قيادة الحملة قد أحكمت الحصار بربط حزام متماسك يحيط بكتلة الأوراس كالخاتم على الأصبع، تحسبا لصد أي محاولة إفلات من الحصار إلى المناطق المجاورة، فإنها وبشهادة الصحافة الفرنسية لم تحقق غايتها رغم أنها ا كملت كل الترتيبات من أجل القبض بدون أدنى شك على كل من تصادفه أمامها في الميدان ولكنها لم تحقق إلا إتلاف مؤونة الأهالي وسجن أربعين مشبوها، وفي العدد الموالي أيضا ذكرت بالقبض على 300 مشبوه آخرين)، وتواصل في فقرة أخر ى قولها: (لم تتكلم الأنباء عن الحالة العسكرية في بلاد الأوراس بعدما عانت الوحدات لتكثانها بعد

1. نفس المرجع 1955/1/23
2. فرانس بريس 1955/01/11 نفس التاريخ

العمليتين اللتين كانت ترجو منهما القضاء على الثوار أو على أكثرهم على الأقل ولكنها لم تحقق أي نجاح)[1].

وهكذا فلقد تعاملت الحملة مع سكان المنطقة بأسلوب عدائي عنيف غير متحظر خاصة وأن الطرفين كما ذكرنا يجهلان لغة بعضهما البعض، فسادت لغة الإشارات العنيفة واللكمات والركلات والضرب بمؤخرة البنادق وتكشير الوجوه وتقطيب الجباه، والتطلع بالصيحات والزفير المرعب الذي أفزع الأطفال والنساء اللائي لم يسبق لهن مشاهدة لا الزنجي الأسود ولا حتى الأوربي الأبيض المسالم فما بالك بالمتعجرف المتوعد، كم كان ذلك مزعجا مع سحب الرجال وترك الأطفال والنساء يواجهون المصير المجهول في غياب أوليائهم.

ولسوء الصدف فقد تصادف إلقاء القبض على "الرمز مصطفة بن بولعيد" مع الحملة ا لمحاصرة للأوراس، وذلك بين الحدود التونسية والليبية، ونقلت البصائر نبأ تلك الفاجعة بقولها:(تم إلقاء القبض في الجنوب التونسي على السيد بن بولعيد مصطفى أحد قواد الثورة في جبال الأوراس ورفيقه محمد عمار بن محمد القرشيشي، ويؤكد الرسميون الفرنسيون بأن القبض على السيد بن بولعيد هو أهم حدث منذ بدأ العمليات يوم غرة نوفمبر 1954)[2].

- **إنشاء مراكز للتحقيق مع سكان المنطقة**

أؤكد على أن التعسفات التي كانت تطبق على مستوى هذه المراكز خلال تلك الحملات التفتيشية الكبرى، كانت متشابهة في عمومها، فأسلوبها واحد، وعنفها متشابه، ووحشيتها فوق تصور العقل، فكان طابعها العام البطش، والزجر، والعجرفة، والحقد الدفين، وكان أخطرها على الإطلاق مركز "خنقة سيدي

1. البصائر العدد 303 1955/1/23،
2. البصائر العدد 306 12 فيفري 1955

ناجي"، لأنه كان مخصصا لسكان المنطقة الغابية التي تمثل عمق الأوراس، ونظرا لهذه الخطورة ركزت عليه أكثر من غيره لكوني كنت مطلعا على تفاصيل ما تم داخله من جرائم لأن أهلي وعشيرتي سكان "كيمل" كانوا من ضحاياه،ولأنه كان مخصصا لسكان المنطقة الغابية الذين صنفتهم إدارة الإحتلال على أنهم حلفاء للثورة بحكم الموقع الجغرافي المعزول، وهو ما تؤكده "جريدة البصائر" بقولها:(إن مركز خنقة سيدي ناجي هو أهم المراكز على الإطلاق، وأشدها اكتظاظا وازدحاما ووحشية)، وقد دعم هذا المركز بترسانة بشرية متخصصة في نزع المعلومات والتعذيب الوحشي بكل وسائل الاستنطاق والتعذيب على أيدي عسكريين تنازلت لهم الإدارة المدنية الرسمية على كل صلاحياتها.

- **مركز خنقة سيدي ناجي (كنموذج)**

بعد أن أنهت الحملة تفتيشها الدقيق لكتلة الأوراس، فإنها ساقت لمركز "خنقة سيدي ناجي" كل رجال الأعراش الآتية:

عرش كيمل، عرش الولجه، عرش بني ملول، عرش البراجه، بعض سكان بوحمامه، أعراش "جبل أحمر خدو"، وبعض سكان الزاب الشرقي، فكل رجال هذه الأعراش إقتلعتهم الحملة العسكرية من عائلاتهم وجرتهم جميعا إما لخدمة الحملة لعدة أشهر ،أولمركز التحقيق (بخنقة سيدي ناجي) والفزع والخوف يملأ قلوبهم، والتعب والألم والجوع يرهقهم، بعضهم حشر تحت الخيام والأكثرية خارجها تحت الصقيع في الهواء يفترشون الأرض ويلتحفون السماء، ومع ذلك لم يجزعوا من ألم الطبيعة، إنما كان جزعهم من عنف الوحوش البشرية الضارية التي وقعوا فريسة لها، والتي كانت تعاملهم بدون رحمة كأعداء، للإستفادة مما يعرفونه من معلومات على الثوار.

بدأت المناداة عليهم الواحد تلو الآخر تحت وطأة الانكسار النفسي والخوف من المصير المجهول، يطويهم الجوع والألم

الكمات والركلات المصوبة بعناية للأماكن الحساسة لأجسامهم المنهكة من جراء الأثقال التي أجبروا على حملها خلال فترة الحملة.

بدأ المترجمون في الإستنطاق كل حسب ما انطوت عليه نفسه من خير أو شر، فهناك من كان يتعمد إخفاء المعلومات التي يدرك أنها لم تكن في صالح الضحية المستنطق الماثل أمامه، أو أنها تسيئ للثورة، بينما البعض الآخر كان يبالغ في تضخيم الجرم على المستنطق الذي لايفهم ما يقال عليه، يتعمد ذلك بعامل الكراهية والحقد، أو بالتزلف لإرضاء الفرنسي، كان التحقيق يشمل أدق الجزئيات، ويمارس بأشنع الطرق، كانت صيحات المستنطقين تصم الآذان، يتخللها أنين يقطع القلوب، كان الدم النازف من أجساد ضحايا الضرب الوحشي يروي الأرض العطشى المثقلة بجرم الباطل، وامتزج الطين مع الحصى من جراء تلك المياه الطافحة من الغطس والرفس على البطون لتتدفق من جميع مخارج الجسم المتألم، أحضرت أسلاك الكهرباء الصاعقة لتشوى الجلود وتزيد الجراح تورما خاصة في الأعضاء الحساسة، لقد غارت العيون وراء هالات من جيوب الدم النازف تحت الجلد الذي إشتدت زرقته، وانتفخت الأرجل وتورمت، وتمزقت الشفاه، وإقتلعت الأظافر بالكلاليب، نتفت اللحى وأحرقت، فتحولت بذلك الأجساد إلى كتل من اللحم الذي تغير لونه، فلا تكاد تفرق بين الفم والعين والأنف، وياويل من كان محل تقارير أو وشاية من "القياد" و"الباش اغات" على أنه كان مشاغبا أو رافضا للسخرة، أوممتنعا عن دفع المستحقات الضريبية، أو كان متعاطفا مع الخارجين عن القانون الفرنسي.

كان التعذيب منصبا بصفة مبالغا فيها على الأفراد الذين قبض عليهم وهم مسلحون، أذكر في هذا الشأن على سبيل المثال المجاهد الأسير "بلقاسم عاجل" و"أبوه عبد الحفيض بن عجول عاجل" أخ، ووالد قائد الثورة في تلك المنطقة "عاجل عجول"،

كان المستنطقون يتداولون على هذين الرجلين ليل نهار في مكان واحد، وفي زمان واحد، إمعانا في التشفي بتجريد الإبن "بلقاسم" من لباسه أمام أبيه ويعذبونه بكل أنواع التعذيب، ثم يلتفتون للمعذب والده بعد تجريده من لباسه عن قصد أمام إبنه، ويصبون عليه العذاب الذي يقطع القلوب، تماما كما كانوا يفعلون مع "محمد بن الصادق بلمسي" شقيق الثائر "العايش بن الصادق بلمسي".

لقد تعمدت ذكر هؤلاء الضحايا الثلاثة المنتمين لعرش "كيمل" كنموذج لكثير من الضحايا الآخرين على مستوى الأعراش الأخرى، والقائمة طويلة لا يتسع المقام لذكر أفرادها المعذبين

تلك هو الأسلوب الوحشي الذي ساد عملية التحقيق مع الموقوفين الذين صنفوا حسب الأعراش، كل عرش يحشرون رجاله في زاوية خاصة بهم وهلم جرا، كان التركيز أكثر على مناضلي حزب (حركة انتصار الحريات الديمقراطية) على أساس أن الحركة هي من أعلنت الثورة قبل أن يكتشفوا حقيقة براءة مصالي وحزبه من إعلان ثورة نوفمبر 1954، كانت عمليات التحقيق تتواصل لعدة أيام بالنسبة للبعض، وعدة أشهر بالنسبة للآخرين الذين إستمرت معاناتهم مع غموض المصير، ناهيك عن القلق على الأبناء والعوائل التي أودعوها في رعاية الله الغالب القهار وسط الغابات مفزوعين مذعورين دون غذاء، ودواء، وبعد الإنتهاء من التصفية والفرز يوجه من كان مشتبها في أمره الى المحاكم العسكرية التي كانت قد باشرت نشاطها منذ أول يوم للثورة، وذلك بتفويض من النائب العام على مستوى الجزائر الذي قام بجولة للاوراس لنفس الغرض، أما من ثبتت براءته فيطلق سراحهم ويجبرون على الرحيل من عمق المنطقة الغابية إلى خارجها، والويل كل الويل لمن يعثرون عليه مرة أخرى خارج المناطق التي حددوها لتجمع السكان والتي كانوا يطلقون عليها (مناطق الأمان).

ولا غرابة بأن يكون الاهتمام مركزا على هؤلاء السكان الذين تبنوا تفجير الثورة بصفة فعلية داخل العمق الجغرافي المعروف بمنطقه الغابي الكثيف، والذين اكتسبوا صلابتهم من طبيعتهم القاسية، لذلك فإن الحملة العسكرية مستهم فردا فردا، وبيتا بيتا، وذلك بأسلوب عدائي عنيف وغير إنساني وغير متحضر، تحدثت به بعض الصحف "كالبصائر" التي ذكرت بأن الرجال المنتزعين من عائلاتهم سيقوا جميعا إلى مركز خنقة سيدي ناجي، الذي كان له الحظ الأوفر باعتباره مخصصا لسكان قلب الأوراس المشاع عليهم عدم الانضباط والعصيان، وذلك بحكم الموقع الجغرافي البعيد عن مراكز السلطة)[1].

- **اللجوء المبكر لإستغلال الطابور الخامس**

من خلال الحملة المشار إليه انفا واعتبارا لمحدودية نتائجها أدرك العدو أن العنصر الغريب على المنطقة وسكانها لايحقق الغرض المطلوب، لذلك بدؤوا يفكرون في تجنيد العملاء والمقربين للإدارة الفرنسية، ليشكلوا منهم كتائب "القومية" (الحركى)، ذلك ما أكد عليه كاتب الدولة للدفاع السيد (شوفالي) (بأنه لابد من الإستعانة بأصحاب الأرض الذين تزكيهم الإدارة الفرنسية وأذنابها "القياد" و"الباش اغات"، وذلك ليكونوا عونا لهم على مواجهة الثورة وطعنها من الخلف، وقد تمكنوا من تكوين "كوماندو" من "الحركى" خلال الثلاثة أشهر الأولى للثورة، وذلك في محط أريس، ومنذ ذلك الوقت تواصل تكوين كتائب من "الحركى" و"الصبايحية" و"الدفاع الذاتي"، وقد نوه كاتب الدولة السيد (شوفالي) بدورهم، واعتبرهم مكملين لدور المكاتب العربية ووحدات الجيش الفرنسي.

ما يؤسف له أن بعض النخب المثقفة من الفرنسين الأربيين الذين تنكروا لعقيدتهم وثقافتهم المناهضة لمبدأ الإستعمار، فأبدوا تعاطفا مع غلاة الإستعمار من الكلون المحتلين لأجل أن

---

[1]. البصائر العدد 303 4 فيفري 1955

تبقى الجزائر فرنسية، أذكر من بين هؤلاء الأستاذ المتخصص في علم الأجناس (جون سارفيه). الذي ساهم في إقناع المغفلين من السكان الأصليين بذلك الدور المخزي، ولكونه كان ينطق باللهجة "الشاوية المحلية" فإنه قام بتجنيد الكثير من "الحركى" إلى جانب الجيش الفرنسي الذي كون منهم كتائب ضد الثوار.

هكذا بعض المثقفين الفرنسيين راحوا يطبقون النظريات العلمية التي كانوا يدرسونها في الجامعات، فدخلوا وسط الأعراش المحلية وجندوا بعض أبنائها، وبذلك وضعوا أنفسهم في خدمة الحملة العسكرية المتوحشة التي صبت غضبها على السكان العزل ضحايا الإستعمار الغاشم، مستغلين في ذلك السذاجة، وضعف الوعي، والحرمان، والفقر.

وبذلك تمكنوا من التغرير ببعض "الشبان الجزائريين البسطاء" الذين لم يدركوا أبعاد تورطهم ضد الثورة، فانخرط رهط من هذه الفئات في صفوف الجيش الفرنسي تحت إسم القوات الإضافية، كانت أشد وطأ على الثورة من أفراد الجيش الفرنسي الغريب على المنطقة

وقد نوه الجنرالات الفرنسيون بجهود الحركى المجندين في صفوفهم منهم الجنرال (صالون) الذي يقول عنهم: (إن الحركي هو أول من يدخل عند قيامنا بمراقبة لأي "دوار"، كما أنهم يسهلون الاتصال مع الشعب، وفي المعارك أيضا فإنهم يظهرون شجاعة كبيرة، وهو ماجعل استخدامهم أساسيا وإيجابيا جدا)[1].

مع العلم أن الجنرال 'شال' كان قد اشترط على رئيس الجمهورية "دوقول" تجنيد الكثير من الحركي لنجاح مخططه الجهنمي الذي أعده بعناية كبير لخنق الثورة.

---

[1] كتاب استراتيجية العدو لتصفية الثورة وزارة المجاهدين ص322

وهكذا منذ ديسمبر 1954 بدأ البحث على عناصر تتوفر فيهم شروطا معينة تؤهلهم للمهمة القذرة التي ستسند لهم، وأوكل الأمر لبعض العملاء لتجنيد العدد المطلوب من أبناء عشيرتهم المقربين، وتخييرهم بين خيارات ثلاثة، إما التجنيد إلى جانب الجيش الفرنسي "كحركى" أو السجن، أو الإلتحاق بجيش التحرير.

وتجدر الإشارة إلى أن الجيش الفرنسي قد إضطر أيضا بتاريخ 12/02/ 1955 إلى إستدعاء 10 كتائب من الطابور المغربي التي دخلت الأوراس، وقامت بأدوار خطيرة جدا على المنطقة وعلى السكان، وكنا نعرفهم (بأصحاب البرانس) لأنهم يلبسون البرانيس البيضاء للتمويه.

- **الأسباب المباشرة لتجنيد الحركى في الأوراس**

وكما بينا فإن القاده الفرنسيين قد إهتموا خلال الأشهر الثلاثة الأولى للثورة باستغلال الجزائريين ضعيفي النفوس المغفلين، وذلك ليجعلوهم وقودا لحربهم في الجزائر، وسخروا لذلك بعض رجال العلم الجامعيين من أمثال (جون سيرفي) الذي كان يحسن اللغة العربية وحتى الشاوية، والذي إنغمس في وحل العقيدة الإستعمارية، فوضع نفسه وعلمه وخبرته تحت تصرف (الجنرال دي كورنو) صاحب الخبرة الطويلة في حرب العصابات في الفيتنام والذي نزل بفيلقه بقرية "فم الطوب" حيث ساعده عالم الأصول هذا في تكون فرق "الحركى" الجزائريين في محيط أريس بالتعاون مع "القايد السبتي" و"الصالح بن عمار فروجي" و"بوشكيوه" في أريس، و"علي بوحنيشه" في كيمل و"محمد أوعباس" في قايس واخرين، وقد نشبت معارك طاحنة خلال شهر ديسامبر في منطقة" فم الطوب"، و"خنقة تاغيت"، و"خنقة معاش"، إستشهد فيها الكثير من المجاهدين منهم الشهيد "قرين بلقاسم" وكل أفراد الفرقة التي كان مسؤولا

عليها، ونتيجة لتلك الخسائر المبكة قررت القيادة الثورية تأجيل التصادم مع قوة الحملة العسكرية الفرنسية المستفزة إلى حين.

ووفق ماذكر يتبين لنا بأن الإستعمار لجأ إلى تجنيد هذه الفئات لتحقيق بعض الأهداف منها:

أولا: إحداث الفتنة والعداوة على مستوى البادية بين العائلات، وبين التجمعات السكانية لإحداث الفرقة بين مكونات المجتمع، وذلك بتسليط الحركى على الأحياء المتعاطفة مع الثورة وعلى عائلات الثوار، طمعا في عودتهم من الجبال.

ثانيا: استغلال تجنيد "الحركى" إعلاميا، ليظهر المستعمر لمواطنيه وللعالم بأن الثورة صنيعة أفراد مغامرين، ومغرر بهم من بعض العناصر الحزبية المحدودة التأثير.

ثالثا: تشجيع الأعوان التقليديين للإدارة، والمتعاطفين معها، بتجنيد حراس لهم من بين أقاربهم وأتباعهم "كحركى"، وبالتالي فصلهم نهائيا عن محيطهم الاجتماعي.

رابعا: الاستعانة بالحركى على جلب المعلومات، وتسخيرهم في شتى الأدوار التي يعجز الفرنسيون على أدائها.

خامسا: استعمالهم حراسا ومراقبين للتجمعات السكانية التي فرض عليها النزوح والإستقرار حول مراكز الجيش (مناطق الأمن) كما كانوا يسمونها.

سادسا: وهو الأهم استعمالهم في مقاتلة اخوانهم الجزائريين حفاظا على الدم الفرنسي، مستغلين في ذلك سذاجتهم وجهلهم لأبعاد المؤامرة، وكذلك مغريات الأجر الزهيد، والتباهي بحمل السلاح أو ترضية أقربائهم من العملاء الذين تطوعوا لحمايتهم.

ولا يفوتنا هنا أن نؤكد بأن الإدارة الفرنسية، والفرق المتخصصة في الحرب السيكولوجية قد جندت عناصر أخرى خفية باللباس المدني، كانوا يؤدون مهام سرية وخطيرة، تحت

مختلف التسميات، متخفيين، او مساعدين أومستشارين مخبرين وجواسيس سريين، وحرصوا على أن يجندوا تلك العناصر من القبائل التي ينتمي لها بعض قادة الثورة البارزين: كقبيلة بن بولعيد، وقبيلة عاجل عجول، وقبيلة بوستة للتأثير على مصداقيتهم، والتمكن من التقاط أخبارهم، وللحقيقة التاريخية نقول بأننا كنا نعرف بعض أقارب المجاهدين الذين وقعوا ضحية لهذا العمل الدنيئ، ولكننا ولحساسية الموقف غضضنا الطرف عنهم تجنبا للفتنة، وعندما ترفع السرية على أرشيف الثورة سيتفاجأ احفادهم بذلك.

ويمكن القول بأن الإستعمار قد نجح في تجنيد عدة كتائب كان خطرها مضاعفا على خطر قوات العساكر الفرنسية نفسها وذلك لكونهم جزأ من المجتمع الجزائري، ومن نسيجه، يعلمون عليه الكبيرة والصغيره، فتحوا أعين المخابرات الفرنسية، تسللوا بين صفوف المواطنين بلباسهم المدني العادي، ويسترقون السمع ويبلغون المعلومات لضابط المخابرات،وكانوا يدلون العدو على الأماكن السرية في الطبيعة كمنابع المياه والمغارات والطرق الخفية بين الفجاج والكهوف وكل ما من شأنه أن يستغل من طرف الثوار، كما كانوا يقومون بمداهمة السكان في الأرياف ليلا في قراهم، فيقترفون الجرائم، ومع ذلك فإن الفرنسيين لم يثقوا يوما في ولاء رجال الحركى لهم، حيث كانوا يدسون دائما في أوساطهم من يراقب تصرفاتهم ويرصد حركاتهم، فيعينوا على مستوى الفرق المقاتلة فرنسيا قائدا عليهم مجهزا براديو مواصلات ليبقى على اتصال مع القيادة في كل صغيرة وكبيرة، وليستنجد بالطائرات في الوقت المناسب.

وهذا لايعني أنه لايوجد من بين الحركى من خدم الثورة خفية، بل هناك من تجند في صفوف الحركى من أجل الحصول على السلاح ثم إلتحق بالثورة بصفة فردية أو جماعية من ذلك على سبيل المثال المجموعة الكبيرة التي إلتحقت بالثورة من حركى

"عرش التوابه"، ومجموعة "بني ملكم"، وهناك من اختار التطوع بالعمل من داخل التكتلات ليكون عينا للثوار.

- **إعتماد الحرب السيكولوجية مبكرا**

إن للحرب النفسية تقنية خطيرة مكملة للعمليات العسكرية، وهي مجهود آخر من أجل السيطرة على روح الجماهير، وهي موجهة ضد الخصم للتأثير على فكره وعواطفه وسلوكاته، ولذا شرع في تنفيذها منذ بدأ الثورة باقتراح من الجنرال "برلانج" المعجب بدورها في المغرب، ولقد ظهرت فرق الفصائل الإدارية المتخصصة في هذا الميدان على مستوى المدن والريف، هذه الفرق التي كان من أهدافها الكبرى الأساسية:

عزل الشعب عن الثورة، 2) خنقها، 3) ثم السعي لتفجيرها من الداخل.

لقد بلغ عدد الفرق المتخصصة سنة 1956(160) فرقة ثم ارتفع العدد بعد سنة 1958 ليبلغ 679 فرقة.

كما نجد أن الأسباب التي أدت الى نشر هذه الفرق المتخصصة (صاص) تتلخص في:

أولا: فشل العمليات العسكرية الكبرى أمام ضربات الثوار خاصة في المعارك الكبرى.

ثانيا: سوء تسيير البلديات الريفية بالخصوص وفشل "القياد" و"الباش اغات" وأعوانهم في كسب ثقة السكان.

ثالثا: نقص المعلومات نظرا لغياب العلاقة الحميمة بين إدارة الإحتلال والسكان الجزائريين الأصليين.

رابعا: فشل المكاتب الإدارية والمتصرفين في البلديات (المختلطة) على وجه الخصوص.

كل ذلك وغيره من الأسباب سارع المكتب الخامس في نشر الضباط المتخصصين بغية جلب نفوس وقلوب الجزائريين المسلمين، وخلق مناخ مناسب يساعد على تطبيق الإصلاحات التي تحسن صورة فرنسا وترسخ تواجدها في الحكم.

ولقد تم التركيز على هذا السلاح الفتاك بعناية حيث حضي بالتنظيم والتقنين منذ مطلع سنة 1955، فأحضر من المغرب إلى منطقة الأوراس في تاريخ 30/03/ 1955 "الثمانية عشر" ضابطا من الضباط المتخصصين في الشؤون الأهلية على عجل، ثم أضيف لهم عدد 250 ضابطا آخرين وزعيمهم الجنرال "برلانج" كضباط متخصصين في الشؤون الأهلية (صاص sas)، وخلال شهر جويلية 1955 صرح "لاكوست" بأنه يراهن على العمل السيكلوجي للتأثير على النفوس استمالة القلوب، ونتيجة لذلك بادروا بإنشاء ثلاث فروع على مستوى الجزائر، واحد في الجهة الغربية من الوطن، والآخر في الوسط والثالث في الشرق، وقد لعبت هذه الفروع دورا مهما بواسطة المكاتب العربية وفرق (صاص) للتأثير على معنويات القوى الحليفة للثورة وزعزعة الثقة في النفوس، وفي القيادة، بل وحتى في الخيارات والمعتقدات والهوية والتاريخ، واعتماد الفتنة والشقاق والتناحر بين الصفوف لشل روح المقاومة وإفشاء اليأس والقنوط واستصغار الذات، واستمالة ضعفاء الوطنية والإيمان.

كان المعين الأساسي في كل ذلك مايطلق عليهم (جلادي العرب) من "القياد" وأبنائهم و"الباش اغات" وأقربائهم، وكل زبانية العمالة المجانية الذين ربطوا مصيرهم بمصير عدوهم متنكرين وباصرار لبني جلدتهم ودينهم وقوميتهم، فتطوعوا كجنود أوفياء للفرق sas المتخصصة التي قال عنها "لاكوست" (أؤكد لكم بأني أعلق أهمية على نجاحكم في مهامكم).

لكل ذلك لعبت فرق (صاص) دورا خطيرا على الثورة خاصة بعد أن تعززت خبرتهم بالممارسة الميدانية على أساليب وطرق التخويف والترهيب، وكذا نتيجة لدورات التكوين التي كانت تتم على مستوى حي تيليملي في البداية. تحت إشراف الكولونيل (لاشوبوي)[1].

لقد إستعملوا كل الوسائل المتنوعة في نطاق علمهم: كالدعاية المكتوبة والمناشير، أو المنطوقة بواسطة مكبرات الصوت وكذا المرئية من خلال السينما والفرق الطبية الجوالة أو الثقفة، والفرق الرياضية، والنوادي الثقافية والحرفية الخاصة بالشباب والشابات، وقد تمكنوا من تجنيد 176 عنصرا من "الحركى" بمدينة أريس على يدي القايد السبتي، و 200 حركي زائد 170 من الدفاع الذاتي في الشمول، وبكيمل جندوا 70 حركى و 40 من الدفاع الذاتي، وفي "منطقة وادي الطاقة" جندوا أيضا 30 عنصرا من الدفاع الذاتي. وبالتدريج تضاعف العدد ليصل خلال سنة 1962 حسب المؤرخ حربي الى (160) ألف عنصر، بينما بعض الإحصائيات الرسمية تحدد العدد بـ (120) ألف عنصر ،غير أن (ميشال رو) يحدد العدد بـ(158) ألف عنصر.

- **العدو يواصل إجراءاته الردعية لمواجهة الثورة**

بعد أن زلزلت ثورة الفاتح من نوفمبر 1954الأرض تحت أقدام المحتلين الغاصبين وهزت كيانهم، وأربكت خططهم، راحوا يستنفرون ويحفزون قواتهم العسكرية المتصارعة مع الطبيعة الصعبة للأوراس في أكبر حملة جندوها منذ تاريخ إحتلالهم للجزائر، وذلك كرد فعل عنيف منهم ضد الثورة التي فاجأتهم بتنظيمها وفعاليتها وشموليتها، لقد راحوا على غير عادتهم يهرعون إلى إستغلال كل إمكانية الدولة الفرنسية المستنجد بها من وراء البحر في الأراضي الفرنسية، وللجوء إلى إعتماد كل

1- كتاب العنف والتعذيب كلاود ليبوزو ص 225

الإجراءات الإستثنائية الخارجة عن روح القانون، مثل فرض الحالة الإستثنائية بدون سند قانوني، وأيضا تفويض السلطه المدنية للعسكريين المدعمين بغلاة الإستيطان من "الكولون المطالبين بحمل السلاح لتكرار تجارب أسلافهم الذين إجتهدوا في إبادة الجنس العربي وإزالة قراهم ومعالمهم من فوق الأرض، وافتخار القادة العسكريين بجمع جماجم وآذان ضحاياهم من الجزائريين،بيع النساءالمسبيات والأطفال المختطفين.

وقد فاتهم تحت تأثير الصدمة التي صعقتهم بأن هذه ثورة قد توفرت لها كل شروط النجاح، فهي جاءت شاملة، ومنظمة وبمقاوميين مدربين على حرب العصابات الطويلة النفس يدعمها مجتمع متماسك حول الهدف، إكتسب خبرته من خلال المقاومات السابقةعبر 130 سنة.

ويمكننا التركيز على أهم القرارات التي إتخذتها الحكومة الفرنسية تحت تأثير مفاجآتها بأحداث ليلة نوفمبر وهي:

القرار الأول: تنازل السلطة المدنية عن صلاحياتها للسلطة العسكرية، مما يدل على أن عجزهم عن الإحاطة بالثورة جعلهم يعتقدون بأن الجيش وحده الأقدر على مواجهتها، فلم يكن أمامهم إلا أن يخولوا الجيش بكل الصلاحيات، وأن يحرروه من الضوابط القانونية التي تكبله وتحد من مسعاه في إرتكاب الجرائم التعسفية، رغم أن البرلمان لم يقر الحالة الإستثنائية إلا خلال شهر مارس 1955، في حين أن غلاة القادة الفرنسيين قد بادروا بتعميم حالة الطوارئ في المنطقة الشرقية ومنطقة القبائل مباشرة بعد إعلان الثورة.

وللإشارة فإن تفويض الجيش بتحمل الصلاحيات المدنية هي بدعة قديمة نصح بها المرشال "بيجو" بقوله: ((إذا أردتم المحافظة على الجزائر، فعليكم أن تكونوا جيشا قويا بعدده وعدته في السلم تماما كما في الحرب)). وردنا على مقولة

"بيجو" وأتباعه هو مقولة "الجنرال جيباب" المشهورة (الاستعمار تلميذ بليد لا يحفظ دروسه). فهم لم يأخذوا العبر من حروبهم السابقة، فيكررون الأخطاء نفسها.

وقرار التنازل للعسكريين عن السلطة نتج عنه مباشرة الاستغناء عن نظام "البلديات المختلطة" الذي كان سائدا في السابق، فشمل الحكم العسكري كل السكان بحجة التهدئة واستعادة الأمن، وأصبح توقيف المواطنين يتم بصفة عشوائية، حيث يساقون إلى التجمعات العسكرية التي تستغلهم أبشع استغلال لأيام طويلة بل ولأشهر، يخضعون لشتى أنواع الانتهاكات الجسدية والنفسية، وقد تصل أحيانا إلى حد القتل، فلا رقيب ولا حسيب على ممارساتهم، يتفننون ويبتكرون أبشع أنواع التعذيب، من ذلك مثلا جعل المساجين كأهداف للرماية ومن يقتل في هذه الحالة يشاع عليه جرم الفرار، أما الجرحى فيتركون بدون علاج حتى الموت.

القرار الثاني: يتمثل في جريمة ترحيل السكان من مناطقهم الأصلية ابتداء من الأسبوع الأول للثورة، واجتثاثهم من جذورهم، ليحشروا حشرا كالبهائم في محيط محصور بالإجراءات الأمنية يفتقر لكل ضروريات الحياة الكريمة، حيث لم يوفروا لهم حتى الخيام في عز فصل الشتاء، وبذلك أحالوهم على البطالة القهرية بعد فصلهم عن مصادر رزقهم كالفلاحة وتربية الماشية والنشاط الحرفي، ورغم كل هذا الغبن نجد السيد "متران" وزير الداخلية آنذاك الذي أدى زيارة لناحية "أريس" و"فم الطوب" و"خنشلة "يصرح بكل وقاحة بأنه قد تأكد شخصيا من عملية تجميع السكان ووجدها جد مرضية، وأن وضعهم مطمئن.

نعم وضعهم بالنسبة "لمتران "مطمئن لأنه تمكن من فصلهم عن الثوار، والحقيقة التي لم يسع الصليب الأحمر الإطلاع عليها كانت جد مأساوية، خاصة بعد أن فوتوا عليهم فرصة

حرث أراضيهم وسط الجبال التي أصبحت محرمة عليهم، كما منعوهم من قطف ثمار غلالهم التي آلت إلى الإتلاف، كما منعوا من الإشراف على قطعان مواشيهم التي تركت نهبا للصوص والذئاب، وما تبقى منها حشر في مساحات جرداء، فكان قرار الترحيل في حد ذاته "حرب تفقير وفرض تقاعد إجباري" عرض السكان للأوبئة والأمراض الفتاكة الناجمة عن الاكتظاظ وعدم النظافة وسوء التغذية، والكثير جدا من الإهانات واستباحة الأعراض.

القرار الثالث: ويتمثل في تدمير المساكن الفردية والجماعية داخل عمق الأوراس التي رحل منها سكانها حتى لايستغلها الثوار، وإتلاف المحاصيل وكل ما يمكن أن يستغله الثوار، وقد تكلف سلاح الجو بالحرق والتدمير وقتل كل من يشاهد في المناطق المحرمة، ونذكر أنه خلال الأسبوع الأول قصفت الطائرة مواطنا من سكان كيمل بمشتة تاجين دون أي سبب، وفسر المواطنون ذلك بأن الطيار ومساعده كانا يتلذذان بالقتل ليس إلا.

القرار الرابع: فرض وتعميم سياسة الأرض المحروقة حيث أصبحت أراضي السكان داخل المناطق المحرمة بورا يمنع حرثها وخدمتها وجني ثمارها والرعي في عمقها وقد تكفل سلاح الجو بتأمين مراقبتها وقصف كل من يتجرأ على دخولها.

ولقد طبق هذا القرار حتى على دور العبادة كالمساجد، وأضرحة الأولياء ومزارات الزوايا التي هجرها مرتادوها، فأصبحت هدفا للقصف المستمر، بل وحتى المقابر لم تسلم من ذلك، مما يبرهن على أن تلك الممارسات ورثوها عن أسلافهم الذين كانوا يتلذذون بها، فهذا أحد قادتهم يؤكد لنا ذلك بقوله: (إن التخريب هو متعة بشرية، وننزع الفؤوس من أيدي جنودي معناه حرمانهم من المتعة واللذة).

القرار الخامس: ويتمثل في منع التجول والتنقل خارج التجمعات حتى لايستفيد الثوار من إستقاء المعلومات، وتلقي المعونات، والتنقل بين المدن يبرمج أسبوعيا ضمن قافلة عسكرية وكل مواطن يتنقل معها عليه حمل رخصة من رئيس المركز العسكري، إنها إجراءات ردعية لتقييد حرية المواطن ومنعه من ممارسة أي نشاط اقتصادي معيشي، أو اجتماعي إنساني، وهكذا أصبح الجميع رهينة الوضع الأمني الذي دام سبع سنوات كاملة. ومن يضبط خارج محيط سكناه فهو (فلاق) ومصيره إما القتل، أو السجن والتعذيب، هذا بالنسبة للمواطنين الراجلين، أما مالكي الشاحنات والسيارات والحافلات فهم مجبرون أيضا على التنقل مع القافلة العسكرية مرة في الشهر لجلب متطلبات القوات العسكرية ونقل المرضى والجرحى المستشفيات، وربط الإتصالات ولا وسيلة أخرى لتوفير متطلبات التجمعات السكانية الإستهلاكية والتجارية والعلاجية، وحتى لاتتعرض القافلة العسكرية لألغام الثوار، يتعمد قادتها وضع شاحنات وحافلات الجزائريين في المقدمة كعملية إحتياط ووقاية .

القرار السادس: يتضمن إخضاع كل سكان المنطقة لترتيبات أمنية مشددة، وتحقيقات دقيقة لم يسلم منها أعوانهم وعملاءهم، ثم أن الإعترافات كانت تفتك بالإكراه وتحت التعذيب الجسدي والمعنوي.

كل الرجال يساقون للأعمال الشاقة كالسخرة المجانية التي يستغلونها في بناء المراكز العسكرية، وإصلاح الطرقات ,أعمدة الهاتف والكهرباء التي تتعرض لتخريب الثوار ،كانت الإعتقالات الفردية والجماعية تتم بدون رقيب في مراكز حجز خصصت للمشبوهين بلغ عددها أكثر من 22 مركز حجز، إستوعبت أكثر من 15000 محجوز، يضاف إليها أكثر من 122 مركز إنتظار، زيادة على مراكز الفرز والعبور التي مرروا عليها كل سكان الوادي فردا فردا.

القرار السابع: ويتمثل في معاقبة الثوار عن طريق التنكيل بأهلهم وذويهم وخاصة زوجاتهم، ويدخل هذا الإجراء تحت شعار "العقوبة الجماعية" على اعتبار أن الكل مشارك في المسؤولية، لقد سلطت عقوبات صارمة على الجميع سواء المتهمين بالتعاطف مع الثورة أو غيرهم، وقد بدأوا بزوجات الثوار، حيث وضعن بجوار مراكز الجيش الفرنسي بدعوى منع الأزواج من زيارتهن، ثم تدرجوا في معاقبتهن بنزع أبنائهن منهن وإخضاعهن لنزوات عساكرهم المتوحشين في المراكز المنعزلة عن المدن بعد أن قصوا شعورهن وغيروا لهن لباس العفة والوقار وكسوهن بلباس العري والعار، وكان مركز خنقة سيدي ناجي الرائد في مثل هذه الفضائح المهينة.

ولقد تعمدوا تلك الأسلوب الموغل في الإهانة والتعذيب النفسي للتأثير على معنويات أزواجهن لعلهم يسلمون أنفسهم لإنقاذ شرفهم، ولكنهم عبثا حاولوا أن يطعنوا الأحرار في ما يوجعهم، فهم قبل حملهم السلاح كانوا يتوقعون الأسوأ من ذلك، فلا شيء يثنيهم عن تطهير الوطن من الدنس الأكبر وهو الإحتلال من أصله، حيث أن إستمراره يعني إبقاء الإهانة مستمرة لتتجرعها الأجيال جيلا بعد جيل.

فهذا "الكولونيل مونتنياك"، قائد كتائب جوالة الموت الذي كان يتباهى في رسالته لأحد أصدقائه بما يمارسه تلامذته اليوم حيث يقول: ((تسألني ماذا نفعل بالنساء الواقعات تحت أيدينا، إننا نحتفظ بالبعض منهن كرهائن، ونبادل البعض الآخر منهن بالخيل، والبقية تباع لأفراد الجيش في مزاد علني كالدواب)[1].

القرار الثامن: يتمثل في إستغلال المكاتب العربية، ثم الفرق الخاصة (صاص) التي كانت قد أنشئت منذ سنة 1833 على يد الجنرال (تري زيل) وبعده الجنرال (لاموريسيس) حيث عينوا

[1] الثورة الأمة والمجتمع ص335

على رأس كل مكتب من هذه المكاتب في الجزائر ضابطا يسعى للعمل وسط السكان بشتى الوسائل السيكولوجية والدعائية للتأثير على عقولهم ومحاولة استمالتهم وكسب ثقتهم وودهم دون اللجوء إلى العنف المنهج الذي كثيرا ما وجوده يؤدي إلى نتائج عكسية تماما.

القرار التاسع: ويتمثل في وحشية القوانين التي فرضوها على الأهالي، كالقانون الإداري، وقانون المسؤولية الجماعية وقانون الأهالي وغيرها من القوانين التي كانت تستهدف إخضاع السكان الأصليين أو الأهالي كما كانوا يطلقون عليهم بصفة عنصرية قهرية مذلة ورادعة، وهي التي في جوهرها قوانين استثنائية سلطوية عنصرية تعتبر الجنس الجزائري جنسا متخلفا ومتحجرا لابد من إخضاعه لمن له الأهلية لقيادته من لقطاء أوربا، وحثالة سجونها، وهو المنطلق الذي أوضحه (جير ولت) بقوله: ((انه لكي نقيم جيدا النظام العقابي الجزائري بطريقة صحيحة علينا أن لا ننظر إليه كما ينظر إليه الفرنسيون الذين يعيشون في القرن التاسع عشر، أي الذين تعودوا على الحقوق الدستورية والضمانات التي توفرها للفرد والجماعة فيما يخص الحريات، فالفرنسيون يرون في هذه القوانين قمة في الوحشية والفظاعة. إنما يجب علينا أن نفهم بأن الأهالي الذين يجهلون تلك المفاهيم ولم يطلعوا عليها أبدا ولم يمارسوها في حياتهم اليومية، إنما يرونها قوانين طبيعية وعادية لا ضير فيها، وبذلك فهم يتقبلونها لأنهم في موقف ضعف، ونحن الأقوياء، وإنها في حقيقة الأمر وسيلة مرنة ومواتية وسريعة في تطبيق القمع تمنعنا من اللجوء إلى وسائل أكثر قسوة))[1].

وهي نفس الإيديولوجية التي تدعوا لإهانة الجنس العربي بقوانين خاصة، وبحروب استثنائية يقول (النقيب كلير) ما يلي:

[1] الاستعمار والإبادة (أوليفي) ص 315

((إن الحرب التي نقوم بها في الجزائر كلها استثنائية، فنحن لا نتبع فيها أيا من قواعد الحروب التقليدية))[1].

واعتبارا لهذه الإيديولوجية فإنه يمكن لقائد صغير في الجيش الفرنسي أن يقوم بمعاقبة قبيلة بأكملها بما يبدو له مناسبا كالقتل الجماعي أو الغرامات أو الحرق، غير عابئ بالقانون الجنائي المتعارف عليه لدى الفرنسيين أنفسهم ودون وازع ولا رادع ديني أو أخلاقي.

- **القيادة تواجه حملة محاصرة الأوراس بقرارات هامة**

لقد أدركت قيادة الثورة في الأوراس بأن العدو سيجند كل إمكانياته لمحاصرة الثورة في مهدها، لذلك كانت قد هيأت نفسها لمواجهة ذلك نفسانيا واستراتجيا، وذلك بما يجب من إجراءات وقرارات عاجلة:

القرار الأول: تجنب التصادم مع قوات الحملة العسكرية

لقد كان لهذا القرار أهمية إستراتيجية في غاية الخطورة على سمعة الجيش الفرنسي، وعلى معنويات قادته، وحتى على المجتمع الفرنسي نفسه، لذلك أسهبنا في شرحه وتوضيح نتائجه وخلفياته، لكونه قرار صائب بكل المقاييس.

أ ـ فهو صائب لكونه حمى طلائع جيش التحرير من خطر الحملة العسكرية الضخمة التي لاقبل لهم بمواجهتها.

ب ـ صائب لأنه حرم الجيش الفرنسي من العثور على الثوار الذين حاصر المنطقة من أجل القضاء عليهم، وهو حرمان يطعن في نجاعة المخططات العسكرية، وفعالية الحملة التي جندت لها كل الإمكانيات، فهو حرمان يعيد للأذهان هزائم الجيش الفرنسي في تجربته بالهند الصينية.

[1] كتاب الاستعمار والإبادة (أوليفي) الحرب في الجزائر استثنائية ص226

ج - وسالب أيضا لأن ضعف مردودية هذه الحملة بعث الشكوك في السياسات المتبعة عسكريا وسياسيا وإجتماعيا واقتصاديا من طرف الحكومة الفرنسية، وأكثر من ذلك مهد لتعميق الصراعات بين هيئات المجتمع الفرنسي و السلطات الرسمية حول السياسات المتبعة، خاصة بين أنصار الجزائر فرنسية من معمرين و عملاء، وجنرالات متقلبين بهزيمة الهند الصينية من جهة، وبين الأطراف المعتزة و المتشبعة بالحضارة الفرنسية التي تسعى لتحرير المجتمع الفرنسي من عقدة الإستعمار، واستغلال الشعوب من جهة ثانية، وكذا بين العناصر التي لاتريد لأبنائها أن يصبحوا وقود حرب من أجل محافظة غلاة الإستيطان على إمتيازاتهم على حساب الشعب الجزائري الغير قانونية و الغير شرعية و الغير أخلاقية من جهة ثالثة.

وذلك ما يجعلنا نؤكد على أن قيادة ثورية تصدر قرارا حكيما كهذا يفضح ضعف أضخم حملة عسكرية جندتها الدولة الفرنسية، وهيئت لها الكفاءات والعتاد، و علقت عليها كل الأمال، بالتأكيد فإن هذا القرار المهم سيحسب لهذه القيادة الفتية الناضجة ألف حساب في المواجهة المستقبلية التي ستكون طويلة وشاقة، وغير مجدية للطرف الفرنسي.

وقرار منع الإشتباك مع قوات الحملة إلى حين يجعلنا نتأكد بأن فعالية القيادة الثورية يكمن في إيمانها بقدسية القضية، وفي استخلاصها لتجارب من سبقها على طريق المقاومة بدءا بالأمير "عبد القادر" و مرورا بسلسة المقاومات المتتالية على طول مئة وثلاثين سنة، وآخرها ثورة 1916، وأحداث 8 ماي 1945 الفضيعة، ووصولا إلى مرحلة تفتق عبقرية أصحاب هذا القرار الذي يبدوا بسيطا في مظهره، والذي كان عميقا عميقا في أهدافه ونتائجه وأبعاده، الشيئ الذي أهله لأن يخيب آمال أركان إدارة الإحتلال جيشا وسياسيين و أحزابا و إعلاميين.

فهل يعقل أن كمشة من الثوار بسلاحهم الإصرار على النصر يطيحون بثورة زلزلت الأرض من تحت أقدام غلاة الإستيطان، ويهددوا بذلك كيان أكبر دولة إستعمارية في القارة الأوروبية، ويبعثون الشك و اليأس في نفوس الجنرالات المتخوفين من هزيمة مكررة لهم في الجزائر؟

وهكذا بعد إستخلاص التجربة من المعارك المبكرة التي تمت شمال منطقة "أريس" وبالتحديد ب"فم الطوب، و"خنقة معاش" وذلك خلال شهري نوفمبر وديسمبر 1954، والتي ألحقت بالثوار خسائر في معارك غير متكافئة، فإن قيادة الأوراس قد سارعت إلى إصدار التعليمات العاجلة لأفواج جيش التحرير الوطني وذلك لتحقيق عدة أهداف منها:

الهدف الأول: ضرورة تحاشي التصادم المباشر مع القوات الفرنسية المهاجمة وتركها تفرغ شحنتها على الطبيعة فينال منها التعب واليأس، والإستنزاف المادي المرهق للخزينة، ثم ضياع الهيبة العسكرية.

الهدف الثاني: التفرغ لمواصلة التدريبات و التنظيمات الداخلية وتأقلم الجميع مع الحياة الجديدة في الجبال، من حيث النوم، والسير، والتسلل بين النقاط الخطيرة ليلا ونهارا، والتدريب على حرب العصابات، والتمرن على مقارعة العدو دون كشفه إياهم، مع التصنت لوقع أقدامه وشم رائحة سجائره وصوت مركباته هذا من جهة

ومن جهة أخرى التعود على أساليب التعامل مع السكان بما يسق الثقة، ويمتن الروابط العاطفية بالشفقة والمحبة والإحسان، على أساس أن المواطن المخلص هو العامل الأساسي للنجاح، وهو الممون لكل مستلزمات جيش التحرير من خدمات مادية ومعنوية.

الهدف الثالث: الدراسة الميدانية لنتائج الحملة واستقراء أسلوب أدائها وتقدير إمكانياتها على الأرض واستنباط استراتيجيات قادتها، وقدرتهم على التأقلم مع الطبيعة، وأسلوب تعاملهم مع السكان موضع المراهنة الحقيقية، فمن سيكسبهم لجانبه بالضرورة سيربح المعركة ويسيطر على الميدان، فإذا تعامل العدو مع السكان باللين والمرونة والإغراء والإستئناس وكسب العقول والقلوب، وشراء الذمم فإن ذلك قد يكون على حساب الثورة، أما إن لجأ للعنف والقهر والغطرسة والفضح والإبادة والسجن والنهب فإن ذلك سيخدم الثورة، ويدفع الشباب الخزان الطبيعي للثورة إلى حمل السلاح معها إقتصاصا لكرامته ووطنيته، وبالتالي سيرفض التدجين وهدر الكرامة أو الاتكالية والسلبية، وهو المطلوب رغم ما يترك ذلك من مآسي وضحايا، فلا غنيمة بدون تضحيات، ولا إنتصار بدون ولاء الشعب الذي يبقى الطرف الأساسي في المعادلة تماشيا مع مقولة الزعيم الكبير مصطفى بن بلعيد لزملائه ((تحسسوا جيدا لتصرفات العدو مع السكان، فإن رأيتموه يبالغ في إذلالهم وقهرهم وإرهابهم فأبشروا بنجاح الثورة)).

- **نتائج القرار**

أولا: تمكن جيش التحرير الوطني وقيادته الحكيمة من امتصاص الضربة الأولى التي أرادت فرنسا أن تحطم بها الثورة في مهدها وتحد من إنتشارها لجهات أوسع، والتفرج على القوات الفرنسية وهي تستنزف جهودها وترهق جنودها وتتلف آلياتها وتبذر أموالها في ما لا يعود عليها إلا بالخيبة والإرهاق وانعدام المردود.

ثانيا: توجيه رسالة للرأي العام الفرنسي مفادها أن القوات التي جندت لوأد الثورة في مهدها هي أعجز من أن تستأثر بالثوار الوطنيين المحتمين بأرضهم ووسط مجتمعهم، والرسالة الأخرى هي أن المراهنة على العمل العسكري هي مراهنة خاسرة مع شعب ثائر قرر أن يموت من أجل الحرية، وعليهم أن

يتوقعوا بأن الحملة العسكرية التي سخروا لها كل إمكانيات الدولة الفرنسية ستعود من حيث أتت خاوية اليدين مثقلة بعار الخيبة والانكسار النفسي والاحباط.

فالأساليب الأكاديمية الاحترافية وثقل حركة الجيوش النظامية، وافتقارها للمرونة، وغياب المبادرة كلها عوامل ستكون في صالح الثوار الذين يظهرون من عدم فينطلقون كالسهام ويختفون كومضات البرق.

القرار الثاني - البدأ بالهجومات الخاطفة والكمائن الموجعة بعد الإستفادة من خيبة المردود الذي منيت به الآلة العسكرية في الحملة المسعورة التي جمعت فيها فرنسا شتاتها من كل مكان خاصة العائدين من الهند الصينية والمستقدمين من فرنسا ومن معسكرات التدريب والوحدات المنتشرة على أرض الجزائر دون أن تحقق الغاية من الحصار، وبعد ما عادت تلك الوحدات لقواعدها خارج منطقة الأوراس المحاصر، وتوزيع متبقي منها على المراكز والنقاط الحساسة في عمق الأوراس، أدركت قيادة الثورة في الأوراس بأن الوقت أصبح مهيئا لجعلها هدفا مكشوفا لوحدات جيش التحرير، وذلك بعد رصد سلبياتها ونقاط الضعف في أساليب أدائها، لقد كثفت هجوماتها المباغتة بالكيفية التي تدخل الرعب في أفرادها، كما شرعت في تخريب الطرقات التي تمكنها من مباغتة وحدات جيش التحرير، وقطع أعمدة الهاتف والإنارة، وخطوط الكهرباء، وأصبحت المراكز المعزولة وحراسات التجمعات السكانية ودوريات التموين ونقل المرضى والجرحى ووحدات التمشيط كلها أهدافا مكشوفة أمام طلائع جيش التحرير للنيل منها وذلك لتحقيق هدفين:

الأول: إدخال الرعب في نفوس أفراد الجيش الفرنسي بكل أنواع الضربات الغير متوقعة في الوقت والمكان

الثاني: التركيز على خطف الأسلحة التي كانت السبب في أسر القائد مصطفى ورفع شعار "سلاحنا من عند عدونا".

ذلك هو الواقع المعاش في الميدان مع الجيش الفرنسي الذي أصبح عاجزا عن حماية نفسه من الضربات الخاطفة، ومن الخسائر في الأرواح والسلاح، وهما عاملان متبطان لإرادة الجندي الفرنسي الذي كان يجهل كل شيء حوله، فيضطر للتحرك ببطء، لأنه يتوقع بأن وراء كل شجرة أوحجرة قناصا يترصده لفصل رأسه عن جسده، ثم يخطف منه سلاحه وينضم الى زملائه المتسللين خلسة في خط متوازي مع خط سير الجيش الفرنسي دون أن يشعر بهم، فالجيش الفرنسي يتحرك حسب مخططات تعد مسبقا على خرائط لامجال لتغييرها أو تجاوزها وهو ما يمنعه من ملاحقة المهاجمين بالكيفية المطلوبة في الحين، لقد ادرك جيش التحرير ذلك الواقع واستفاد منه في مناوراته وهجوماته المتجددة حسب الفرصة التي تظهر أمامه.

ومنذ البداية كان التركيز على خطف السلاح كهدف في حد ذاته، وهو ما دفع القيادة الى التنويه بالعناصر التي تندفع لافتكاكه من أيدي جنود العدو، فوقع بذلك التنافس بين المجاهدين على من يغنم أكثر الأسلحة وأجودها.

فخلال سنة 1955 تمكن جيش التحريرفي منطقة الأوراس من تسليح أعداد مهمة من الشبان الذين إلتحقوا به بعد مطاردتهم من طرف المخابرات الفرنسية، وهو ما أدى إلى مضاعفة عدد وحدات جيش التحرير، وأصبح جاهزا إلى الإنتقال والدخول في المرحلة الثالثة مرحلة المعارك الكبرى، وهو مايؤكده ضابط المخابرات الفرنسي (دومنيك فارال) بقوله:

(أن جيش التحرير قد نجح في تحقيق ثلاث مراحل، بدأت المرحلة الأولى من 1954/11/1 واستمرت إلى غاية شهر سبتمبر 1955 وهي مرحلة الكمائن والهجومات الخاطفة التي الحقت بالقوات الفرنسية خسائر جسيمة، كتلك التي وقعت في "ثنية تاقيسور"، و"العويجة"، ومن نتائج هذه المرحلة قتل 60

عسكري منهم قائد فيلق (لعله النقيب فورطوف) وأربع ضباط برتبة ملازم، وأيضاالحاكم المدني لمدينة تبسه.

والمرحلة الثانية امتدت من شهر سبتمبر 1955 إلى غاية شهر سبتمبر 1956، واتسمت هذه المرحلة بالمعارك الكبرى التي خلفت أزيد من 100 قتيل في صفوف الجيش الفرنسي.

أما المرحلة الثالثة فقد إتسمت بملاحقتنا نحن لعصابات المتمردين، وذلك بعد تشرذمها وانكفائها).

ضابط المخابرات يؤكد تشرذم وحدات جيش التحريرفي المرحلة الثالثة، وذلك كنتيجه حتمية لتدخل ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ في شؤون الولاية الأولى، وذلك بمطاردة "عباس لغرور" بتونس، ومحاولة إغتيال " عجول" من طرف الرائد عميروش بالداخل، ووضع الولاية الأولى تحت وصاية قائد الولاية الثالثة "العقيد محمد السعيد"، وذلك بعد الإطاحة بعباس لغرور" و"عاجل عجول"[1].

ومن خلال ذلك كله نقرأ معالم حكمة التبصرلدى أول قيادة للثورة في الأوراس التي تجلت في الميدان، وذلك بتشديد الخناق على القوات الفرنسية، بدليل تمكن جيش التحرير من أسر العديد من أفراد الجيش الفرنسي، وأول عملية أسر تمت جنوب "خنشلة" بتاريخ 18 مارس 1955، ولشدة وقع الحادثة على معنويات الجيش الفرنسي تنقل الوالي العام بنفسه لمكان الكمين للإطلاع على تفاصيل الأسر، ثم تلاحقت عمليات الأسر لأفراد الجيش الفرنسي خلال السداسي الأول لسنة 1955 في الكمين الذي تم قرب "قرية الدرمون "شمال قرية "زريبة الوادي "خلال فصل الربيع 1955، والكمين الذي وقع قرب "قرية"جلال " بواسطة القائدين "عباس لغرور " و"عجول، وعملية "تاقسور".

[1] فارال دومينيك معركة جبال نمامشة 1954/ 1962

وقد بادرت قيادة الثورة في الأوراس إلى إطلاق سراح الأسرى للإستفادة بذلك إعلاميا، ولتشجيع الجيش الفرنسي على الإلتحاق بجيش التحرير. وبذلك أصبح السلاح المتطور حلم وغاية كل مجاهد وهدفا أسمى للتخلص من سلاحه القديم أي (بنادق الصيد وبنادق طليان (ستاتي)، وبذلك انتشرت حمى الهجمات والكمائن في ربوع الأوراس كله،وفرت المزيد من الأسلحة المتطورة التي ساعدت جيش التحرير على تشكيل كتائب، شددت الخناق على مراكز الجيش الفرنسي مما إضطره إلى التعجيل بترحيلها خلال صيف 1955 لأنه أصبح عاجزا على حمايتها.

وكانت المراكز المرحلة هي: مركزا الدرمون في الجنوب، ومركز الوسطية شمالا بكيمل، ومركز تاجموت ببني ملكم، ومركز الولجة، ومركز خيران بوادي العرب، ومركز ملاقو الواقع بين جبل تامزه، وجبل شلية، ومركز يابوس شمال قمة شليه، ومركز ايشمول شمال مدينة أريس وبعض المراكز الأخرى التي لم أتذكرها.

ويعتبر ترحيل هذه المراكز هزيمة نكراء لجيش إستعماري هجم على منطقة الأوراس ليحررها من ثوارها، وإذا به يضطر أمام الضربات الموجعة إلى ترحيلها، خوفا من تكرار تجربة الهند الصينية في عمق الأوراس.

وبذلك أصبحت تلك المناطق محرمة على الجيش الفرنسي، ومراكز خلفية لجيش التحرير، وملجأ آمنا لأفراد الشعب الفار من المحتشدات وذلك باعتراف الجنرال الطيار "ميشال فروجي" الذي يصف الأوراس (بأنه حصن منيع زاد في تعزيز مكانته خروج أكثر من ثلاثة أرباعه عن السيطرة وتحولها إلى مناطق محرمة، بعد أن أفرغت من سكانها، وأصبح الإذن بإطلاق النار مرخصا لنا به بصفة دائمة، وعليه فقد تحولت هذه المناطق إلى محطات دائمة استقرت فيها كتائب جبهة التحرير،

والمحطات الأكثر عزلة هي تلك الواقعة في قلب الكتلة الجبلية للأوراس، وكانت يومئذ محرمة على قواتنا الأرضية)[1].

ومع ذلك يجب أن نعترف بأن الطيارين الفرنسيين تدربوا في تلك المناطق المحرمة، وأصبحوا بارعين في مفاجأة جيش التحرير في الأماكن المشكوك فيها، فيطلقون صواريخهم الموجهة من الجو بكل براعة ودقة خاصة نحو الكهوف والمغارات ومنابع المياه، والأماكن التي يتوقعون بأن جيش التحرير داخلها، أو أفراد الشعب اللاجي، فيباغتونهم بقصف عنيف عشوائي خاصة خلال الليل، ولكنهم كثيرا مايتعرضون لإصابات نتيجة مهاجمة المجاهدين لهم بالإمكانيات المتاحة، فيتم إسقاط بعضها، فتهرع للمطارات القريبة منها لتدميرها حتى لايستغل جيش التحرير مابها من أسلحة، وهو ما يؤكده الجنرال الطيار المذكور بقوله: (إن التدمير الكلي لطائراتنا تضاعف أواخر سنة 1955 وبداية سنة 1956 بثلاث مرات).

[1] مذكراته الحرب الباردة الصفحة 67 و72 و88

- أورد نماذج لكمائن ذات دلالة

لاداعي للحديث عن الكمائن الموجعة التي كانت تسجل يوميا بكيفية روتينية خلال سنة 1955، والتي عجلت الحسم للدخول في المرحلة الثانية مرحلة المعارك كما سنبين لاحقا، ولكني إخترت ذكر بعض الكمائن لما لها من دلالات تميزها عن غيرها خاصة في بداية الثورة حيث كانت الباكورة الأولى التي فاجأت العدو وأقنعته بأن معركة ثورة 1954 مختلفة تماما عن ما سبقها من تمردات وثورات تمكن من سحقها بسهولة لعدم إنتشارها في كامل الجزائر، ولعدم توفر الإمكانيات الضرورية لمن قام بها آنذاك.

ففي يوم 16 مارس 1955 نجح فوج تابع لعجول من نصب كمين محكم لقائد القوات الفرنسية العقيد "ميكال" المكلف بتطهير جبال سلسلة الأطلس الصحراوي الممتد من مدينة القنطرة حتى الحدود التونسية من الثوار الجزائريين، كانت قيادة ميكال متمركزة بقرية خنقة سيدي ناجي، موزعا بعض وحداته في عمق وادي العرب ومشارف جبل "فورار" شمالا، لقد كان معروفا بالغطرسة والشدة والمشاكسة والنشاط المبالغ فيه، وكان يتباهى بكونه جاء ليلقي القبض على قائد الثورة في المنطقة "عاجل عجول" ورفاقه الذين كانوا هم أيضا بالمقابل يتوعدونه بنفس مايتوعدهم به، فكانت المراهنة على من يقطف رأس صاحبه الأول، ويسيطر على الأوضاع.

ونتيجة لذلك واعد الثوار السكان بجعل حد لغرور " ميكال" المدعو "بولحيه" وكسر عنجهيته، ولسوء حظه تمكنت المجموعة المتكونة من محمد بوالنخل، ومحمد جرموني، وتاج الدين، وبلقاسم تافرقنيت، وكبور لخضر وآخرين من إصطياده في كمين محكم في سفوح وادي العرب من الجهة الجنوبية وبالضبط قبالة (قرية "تيويحمت") جنوب (قرية الولجه) عند ماكان متجها الى وحدته المتمركزة شمالا في "مركز خيران

وذلك يوم 16 مارس 1955، فقتلوه هو ومن معه وحرقوا مركباته وغنموا كل الأسلحة..

كما قامت مجموعة أخرى من الثوار من بينهم "شريط لزهر" بترصد فرقة أخرى تابعة للقائد الفرنسي (ميكال) ولعلها تكون قد خرجت لنجدته، وذلك شمال "قرية الولجه على بعد نحو 10 كم شمالا من مكان مصرع "ميكال"كما ذكرنا سابقا، وكان من بين أفراد الفرقة الفرنسية "كاهن" يخرج معهم ليبعد عنهم الخطر ببركاته، والكاهن يدعى (جاك)، فألحق الثوار بهم خسائر معتبرة جرح خلالها ذلك "الكاهن جاك" الذي كان يمتطي صهوة جواده الأبيض،فإفتكه منه الثوار، وقد توفي الكاهن متأثرا بجراحه لاحقا، فأقيم له وللعقيد ميكال حفل جنائزي مشترك بمدينة باتنه يوم 18 مارس 1955.

كما وضع الثوار كمينا لقافلة عسكرية متكونة من 9 جنود فرنسيين جنوب خنشلة، وتم في هذا الكمين الاستيلاء على الفوج بكامله بعد قتل قائده وأحد أعوانه وأسر الستة الباقين، وهو الكمين الذي تعرضنا له سابقا والذي أوردت أخباره جريدة البصائر بقولها: (وقعت في بلاد الأوراس حادثة عسكرية أدخلت روعا عظيما على الأوساط الحكومية والقيادة العسكرية حيث نصب الثوار كمينا على بعد 56 كم جنوب خنشلة ضد فرقة خيالة فرنسية عددها 9 أفراد معهم دليل مسلم، ولما جن الليل رجع الدليل وحده وتحولت فورا فرقا عسكرية للنجدة، فعثرت على قتيلين كان من بينهما قائد الخيالة، وفقد الستة الباقون). وكان هذا الكمين هو أول كمين يتم فيه أسر جنود فرنسيين، مما جعل الوالي العام (سوستال) الذي كان في جولة لمدينة بسكره يسارع للوقوف على مجريات الكمين.

وفي يوم 9 جويلية سنة 1955 قامت مجموعة مشتركة بين عباس لغرور وعجول بنصب كمين اخر في منعرجات (تافسور)على الطريق الرابط بين قرية "تابرنقة" التي كانت

تضم قوة معتبرة للجيش الفرنسي، وقرية "جلال" التي كانت هي الأخرى تضم قوة معتبرة من الجيش الفرنسي، وأشير هنا إلى أن هذا الطريق كان يمثل الحدود الفاصلة بين "سكتور عباس لغرور" في الشرق، وسكتور "عجول" في الغرب، وكثيرا ما كان "عباس" و "عجول" يلتقيان في محيطه للتشاور والتنسيق، فتمكنا بذلك من وضع خطة لكمين محكم قضوا فيه على كل أفراد القافلة الفرنسية، وحرقوا الشاحنات والمجنزرات وغنموا الأسلحة التي شارك السكان في جمعها وحملها، لقد دفعهم حماسهم للمشاركة العفوية في الهجوم الذي وقع قرب مساكنهم المنتشرة على طرفي الطريق المذكور، تناولت الصحف الفرنسية نتائج الكمين بتحسر وخيبة أمل، وقد علق ضابط المخابرات (فرال) على الحادث بما يلي: (هاجم عباس لغرور وعجول قافلة من اللفيف الأجنبي كانت قد انطلقت من مركز تابردقة متوجهة نحو مركز جلال، حيث تموقع الثوار في المرتفعات المطلة على منعرج تافاسور، فجرت معركة حامية الوطيس التحم فيها الجنود رجل لرجل، قتل فيها الملازم الأول الطبيب، و26 عسكريا من اللفيف وجرح 12 منهم واستولى الثوار خلالها على رشاش من نوع 24/29، وعلى مجموعة أخرى من الرشاشات الخفيفة والبنادق، حيث كان هذا الكمين من الكمائن الأكثر دموية في الجزائر)[1]. لقد وصف هذا الكمين بالدموية لأنه وقع في بداية الثورة وكان من الكمائن الأولى التي هزت جبروت العدو وغطرسته.

وأذكر كمينا آخر لغرابته فهو أولا لم يكن معدا له حيث فرضته الصدفة، وثانيا ؛لأن عدد المجاهدين الذين قاموا به لايزيد عن عدد أصابع اليد، وثالثا؛ لأن القائدين "عباس لغرور" و"عجول" هما من قاما بتنفيذ الهجوم مع بعض حراسهما.

---

[1] فرال معركة جبال نمامشة 62/54

لقد كانا بالصدفة جالسين يوم 8 جويليا 1955 على رأس قمة جبل جلال المسننة، ففوجئا بقافلة عسكرية تمر بالقرب منهما، فسارعا لإيقافها وسط المنعرج وبدأوا يرمون عليها الصخور من أعلى القمة بعد أن وضعا جنديا قبلها وآخر خلفها يطلقان الرصاص وينادیان برفع اليد والإستسلام، إمتلك الهلع الجنود الفرنسيين من هول الرصاص والصخور المنهالة عليهم من رأس الجبل، فاستسلموا جميعا دون مقاومة، وبذلك غنم الثوار الأسلحة وحرقوا الشاحنات المحملة بالقمح، ثم جمعوا الأسرى في مكان خاص تحت الحراسة، وعندها تفطن الأسرى بأن عدد الثوار أقل بكثير من عددهم حاولوا الإنتفاض على الثوار الذين تفطنوا للعملية، فباغتوهم بإعدام رأس الفتنة، ثم أطلقوا سراح الثمانية الآخرين المجندين إجباريا، وانتشرت قصة الكمين العجيب بين المجاهدين خمسة أو ستة مجاهدين بالصخور يوقفون قافلة ويجردون حراسها من السلاح ويحرقون شاحناتها (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) صدق الله العظيم.

تناولت الصحافة قصة الكمين بقولها: (وقع اليوم أكبر حادث في بلاد الأوراس خلال هذا الشهر، فقد كانت ثلاث شاحنات عسكرية تسير على الطريق الذي يصل خنقة سيدي ناجي ببلدة خنشلة وكانت محملة بـ 25 قنطارا من القمح وكمية من الأسلحة، حين هاجمها الثوار بعنف، فقتل من قتل وأسر 8 من "التريور أي الرماة" وغنمت كل الأسلحة المتواجدة لدى الجنود الفرنسيين وأحرق الباقي)

وخلال شهر مارس 1955 ترصدت مجموعة من أتباع عجول لدورية جلب الماء للمركز العسكري المستقر "بقرية الدرمون" شمال مدينة زريبة الوادي، وذلك من منبع "عين الشتله"، وقد تمكنت المجموعة من أسر بعض أفراد الدورية وغنم عدة أسلحة من بينها رشاش من نوع (فامبار) أمريكي الصنع.

ولقد ركزت على هذه الكمائن الخمس كنموذج للكثير من الكمائن التي كان الثوار المجاهدون منذ مطلع سنة 1955 يتسابقون ويتنافسون على تنفيذها بكل جرأة من أجل قهر العدو، وغنم حاجتهم من الأسلحة، وهي إنتصارات لفتت إنتباه الإعلام المحلي والخارجي، وجعلت الجيش الفرنسي يعاني من تلك الهجومات، وهو الذي دخل الأوراس من أجل تطهيره من أبنائه الثوار، وإطفاء شعلة الثورة في مهدها الأول.

تكمن أهمية الكمائن الناجحة التي ذكرتها في كونها أولا كانت مبكرة، ولكونها أيضا أحدثت هلعا في صفوف قوات العدو التي عجزت عن صدها، رغم قلة التجربة وضعف الإمكانيات لدى وحدات جيش التحرير ثانيا، وثالثا لكونها أعطت البرهان على عبقرية أول قيادة للثورة في الأوراس التي عرفت كيف تفوت الفرصة على قوات الحملة الفرنسية الكبرى، واختيار الوقت المناسب للبدأ في مواجهة العدو الغريب على المنطقة، لقد أثبتت الأيام نجاعة إستراتجية القيادة الفتية للثورة في الأوراس من خلال النجاحات التي حققتها في ميداني القتال والسياسة منذ مطلع سنة 1955حيث أصبح جيش التحرير هو المتحكم في المبادرات، يهاجم عدوه من حيث لايتوقع في الزمان والمكان اللذين يختارهما، ثم يختفي في لمح البصر عندما يتبين له بأن الإقدام تهور وجنون، وبمرور الأيام إكتسبت وحدات جيش التحرير الخبرة القتالية والتمرس على فنون حرب العصابات وسط طبيعته الجغرافية التي حولها إلى مسرح للكمائن والهجومات التي مكنته من تسليح نفسه، وإحداث جدل إعلامي يشكك في قدرة الجيش الفرنسي على تحقيق الرهان أمام جيش جزائري وطني يتطور باستمرار.

الشيء الذي أجبر القائد الفرنسي "بيجار" الذي عينوه لتطهير الأوراس من ثواره على الإعتراف صراحة بأنه يواجه رجالا يحسنون المناورة تحت قيادة رجل يبحث على مقاتلتهم. إنه

"عباس لغرور" النموذج الصادق لكل زملائه قادة جيوش التحرير الآخرين، ذلك لأن القضية واحدة والهدف واحد.

لقد تمكن مجاهدو الأوراس من إخراج "بيجار" من المعركة برصاصة أخطأت قلبه بسنتيمات قليلة، واستمروا من بعده لقادة الميدان، واستمروا صخرة تحطمت عليها إرادة قادة الجيش الفرنسي الذين تداولوا على مسرح ميدان المعركة الأمامية.

لهذا ضابط المخابرات الفرنسية (فارال) الذي كان يتابع تطورات "عباس لغرور "بالذات في منطقة جبال نمامشة،إلى درجة أنه كان ينسب له كل العمليات التي تنفذ في محيطه، يعترف بأن "عباس لغرور " كان هاجسهم الأول، والشبح الذي يؤرقهم وسط طبيعة جغرافية تخبئ لهم الكثير من المفاجآت.

القرار الثالث - إعتماد سلاح الألغام

تعزيزا لفعالية الكمائن والهجمات الخاطفة والعمليات الفدائية في المدن والقرى التي تضاعفت وتيرتهابجهود الثوار والفدائيين، فإن القيادة الفتية في الأوراس فكرت في تطور وسائل قتالها وذلك باعتماد إدخال سلاح الألغام في مواجهة العدو، وهو سلاح فعال ضد الدبابات والشاحنات لم يسبق أن استخدمه الثوارمن قبل، ولذلك قرروا إقحامه ضمن الإستراتيجية الشاملة التي إعتمدتها القيادة، من نتائجه الإيجابية تعطيل الهجومات التي يفاجئ بها العدو الثوارليلا، فهي إن لم تنفجر عليه تجبره على مسح الطرقات بالآلت الكاشفة للألغام، وذلك يعطي الوقت للثوار بتغيير مواقعهم.

لقد نبغ المحترفون في إتقان صنع الألغام على إختلاف أنواعها، ومع ذلك واجهتهم ندرة المواد المستعملة في صناعة الألغام، خاصة مادة "البارود"،حيث إضطروا لتفريغ القنابل التي تلقيها عليهم "طائرات ب 26 " ولم تنفجر، فيفرغون منها "البارود" ويحشونه في أوعية حديدية مختلفة الأحجام، يزودونها

بمشعل وبطارية مسطحة من نوع "مازده" بقوة 9 فولط مثبتة على لوح خاص مدعم بصفائح من الحديد، وبمجرد المرور على اللوح يتم الإنفجار نتيجة لمس طرفي البطارية للصفائح الحديدية،وحتى لاتكتشف الألغام من طرف الكلاب المدربة على ذلك يعمد الثوار إلى نشر مادتي الفلفل الحار، أو التبغ "الشمة"لمنع الكلاب من مواصلة البحث بالشم،وقد أثرت تلك الألغام على مردود العدو فعمد إلى وضع شاحنات وحافلات المواطنين الجزائريين في مقدمة قوافله لتجنب خطرها.

والتذكير فإن المجاهدين الذين تخصصوا في صناعة الألغام، كانوا مهددين بالموت يحملون أرواحهم على أكفهم،كثير منهم راح ضحية خطأ في التركيب، أونتيجة هفوة، وأذكر على سبيل المثال الأخوين "السعيدي بوزرقون"وأخيه الأصغر"صالح بوزرقون" كلاهما فقد "ذراعه".

وأول ورشة لصناعة الألغام أنشأها "عجول" داخل "سكورة"، حيث إستغل عسكريا من جنسية ألمانية فر من الجيش الفرنسي وأطلق عليه إسم (علي الألماني)، ومن سوء حظ "عجول" أن تلك الورشة كانت السبب في اتهامه بقتل "مصطفى بن بولعيد"، حيث إدعى "علي الألماني" المذكور تحت تهديد خصوم "عجول" بأنه هو من صنع اللغم الذي إنفجر على "مصطفى بن بولعيد"، وذلك قبل أن يكشف الجيش الفرنسي على حقيقة اللغم المشؤوم من خلال الكتاب الذي نشرته المخابرات أخيرا والذي يبين طريقة صنع اللغم، وكيفية إسقاطه من الطائرة في محيط قرية "تاره" بالقرب من الجبل الأزرق، ولقد إستغل ممثل "عبان" الرائد عميروش تلك التهمة ليحكم على "عجول" بالخيانة ويقدم على محاولة إغتياله، ويخضع بعد ذلك الولاية الأولى لقائد الولاية الثالثة "العقيد محمد السعيد" كما هو معروف.

القرار الرابع - إستغلال الإعلام والدعاية المضادة

بالإضافة إلى قرار البدأ بالهجومات الخاطفة والكمائن الموجهة، ثم سلاح الألغام، فكرت قيادة منطقة الأوراس في سلاح لايقل أهمية وهوسلاح الدعاية والإعلام الذي يخاطب العقول ويؤثر على النفوس،وقد إعتمدته كرد فعل طبيعي لمواجهة تلك الدعايات والسموم المغرضة التي كانت المخابرات تروجها لزرع الشك والفرقة والشقاق بين الصفوف، وتثبيط العزائم.

لقد أنشأت لذلك "خلية للطبع والنشر" لمواجهة إعلام العدو، ولمخاطبة أفراد الجيش الفرنسي من الجنسيات الأخرى لحثهم على الإلتحاق بجيش التحرير الذي سيتيح لهم فرصة البقاء في صفوفه أو تحويلهم للعواصم التي يختارونها، ونتيجة لذلك التحق الكثير منهم بجيش التحرير أذكر على سبيل المثال إثنين "علي الألماني" و"سليمان البولوني" وآخرين،إختصت الخلية المذكورة في طبع كل أنواع المناشير سواء التي توزع على الجزائريين الذين يتعاملون مع العدو ضد الثورة، كالحركى والصبايحية والتريور، والمنتخبين، والجواسيس والعملاء، والمكاتب العربية، بالإضافة إلى مايوزع على المواطنين لرفع معنوياتهم، أو تحذيرهم من شراك المخابرات الفرنسية، ولتحثهم على الصبر والثبات لنصرة الثورة، كما كانت تطبع رسائل شكر وعرفان بالجميل للمحبين والمتعاطفين مع الثورة، ورسائل تهديد وإنذار ووعيد لكل متعاون مع العدو ضد الثورة.

لقد ركزت الثورة على هذا السلاح إلى أقصى الحدود من ذلك إصدار شبه نشريات إخبارية وسياسية على رأس كل شهر تشرح فيها خطها السياسي ووجهة نظرها في القضايا الجوهرية، تطرحها كمرآت عاكسة لكل ما كان يجري بداخل البلاد، دون أن تتغافل عن كشف دسائس المخابرات وتأثيرها على الرأي العام المحلي والدولي، ومن أشهر تلك النشريات مجلة (الوطني).

القرار الخامس - تحدي العدو بالمعارك الكبرى

إذا بعد فترة التنظيم والتأقلم مع الواقع الجديد الذي فرضه الميدان وبعد انتهاء فترة تحاشي التصادم مع قوات الحملة الكبرى الذي فرضته الظروف الإستثنائية، وبعد الدخول في مرحلة مفاجأة العدو بالكمائن والهجومات الخاطفة وما حققته من أسلحة مفتكة من العدو مكنت من تسليح الشبان الذين شكلت منهم كتائب عديدة، رأت قيادة الثورة في الأوراس الإنتقال إلى مرحلة أكثر فعالية، وهي مرحلة المواجهات العلنية في معارك قد تدوم لأكثر من يوم حسب مكان المعركة وظروفها.

أي الدخول في حرب حقيقية من شأنها لفت إنتباه الراي العام المحلي والدولي، والتعريف بالقضية الجزائرية وإدخالها للمحافل الدولية وبالذات كواليس الأمم المتحدة، وإيصال صوت الشعب الجزائري المكافح لأسقاع العالم في كفاح عادل يفضح مخططات الإستعمار الإستيطاني.

فبعد أن إشتهرت سنة 1955 بالكمائن الناجحة، حلت سنة 1956 لتبشر بالدخول في المعارك الكبرى والملاحم البطولية الخالدة التي لا يستطيع إدراك قيمتها ووقائعها إلا من شارك في صياغة أحداثها بالعرق والدم والجهد، وعاش أهوالها

كانت سنة 1956 سنة مميزة بالتطور الإيجابي لجيش التحرير وسيطرته على الميدان، فالملاحم القتالية الخالدة التي قام بها ثوار الأوراس خلال سنة 1956 قد خلدها التاريخ، وخلد رجالها في تلك المرحلة المبكرة في تدرج الثورة، كانت بحق مرحلة ذهبية بكل المقاييس لأن قادتها كانوا غير عاديين، ومجاهديها الذين كان ولاءهم للوطن غير عادي، ومع ذلك جاء من تنكر لجهودهم لأن عقولهم لم تتلوث بالحسابات السياسية، كان همهم الوحيد مواجهة العدو في الميدان في ملاحم لايعرف حقيقة قد سيتها وقساوتها الا من عاش جحيمها، واكتوى بلهيبها الحارق الماحق المصبوب من فوهات مدافع الميدان، وقذائف وقنابل مختلف الطائرات، والتشابك بالخناجر والحراب،

وتكسير العظام، ولي الرقاب، وكتم الأنفاس، ولمن يريد المزيد من وصف وقائع معارك الأوراسيين خلال سنة 1956 التي لم تتكرر كثيرا فليعد لشهادات الضباط الفرنسيين الذين كانوا يختارون قضاء خمس سنوات في الهند الصينية رغم مافيها من أهوال على مواجهة ثوار الأوراس لسنة واحدة، وهي شهادات صادرة عن ضباط كانوا في الأوراس يعدون لحظات حياتهم دقيقة بدقيقة، تحت سيطرة سلطان الخوف الذي كان مسيطرا على جوارحهم فيسارع نبضات قلوبهم، خوفا من أن تغمض جفونهم فتقبض أرواحهم من طرف أشباح لا يعرفون لها مكانا ولا زمانا ولا عددا، ولا رائحة، ولا يسمع لأقدامهم وقعا، يظهرون من عدم فينقضون جبابرة كالسهام، ويتوارون كومضات البرق، وعندما يقررون خوض المعركة يصمدون في الخنادق كالصخور طوال النهار تخالهم جزء من الطبيعة الجامدة، وعند قرارهم الإنسحاب ليلا يصدحون بالأذان والتكبير المتعالي (الله أكبر) إيذانا بهجوم ساحق ماحق يبدد صفوف العدو المتراصة أمامهم منطلقين كالسهام بين صفوفهم عبر مسالك تؤمنها لهم الطبيعة المتحدة معهم وكأن الله قد خلقها من أجلهم.

لم تكن البندقية وحدها لدى الأوراسيين في معاركهم خلال سنة 1956 هي الهدف الوحيد، إنما الأمر كان يتعلق أكثر بالذخيرة التي يتوقف عليها الإستمرار في وتيرة المعارك المتلاحقة التي لايمكن تواصلها إلا بتوفر تلك الذخائر المادة الأساسية للمقاتل، وكم من مرة يضطرهم نقص الذخيرة إلى تقليص زمن المعركة، وأيضا الإقتصاد في إطلاق الرصاص خلال الإشتباك، فلا يضحون بالرصاصة إلا إذا كان الهدف أغلى منها، ومع ذلك كانوا يخوضون معارك طاحنة وغير متكافئة وينتصرون فيها على أكبر قوة عسكرية في أوروبا، كمعركة الجرف الخالدة التي لم تتكرر في زمن من تداول على قيادة

الأوراس بعد سنة 1956 رغم توفر الأسلحة والذخيرة والإمكانيات والتنظيمات الحديثة، والقيادة المركزية

• **نجاح المعارك يتوقف على إختيار المكان**

كان الثوار يجتهدون في إختيار أماكن المعارك التي يتعذر على العدو إدخال الدبابات الى عمقها، حيث كانت الدبابات تشكل الخطر الكبير على المجاهدين في الخنادق، لأنها كانت تتعمد دوسهم ورفسهم داخل خنادقهم لتتعجن أجسامهم مع التراب، فلا قبل لهم بصدها لأنهم لايملكون الأسلحة المضادة لها، ومن أجل ذلك كان عليهم اختيار المكان المناسب للمعركة في حال الدخول فيها بقرارهم، فاختيار المكان أساسي لتحقيق النتائج الإيجابية في المعركة والصمود طول اليوم في المقاومة بدون خسائر، كان المجاهدون لكي تكون خنادقهم في مأمن من تقدم الدبابات، يحفرون الخناق في المنحدرات وحيث كثافة الأشجار، وفي قمم الجبال المسننة التي يتعذر على الدبابات الوصول لها، غير أن هذه الإستراتيجية لا تنفع مع الأسلحة الثقيلة الأخرى كمدافع الميدان المتنقلة والثابتة وحتى الطائرات التي لا يمنعها أي مانع من توجيه القنبلة بصفة مباشرة للخنادق، أو إسقاط قنابل الغاز الحارق الذي ينتشر على مساحات شاسعة فتسبب إشتعال النيران حتى في الصخور الصماء، ومن أسباب الإنتصار أن لايكشف الثوار خنادقهم إلا بعد أن تتقدم قوات العدو لمسافة قريبة جدا، ثم يطلقون عليهم الرصاص ويمنعونهم من التقهقر للخلف، لأنه كلما بقيت قوات العدو قريبة من خنادق الثوار كلما تعذر على المدفعية والطائرات قصف خنادقهم خوفا من سحق قواتهم، وبذلك تستمر المعركة بين الرجال وبالأسلحة القريبة الى حين دخول الليل الذي يمكن الثوار من الهجوم بحل فجوات بين القوات المحاصرة، والخروج عنوة من الحصار، هناك حالة أخرى يخشى منها المجاهدون وهي عملية الأسر إما بسبب الإصابة المقعدة، أو بسبب نفاذ الذخيرة، فالمجاهد أحرص الناس على عدم الوقوع في ذلك

المصير المشؤوم فالاستشهاد في سبيل الله بالنسبة له أفضل من البقاء حيا في وضع مهين له ولمن خلفه.

وفي هذا المقام ينبغي علينا أن نعترف وللتاريخ، بأن هناك بعض الضباط الشرفاء في صف العدو من يحترمون الصفة القتالية لخصمهم المقاتل الذين يعترفون له بالشجاعة والثبات، وهي الصفة المثالية لصفة المقاتل بقطع النظر عن إنتمائه، فالشجاعة في القتال هي المثال الأعلى لكل عسكري محترف، ولذلك كان بعض ضباط الجيش الفرنسي يقدمون التحية للمجاهد الذي يقاتلهم بثبات حتى الموت في خندقه بقطع النظر عن الخسارة التي يلحقها بهم، كثيرا ما ينحنون أمام جثمانه بالتحية العسكرية إجلالا واحتراما للشجاعة في القتال التي تهزكيانهم ويحسدونه عليها، فالشجاعة والإستماتة في القتال هي جوهر الشرف العسكري، وللأسف نجد هناك من لايعطي وزنا لتضحيات الشجعان من طرف العملاء والحركى الذين لم يكونوا يوما عسكريين، إنما هم مرتزقة، يدفعهم حقدهم للتنكيل بجثث الشهداء الأبطال بدافع الكراهية أو التزلف لأسيادهم، ولعقد النفسية التي تهوي بهم الى هاوية الخسة والسفالة وخيانة الوطن.

• **معركة الجرف نموذجا لمعارك الأوراس**

تعتبر معركة الجرف ذروة انتصارات المرحلة المبكرة للثورة في الأوراس خلال سنة 1956، وهي دليل على عبقرية القيادة الأولى في الأوراس التي فجرت الثورة وقادت طلائعها خلال العامين الأولين بإشراف القائد الفذ "مصطفى بن بولعيد" الذي إختار على دراية أعضاء القيادة الأولى للأوراس وهو الأعلم بأصحابه، فهو لم يخطئ في إختيار تلك القيادة التي وقفت على كفاءتها من خلال تسييرها للمرحلة الخطيرة والحرجة في عمر الثورة في الأوراس خلال السنوات الثلاثة 1956/55/54 تلك المرحلة التي راهن العدو خلالها على

إخماد شعلة الثورة في مهدها الأول، ومنعها من الإنتشار، ولكن القيادة الأولى للثورة لم تفوت عليه فقط فرصة تجفيف منابع الثورة في الأوراس، والفتك بطلائعها الأولى، وإنما مرغت أنفه في التراب حين تمكنت من تغيير معادلة الضعف ومحدودية الإمكانيات الى معادلة القوة الصامدة في الميدان والمنتصرة ميدانيا على جنرالاته المحترفين الذين كانوا يتوقعون مواجهة الثوار في الأوراس هي عبارة عن نزهة، ولكنهم منيوا بالفشل الذريع في حملتهم العسكرية الكبرى التي سخرت لها الدولة الفرنسية كامل احتياطاتها ومواردها معلقة عليها كل الأمال، الشيء الذي إنعكس على سمعة الجيش الفرنسي أمام الرأي العام ووسائل الإعلام، في حين أن الثوار كانوا يتفرجون على العمليات التفتيشية الكبرى من بعيد وهي تفرغ شحنتها على الطبيعة، وينتظرون الفرصة السانحة للإنقضاض على أفرادها في الزمان والمكان وبالكيفية التي تحقق لهم الإنتصار، وغنم ما ينقصهم من أسلحة، لفتح جبهات جديدة داخل منطقة الأوراس وخارجها

كانت معركة الجرف إذن ثمرة جهود و عبقرية ووفاء بالعهد للوطن ولمصطفى بن بولعيد الذي إعتقد العدو خطأ أن الثورة ستنتهي بأسرهم له، لقد أريد لمعركة الجرف أن تكون نموذجية تعطي الدليل على عبقرية قادة ملهمين لم يخطئ مصطفى بن بولعيد في إختيارهم كضمان لإستمرار الثورة ونجاحها خاصة خلال عامها الأول

فإذاكانت معركة الجرف مميزة فذلك لأن من خاضوها وسيروها وانتصروا فيها على أكبر قوة عسكرية كانوا بكل المقاييس عباقرة، شيمتهم الصبر والتحدي والوفاء للعهد المقدس ونكران الذات والإصرار على طلب الشهادة من أجل القضية المقدسة فهم من قيل فيهم " أطلب الموت توهب لك الحياة"

لقد كانوا عباقرة فترة تاريخية نادرة الوقوع، فبصبرهم وتضحيتهم سطع نجم الثورة محليا ودوليا، وشاع صوت الأوراس مدويا في أصقاع العالم، وإذاكان هناك من حاول النيل منهم وطمس تاريخهم الساطع، فإن أديم الأوراس وجباله ووديانه وأشجاره وأحجاره كلها تمجدهم وتخلد ذكراهم، وتشهد على عبقريتهم وصدق مسعاهم وندرة معدنهم.

وليس هناك أصدق من شهادة ضباط العدو الذين كانوا يواجهونهم ولابأس من أدراج شهادة أحدهم حيث يقول مايلي (عند الإشتباك كان المتمردون في الأوراس يظهرون روحا قتالية عالية وقدرة على المناورة، مع التحلي بالإنضباط المدهش في إطلاق النار سواء أثناء الإشتباكات المباغتة، أم خلال التطويقات.. .. ، وكانوا يحسنون إختيار المواقع للأسلحة الآلية بعناية للتمكين من فك الإشتباك، وفي حالة التطويق ينتظرون الليل للتخلص من قواتنا.. .. .. ، بينما كان الوقت يمر والخناق يشتد في المعارك، ينتظرون تقدم جنودنا نحوهم لأقل من 300م ثم يفتحوا النار فجأة على جنودنا ليمنعوهم من التقهقر للخلف، حتى لاتتمكن المدفعيه والطائرات من إسقاط القنابل والحمم عليهم.. .. ، وبحلول الليل يشقون طريقهم بين صفوف جنودنا لكسر الحصار).

- أسباب معركة الجرف

لم تكن معركة الجرف نتيجة الصدفة، ولا نتيجة كشف العدو للمجاهدين،ولا نتيجة إشتباك سابق، أو نتيجة لوشاية من عميل، إنما كان مخططا لها بحكمة وتأني، أدخل في الحسبان كل صغيرة وكبيرة، ولم يترك شيئا للصدفة، وذلك لتحقيق جملة من الأهداف، ارتأت قيادة الأوراس أن توصلها كرسالة واضحة لعدة جهات أولها إدارة وجيش الإحتلال، ثم الأطراف السياسية والإعلامية التي لم تتضح لها الصورة بوجهها الحقيقي، لقد أريد للمعركة أن تعطي الدليل المادي والمعنوي لفعالية جيش

التحرير، والنقلة النوعية للثورة في الأوراس رغم الحصار الشديد وما تعرض له الشعب من قهر وتعذيب وحرق وتدمير خلال الستة أشهر أي قبيل إنتشار الثورة إلى الجهات الأخرى.

لقد تعمدت القيادة تنظيم أيام مفتوحة على الثورة وسط الأعراش في السفوح خارج محيط الجبال، حيث بدأت فرق (صاص) تسعى لإلهاء السكان وأعيانهم عن أداء واجبهم إزاء الثورة، ولذلك قررت القيادة أن تسبق المخابرات والفرق المتخصصة (صاص) لتوعية السكان بمخططاتها، وتنبيههم وتحذيرهم من سمومها، وفي نفس الوقت إقناعهم بنجاحات الثورة، وسيطرة جيش التحرير على المناطق الجبلية، رغم مايملكه الجيش الفرنسي من إمكانيات وتعاون من طرف الحلف الأطلسي، والدعم المادي والمعنوي السياسي لساسة القارة الأوربية.

بالتأكيد كانت القيادة تدرك بأنه سيكون من بين المدعوين للحفل بعض المخبرين من عملاء العدو المندسيين، وأن الجيش الفرنسي سيتحرك لمحاصرة المنطقة، ولذلك فإنها إتخذت جميع الترتيبات لمجابهة العدو بمعركة نموذجية في مكان تتوفر فيه كل الشروط الأساسية للنجاح من مياه وطعام وذخيرة، وهكذا كان التحدي مدروس العواقب، فالقوة القتالية لجيش التحرير تطورت مع الأيام، ومعالم مستقبل القضية الجزائرية أصبحت ظاهرة للأعيان تفرض نفسهاعلى مستوى المحافل الدولية

فمعركة الجرف إذن، جاءت لتحصن السكان من خطر التأثير النفسي للحرب النفسية التي تعمدها الجيش الفرنسي بعد فشله في ميدان القتال، وذلك للتأثير على عقولهم وفصلهم عن الثورة، وهي خطة إستباقية لقيادة الثورة من شأنها توضيح معالم الخطة الجهنمية التي يخطط لها العدو.

وبالمقابل تحاول القيادة إعطاء البرهان على قوة الثورة وتحديها للعدو، وذلك من خلال التجمع الكبير الذي ستستدعي له كل أعيان "الأعراش" ووجهائهم ونخبهم،تحت حراسة قوة من جيش التحرير (300) مجاهد مدججين بكل أنواع الأسلحة، وبإشراف القيادة العليا للثورة في "أوراس النمامشة"، وهو تحدي صريح للعدو وللمشككين في نجاحات الثورة من العملاء والمغفلين لبعث الوهن في نفوسهم، وفي نفس الوقت تحصين الملتزمين مع الثورة.

كانت القيادة تريدان تقطع الشك باليقين بالنسبة لتوعية السكان وتحديد مسؤوليتهم التاريخية إزاء الثورة وذلك بالوسائل الآتية.

1) الإصرار على استدعاء ما أمكن من السكان ليسمعوا مباشرة من قادة الثورة التوجيهات الضرورية، والنصائح، والتنبيهات والتحذيرات من مكائد الفرق المتخصصة (صاص) التي نشرها العدو وسطهم.

2) توجيه رسالة للعدو ولعيونه والمتشككين بأن قياده الثورة متواجده وبقوة في المناطق المفتوحة خارج محيط الجبال ووسط السكان العنصر الأساسي للثورة.

3) قطع الطريق على فرق "صاص" وذلك بالإتصال المباشر بالسكان بغية تحصينهم إعلاميا وسياسيا من خطر التضليل المتعمد ضدهم، وفي نفس الوقت لتحذير من يتعمد تحديها بالتعامل مع العدو (وقد أعذر من أنذر)

4) قطع خط الرجعة على بعض المترددين من الوجهاء الذين كان العدو يسعى لإستمالتهم، لذلك تعمدت القيادة توريطهم أمام العدو بالمشاركه الفعلية مع الثورة قولا وعملا، من خلال الخطب التي إستدعوا لإلقائها على السكان خلال الحفل

5) إطلاع السكان على اللقاءات السرية التي كانت تتم بين الفرنسيين وممثلي الثورة، والقناعة التي توصل لها

المنتخبون المسلمون في البرلمان الفرنسي، بأن لافائدة من التعلية على ممارسات إدارة الاحتلال، وأنه لابد لهم من فسح المجال لممثلي الشعب الحقيقيين للتفاوض مع العدو بما يحقق الإستقلال والإعتراف بالسيادة الجزائرية

وبذلك ختم شحاني الإحتفال بالقول الفصل حيث قال: (إذا أردتم أن تتأكدوا من نجاح الثورة فإن تلك مجند أمامكم ؛ قيادة عليا أمامكم بدمها ولحمها توضح لكم معالم الطريق، محروسة بـ 300 مجاهد، أما من يريد أن يتحداها فله أن يذهب لتوه ليخبر العدو بما شاهد وبما سمع وللثورة راي فيه، ولمن اراد أن يؤدي واجبه نحوها فذلك شرف له ولها، والأيام بيننا).

- **تسيير معركة الجرف**

بمجرد الانتهاء من ذلك الحفل سارع الجميع بالتوجه إلى الجبل ممتطين ظهور الخيل، يرافقهم عدد مهم من المناضلين الذين كلفوا بإرجاع تلك الخيول إلى أصحابها، ولكن العدو الذي كان على علم بالتجمع قد سبقهم واشتبك مع بعض الفرق، ونتيجة لذلك توجه الجميع إلى "وادي هلال" الموقع الذي حدد للمعركة، حيث وزعت الأفواج على الأماكن الإستراتيجية إستعدادا لبدأ المعركة، لم يتأخر العدو في تطويق المكان فحدثت معه بعض المناوشات خلال اليوم الأول، كانت تلك الإشتباكات بمثابة إختبار من الطرفين لبعضهما البعض وجس نبض، جعلت القيادة تتأكد من سلامة خططها الإستراتيجية المتبعة، وسلامة التوزيع، وتأمين طرق الاتصال التي تربط مواقع الخنادق ببعضها البعض لتأمين إمداد المجاهدين بما يستحقون من أكل وشرب وذخيرة دون مغادرة خنادقهم، والتأكد أيضا من أن سلاح الطيران ومدفعية الميدان لا يشكلان اي خطر على تموقع المجاهدين، مع استحالة اقتحام الدبابات لمواقعهم، وذلك بالتخندق الجيد وراء الكتل الصخرية التي تحميهم من أي خطر

لا يهددهم، وتأمن التنقل العادي من خلالها وتبليغ التعليمات والمناورة بحرية أكبر

كانت المعركة تسير من طرف القائدين "عباس لغرور" و"عاجل عجول" وبالتنسيق مع القاده الآخرين الموزعين على المواقع، منهم "البشير ورتان"، و"الوردي قتال" و"ساعي فريط" وباقي القاده المشهورين ببطولاتهم الأسطورية والذين خلدت معركة الجرف أسماءهم بأحرف من ذهب.

أما القائد العام "شحاني بشير، الذي لم يكن مولعا بمواجهة العدو في المعارك، فقد اتخذ موقعه داخل مغارة محصنة للمحافظة عليه كرمز للقيادة، تحرسه كوكبة من المغاوير، وبحلول مساء كل يوم من أيام المعركة، يعود "عباس" و"عجول" إلى "شحاني" داخل المغارة لتقييم نتائج المعركة، واتخاذ القرارات الحاسمة لمواجهة تحديات اليوم الموالي والتعامل مع مجريات المعركة بما يلزم من القرارات والمواقف، ثم يعود القائدان "عباس" و"عجول" لمواصلة تسيير المعركة، وخلال تنقل "عجول" بين خنادق الثوار المرابطين، أوقف من طرف بعض المجاهدين الذين لم يسبق لهم رؤيته والتعرف عليه، وعلى رفيقه أيضا "بيوش محمد"، فاعتقدوا أنهما مدسوسين عليهما من طرف العدو، فعجول ذو البشرة البيضاء والقامة الكاملة يشبه الفرنسيين، فعزموا على ذبحهما، وفعلا ذبحوا المجاهد "بيوش محمد" رغم تأكيدات "عجول" لهم بأنهما مجاهدين، ثم راحوا يكشفون على "عجول" ليتأكدوا من أنه مسلم (ومختن)، وفي الأخير اقنعهم "عجول" بضرورة تقديمه لقائدهم المباشر ليتولى أمره، وبمجرد تسللهم لخندق قائدهم صاح فيهم ماذا تفعلون؟ إن الذي تقبضون عليه هو "القائد عجول"، ومن قمتم بذبحه خطأ هو أخوكم المجاهد "محمد بن سعد بيوش" ولما سلموا بندقيته "العباس لغرور" صاح فيهم إنها بندقية أخيكم "بيوش".

وخلال اليوم الرابع الأخير من أيام المعركة داخل الحصار، جمع "عباس لغرور" و"عجول" كامل القادة لتقييم نتائج المعركة، وما تبقى لدى المقاتلين من ذخيرة، وما بقي في المخابئ من تموين، وقد تبين لهم أن العدو رغم إستقدامه للأعداد الهائلة عددا وعدة، فهو غير متعجل للمجازفة بالإقتحام لعدة أسباب أهمها:

أولا: تجنب الخسائر في صفوفه،ثانيا: الرغبه في إطالة زمن المعركة الى غاية نفاذ الذخيرة الحربية والتموين، وبعدها يمكنه القبض على المجاهدين أحياء بدون مقاومة.

ونتيجة لذلك التقييم الدقيق تم الإتفاق على إنهاء المعركة، والإستعداد لتنظيم الهجوم الليلي بكسر الحصار والخروج منه، وضعوا القائد "شيحاني" في الصورة، فألح على القائدين "عباس لغرور" و"عجول" بالبقاء معه في المغارة فرفضا طلبه، وبذلك هيؤوا المجاهدين المرابطين في الخنادق للهجوم الليلي، وقاما بتقسيم المجاهدين الحاضرين في المعركة إلى مجموعتين، تولى "عجول" الهجوم بالمجموعة الأولى المسلحة بالرشاشات الخفيفة والسلاح الفردي لفتح الطريق، يتبعه "عباس لغرور" بالمجموعة الثانية المسلحة بالرشاشات والأسلحة الثقيلة، بدأ الهجوم،تعالت أصوات التهليلات والتكبيرات، خاصة من حنجرة المجاهد "البشير ورتان"الذي كان يقوم بالأذان (الله أكبر)، فكلما خرجوا من حصار وجدوا حصارا آخر أمامهم، لقد إجتازوا سبع حلقات للحصار، واستمرت قوات العدو تطاردهم لمدة 15 يوما، فتوزعوا إلى وحدات محدودة العدد،إستمرت القوة الفرنسية التي حاصرت "جبل الجرف" و"جبل ماحوله" تبحث عليهم لأكثر من 20 يوما، ثم أتبعت القائد "عجول" ومن كان معه إلى عمق منطقة الأوراس. بالتأكيد أن المعركة كانت غير عادية، ونصر الثوار فيها كان غير عادي، وبالتأكيد أن الله قد أنزل ملائكته ليربطوا على قلوب المجاهدين ويسددوا ضرباتهم، فمعجزة معركة

الجرف لاتوحي بأن من قاموا بها وانتصروا فيها هم من البشر العاديين، ولكن الله هو من اعطاهم القوة وألهمهم التوفيق، الصبر والثبات في خنادقهم كالصخور، لاتخطئ رصاصاتهم الهدف، ولما تلقوا تعليمات الهجوم في عتمة الليل إنهالوا على محاصريهم جبارين ليفلتوا كالريح بين ثنايا الأصابع[1].

وبتلك الأوصاف حققوا إنتصارات أسطورية على الجيش الفرنسي بلغت أوجها في الفترة الذهبية 1955/ 1956، وأنحلت المجتمع الفرنسي في صراعات عميقة تباينت اتجاهاتها، بعضها كانت تنادي بالحل السياسي، وتبني الإصلاحات الجذرية في الميدان وفئة أخرى كانت تشترط تحقيق الأمن كشرط للتفكير في الإصلاحات، بينما الفئة الثالثة تتعمد أسلوب الحديد والنار، أما الفئة المستنيرة من النخب فكانت تتبرأ من الأساليب الإستعمارية المتناقضة مع ثقافة وحضارة المجتمع الفرنسي والدولي معا إستمرت الثورة في إنتصاراتها غير متأثرة بتلك الخلافات.

- عناية الله مع المجاهدين في المعارك

وبما أن الثورة الجزائرية قد قامت باسم "الله أكبر"، والجهاد في سبيل الله، وأن حب الوطن من الإيمان، فقد أظهر لنا الله معجزاته خلال معاركنا بما لايتوقعه العقل البشري، مرات كثيرة نشارك في معارك طاحنة حامية الوطيس تدوم

[1] ويتذكر الطيار ميشال في الصفحه 146 في كتابه الحرب البارده فيقول : كان الوقت يمر والخناق في المعركة يشتد. إنتظر الثوار إقتراب جنودنا منهم لأقل من 300 متر ليفتحوا النار عليهم وعلى طائراتنا التي أصيب العديد منها، كان الليل يخيم فقامت مجموعة من المتمردين بشق طريقها لكسر الحصار. النتيجة قتل عشرة من جنودنا من بينهم ضابط.. نفس التكتيك اتبع في معركة سابقة خلال هبوط الليل حيث خسرنا 22 قتيل من رجالنا.. فالأمثلة كثيرة تلك التي تبين لنا إزاء خصم مصمم شجاع يواجه بفطنة وبرودة هجوماتنا وخاصة الهجومات الجوية وكان عدد الطائرات الصابة والسقطة في تزايد. وهذا مصدر الإحترام الذي كنا توليه للقصف الذي يواجهنا به الخصم كلما أمكنه ذلك

يوما كاملا تستعمل فيها كل انواع الأسلحة ومع ذلك نخرج منها سالمين غانمين، وكم من مرة نحاصر فجأة فيبعث الله سحابة ممطرة، أو غيوما تغلق الأفق وتحجبنا عن أعين العدو، وبذلك نتمكن من الإفلات والتسلل خارج الحصار بتوفيق من الله، ثم لا تلبث أن تنقشع تلك الغيوم وكأنها لم تكن.

وكم من مرة تهب رياح عاتية تمنع الطائرات من تسديد قذائفها، وتؤثر على تحليقها، لأن الرياح وقمم الجبال الشاهقة والسطوح المضللة تعيق تحليق ومناورات الطائرات وتقلل من فاعليتها، فعلى سبيل المثال أذكر المعركة التي إستشهد فيها "الرائد على النمر" والتي وقعت مباشرة على رأس قمة "شلية" المشهورة بعلوها،فقللت الرياح فاعلية الطائرات خلال تلك المعركة، وحتى مدفعية الميدان لم تستطع إصابة الأهداف بالكيفية المطلوبة.

ونفس الشيئ عشناه في المعركة التي إستشهد فيها "الرائد علي سوايعي" بوسط غابة "بني ملول"، حيث هبت رياح عاتية تعذر على الطيارين إصابة أهدافهم، لكن القوات البرية كانت قد تمكنت من السيطرة على أرض المعركة، حيث سقط الرائد "علي سوايعي" شهيدا، وأصيب "الرائد الزبيري" بجروح بسيطة وخرج من المعركة بصحبة الممرض "قويدر".

كثير من الحالات يبعث الله للمجاهدين المحاصرين ما يمكنهم من الإنفلات بيسر أذكر حالتين وقعتا معي شخصيا من بين الاف الحالات الأخرى التي تجعل الطبيعة في عيوننا أضيق من "سم الخياط".

فخلال وجودي بناحة أريس التي كما ذكرت أجهل تماما مسالكها، إستوجب مني علي المغامرة بدخول "قرية الدشرة الحمراء "جنوب بوزينة" شرق قرية "أم الرخاء" بالواد لحمر شمال غربي قرية "منعه" المشهورة (بعروس الأوراس)، فبينما كنت ورفيقي داخل القرية المذكورة، وإذا بالعدو يحاصرنا بعدد

من العوامات نتيجة معلومة إقتكهامن المجاهد الأسير "شطاره" الذي أسر في ذلك اليوم دون أن نعلم به، فحاصر العدو القرية التي كنا داخلها، وكان علينا التسلل بعيداعن السكان حتى نجنبهم ردة فعل العدو بالحرق والنهب والتقتيل، بصعوبة تسللنا إلى حدائق أشجار المشمش خارج القرية، لقد كنت كالأعمى لاادري إلى أية وجهة أسير، وإذا باحد أبناء القرية ينضم لي وسط الأشجار وكان الله قد بعثه لي شخصيا لينقذني من مصير مجهول العواقب، إنه المجاهد "محمد الصالح سرار"،حيث سرت معه إلى مكان امن كان يعرفه، حاول العدو إقتفاء أثار سيرنا، حيث لم يترك حجرا ولا شجرا ولا بيتا، ولاركنا إلا فتشه تفتيشا دقيقا لكن الله سلمنا.

وكالعادة لما حل الليل اصطحبني "محمد الصالح سرار" إلى منزل والدته المجاهدة، وهو بيت مشيد وسط الحدائق، إستمر العدو يتحرى اثار أقدامنا لعلها تدله على مكان تواجدنا، وبفضل تمرسنا وتجاربنا السابقة فقد ضللناه بربط أحذيتنا على أقدامنا مقلوبة أي مقدمة الحذاء نربطها بمؤخرة أقدامنا، ليعتقد بأننا كنا نسير عكس الوجهة التي كنا نسير فيها.

لقد استقبلتنا تلك الوالدة المناضلة بكل ترحاب، وبعاطفة الأمومة، فسارعت لإخفائنا في مخبأ سري تحت الأرض كانت قد أعدته لولدها في مثل هذه المواقف الحرجة، شأنها في ذلك شأن كل العائلات المتعاطفة مع الثوار، ثم بسطت التراب على فوهة المخبأ وسقتها بالماء على أساس أنها مزروعة بنبتة "الكسبرة"، ثم قامت ببسط فراش من "الحلفاء" على الحائط التي تزود المخبأ بالهواء النقي الذي يحمي زائره من الاختناق، فقضينا يومنا هناك متوارين عن أعين العدو إلى غاية الليل، ثم غادرنا المكان نحو الجبل دون أن نسبب للسكان أي مكروه ودون أن يتمكن العدو منا، ولو تمكن العدو من إكتشافنا لدمر القرية، ولواجهنا نحن إحدى المصيرين؛ إما الشهادة وهي المطلوبة، أو الأسر في حالة الإصابة بالجروح وتلك الطامة

الكبرى، حيث كنا دائما نحترس من الأسر الذي تترتب عليه عواقب وخيمة على الأسير نفسه وعلى السكان، وأيضا على أفراد جيش التحرير المعرضين في أي لحظة للمداهمة بسبب نزع المعلومة من الأسير تحت وطأة التعذيب.

حادثة أخرى وقعت معي أيضا في نفس الناحية خلال هجوم "الجنرال شال" على منطقة الأوراس وذلك سنة 1960، لقد وجدت نفسي وحارسي الشخصي محاصرين بقوات "كالجراد" المارد، وكالعادة لا أعرف أين أتوارى عن أعين تلك القوات التي غطت الأرض والسماء، وحيث لا قبل لنا بالاشتباك معها، فبعث الله لي قائد الكتيبة الملازم الأول "علي سرار" وهو من أهل المنطقة، كان قد وزع أفراد كتيبته تطبيقا لتعليمات القيادة، فأصبح عددنا أربعة، فضاقت علينا الأرض بما رحبت، فقرر "علي سرار" أن يقودنا في ذلك اليوم الى المحيط القريب جدا من تكنة العدو، ففي مثل هذه الظروف يصبح محيط تكتلات العدو هو المكان الآمن لعدم توقعهم منا ذلك، وفي اليوم الثاني توجه بنا "سرار علي" أيضا إلى مغارة كان يعرفها في وسط الكهف الكبير المقابل مباشرة لتكنة العدو، وهي مغارة تخفي بوابتها شجرة صغيرة، صعدنا بالحبال لتلك الفجوة أو المغارة، وأصبحنا نراقب كل تحركات أفراد التكنة العسكرية، ونسمع حديثهم، وبحلول الليل نزلنا بنفس الحبال لنغير مكاننا، وبما أنني لم أكن متعودا على تسلق الكهوف بالحبال فقد سلخت تلك الحبال جلدة يداي، إستمر علاجها شهرا كاملا، وبعد مرور إسبوعين في خضم تلك الحمله، تأقلمنا معها، واستأنفنا أعمالنا العادية بكل ثقة في النفس دون أن يتمكن منا العدو ودون أن نهادنه كما كان يتوقع.

- **نجاح الثورة يعمق الصراعات بين فئاة المجتمع الفرنسي**

لقد دفعت الانتصارات المتوالية للثورة في بدايتها إلى خلافات جوهرية بين مختلف فئاة المجتمع الفرنسي حول تعامل الجيش

والسلطات الرسمية الفرنسية مع الثورة، بدأ المتطرفون وغلاة الإستيطان من "الكولون" يدفعون بقوة لفرض الحل الأمني رغم استحالة تحقيقه، أما الأطراف المعتدلة فكانت تنصح بما يقرب الحل السياسي التوافقي، وبذلك تمكنت الثورة خلال عامها الثاني من إحداث تصدع في بنية المجتمع الفرنسي وذلك بخلاف ثلاثي الإتجاهات، الاشتراكيون من جهة، والديمقراطيون من جهة ثانية، والجنرالات والكولون والمنظمات المتطرفة من جهة ثالثة، فكل من كان يراهن على القوة العسكرية المستنفرة لإلحاق الضربة القاضية بالثورة في بدايتها تفاجأ بضعف مردود ثلاثة وثمانين ألف وأربعمائة (83400) عسكري، وأكثر من ذلك راحت القيادة العسكرية تطالب بمضاعفة العدد لعدة مرات، دون حساب القوات الإضافية الموازية من الشرطة، والدرك، والحركى، والعملاء.

لقد أصبح الميدان هو المحك الحقيقي الذي فاجأ الجميع، أصبح الثوار يتحدون الجيش الفرنسي بمعارك إزدادت وتيرها مع مطلع سنة 1956، فالعنف لا يولد إلا عنفا أكثر منه، لقد عجزت حملات التفتيش الكبرى وعمليات التطهير عن تحقيق الغلبة رغم الشعارات الرنانة التي كانوا يطلقونها عليها مثل: (البحث عن الإبرة) و(عملية النمر) و(الفأر) و(فيوليت) و(بورنيك) وغيرها، وحتى البرامج السياسية والإقتصادية والإجتماعية التي راحوا يشهرون لها ويلوكونها باستمرار صباح مساء، فإنها لم تلق تصديقا من فئات المجتمع الجزائري المسلم المتعطش للحرية، والنتيجة أن السلطات الرسمية الفرنسية العسكرية والسياسية أصبحت متهمة من طرف الرأي العام الفرنسي الذي تفاجأ بالإنتصارات السياسية والعسكرية التي تحققها للثورة في الميدانين السياسي والعسكري، وهو ما دفع مجموعة من الأساتذة المثقفين إلى توجيه عريضة بتاريخ 6 أفريل إلى رئيس الحكومه الفرنسية يطالبونه بفتح مفاوضات مع المعنيين، وراحت جمعية حقوق الإنسان تذيع بيانا تنصح فيه

بإجراء الإنتخابات بعد هدنة، وحتى الطلبة فإنهم نشروا بدورهم بيانًا على صحيفة "لوموند" يطالبون فيه بفتح المفاوضات، وبذلك تعالت أصوات من هنا وهناك تدعو كلها لإعتماد بدائل تختلف عن سياسة النار والحديد التي إعتمدت والتي لم تزد الوضع إلا تدهورا.

وبدت الرغبة ملحة للإتصال بالثوار لمعرفة مدى إستعدادهم لتبني خط الإعتدال بالحوار الذي من شأنه تقريب وجهات النظر، وتحقيق مالم يحققه أسلوب (الكل أمني) الذي ضاعف الخسائر على جميع الأصعدة، وبذلك تمت عدة إتصالات غير رسمية للتفاوض الغير الرسمي، جعلت السياسيين وأولهم "عبان رمضان" يتوهمون بنهاية الحرب، وظهور بشائر الإستقلال، فسرعوا وتيرة عقد "مؤتمر الصومام"، لتحديد معالم المرحلة المقبلة، وتعيين القيادة الشرعية المؤهلة للتفاوض حسب إعتقادهم، وإدخال هيكلة تنظيمية جديدة على جيش التحرير تميز مرحلة مابعد المؤتمر عن مرحلة ما قبله، ولكن الكولون والجنرالات قضوا على أحلامهم بمواصلة الحرب بضراوة أكبر.

• **الفرنسيون يتصلون بالثوار لجس النبض**

وليسمح لي القارئ الكريم بتسجيل بعض اللقاءات السرية التي اعترف بها السياسيون خلال سنة 1956.

ففي شهر مارس 1956 تم لقاء عن طريق القاهرة خلاصته التفاوض مع ممثلين منتخبين بإنتخابات حرة مع توفير ضمانات لجيش التحرير وإطلاق سراح المساجين.

وأيضا خلال شهر أفريل 1956 وقع لقاء آخر مع السيد "خيضر" الذي إشترط على محاوريه الإعتراف بالإستقلال التام لقيام الدولة الجزائرية.

ثم تم لقاء آخر خلال شهر أفريل مع "عبان رمضان" و"بن خدة" في الجزائر بواسطة البروفسور "مندوز".

وخلال شهر جويلية 1956 تم لقاء بواسطة الرئيس "تيتو" ببلغراد مع "محمد اليزيد" و"أحمد فرنسيس"، وفي شهر أوت 1956 تم لقاء ثاني بروما مع "أحمد فرنسيس" و"محمد اليزيد"

وفي شهر سبتمبر 1956 وقع لقاء ثالث بروما أيضا مع "محمد اليزيد" و"أحمد فرنسيس" و"كيوان".

هذه اللقاءات المغرية التي تعمدها الفرنسيون لجس النبض خلال سنة 1956، كانت النجاحات التي حققها جيش التحرير في ميدان القتال خاصة في منطقة الأوراس الذي دخل في معارك كبرى ضد الجيش الفرنسي، بالإضافة إلى العملية النوعية التي قامت بها المنطقة الثانية والمتمثلة في هجومات 20 أوت المشهورة، كل ذلك دفع "عبان" والسياسيين إلى الإعتقاد الخاطئ بأن الفرنسيين قد إقتنعوا فعلا بإستقلال الجزائر، وأنهم بصدد البحث على مفاوضين سياسيين أكفاء، ليكونوا بديلا لمتحجري الثورة، وهو ماجعل فرحات عباس، يعلن بأن العمل العسكري قد حقق هدفه، والمرحلة المقبلة للعمل السياسي التفاوضي. ولكن "الكولون" و"الجنرالات" الذين لايزالون تحت صدمة (هزيمة الهند الصينية) قد خيبوا أحلام وطموحات "عبان" والسياسيين، لما قرروا تطهير العاصمة من جيوب المقاومة، وألقوا القبض على الشهيد "العربي بن مهيدي" وأعدموه، وقرروا مواصلة الحرب بكل شراسة.



• "غي مولي" يلجأ لإجراءات إستثنائية

وافق البرلمان الفرنسي على تشكيل الحكومة الثالثة لمواجهة الثورة التي مر على إعلانها 14 شهراء، واختير "غيمولية" الاشتراكي النزعة لرئاستها، وصرح بأن حكومته ستتبنى سياسة جديدة، مبنية على مفهوم (العصى والجزرة) ذلك الشعار المتوارث دائماً عندهم، وكالعادة إكتفى بالعصى الغليضة حيث جهز فيالق حديثه زج بها في المعركة، وعزز إمكانيات الحرب السيكولجية وفقا لإقتراح "برلانج" الذي نصح باعتماد وتعميم تجربة الفصائل الإدارية المتخصصة (sas) ونشرها على المدن والقرى والتجمعات خاصة على مستوى الأرياف، طمعا في إحداث القطيعة بين السكان الجزائريين والثورة،وذلك بالإغراءات وتقديم المساعدات المباشرة وتنشيط خدمات العلاج والرياضة، وتعميم دور الشباب،واللجوء إلى إثارة فتن الجهوية والعروشية وزرع الفتنة القبلية بين فئات المجتمع الجزائري.

وبذلك قام "قي مو لي" برفع ميزانية الدفاع لأكثر من 120 مليار دعما مباشرا للمجهود العسكري، ومضاعفةأعداد المقاتلين، وإدخال الحرب السيكولوجية عمليا وبصفة أساسية في الميدان، ثم راح يطالب البرلمان بضرورة إعطائه التفويض المطلق في تطبيق السلطة الاستثنائية لفرض إرادته على الجزائر دون رقيب ولاحسيب مستنزفا بذلك موارد الدولة الفرنسية لإرضاء جشع الجنرالات والكولون على حساب ماضي فرنسا وتاريخها وحضارتها.

والحقيقة أن "قي مو لي" لم يخرج عن المألوف حين راح يبعث الطمأنينة في النفوس بقوله:(إن سياسة فرنسا في الجزائر هي سياسة الارتباط الأبدي؛ وتطبيق المساواة المطلقة في سائر الحقوق والواجبات، وتوحيد الانتخابات لتكون واحدة تشمل الجزائريين المسلمين والاوروبيين على حد سواء، واحترام

الحرية الانتخابية المطلقة، مع إطلاق سراح المعتقلين الغير مجرمين). وهكذا نراه قد لخص سياسته في ثلاث نقاط أساسية وهي:

1) وقف إطلاق النار.
2) إقامة مفاوضات مع المنتخبين الجدد.
3) تنظيم انتخابات في نظام موحد للمسلمين والأوروبيين.

لقد توالت ردود الأفعال صاخبة على ما جاء في سياسة "قي مولي"، خاصة من طرف غلاة الاستعمار الرافضين لكل ما يسوي بينهم وبين الجزائريين المسلمين،حيث تحدوا "قي مولي" بمظاهرات يوم 1956/02/06 إحتجاجا على تعيينه الجنرال العجوز "كاترو" مكان "سوستال" وكان لهم ما أرادوا، وهو ما شجعهم على المزيد من التحديات والتباهي بإسقاط "كاترو"، مهددين بأنهم سوف يكونون بالمرصاد لأي قرار لايخدم مصالحهم، من ذلك رفض ما يسوي بينهم وبين الجزائريين، وحتى الإصلاحات الصورية المزمع الشروع في تطبيقها، فكان ذلك أول الدروس التي يمليها الغلاة المتطرفون على الدولة الفرنسية المتذبذبة رغم ما تؤكده على لسان رموزها بأن الجزائر ستبقى إلى الأبد مرتبطة بفرنسا، وأمام ذلك التعنت راح "قي مولي" يستنجد بصديقه الدموي (لاكوست) الذي عينه كوزير مقيم بالجزائر وهي تسمية جديدة ومنصب مستحدث فصل له على المقاس، ومع ذلك لم يستطع رئيس الحكومة فك خيوط المعادلة المتشابكة، حيث واجهته كتلة 61 نائبا عربيا باحتجاج صارم نتيجة رفضه مقابلتهم ككتلة موحدة، وإصراره على تجزئة وحدتهم، وذلك باستقبالهم فرادى، فقابلوه بإعلانهم الذي بينوا فيه صراحة(بأن لا وصول لأي نتيجة ذات قيمة إلا بالتصرف وفق عاملين أساسيين وهما:

1- الاعتراف بالواقع القومي الجزائري.
2- إقامة مفاوضات مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائري.

وبذلك وجهت كتلة النواب المسلمين صفعة لرئيس الحكومة، وذلك بتنبيهم الحقيقة التي طالما تهرب منها، وأزالو ببيانهم كل لبس على موقفهم الذي اتسم بالوضوح والواقعية، خاصة لما اقدم رئيس المجلس الجزائري عبد القادر السايح على تقديم استقالته في يوم 1956/03/18 معلنا على أن هناك ممثلين اخرين سيتولون تمثيل الجزائريين.

وبذلك أعلن المنتخبون المسلمون في البرلمان الفرنسي صراحة: (بأن دعمهم لسياسة البطش والتعذيب والحرق والتدمير لم تصبح مجدية ولاذات نفع) وهو نفس موقف الطلاب الجزائريين الذين أظهروا بوضوح أيضا:(بان الحل يكمن في الاعتراف بحقوق الأمة الجزائرية وإقامة الدولة الجزائرية).

ولم تتأخر جبهة التحرير في ردها على أفكار "قي مولي" حين جاء صارما ومتحديا: (إننا لا ننتظر من سياسة "قي مولي" أي جديد لخضوعها للتطرف، وهو في ذلك لا يختلف في شيء عن من سبقه ورأينا حول القضية قد قلناه بصراحة يوم 1956/03/02 ونشرته صحيفة لوموند. وهو باختصار يكمن في إعلان الحكومة الفرنسية قبولها باستقلال الجزائر، وإطلاق سراح السياسيين الذين كانوا ولايزالون يتعرضون للسجن منذ 1830، وإعادة المبعدين، ووقف كل الأعمال العسكرية الفرنسية، ووقف المتابعات، وتشكيل حكومة مهمتها المفاوضات)

دون إغفال تصريح "محمد خيضر" بالقاهرة يوم 1956/02/17 الذي جاء فيه: (إن الجبهة لا تنتظر من حكومة (قي مولي) أي انفراج، فهي كسابقاتها متعنتة ومتغطرسة، ونحن من جانبنا نقول بأنه لا وقف لإطلاق النار إلا باعتراف الدولة الفرنسية

صراحة باستقلال الجزائر ولا مفاوضات إلا بعد تشكيل حكومة جزائرية)[1].

ردود فعل الصحافة على سياسة "قي مولي"

- صحيفة (الأبسرفاتور) في مقال لها قائلة: (ماذا أنت فاعل يا سيد (قي مولي) فالمؤامرة الاستعمارية قد نجحت، وقد تستنكر يتولى الحزن والأسى على التقدميين وأصحاب الأفكار الحرة، أما المسلمون فقد ينسوا منا واحتقرونا)[2].

أما لوموند في نفس التاريخ فقد عبرت عن هذا الموضوع بقولها: (إن المسلمين يشاهدون سياسة السلب بعد العطاء ولا يمكن أن نقنعهم إلا إذا لمسوا تغيرا في الأساليب المتبعة، وتبدلا في الطرائق السياسية القديمة).

كما أن الصحيفة العمالية بدورها قد إستغربت سياسة "غيموليه" بقولها: (ما كاد قي مولي يقضي أسبوعين في الحكم حتى رأيناه يسير نحو الكارثة، بسلوك سياسة الرضوخ والاستسلام للمستعمرين، انه سيقضي بذلك على الهدوء النسبي الذي لا يزال موجودا). وخير ما يميز هذا الرضوخ لدى "قي مولي" هو عملية الازدراء بالثوار الذين صنفهم إلى ثلاثة أصناف في عملية تضليلية هدفها بث الفرقة بين صفوف المجاهدين أنفسهم حسب رأيه:

الصنف الأول: يتمثل في أولائك الرجال المندفعين بعاطفة حقيقية وأغلبهم ممن كوناهم نحن في مدارسنا، وهؤلاء إنما يقاتلون في صفوف الثوار تحت تأثير عاطفة أشبه ما تكون بعاطفة رجال المقاومة الفرنسية ضد الاحتلال الألماني.

---

[1] المقال لخصته البصائر عدد 356. 1956

[2] صحيفة لابزيرفاتور بتاريخ 2مارس 1956

الصنف الثاني: وهم أكبر عددا من الصنف الأول وهؤلاء واقعون تحت تأثير الأجنبي، متضامنين معه في العقيدة الدينية، وهذه الفئة هي الفئة الفاعلة في الثورة وهي التي تقوم بأعمال العنف القاسية.

الصنف الثالث: وهم أولائك الذين يقومون بأعمال اللصوصية والنهب باعتقاده.

لقد توالت ردود أفعال الصحافة والسيا سيين في ما يشبه الإجماع على ضرورة تطعيم أسلوب العنف الأعمى المتبع من طرف الحكومة الفرنسية بإصلاحات سياسية ومدنية عميقة تحقق بعض النتائج منها الجلوس إلى طاولة المفاوضات وطرح جميع المسائل العالقة للنقاش، وهو تطور طبيعي فرضه الوضع الميداني الذي أصبح يميل شيئا فشيئا لصالح الثوار حسب إعترافاتهم.

وفي نفس الفترة أعلنت صحيفة "لوماتيني" (بأن أغلبية الفرنسيين يريدون رجوع السلم للجزائر وذلك بوقف إطلاق النار الذي لن يحصل إلا بشرط اعتراف الحكومة الفرنسية بالواقع القومي الجزائري) وأضافت في نفس الأسبوع "لوموند" قولها :(منذ البداية كانت مهمة الحكومات والحكام العامون تتمثل في القضاء على الثورة وتغيير الحالة الاجتماعية، والبحث على مفاوضين صالحين ينتجون عن عملية انتخابية حرة، ولكنا يجب أن نعترف بأن هذه الخطة قد فشلت).

أما صحيفة البصائر في عدد ها رقم 355 وتحت عنوان "قوة السلاح لاتقهر" استطاعت أن تضع يدها على مواطن الألم في هذه القضية المتشعبة، في تحليل ملم بكينونة القضية وصيرورة الأحداث بقولها: (منذ 18 شهرا من ثورة نوفمبر، كانوا يقدرون عدد الثوار في الجزائر بألف رجل سلاحهم السكاكين. واليوم يقدرونهم بعشرين ألف رجل، بلباسهم العسكري، ويحملون المتريات (رشاشات)، وبأيديهم مدافع

ميدانية، يتلقون من سكان البوادي كل التسهيلات والتموين، لهم أطباء ومستشارين سياسيين). .

فإذا كان السياسيون ورجال الأعمال يقرون بفشل مساعي الحكومات المتتالية في القضاء على الثورة وهي في ضعفها، فكيف إذا للسيد "قي مو لي" أن يوهم نفسه بأنه قادر على إخماد الثورة بعد ما تجذرت واشتد عودها وانتشرت، وتقوت عسكريا وسياسيا وشعبيا ودبلوماسيا.

ليس من المعقول أن يتجاهل (قي مولي) تصريحات "جبهة تحرير" حول الحلول الواقعية ووجهة نظرها لحل القضية الجزائرية، ذلك التجاهل الذي جعل الرأي العام يجزم بأن الحكومات المتعاقبة على تسيير الشأن الجزائري قد تمكنت من تحقيق نجاح وحيد خطير، وهو قدرتها الفائقة على صناعة الأعداء وخسارة الأصدقاء والداعمين لسياساتها العرجاء، فبمرور الوقت خسرت الحكومات ذلك الدعم الداخلي والدولي الذي كانت فرنسا الرسمية تتمتع به، وحل مكانه حلف جديد أخذ في النمو والتعاظم مع مرور الأيام إلى أن صار عبأ عظيما على ساسة فرنسا، فشكل بذلك ضغطا رهيبا على الحكومات أجبرها في آخر المطاف إلى رمي المنشفة والهروب بأقل الخسائر بعد أن تأكل رصيد فرنسا التاريخي والحضاري.

- الثوار يواصلون إنتصاراتهم في الميدان

كما أسلفنا نكره ونتيجة لتلك السياسات العرجاء التي أضعفت فئات من المجتمع الفرنسي وعمقت الصراعات داخله دون أن تهتدي للمخرج الصحيح، فإن الثوره بالمقابل إستمرت تفرض نفسها عسكريا ودبلوماسيا وتسجل المزيد من الإنتصارات خلال السنة الأولى والثانية رغم محاولة الحكومة الفرنسية التعجيل ببعض القرارات لإنقاذ الموقف منها:

1)- توفير الأمن للسكان بتكثيف العمل العسكري تجلى ذلك في المعارك المبكرة على محيط "اريس"، "فم الطوب"، "خنقة معاش"، "غابة كيمل (تيابوشت)".

2)- التلويح بإصلاحات إقتصادية إجتماعية.

3)- حالة الطوارئ التي طبقوها عمليا قبل إقرارها من طرف البرلمان في مارس 1955.

4)- تكوين وحدات من الحركه وذلك خلال الثلاثة أشهر الأولى لإندلاع الثورة.

5) رفع عدد الجيش لأكثر من مائة ألف خلال الأشهر الأولى، واستغلال جيوش إفريقيا تطبيقا لوصية الجنرال (بيجو) ونتيجة لتلك السياسة عين "برلانج" كقائد على منطقة الأوراس إبتداء من تارخ 29 أفريل 1955) وذلك للإستفادة من خبرته التي طبقها في المغرب الأقصى، وتم تزويده بأهم وحدة مشهورة لدى الفرنسيين دون جدوى.

وبالرغم من كل تلك الإجراءات فإن الثورة إستمرت بتحدي تفرض نفسها على أرض الواقع، مما جعل الكلون يصرخون طلبا لأمنهم وأمن ممتلكاتهم، وللتوضيح يمكننا ذكر بعض تلك النجاحات والنتصارات على سبيل المثال لاالحصر:

الانتصار الأول: وكان أساسه عسكريا نتج عن إدخال عصر المفاجأة في كمائن الثوار التي حققت في ظرف وجيز انتصارات عظيمة أحدثت نوعا من التململ وعدم الرضى على أداء الجيش الفرنسي المراهن عليه في الميدان، وكذلك الشأن بالنسبة للسياسات المتبعة من طرف الحكومة لا من طرف الكولون وغلاة التطرف، ولامن طرف الفئات الأخرى في المجتمع الفرنسي.

الانتصار الثاني: وتمثل في إعفاء الحاكم العام بالجزائر روجي ليونار من منصبه بتاريخ 1955/01/24 عقابا له على عدم تفطنه لقيام الثورة ثم عجزه عن القضاء عليها في مهدها خلال الثلاثة أشهر الأولى، وقد خلفه جاك سوستال الذي عين في يوم 1955/02/25.

الانتصار الثالث: وتمثل في إسقاط البرلمان لحكومة (منديس فرانس) بتاريخ 1955/2/4 بـ 319 صوتا ضد 273 هذا السقوط الذي أحدث وقعا كبيرا على النفوس جراء النجاحات الكبيرة التي حققتها الثورة، فبعد سقوط حكومة (منديس) تشعبت الأمور وظهرت على السطح خلافات عميقة على مستوى السلطة الفرنسية وتباينت الأراء مما جعل السيد (بينو) المناهض لسياسة الكلون والجنرلات يعجز عن تكوين حكومة الإصلاحات أمام تحالف المتطرفين بزعامة الراد يكالي (روني مير)، مماجعل فرنسا تبقى بدون حكومة لمدة 19 يوما كاملة، الأمر الذي أدى برئيس الجمهورية إلى الاستنجاد بالزعيم الكاثوليكي الشعبي السيد (بفيلمان) الذي فشل هو الأخر في تشكيل حكومته أمام صخرة الكولون الذين كونوا إزمة خانقة أدت الى تعيين السيد (إيدقار فور) الزعيم الراديكالي الذي صعد من سياسة البطش والعنف الأعمى، ومع ذلك لم يجن منها إلا الخيبة والندم وقضم الأظافر حنقا.

الانتصار الرابع: وتمثل في ظهور ردود أفعال ضد سياسة النار والحديد خاصة من طرف مجموعة الأحرار الفرنسيين الذين أصدروا بيانا يطالبون فيه بإيقاف العنف واحترام الحريات وتطبيق دستور 1947، وكان ذلك التطور نتيجة للعنف والأسلوب العدائي الجزري المبني على العنصرية وإنكار الأخر، فتوسعت الهوة بين غلاة الإستطان والجزائريين المؤمنين بعدالة وقدسية قضيتهم التحررية التي فرضت عليهم الانخراط الواسع والاندماج الكلي في المعركة بدافع الواجب الديني والوطني والأخلاقي.

الانتصار الخامس: ذلك الفشل الذريع الذي تمثل في إضطرار الجيش الفرنسي إلى سحب مراكزه من عمق كتلة الأوراس التي دخلها ليطهرها من الثوار، وإذا بالثوار يخرجونه من تلك المنطقة بمضاعفة هجوماتهم، وحولوها إلى منطقة محرمة على قواته البرية، وأصبحوا يطلقون عليها (منطقة ملاذ) لأنها أصبحت قاعدة خلفية للثوار، وذلك داخل مايعرف بسكتور "عجول" وهي المشهورة ب : جبل شلية، غابة كيمل، بني ملول، غابة البراجه، وسلسلة جبل أحمر خدو).

فترحيل العدو لمراكزه من عمق الأوراس كان ضربة قاسية وهزيمة عسكرية مبكرة، فبدل مطاردة الثوار فيها أصبحت قواته هي المطارده أمام ضربات جيش التحرير

لقد أصبحت القوات الفرنسية بعد ذلك عاجزة عن دخول تلك المناطق إلا بتجنيد قوات ضخمة عديمة الجدوى، وذلك ما أفقده عنصر المفاجأة.

الانتصار السادس: ويتمثل في تنظيمات سياسية مساندة للثورة، من ذلك تأسيس الاتحاد العام للطلبة الجزائريين الذي عقد مؤتمره الأول بتاريخ 09 جويلية من سنة 1955، وكذا تأسيس الاتحاد العام للعمال الجزائريين الذين عقدوا مؤتمرهم بتاريخ 13 جويلية من سنة 1955، كل ذلك أظهر بأن الثورة ليست مجموعة من الخارجين عن القانون أو الفلاقة كما يحلوا لهم أن ينادونهم، إنما هي كيان مجتمع متظامن إستطاع أن يحقق الإنتصارات المتتالية بجهود فئات المجتمع الواعي بواجباته، فإضراب الطلبة بتاريخ 19 أفريل 56 يعطي الدلالة القوية على مدى الوعي العميق الذي خيب مراهنة الفرنسيين على فصل النخب المثقفة عن الثورة، وأكثر من ذلك ساهم إضراب الطلبة في توعية المجتمع الفرنسي نفسه بحقيقة الثورة الجزائرية خاصة على مستوى الجامعات الفرنسية التي غادرها الطلبة الجزائريون من أجل الحرية التي كانت بالنسبة إليهم أقدس من

العلم، وبذلك حقق الطلبة هدفين : هدف إشعار الفرنسيين بمطالبهم الوطنية، والهدف الثاني إفادة الثورة بالطاقات المثقفة التي لعبت دورا مهما في مسيرتها.

الانتصار السابع: وهو ذلك الذي عمل على فك العزلة والحصار المفروضين على الأوراس من 54 الى غاية صيف 55 بالهجوم التاريخي لعشرين أوت 1955 بالمنطقة الثانية، وما تلاه من تحرك عم أجزاء الوطن ككل.

لقد بدأت المعادلة تأخذ منحنى أخر بالشمولية والانتشار على كامل ربوع الوطن فهي بداية لمرحلة جديدة تخطت مرحلة المحلية وما ترتب عليها من أعباء وضغوطات إلى مرحلة الشمولية وكسب المصداقية والانتشار السياسي الذي مكن من كسب الرأي العام العالمي.

الانتصار الثامن: تمكن الثورة من إسقاط الحكومة الثانية خلال 14 شهرا من قيام ثورة التحرير، فلقد سقطت حكومة إدقارفور بتاريخ 1956/01/02 وحلت محلها حكومة "قي مولي" الاشتراكي المزعوم. ثم تم إسقاطها هي الأخرى، ثلاث حكومات توالت على الحكم وكان من أولى أولوياتها القضاء على الثورة فتكسرت على صخرتها العصية، لتسقط الواحدة تلو الأخرى، فرغم الإمكانيات المتوفرة لديهم فإنهم لم يحصدوا سوى الخيبة تلو الخيبة.

الانتصار التاسع: وهو نتاج لكل الانتصارات السابقة الذي نجده متمثلا في تدويل القضية الجزائرية وبلوغها إلى المحافل الدولية بتسجيلها في جدول أعمال الأمم المتحدة في شهر سبتمبر من سنة 1955. ومطالبة مؤتمر عدم الانحياز المنعقد في باندونغ بضرورة تحقيق تقرير المصير للشعب الجزائري. وإعلان جبهة التحرير في بيان لها صدر بتاريخ 03 فبراير 1956 استعدادها للدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية

على أساس تقرير المصير للشعب الجزائري، ووضع حد للحرب الدائرة رحاها في الجزائر.

• عجول يجري تنظيمات لحماية المنطقة المحرمة

فالمنطقة المحرمة التي أخرج العدو منها مراكزه إلى سفوحها، وكون حولها طوقا من مراكز معززة بقوات للتدخل السريع :هي عبارة عن جزيرة خضراء يحدها جنوبا الشريط الصحراوي الممتد من مدينة "بسكرة "غربا إلى "خنقة سيدي ناجب شرقا مرورا بقرى "الزاب الشرقي الذي كان يزود تلك المنطقة المحرمه بالتموين والمال والرجال.

ويحدها من الجهة الشمالية الطريق الرابط بين مدينة "باتنه" شرقا، ومدينة "خنشله "غربا، ومن الناحية الشرقية يحدها"وادي العرب"المنحدر من سلسلة جبال :"بزاز،تامزه، شليه، والمتجه نحو الصحراء،أما حدودها من الجهة الغربية فهو الطريق الرابط بين مدينة "باتنه" في الشمال ومدينة "بسكره "في الجنوب مرورا بمدينة "أريس" و"الوادي الأبيض".

فهذه المنطقة الإستراتجية أصبحت القاعدة الخلفية لمراكز جيش التحرير ومستشفياته وقياداته، و تفطن "عجول" إلى ضرورة حفظ أمنها وحمايتها بإجراءات خاصة تنظم الحياة داخلها، وتضبط التنقلات بها، وتمنع عيون العدو من التسلل داخلها.

أ- عجول يقسيم المنطقة جغرافيا إلى جبهات قتال

لقد تم تقسيم الحزام الجغرافي المحيط بالمنطقة المحرمة والذي غرس فيه العدو مراكزه القارة إلى عدة جبهات قتال تتكامل مع بعضها في شكل حلقات متسلسلة ومتماسكة لاتترك فراغا بينها يمكن للعدو أن يتسلل من خلاله للقواعد الخلفية

الثورة في عمق المنطقة المحرمة، وبذلك تتكفل كل جبهة قتال بمراقبة ومتابعة نشاط مراكز وقوات العدة المستقرة داخلها، وإعداد مخطط هجومات وكمائن و عمليات فدائية لتشديد الخناق عليها، كما تتولى مسؤولية تأطير السكان الجزائريين داخلها، وزرع الخلايا النضالية التي تعمل تحت إشراف قائد جبهة القتال المعنية، والتي تتكفل بتوعية المواطنين وتوجيههم، وأيضا بجمع المال واللباس وكل متطلبات جيش التحرير. مع ضرورة إحترام الحدود بين جبهات القتال، ومنع التدخل في الصلاحيات،مع التحديد الصارم للمسؤوليات التي تصبح شخصية بالنسبة لقائد كل جبهة قتال.

ب- تعيين وحده مقاتلة في كل جبهة قتال

لقد عين"عجول" لكل جبهة قتال فرقة أوكتيبة حسب أهمية كل جبهة قتال من حيث عدد مراكز العدو بها، ومدى فعالية قواتها وتحركاتها وتحرشاتها على السكان،وفي حالات الضرورة تعزز تلك الوحدة بقوة إضافية إن إقتضى الأمر ذلك لضمان الفعالية والسيطرة على الميدان بالمبادرات المفاجئة للعدو.

ج- تعيين وحدات قتال متنقلة (كوماندو)

زيادة على الوحدات المعينة داخل كل جبهة قتال لمقارعة العدو ومناوشاته بما يوجعه، تقرر أيضا تعيين فرق خاصة متطوعة لضرب العدو"كوماندو"، وهي غير ملزمة بالاستقرار في جبهة قتال معينة، ولا بمنطقة جغرافية محددة، مهمتها الأساسية ملاحقة العدو بضربات مدروسة تحقق النتائج المطلوبة، ولها كامل الحرية في التنقل حيث تجد فرصتها للنيل من العدو وافتكاك الأسلحة منه.

د- تأطير المناضلين المجندين حديثا

نتيجة لاكتشاف العدو لنشاط المناضلين المدنيين على مستوى الخلايا الشعبية، أو نتيجة لعمليات فدائية ضد أحد العملاء، يتولى جيش التحرير تجنيدهم، وجمعهم في مراكز خاصة، تسمى مراكز تصفية وعبور، حيث يتم دراسة شخصية كل واحد، ومدى قدرته واستعداده، وميولاته، ومؤهلاته العقلية والجسدية، ثم يخضعون للتدريب حسب المهام التي يوجهون لها، إما لفرق القتال، أو لفرق الخدمات المتنوعة: ونظرا لندرة السلاح فإنه يسلم فقط لمستحقيه.

أما من تتوفر فيهم صفاة خاصة مثل: الثقة، ومعرفة أسرار الأرض، والصبر، وكتم الأسرار، فيوجهون لحفر "مخابئ" خاصة بالتموين، والذخيرة الحربية، والمال، والسلاح الذي تفتت تخزينه، وأيضا مخابئ للمرضى والجرحى.

وقد أسندت مسؤولية هذه الشريحة المختارة للمجاهد "محمد بن الزحاف" وهو من الرعيل الأول لثورة نوفمبر، وكان أول عمل أنجزه بتلك المجموعة هو حفر مركز المستشفى المركزي "بمنطقة فيض القبور" بغابة بني ملول وكانت تجربة ناجحة.

هـ- التنظيمات في مجال الخدمات والإسناد

مع تطور حاجيات جيش التحرير من لباس، وحذاء، وعلاج، وورشات حرف متنوعه، كان لزاما إحداث ورشات متنوعة الإختصاصات توفر لجيش التحرير متطلباته الضرورية، ومن هذه الورشات أذكر على سبيل المثال:-

أولا- الفئة المكلفة بالتخزين والتوزيع لكل ضروريات المعركة، والسهر على حمايتها من التلف والضياع، فتختار لهذه المهمة العناصر المؤهلة بمعيار الثقة والوفاء والصبر، والمعرفة الجيدة لأسرار المنطقة وخفاياها من كهوف وأدغال وفجاج

سرية وسبل ومنابع للمياه، فهي مجموعة مؤتمنة على كافة الودائع من تموين، ومال، ودواء وسلاح وما إلى ذلك، ومن بين الطلائع الأولى لهذه المهمة أذكر "محمد بن الزحاف"، و"بن عبد الهادي"، والشهيد "ثنية الصادق" الذي أعدم في فترة مصطفى بن النوي لمجرد الشبهة رغم كونه ينتمي للرعيل، و"عسكيل أحمد"، و"محمد العيد بروثن"، و"مسعود وفبير"، و"قبايلي" (خير الدين) المولود بضواحي المسيلة وغيرهم كثيرون ممن لم استحضر أسماءهم.

ثانيا- فئة الحرفيين ومنها:

أ- ورشة إعداد اللباس، المزودة بآلات "الخياطه" ومادة "الكتان" وذلك في أماكن سرية جدا.

ب- ورشة "صانعي الحذاء" التي غطت إحتياجات جيش التحرير في مجال الأحذية التي لاغنى عنها.

ج- ورشة صانعي الألغام الذين لعبوا دورا مهما جدا في تزويد وحدات جيش التحرير بالألغام التي تقهر العدو وتعطل تنقلات قوافله. يضاف لها ورشات تصليح الأسلحة المعطوبة.

ثالثا- فئة الأطباء والممرضين، والعناصر المشرفة على الرعاية الكاملة للمرضى والجرحى وتوفير الضروريات كالحراسة والإطعام والغسيل والنقل والإخفاء عند الضرورة.

وقد بادر "عجول" بإنشاء أول مستشفى داخل المنطقة المحرمة وذلك خلال الفصل الثاني لسنة 1955، ومنذ ذلك الوقت استمر نشاطه فعالا جدا إلى غاية وقف القتال، وأصبح فيما بعد يحمل اسم "مستشفى الولاية الأولى"، وكان أول من أشرف عليه هو "محفوظ اسماعيلي" الذي كون الكثير من الممرضين، منهم الرجل العصامي "لخضر شريف" و"صالح تاربينت" و"أخوه المبروك تاربينت" و"محمد خليفه" و"العابد نشيه" والعابد رحماني"، و"محمد تهوده" وغيرهم ممن أدوا

أدوارا مهمة لإنقاذ جرحى جيش التحرير، وقد تعززت مهمة المستشفى بإلتحاق الدكتور "محمود عثامنه" سنة 1957 قادما من تونس ليصبح الطبيب الرئيسي "للولاية1"، ثم إنضم لها الدكتور "عبد السلام بن باديس" ابن شقيق العلامة عبد الحميد بن باديس المختص في أمراض العيون والحنجرة، والذي سقط شهيدا في خط شال المكهرب فرارا من تعسف مسير الولاية مصطفى مراردة في أواخر سنة 1959.

رابعا. فئة الطبع والنشر: وهي خلية تتكون من مجموعة محدودة العدد لا يزيد عدد أفرادها عن أصابع اليد الواحدة وكان لي شرف الانتماء إليها والعمل ضمنها في بداية 1955 لفترة محددة، كنت رابع المخفيين عن الأعين جنوب غابة كيمل شرق "العقبة الكبيرة" المحاذية "لوادى الشرفة" شرقا، كنا ملحقين مباشرة بالقيادة العامة التي كانت تحول لنا الوثائق في نسخها الأصلية المكتوبة باليد لنقوم بكتابتها على الآلة الراقنة ثم سحبها في عدد معين من النسخ حسب الطلب على الآلة الساحبة التي كانت تعمل بمادة الكحول (الاكول).

كنا نقوم على رأس كل شهر بطبع الأوامر العسكرية التي كانت توجه للمسؤولين العسكريين لتحدد لهم رزنامة العمليات العسكرية شهريا، وأيضا الأوامر السياسية الموجهة للسياسيين، وكذا مناويل التقارير الشهرية المتنوعة ليتولى المسؤولون الفرعيون ملأها وإعادتها للقيادة العامة.

وكنا نكلف بطبع أوامر ذات صبغة خاصة تحمل دلالات مناسباتية منها ضرورة مهاجمة كل مراكز العدو في تاريخ معين وساعة واحدة، تمثل دلالة رمزية في الجانب العسكري والتنظيمي والسياسي والإعلامي، الرسالة المقصودة منها هو التنفيذ الشامل بحد ذاته بقطع النظر عن ما تلحقه من خسائر في صفوف العدو، ومن تلك الرسائل تطور جيش التحرير

وخضوعه لقيادة موحده، ثم تواجده في كل مكان توجد فيه قوات العدو... الخ.

وكنا نطبع رسائل الشكر التي توزعها القيادة على العناصر التي تتطوع لخدمات مفيدة للثورة، وأيضا رسائل التهديد والتحذير والتنبيه التي توجه للعناصر التي تضعف أمام مغريات العدو فتتعامل معه خفية أو علنا كأفراد المكاتب العربية، والقياد، و"الباش أغوات" وهي رسائل مميزة بصورة سيف تقطر من حافته قطرة دم أحمر.

ونطبع أيضا كل أنواع المناشير باللغتين العربية والفرنسية وتوزيعها على الحركى وأفراد الدفاع الذاتي، وأفراد الجيش الفرنسي خاصة اللفيف الأجنبي لحثهم على الفرار من الصفوف والالتحاق بجيش التحرير سواء لتمكينهم من الإلتحاق بأوطانهم أو بقاءهم ضمن جيش التحرير .

خامسا. فئة المسؤولين السياسيين الذين يتم اختيارهم بعناية من بين من لهم ثقافة مقبولة وقدرة على الإقناع، وسيرة نظيفة تؤهلهم لأن يكونوا قدوة في أعين المواطنين من خلال تعاملهم اليومي معهم.

سادسا. فئة الكتاب على مستوى المراكز، والخدمات، والقيادات الذين يتولون كتابة التقارير والمراسلات من وإلى القيادة المركزية للمنطقة.

سابعا. الفئة المكلفة بالبريد، وهي المجموعة التي كان لها دور مميز جدا، فنجاح مهمات جيش التحرير يتوقف على تبليغ المعلومة والأوامر في وقتها، فكم من انتصارات حققها جيش التحرير بفضل معلومة مهمة وردت في وقتها، وكم من حملة كبرى قام بها العدو ولم يحقق منها غايته لأن قيادة جيش التحرير تحصلت على المعلومة الكافية والضرورية في وقتها، وأيضا كم من مرة تمكن العدو من مباغتة وحدة ما من وحدات

جيش التحرير فيبيدها عن آخرها لأن المعلومة لم تبلغ في وقتها.

وفي كل الحالات يصبح عمل سعاة البريد مقدسا ونبيلا وحيويا جدا فهو عصب الحياة لجيش التحرير تتوقف عليه السلامة أو الهزيمة، لذلك يختار لهذه الفئة رجال ثقاة محنكون شجعان، يتميزون بسرعة البديهة، وخفة الحركة، وحدة السمع والبصر، وحسن التصرف في الأوقات الحرجة، يتمتعون بلياقة بدنية سليمة، يحفظون جيدا أسرار المنطقة ودروبها ومصادر مائها وغذائها.

فسعاة البريد ملزمون في كل الأحوال بتبليغ المعلومة إلى صاحبها مهما كانت الظروف ومهما اشتد الحصار أو ساءت الأحوال المناخية، أو اعترضت طريقهم معيقات غير منتظرة، عليهم أن يجدوا المخرج المناسب لتجاوز تلك العقبات بأسرع ما يمكن وبفاعلية كبيرة ليبلغوا المعلومة، لهذه الأسباب يجب أن لايزيد عددهم عن إثنين ولاينقص عن ذلك، فالواحد بمفرده معرض للمرض والإعاقة ولكثير من العوائق، لذلك وجب أن يكون له مرافق يكمل المهمة عند حدوث أي مانع، فكثرة العدد لا تمكن من التسلل والاختفاء.

ومن أجل التواصل الجيد وسيولة المعلومات يطلب من كل مركز أو مستشفى أو وحدة أو مجموعة قل عددها أو كثر أن تقوم بتعيين مجاهدين اثنين يتكفلان بنقل البريد منها وإليها خاصة إلى القيادة، والقيادة العامة بدورها تعين مركزا متخصصا تابعا لها يسمى مركز الاتصال يقصده كل حاملي البريد القادمين من مختلف المراكز والوحدات ويكون على مسافة معقولة من المركز الرسمي السري للقيادة بحيث لا يكون قريبا ولا بعيدا عن مركز القيادة السري، حرصا على أمن وسلامة القيادة، لذلك فإن مهمة كل ساعي بريد تنتهي عند هذا المركز أي مركز الاتصال العام التابع للقيادة العامة، ولا يحق

لأي كان من السعاة أن يتصل بالمركز السري للقيادة. والقيادة العامة تعين سعاة بريد خاصين بها ينقلون الرسائل منها وإليها ويكون مقرهم الدائم هو مركز الاتصال المذكور آنفا على مستوى القيادة العامة.

وتكملة لدور سعاة البريد الذين يهتمون بنقل المعلومات إلى المعنيين بها فهناك فئة تشبههم إلى حد كبير فهي مكلفة بإيصال المعلومة في الوقت المناسب لكن بدون أن تضطر إلى مغادرة مكانها الاستراتيجي الثابت الذي اختير لها بعناية. إنها فئة الحراسات القارة التي تتخذ موقعا لها في الأماكن المرتفعة جدا التي تشرف على مساحات شاسعة لتراقب عن كثب كل التحركات العادية والغير عادية وتبلغها للقيادة العامة وللجهات المعنية حرصا على سلامة الجميع ودرء الخطر مفاجآت العدو المباغتة، وهكذا من يشك فيه يلقى عليه القبض فورا للتأكد من هويته وهدفه، فإذا كان المعني بالأمر مجاهدا فعليه أن يظهر رخصة مروره الرسمية وإلا اعتبر خارجا عن القانون يوقف في الحال، وإن كان غير مجاهد يساق للمركز المخصص للتحقق، وهكذا تضمن حماية المنطقة من خطر اختراقات العدو.

وفي كثير من الحالات الطارئة، كانت تلك الحراسات القارة تلجأ إلى تبليغ المعلومة العاجلة "بإشارات رمزية" متفق عليها مسبقا، حيث أن كل إشارة تدل على معلومة بعينها، فمثلا إشعال "النار" يدل على حالة بعينها يتم الاتفاق عليها مسبقا، والإشارة البيضاء تعني شيئا آخر، وتوجيه ضوء الشمس الذي تعكسه المرآة له دلالة أخرى، والدخان بدون نار يعني رمزا بعينه، وطلقة الرصاص تعني حالة بذاتها وهكذا ....

وقد يضطر أفراد الحراسة في الأماكن الآهلة بالسكان إلى رفع الصوت والنداء بكلمة معينة يتم ترديدها من طرف كل من يسمعها لتصل إلى المعني بالأمر عن طريق السمع من الفم إلى

الأذن، دون أن يضطر صاحبها إلى التنقل من مكانه، ودون أن تكشف هويته، وبذلك تبلغ المعلومة بالسرعة المطلوبة والفائقة لمن يعنيه الأمر دون عناء خاصة المناضلين المكشوف أمرهم من طرف العدو، فتجهم عند سماع الصوت يهرعون لمخابئهم وذلك مباشرة بعد سماعهم (راهم جاو) قادمون.

ويتخذ كل مشبوه حذره، ويلتحق السكان بمساكنهم، ويتهيأ أفراد جيش التحرير إما للمواجهة، أو الإنسحاب بسلام وسرية تامة، وإن تنبه العدو لكلمة السر وأدرك معناها فإنه لا يستطيع تحديد من هو صاحب الصوت الذي نادى بها، وبالتالي لا يستطيع إلحاق الأذى بأي أحد، مع تحقيق الغرض بإيصال المعلومة لمن يعنيهم الأمر.

ثالثا. فرض رخصة المرور؛ فلاتنقل بدون رخصة مرور موقعة من المسؤول المباشر، ومختومة بالختم الرسمي، وعلى الجميع إستظهار تلك الوثيقة التي تحمل اسمه وصفته ووجهته ومهمة التنقل وتاريخ السفر وتاريخ نهاية المهمة واسم المسؤول الذي قام بإمضاء الرخصة وختمه الرسمي الواضح بجلاء تام وهو إجراء يكشف المتسللين الغرباء، ويفرض الإنضباط.

- رهان تحدي بين قائدين فرنسيين وقائدين للثوار

نعود للنشاط العسكري وأورد كنموذج قصة متكررة في كل مناطق الوطن، إنها صراع التحدي على الأرض بين قادة جيش التحرير، ومايقابلهم من القاده الفرنسين، وأذكر هنا قصة حية بين قائدين فرنسيين هما العقيد "ميكال" والعقيد "متزنقر" من جهة، والقائدين الثوريين "عباس لغرور" في جبال النمامشة وعاجل عجول" في وسط الأوراس من جهة ثانية، كان العقيد "ميكال" يتوعد "عجول" بالقبض عليه حيا، و"عجول" بدوره كان يتوعد "ميكال" بالقتل لأنه كان شريرا مع السكان خاصة في منطقة (وادي العرب).

والعقيد "متزنقر"، كان يتوعد "عباس لغرور" في جبال النمامشة، نهاية التحدي أن عجول قد تمكن من الإيقاع بالعقيد "ميكال" في كمين بين قرية "تبويحمت" وقرية "الولجة" في سفح وادى العرب، فقتل "ميكال" ومن معه في ذلك الكمين، وأحرقت مركباته، و غنمت كل الأسلحة، وجرح "الكاهن جاك" الذي خرج مع فرقة عسكرية من ثكنة "خيران" لنصرة العقيد "ميكال"، وقد مات الكاهن وأقامت القيادة العسكرية الفرنسية له والعقيد "ميكال" حفلا جنائزيا كبيرا ببلدته يوم يوم 18 مارس 1955.

أما "عباس لغرور" فهو الآخر تمكن من خصمه "العقيد "متزنقر" الذي قتله كما قتل النقيب المشهور جدا "كروطوف"، وأيضا الحاكم المدني لمدينة تبسه "دوبوي"، وبذلك ربح قادة الثوار التحدي كالعادة.

لقد كان الصدام على أشده بين هؤلاء القادة الأربعة الذين جمعت الصدف بينهم في حقل سجال واحد، وكان التحدي بين القادة الأربعة من يسيطر على الميدان ويفوز بقطف رأس صاحبه.

- تفاعل الطبيعة مع البشر خلال الثورة

كان عنف نوفمبر مؤسسا، وكان أخلاقيا وإنسانيا وطبيعيا، لذلك باركه الله وقدسه وألهم فئات المجتمع للتفاعل معه بما يحق الغاية، وحتى الحيوانات المتوحشة قد تفاعلت وتأقلمت مع الثورة والثوار، فنجدها تنحاز إلى حيث وجود الثوار في الغابات الكثيفة مستأنسة بهم، فرارا من جيوش الفرنسيين.

فالذئاب التي عادة ما تنفر من الإنسان وتفر منه، لم تعد تفعل ذلك مع الثوار في حال قيام العدو بمحاصرة الغابة، كانت تلجأ إلى حيث تشتم رائحة الثوار فرارا من خطر الجيوش الفرنسية خلال حملاته التفتيشية الواسعة وسط الغابات الكثيفة، فتنحاز

حيث يستقر الثوار مستأنسة إليهم، ومركزة نظراتها الحادة على الجهة التي يتواجد بها الفرنسيون، كان ذلك تصرفا غريزيا ملفتا للإنتباه وأقرب للخيال، وهوما دفع الثوار لإستغلال إستئناس تلك الحيوانات التي خصها الله بحاسة الشم لتقدير المسافات التي تفصلهم عن العدو في حالة إستحالة الرؤيا إما بكثافة الأشجار، أوبسوء الأحوال الجوية، فكلما هدأت الذئاب وقلت حركاتها واستقرت في مكانها مطمئنة تحت جذع الشجرة كلما كانت المسافة بعيدة بينها وبين العدو، أما إذا بدأت هذه المخلوقات تغير مكانها وتنحاز لجهة المجاهدين وهي تراقبهم بنصف عين، فذلك يعني أن أفراد الجيش الفرنسي قادمون نحوها، وفي هذه الحالة على المجاهدين أن يهيئوا أنفسهم إما لمواجهة الجنود الفرنسيين بإشتباك يمكنهم من عدوهم ويحقق غايتهم، أو الإنسحاب إلى حيث يجب وحسب ما تقتضيه الظروف ومجريات الأمور، كم من مرة إسترشدنا بالذئاب في حال قررنا الإنسحاب، فنتتبع آثارها بحذر إلى أن نتمكن من الإفلات دون تصادم مع وحدات العدو التي لاقبل لنا بها، فأي وجهة تسلكها الذئاب فهناك الأمان في غالب الأحيان.

أما الكلاب فحدث عنها ولاحرج فهي تفرق بين رائحة الثوار ورائحة أفراد العدو ليلا، فلاتنبح الثوارفي حال تسللهم إلى السكان ليلا، بينما يشتد نباحها عند ما تشم أو ترى أفراد الجيش الفرنسي قادمون، وحتى الحركي تنبح عند مايراهم رغم أنهم من فصيلة السكان الأصليين، ولأجل ذلك أصدر العدو تعليماته للسكان بمنع تربيتها، وراحوا يقتلونها في الحين.

أما الحمير التي كانت نعم المعين للمجاهدين في حمل أثقالهم وجرحاهم ومرضاهم، فإنها تأقلمت بدورها مع ظروف الحرب بذكاء فطري، فكلما سمعت صوت محركات الطائرات تنطلق مسرعة للإختفاء تحت الأشجار الكثيفة، وتستمر مختفية ساكنة في مكانها مطأطأة الرأس متحسسة بآذانها إستمرار التحليق الروتيني لمختلف الطائرات التي تعجز عن كشفها لقدرتها

الفائقة على الإختفاء، وعند ما تتأكد من إبتعاد صوت الطائرات عن آذانها فإنها تخرج للرعي وكأن شيئا لم يكن، شيء لايصدق ولكنها الحقيقة، وبذلك أثبتت التجربة أن الحيوانات تأخذ عاداتها من التجربة المتكررة و التدريب.

وإذا كان هذا حال الحيوانات، فما عسانا أن نقول عن حال البشر العاقل في معركة تحرير الجزائر الذي تفاعل مع الثورة روحيا و عقائديا ومصلحيا وبإلهام قدسي لين القلوب و عمق التضامن وضاعف المحبة في الله والوطن، فالتزم الجميع بالنضال والجهاد لتحرير الوطن من دنس المحتلين.

لم يتخلف أخيار المجتمع الجزائري منذ الوهلة الأولى عن التفاعل الأيجابي مع الثورة والثوار بما يقتضيه الواجب بتلقائية ملفتة للإنتباه.

كان ذلك واضحا على مستوى كل فئة المجتمع؛ الرجال والكهول والشيوخ والنساء الأمهات و الصبايا وحتى الأطفال لم يتخلفوا عن تسجيل حضورهم التاريخي في المعركة بأداء مهام يعجز عن أدائها الكبار في تلك الظروف الخطيرة، كربط الإتصالات، وتبليغ المعلومة، وإيصال الدواء للجريح، أو إستطلاع طريق المجاهدين قبل تنقلهم لتنفيذ عملياتهم النوعية، وما إلى ذلك من المهام التي غامر الأطفال بأدائها بكل جدارة.

أما المرأة الجزائرية فهي الأخرى لم تتخلف عن واجبها النضالي على مستوى مختلف المواقع؛ لقد أدت دورها في ميدان القتال، وفي ميدان الفداء، إنفردت بأدوار بطولية كوضع الألغام وإطلاق الرصاص على الخونة في المدن، والتطوع للعلاج، والخدمات الإنسانية الأخرى، كان للفتاة دور مهم بحث الشباب على حمل السلاح، حتى أنها كانت تشترط كمهر للزواج بها، الإلتحاق بالثوار في الجبال.

وحتى العجائز فقد كانت تحن على المجاهدين وتتلمس أقدامهم الدامية بضمادات العطف والحنان و الشفقة، تدفئ

أجسامهم بما توفر لهن من طعام يجدد طاقة أجسامهم المنهكة، تسهر الليالي متطوعة لغسل الثياب وإعداد الغذاء لمئات الرجال المرابطين في المحيط القريب منهن دون كلل ولا ملل (تزغردن) على من يسقط شهيدا في ساحة الشرف، وتدفعن بمن بقي من الرجال الأشداء إلى المعركة تحفز هممهم إلى مايقتضيه الواجب منهم، فهم العين الساهرة على أمن الثوار لحظة تسللهم للحي أو القرية لأداء الواجب، وهم العين الفاحصة لتطلع اماكن الأهداف موضع تنفيذ العمليات في بعض الأحيان، وهم الدليل لقطع المسافات ليلا على المسالك الخفية، وهم المنظمون لقوافل التموين على دوابهم أو مركباتهم، وهم عيون الفدائيين والمسبلين والمناضلين، وهم العناصر الفعالة في المجالس الشعبية والخلايا السرية التي كانت تكون حلقات التواصل بين السكان والثوار، الخ......

- **قساوة الحياة في المناطق المحرمة**

لم تكن حياة المجاهدين في المناطق المحرمة خالية من المشاق والصعوبات، والهجومات المفاجئة في كل حين خاصة بعد أن حصل الجيش الفرنسي من الحلف الأطلسي على الحوامات من التي مكنته من عنصر المفاجئة ومباغتة وحدات جيش التحرير ليلا ونهارا، وتجنيد العدد الهائل من طائرات الإسناد والإستطلاع والمطاردة، فالمجاهد الذي يعيش قرب التجمعات السكانية فإن حياته بالتأكيد هي أيسر من حياة زميله في الجبال والمناطق المحرمة الذي يجب عليه أن يتكفل بكل متطلبات حياته من إيواء وأكل ولباس وحراسة، وتنظيف وتنقل، ومعلومات أخرى أساسية، وكانت الصعوبات التي تواجه المجاهد في خط النار كثيرة منها صعوبة توفير الغذاء في الظروف العادية، وفي الحالات الحرجة فإن المجاهد يكتفي بما تيسر من حشيش أو حبوب على طبيعتها فيقوم بتحميصها (قلية) او بسلقها (شرشم) بواسطة بقايا شضايا القنابل أو أوعية العلب الحديدية التي يتركها الجيش الفرنسي بعد أكل محتوياتها،

وخلال الأوقات المساعدة يتداول المجاهدون على رحي تلك الحبوب (بالطاحونات) التقليدية التي تركها السكان في قراهم المهجورة، ثم يعجنون الدقيق ويدفنونه تحت رماد النار المشتعلة وهو مايطلق عليه (الكسرة أو الركون) وبعد أن ينضج يقسم على الحاضرين، وهناك طرائف مضحكة في هذا الموضوع حيث أن أحد القادة البارزين يذكر في مذكراته بأنهم كانوا يقسمون (قريصات الركون بالشاقور) وهي مبالغة لم تشهدها ولا يتوقعها عاقل، فلطبيخ هذه الخبزة التي تقسم بالشاقور لابد من إشتعال النار على مساحة كبيرة جدا في طبيعة مراقبة من طرف العدو جوا وبرا.

نعود لصعوبات المجاهد في خط النار فنقول بأنه في الأوقات الآمنة يقوم المجاهدون بإعداد وجبة ساخنة من المقرونة المطبوخة في الماء وقليل من الزيت والملح والفلفل من حين لآخر.

هناك قصة غريبة أخرى بالنسبة للقهوة مع الممون المجاهد (حويلي) المعروف بالتقشف والعدالة في توزيع ما يتوفر له من مواد غذائية، والمشهور بصبره على الإنتقادات اللاذعة التي يتلقاها من زملائه المجاهدين، كان رحمه الله يحصي لكل مجاهد سبعة حبات من القهوة ويسلمها له، وله أن يلوكها في فمه، أو يدقها بين حجرين مسطحين ويسكب عليها قليلا من الماء في وعاء حديدي من بقايا الجنود الفرنسيين ويغليها على نار هادئة ثم يحتسيها، وكثيرا ما يشترك أكثر من مجاهد في تلك الطريقة التي تنعشهم وتخفف عنهم عناء الجوع والتعب.

وفي الحالة الطارئة لايجد المجاهد غير النباتات الغير السامة، وثمار بعض الأشجار كالبلوط الجبلي، وإلا فعليه بالصوم الاضطراري إلى أن تنفرج الأزمة بخروج قوات العدو من الجهة المحاصرة، والتي عادة لاتستقر لأكثر من أسبوعين،

ماعدى خلال فترة الجنرال شال الذي خرج فيها عن المألوف بحيث أطال عن قصد حملته التفتيشية لعدة أشهر.

أذكر حالة عشتها وسط مجموعة من المجاهدين خلال شهر رمضان لسنة 1957، وهي حالة متكررة خلال الثورة، لقد صمنا شهر رمضان العظيم في غابة (كيمل) على كمية من الشعير عثرنا عليها في "مطمورة" للشعب الذي رحل وحشر قهرا في المحتشدات، كنا نتداول فيما بيننا يوميا على طحن ماتيسر من حبوب الشعير بمطحنة تقليدية يدوية، ثم نصفي الطحين الأحرش ونطبخه في الماء مع الملح وقليل من الزيت ليصبح حساء نحتسيه، وأما الدقيق الناعم فنقوم بعجنه لنطبخه كقريصات تحت الرماد "كرون"، مع العلم أننا كنا محظوظين بعثورنا على الكمية المذكورة من الشعير، ومحظوظين لأن حملات العدو تناقصت في منطقتنا بسبب إنتشار الثورة في مناطق أخرى خففت علينا الحصار.

وخلال شتاء 1955 حاصر العدومنطقتنا بحصار كبير جدا، كان علينا تجنب التصادم مع تلك القواة الضخمة التي لاقبل لنا بمواجهتها، فانتقلنا الى مناطق لايوجد فيها تموين، إستمر مكوثنا بها 15 يوما بدون أي غذاء،ولما خرجت الحملة عدنا لمنطقتنا لنبحث عن غذاء يسد رمقنا، أخرجنا من بيننا دورية تستطلع أغنام السكان لشراء شاة، وبينما نحن كذلك وإذا برب العباد يبعث لنا بقرة حمراء، الله وحده يعلم كيف ساقها لنا، فالمنطقة خالية من أي نوع من الماشية ذلك لأن الطائرات تقصف كل كائن حي، ثم أن الحملة التي إستقرت في المطقة مدة 15 يوما لم تترك ما يمكن للثوار إستغلاله ولو عثروا عليها لأكلها أفرادها، إنطلقنا خلفها للقبض عليها فعجزنا عن ذلك بسبب الهزال والجوع، أطلقنا عليه الرصاص وبمجرد سقوطها أرضا تعاونا على سلخها وبدأ كل منا يشوي ما تيسر منها، و المفاجأة الكبرى أننا جميعا أصبنا بطلق البطون (الإسهال)، وأصبح برازنا دما أسود مصحوبا بآلام حادة، من حسن حظنا أن العدو

كان قد خرج لحينه من المنطقة وإلا لكان مصيرنا الإستشهاد أو الأسر الأكيد بسبب المرض، فما أكثر الحالات المتشابهة التي كان المجاهدون في المنا طاق المحرمة يتعرضون لها باستمرار، وبالرغم من كل تلك المعاناة، فإن معنوياتنا كانت جد مرتفعة لأن المعانات أصبحت جزا من حياتنا، وحتى أنها كانت تحفزنا لأداء مهامنا بتحدي وإصرار، في كل الأحوال علينا مباغتة العدو بضربات موجعة، لأنه لامعنى لوجودنا إن لم نقم بذلك القتال الذي يبق هو الشغل الأساسي والدائم للمجاهد.

وبالإضافة الى نقص التموين، ومقارعة العدو المستمرة، فلا بد من أداء مهام أشد قساوة يقتضي منا الواجب أداءها في كل الأحوال الصعبة، كمهمة جلب التموين بقوافل البغال لتخزينها في المناطق المحرمة رغما عن العدو وطائراته، فلاخيار لنا في ذلك، ولابد من تمرير القوافل رغم أنف العدو، وإذا حتى لو إعترض طريقنا لنترك له من يشتبك معه الى غاية إبعاد القافلة عن الخطر.

كانت مهمة جلب التموين في المناطق المحرمة ضرورية لإستمرار الحياة رغم خطورتها، وقد عشتها شخصيا تلك التجربة كمسؤول "قسمة "مكلف بجمع التموين والمال واللباس والدواء من السكان، وعلي نقل كل ذلك لعمق غابة شليه، وبني ملول، والبراجه، وكيمل حيث القواعد الخلفية لجيش التحرير، حتى أن جيش التحرير كان يطلق على (قسمة الرميله) الواقعة في محيط مدينة "قايس" (مطمورة المجاهدين)، لخصوبة أرضها ووفرة محصولها وسخاء أهلها الذين لم يبخلوا علينا، كم كنت أجد (الأكل البارد الرفيس) مهيأ حتى لايضطرون لإيقاد النار التي تجلب لهم عيون المخابرات، وكنا نقرض من أغنيائهم المال لمابعد الإستقلال، أذكر من بينهم الفلاح (بن سلطان) بالرميله الغربية، وبعد الإستقلال لاأحد إعترف بذلك السخاء الذي كنا نلمسه منهم.

كان جماعة (الحركي) بقيادة محمد أو عباس يضايقوننا بحكم معرفتهم للأرض ومخالطتهم للسكان، كان قائدهم محمد أو عباس يترصد نشاطنا ويتابع خطانا خطوة بخطوة، وحتى لايعرض نفسه للخطر يتجنب التصادم معنا، فماكان يهمه في الدرجة الأولى هو تقديم المعلومات عن نشاطنا بالدليل لضابط المخابرات، فيدله على مكاننا خلال الليلة الفارطة، ومن جانبنا كنا نغير خطتنا كل ليلة حتى لايشغلوننا على مهامنا الأساسية وهي جمع المال والتموين وتوعية السكان ومتابعة الخونه، لأننا لسنا مكلفين بالقتال إلا إذا فرض علينا، كان "محمد أو عباس" يخرج ليلا للحي أو القرية التي دخلناها في الليلة الماضية لتجنب اللقاء بنا، فيقوم بجمع كل الرجال في مسكن واحد، ثم يجمع النساء في مسكن آخر ليسهل عليه التمتع ببعضهن غصبا وهو بذلك يتعمد إهانة السكان وتدنيس شرفهم.

ولمواجهة خطر فرق القوميه "الحركى"، والتمكن من تمرير قوافل التموين للمقاتلين في عمق كتلة لأوراس، كان علينا تكوين ثلاث أفواج لحراسة القافلة وتمريرها غصبا، يتولى الفوج الأول إستطلاع الطريق، والفوج الثاني والثالث بحرسان القافلة يمينا وشمالا، فإذا ما هوجمت القافلة من أي جهة يتولى الفوج الموالي التصدي للهجوم، بينما الفوج الأخر يقوم بتوجيه القافلة للجهة الأمنه لكي تواصل سيرها نحو هدفها.

فواجبات المجاهد لاتقتصر دائما على مقارعة العدو ومقاتلته فقط بل تتعداها للتكفل بضروريات أخرى تتطلبها الحياة، وتفرضها الظروف وسط طبيعة مقفرة ومعروفة بتغيراتها المناخية المفاجئة (الثلوج والمطر والزوابع والكوارث الأخرى) التي يتحملها المجاهد، زيادة على أخطار العدو المتربص به ليلا ونهارا وفي كل الظروف، خاصة بواسطة طائرات (ت 6) المزعجة جدا، والتي كان صوت محركها يثير أعصابنا، وتحليقها البهلواني الذي يمتد لساعات وساعات لايسمح لنا بالتنقل، فكنا نصبر لخطورة القصف المكثف ببراميل (النابالم)

المحرق للشجر والحجر، ولا نصبر على صوت محركاتها المقلقة.

الجنرال الطيار ميشال فورجي يقول (كان الجنوب القسنطيني كما هو معروف مملوء بالمناطق المحرمة التي تقع أوسعها في الأوراس، وبالتالي فهي خارج ضربات قواتنا البرية. وبما أننا كنا نعرف أن جبهة التحرير قد أقامت فيها مراكزها القيادية، ولعشرات من الكتائب، ولكونها كانت محرمة على قواتنا، فإنها أصبحت ملاذا أمنا للمتمردين، وهو ما لم نستطع تحمله. لذلك أصبح لزاما على سلاح الطيران التدخل في هذه المناطق، لجعل الحياة فيها مستحيلة على المتمردين، وجعلهم في حالة استنفار دائم واختفاء تحت الأرض خلال مدة التحليق الطويل المتعاقب على المنطقة، لإبقاء الذعر والخوف دائما، ورغم أن هذا الأسلوب كان مكلفا، غير أننا واصلنا اعتماده مع إلقاء قنابل ثقيلة على المنطقة تزن 1000 رطل، بعضها كان متأخر الانفجار، لقد كانت أمنيتنا الأساسية هي أن نتمكن من كشف كتيبة من المتمردين، تسير في مكان مكشوف، لنسارع إلى تدميرها، لقد كنا باستمرارنا في التحليق نعبر عن إرادتنا في محاربتهم في كل مكان يتواجدون فيه حتى في المناطق المحرمة).

ويواصل: (ومن خلال التحليقات الأولى فوق الأوراس، وخاصة فوق المناطق المحرمة الرئيسية التي يفترض أنها تحوي الآلاف من المتمردين المنتشرين فوق أديمها، فقد كان الانطباع الأولي السائد لدينا هو أن تلك المنطقة خالية تماما، فلا وجود لأي حياة على الأرض، ولا شيء يشير لوجود بشر، لا نرى غير الأشجار وركام الصخور، ذلك لأن المتمردين يمشون في جماعات صغيرة، حيث أن الكتيبة تضم مائة محارب على أكثر تقدير، والفرقة لا تضم سوى عشرين فردا، يسيرون على الأقدام، كنا نقوم بمهماتنا الاستطلاعية المسلحة بواسطة طائرات (ت6) وأحيانا بالمطاردات الثقيلة، كان علينا أن نولي

انتباها خاصا في الأوراس للمناطق المحرمة وما يجري فيها، حيث أن الطيارين هم الوحيدون القادرون على الحراسة المعمقة لتلك المناطق، بمختلف الطائرات الخفيفة والثقيلة. لقد كانت لدينا فكرة نسبية على الأماكن التي يوجد فيها المتمردون، وكنا نعرف حتى أسماء المسؤولين، وبالتجربة أصبح في مقدورنا استنباط الأدلة بسرعة على تواجد المتمردين في تلك المناطق التي لم نر فيها أي أثر لهم في الطلعات السابقة) ويواصل أيضا: (هكذا انغمست فرنسا سنة 1956 في التصدي للشكل الجزائري، وكان المجهود المبذول هائلا، ومتعدد الأشكال خاصة مجهود القوات المسلحة، وخصوصا القوات الجوية الذي كان في مستوى الوضع أمام تحدي خصم مصمم، وشجاع، يواجه هجماتنا بفطنة وبرودة دم، الشيء الذي جعل هجماتنا الجوية تنال قسطها من الخسائر، حيث تزايد عدد الطائرات المسقطة أو المصابة، وهذا كان مصدر احترامنا لخصمنا الذي كان يواجه طائراتنا بواسطة رشاشات ف م 29. 24 كلما أمكنه ذلك، حيث كان يجبر الطائرات الخفيفة لأن تقصر مهمتها فقط على حراسة منطقة العمليات بالتحديد. لقد وجدنا أنفسنا أمام تمرد يتطور ويتعاظم وهو ما فرض علينا تجنيد أسراب أخرى من الطائرات، وأجبرنا على تصفيح قمرات قيادتها خوفا من الدفاعات الأرضية للمتمردين).[1]

وبذلك يؤكد الجنرال الطيار ميشال حرصهم على تعويض خروج القوات البرية من المناطق المحرمة وإسناد مهمة أمنها لسلاح الطيران الذي كثف طلعاته مستعملا كل أنواع الأسلحة منها (غاز النابالم) المحرم دوليا، لحرق الغابات وما تحتويه من كائنات حية، لكن إرادة الله تأبى غير ذلك، فالنار لاتلبث أن تنطفئ بقدرة الله، سبع سنوات والجيش الفرنسي يحاول حرق الغابات دون جدوى.

[1] الجنرال ميشال في كتابه (الحرب الباردة وحرب الجزائر) ص 105 و146

لقد تحمل الشعب اللاجئ في المناطق المحرمة مخاطر الإبادة، والبرد، والعري، والجوع، والمطاردة المستمرة من طرف العدو واستمر كذلك إلى غاية توقيف القتال (وبشر الصابرين)، لقد كان تعلقهم بالحياة في حد ذاته تحديا لأكبر قوة استعمارية، لأنهم كانوا مؤمنين بالله وبنبل المقصد. وعدالة القضية، ومن المفارقات أنهم وهم في وضعهم ذلك، كانوا يتعاملون مع واقعهم البائس بنظرة مستقبلية متفائلة واعية وواعدة، فلم يغفلوا يوما عن تعليم أبنائهم في تلك الظروف القاسية تحت القصف والحملات التفتيشية الكبرى، وذلك بجهود معلمين عصاميين منهم أجر الجهاد المقدس، وإنقاذ أطفال لاجئين فرض عليهم الزمان ذلك الواقع فوجدوا من ينقذهم من تلك الأمية المفروضة، وأذكر على سبيل المثال، الشيخ محمد بدرة، الذي زود عددا منها من الأطفال اللاجئين بمعلومات مكنتهم من الإندماج في مدارس الإستقلال، حيث تمكن جلهم بعد ذلك من إنهاء دراستهم الجامعية، التي أهلتهم لشغل مراتب سامية في مؤسسات الدولة الحديثة، أذكر منهم عبد الحفيظ مستيري إبن عمر مستيري مرافق بن بولعيد أثناء سفره إلى ليبيا، والذي تابع دراسته وتخرج كقاضي وأنهى مشواره المهني بالمحكمة العليا، وزميله غسكيل الصادق الذي بلغ رتبة محافظ شرطة، والأستاذ هلايلي محمد الصالح، والأستاذة يمينه هلايلي، والصحفي دبابي محمد الصالح، والأستاذ عيسى عاجل وغيرهم ممن لم أتذكر أسماءهم على مستوى لاجئي كيمل والولجه والبراجه، وهي معجزة تستحق الدراسة كظاهرة اجتماعية ملفتة للانتباه، حدثت فقط مع جيل ثورة نوفمبر 1954.

وبما أننا تكلمنا على أطفال خط النار، فلا بد من التعرض لشريحة الشيوخ العجزة من المجاهدين الذين إستجابوا رغم تقدم سنهم لواجب الجهاد، حتى أن بعضهم غامر بالذهاب لتونس من أجل السلاح، غير أنه وبعد أن ثقلت خطاهم وتقوست ظهورهم أعفاهم جيش التحرير من خوض العمليات القتالية، وكان عددهم

يزيد عن 150 مجاهدا شيخا، أنشأت لهم قيادة المنطقة 2 مركزا خاصا بهم كان يتوفر على بعض ضروريات العيش الكريم، حيث كانوا هم أيضا هدفا لطائرات العدو، والحملات الكبرى التي شنها الجنرال شال ومن قبله ومن بعده.

وأشير في هذا الصدد الى أن الثورة في الأوراس قد ارتكزت على بعض العائلات التي التحق كل أفرادها بالجهاد شيوخا وأطفالا ونساء وأورد على سبيل المثال كنموذج عائلتين لا تنتميان لعرش واحد، ولكن ظروف الحرب جمعتهما في خندق واحد في ساحة القتال.

العائلة الأولى هي عائلة مزوزي، المتكونة من الأخوين المجاهدين الشيخ عمار مزوزي وهو عالم منتمي لجمعية العلماء المسلمين، وابنه الوحيد الشهيد الشيخ إبراهيم مزوزي كان قبل الثورة معلما، والأخ الثاني لعمار مزوزي هو المجاهد الطيب مزوزي، الذي كان له ثلاثة أولاد، وهم المجاهد علي، والشهيد عبد الحميد الذي سقط في ميدان الشرف في نفس المعركة التي استشهد فيها رئيس الولاية (علي النمر)، والمجاهد بلقاسم الذي عاش إلى ما بعد الاستقلال حيث حاز على رتبة جنرال.

أما العائلة الثانية فهي عائلة هلايلي التي تعرضنا لذكرها في مستهل المذكرات، وهي المتكونة من أخوين: الأكبر هوالشيخ عمر بن بلقاسم هلايلي المنتمي هو الآخر لجمعية العلماء المسلمين، وأولاده الخمس بلقاسم، ومحمد، والطاهر، محمد الصغير، عبد المجيد. والأخ الأصغر هو: المجاهد علي بن بلقاسم هلايلي، وأولاده الثلاثه، كل أفراد هذه العائلة رجالا ونساء وأطفالا إلتحقوا جميعا بالثورة ماعدى الوالد الشيخ عمر الذي أقعدته الشيخوخة عن الواجب واستشهد منهم ثلاثة هم: محمد لخضر، والهادي، وأحمد.

كما أذكر عائلة ثالثة، كانت تتكون من ستة إخوة التحقوا جميعهم بالثورة فاستشهد أربعة منهم وهم: إبراهيم دبابي، وعمار دبابي، والطيب دبابي، وعمردبابي، ولم يبق منهم إلا اثنين هما المجاهد بلقاسم، والمجاهد علي دبابي.

لم أتعرض بالذكر إلى هذه العائلات الثلاثة من باب الافتخار والتمييز، إنما أوردتها كنموذج لأغلب العائلات الأوراسية في الريف خاصة التي أعطت كل شيء للثورة عن طيب خاطر ولم تبخل لابالنفس ولا بالنفيس. ولو تعمق الإنسان وغاص أكثر في الأعماق المجتمع الأوراسي لوجد وراء كل واحد من الشيوخ العجزة الذين إلتحقوا بالثورة لوجد قصصا موغلة في الغرابة، تنسي الواحدة سابقتها.

• القيادات التي سيرت منطقة الأوراس من 54حتى 1962

هناك ثلاث قيادات تعاقبت على تسيير منطقة الأوراس خلال أربع فترات متباينة.

أ - **الفترة الأولى والفترة الثانية:** سيرتا من طرف القاده التاريخيين وهم: القائد الرمز "مصطفى بن بولعيد" ونوابه الثلاثه 1)"شيحاني بشير "2)"عباس لغرور" 3)" عاجل عجول".

هؤلاء القادة الأربعة هم أنفسهم من هيؤوا للثورة خلال الفترة الأولى(فترة التوجيد) وهم من تولوا خلال الفترة الثانية بتفجير الثورة، ونشر الطلائع الأولى على كامل منطقة الأوراس، وهم من أسسوا جيش التحرير وهم من تحدوا العدو بالكمائن والهجومات الخاطفة خلال سنة 1955، وهم من خاضوا المعارك التاريخية التي إشتهر بها الأوراس خلال سنتي 1956

ب - **الفترة الثالثة** : هي المرحلة التي جاءت بعد مؤتمر الصومام، والتي تولى فيها رجال "عبان رمضان" منسق لجنة

التنسيق والتنفيذ، تسيير وتنظيم الولاية الأولى بعد تصفية قادتها التاريخيين بدأ "بعباس لغرور" و"عاجل عجول"، وتعيين قيادة جديدة للولاية الأولى داخل التراب التونسي تداول عليها: العقيد "محمود شريف" ثم "محمد لعموري" ثم "أحمد نواورة".

ج - **الفترة الرابعة:** هي المرحلة التي جاءت بعد إخضاع الولاية الأولى للأمر الواقع، وتصفية عناصرها التاريخيين الغير مرغوب فيهم، وتعيين قيادة داخل تراب الولاية لتباشر تسييرها من الداخل كسائر الولايات الأخرى.

وقد تولى تسيير هذه الفترة داخل الجزائر إثنان من قادتها المحليين وهما:

الأول - العقيد "الحاج لخضر" وذلك إبتداء من 1958 إلى غاية 1960.

الثاني - العقيد "الطاهر زبيري" الذي فضله وزير الدفاع على زميليه "مراده مصطفى" و"علي سوايعي" وذلك لعدة إعتبارات منها:

1- ليرد الجميل لصديقه "الزبيري" على ما قدمه له من خدمات جليلة على مستوى الحدود الشرقية، وذلك بالتطوع لإطفاء تمرد وحدات الأوراس، والقاعده الشرقية نتيجة الممارسات الغير عادية التي كانت تطبق عليها.

2- ليومن كريم لنفسه كوزير دفاع ولاء الولاية الأولى مستقبلا أمام الخصوم المحتملين، عند ما تهب الرياح وتتحرك الرمال، غير أن فراسة "كريم بلقاسم" لم تكن موفقة حيث إضطر "العقيد الزبيري" إلى التحالف مع خصوم "كريم بعد (مؤتمر "طرابلس).

والخلاصة :أنه من أجل النفوذ السياسي والولاء للأشخاص، تمت التضحية بالرموز التاريخيين لمنطقة الأوراس كما ستوضح ذلك في الفصول المقبلة.

أولا- نبذة عن فترتي القادة التاريخيون 1956/55/54

أ- مرحلة القائد الفذ مصطفى بن بولعيد

كما أسلفنا كان "سي مصطفى" قد فجر الثورة ليلة 31 نوفمبر 1954 خلال تجمعين تاريخيين للطلائع الأولى للثورة في الأوراس، التجمع الأول في "دشرة الحجاج" داخل مساكن "أولاد بن شايبه" بحضور "عجول"، والتجمع الثاني في "القرين".... بحضور "الطاهر النويشي"، وقبل توزيع الطلائع الأولى على نقاط التنفيذ، عين القيادة العامة الأولى لجيش التحرير التي ستسهر على نجاح الثورة بإشرافه الشخصي وثلاث نواب له هم على التوالي :

الأول:"شحاني بشير "الثاني:"عباس لغرور" الثالث:"عاجل عجول"، ثم بعد مدة محددة قام أيضا بتعيين "القيادات الفرعية"، واكمل تنظيمات جيش التحريره، وحدد قواعد التعامل مع المجتمع الجزائري، وبعد أن أنهى كل الترتيبات واطمأن على وضع الثورة والثوار قرر السفر إلى "ليبيا" لربط الإتصال بالوفد الخارجي المتمثل في "بن بله" ورفاقه، وذلك لأجل توفير شروط المعركة الطويلة وما تتطلبه من سلاح وذخائرحربية ومال ودبلوماسية.

قبل مغادرته المنطقة نحو "تونس" و"لليبيا" سلم أمانة تسيير المنطقة الأولى في غيابه لنائبه الأول "شحاني بشير"، وأكد له عضوية "عباس لغرور" و"عاجل عجول"، وذلك لأنهما كانا مسؤولين على قسم "خنشله" و"قسم أريس" في التنظيم الحزبي، ولكون الطلائع الأولى التي نفذت أحداث الثورة كانت في أغلبها منتمية تنظيميا لهما، ولكونه قد إمتحن قدرتهما التنظيمية والعسكرية خلال عملهما معه، ولذلك عينهما كقائدين

ميدانيين تحت إشراف "شحاني" وأوصاهما به خيرا لأنه غريب عن المنطقة، وحثهما على الإستفادة من ذكائه وفطنته.

ولسوء حظ الثورة أنه بمجرد دخول القائد مصطفى بن بولعيد" التونس" تفطنت له المخابرات الفرنسية والقت عليه القبض بعد مطاردة قتل خلالها أحد مطارديه. أما مرافقه المجاهد "مستيري عمر" فلم يؤسر لكونه كان في معزل عليه خلال بدأ المطاردة.

لقد عمل هؤلاء الرجال الغيرعاديين الذين تركهم "الرمز مصطفى" خلفه وأمنهم على مصير الثورة، قلت عملوا المستحيل على نشر الثورة بعد أسره، ومواجهة العدو في الميدان بانتصارات سريعة ومتصاعدة عرفت بالثورة محليا ودوليا بعد ما إعتقد العدو أنه بأسر قائدها في الأوراس قد قضى عليها، لكن الميدان برهن على أن ثورة 1954 تختلف عن الثورات السابقة من حيث التنظيم والتوقيت والرجال والظروف الدولية.

لاغرابة في قدرة القاده الذين سلمهم مصطفى مشعل الثورة على نشرها ونجاحها خلال فترة غيابه، فهم من هيؤوا لها المجتمع الأوراسي الريفي الوفي بالأمس، وهم من جندوا ودربوا أفراد خلايا التنظيم السري الذي زرعوه بين فئات المجتمع الأوراسي، وسهروا على توسيعه وتقويته، وهم من فاجؤوا به العدو من خلال التنفيذ الناجح لحوادث ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 حين استغفلوا إدارة الإحتلال وعيونها بتلك الحوادث التاريخية التي زلزلت الأرض من تحت أقدامهم.

وفي المواضيع السابقة كنا قد بينا كيف أن سي "مصطفى بن بولعيد" كان يتابع بنفسه نشاط الطلائع التي نفذت أحداث ليلة نوفمبر 1954، وكيف إنكب على شؤونها الخاصة، وعلى هيكلة أفواج جيش التحرير في وحدات قتالية مستوفات لشروط الفعالية، وكيف وفر لأفرادها الإمكانيات الضرورية لأداء

واجبهم القتالي على جبهات القتال بثبات وإصرار، وكيف أنه لم يغفل تنظيم السند الشعبي الواسع للثورة وخلاياها السرية النشطة والمجالس الشعبية، ومختلف مجموعات الخدمات والإسناد.

وبعد أن خرج "الرمز مصطفى" من سجن "الكدية بقسنطينه" عاد لعرينه الأوراس الأشم، وتولى قيادته من جديد، وبدأ يفكر في عقد المؤتمر المؤجل الذي كان "السته التاريخيون" قد إتفقوا على عقده بعد ستة أشهر من إنطلاق الثورة، فبعث برسالة إلى زميله " كريم بلقاسم" حول الموضوع حملها له "محمد لعموري"، وكان ينوي شخصيا الإتصال المباشر بقيادة المنطقة الثانية للإتفاق على مكان وتاريخ عقد المؤتمر المقبل، وللغرض نفسه كان قد بعث بلجنة إلى منطقة "سوق اهراس" بقيادة "عبد الوهاب عثماني" لتوفير شروط عقد المؤتمر هناك، بكل أسف كان القدر له بالمرصاد للمرة الثانية حيث سقط شهيدا بمؤامرة المخابرات التي أسقطت له "لغما" تمثل في "بوسط" مواصلات إنفجر عليه في محيط "الجبل الأبيض" وبذلك إنطفأت شمعة "القائد الرمز "مصطفى بن بولعيد" ولكن الثورة التي هيأ لها وتولى إعلانها بنفسه إستمرت متصاعدة بفضل القيادات التي إختارها على وعي ودراية وهو الأعرف برجاله ومساعديه

وبتضحيات الأبطال من أبناء منطقة "أوراس النمامشه" الذين إنتصروا على العدو ميدانيا بصورة مفاجئة لفتت إنتباه دول العالم إلى نجاحات الثورة الجزائرية الكبرى في ميدان القتال بنية كاملة من خلال المعارك التي تصاعدت حدتها بصورة واضحة مع مطلع سنة 1956، وهو ما ساعد على إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال الأمم المتحدة "كقضية إستعمار" لم تصبح مقبوله، وذلك بجهود كل مناطق الوطن.

مرحلة شيحاني بشير



لقد واصل القائد شحاني ونائبيه عباس لغرور وعاجل عجول تسيير الثورة في الأوراس، حيث نشطت وتيرة الكمائن، والهجومات لخطف السلاح من يد العدو، وراحوا يعملون على فتح الجهات التي لم تصلها الثورة في عامها الأول، والتركيز على توعية السكان في السفوح والسهول خارج المنطقة الجبلية التي عجل العدو بترحيل سكانها وحشرهم في تجمعات قرب مراكزه العسكرية لفصلهم عن الثوار.

بكل أسف واجهت "شحاني بشير" عدة مشاكل من طرف بعض القيادات من حوله منهم على الخصوص "عمار بن بولعيد" الذي أصبح يطالب بتعويض أخيه في القيادة على الأوراس، وكذلك الشأن بالنسبة "لعايسي مسعود" الذي لم يقتنع بمهمة جمع التموين وتوزيعه، فطموحه كان يستهدف عضوية القيادة العامة، لقد تقاطعت رغبات "عمار بن بولعيد" و"عايسي" وتحالفا ضد "شحاني" إلى درجة التفكير في إغتياله، حاول "شحاني" كسب ود "عمار بن بولعيد"، وذلك بتوليه القياده الشرقية لمنطقة الأوراس دون جدوى، فلا عمار قبل بالقيادة الشرقية، ولا معارضي الفكرة قبلوا بذلك الإقتراح، حجتهم في ذلك أن "سي مصطفى" قد أوصى بعدم إسناد أية مسؤولية لأخيه "عمار".

وحتى يخفف "شحاني" الضغط على نفسه، حاول تغيير مركز القياده العامه التي تركها "مصطفى" في عمق غابة "كيمل -بني ملول" بالمكان المسمى "لحويه" إلى مركز "القلعه" جنوب "خنشله"، حيث طاب له المقام بمركز (القلعة)

لفترة من الزمن، رغم الإحتجاجات التي تضاعفت عليه بتغيير مقر القيادة من الوسط إلى الغرب .

حاول "شحاني" أن يرد على خصومه بإجراء تنظيمات جديدة، تحسن أداء جيش التحرير، وتتجاوب مع إنتشار الثورة خاصة نحو الشرق، وذلك بإنضمام ثوار الجبل الأبيض للثورة بناء على تعليمات من "مصطفى بن بولعيد" قبل أسره.

الإجراء الأول: هو تثبيت قرار تحويل مركز القياده من كركز "الحويه" في الوسط إلى مركز "القلعه" بالشرق، وإصدار التعليمات بتوجيه المراسلات إلى القيادة في المركز الجديد، هناك من فسر هذا القرار المتسرع لشحاني بتحويل مركز القيادة لشرق المنطقة بالقلعة برغبته في التقرب أكثر من الحدود التونسية، ليسهل عليه الإتصال بالوفد الخارجي بالقاهرة، أملا في الإنضمام اليهم، ولما لا ؟، وهو القائد الأعلى للأوراس عمق الثورة في تلك المرحلة المبكرة، وهي فكرة موفقة ليته نفذها، ولو نفذها لجنب الأوراس التهميش الذي سلط عليه، ولكان للأوراس دورفي التأثير على مجريات الأحداث، ولكان من السابقين لعقد المؤتمر الذي غيبهم وغيب الأوراس، وفرض عليهم التهميش والإ قصاء والعقوبات الغير مبررة.

الإجراء الثاني: الإتفاق على إجراء تغييرات هيكلية وتعيين بعض المسؤولين خاصة على مستوى الجهة الشرقية، أذكر على سبيل المثال تعيين (عمر البوقصي) على ناحية صدراتة، وتعيين 'لزهر شريط' على الجبل الأبيض، وتعيين 'بشير ورتان' على ناحية تبسة، وتعيين 'الوردي قتال' على ناحية سوق اهراس.

كما أسندت مسؤولية الحدود الجنوبية على الحدود التونسية إلى 'الصالح الخنشلي'، و"جلالي السوفي"، كما أسندت أيضا مسؤولية الحدود الشمالية إلى 'حمة بن عثمان'.

الإجراء الثالث: الإتفاق على تقسيم منطقة الأوراس الى(ثلاثة نواحي كبرى) وفق التكوين الجغرافي للمنطقة وهي:

أولا- ناحية الغرب التي تبدأ من محيط باتنه الى حدود منطقة القبائل، وتشمل سطيف والحضنه وما بينها.

ثانيا- ناحية الوسط التي تشمل جبل تامزة، وجبل شلية، وغابة بني ملول، وغابة كيمل، وغابة البراجه، وسلسلة أحمر خدو والجبل الأزرق والصحراء.

ثالثا- ناحية الشرق التي تبدأ من شرق جبل عالي الناس وبضبط الطريق الرابط بين (قرية جلال) "ومدينة خنشله"، وتمتد حتى الحدود التونسية بما فيها سكتور السوافه "طالب العربي"ونوابه "عبد الحي" و"هالي عبد الكريم" في الجنوب على الحدود التونسية.

الإجراء الرابع: وهوقرار لعل القائد "شحاني" قد إتخذه بمفرده" للتحرر من نفوذ نائبيه "عباس" و"عجول"، والقرار يقضي بإسناد مهمة الرقابه لنائبيه، ولعله كان يحاول إبعادهما عن مركز القرار ليشغلهما بمهمة الرقابه التي تتطلب التنقل الدائم، فكلف "عباس لغرور" بمراقبة الناحية الشرقية أي المحيط الذي يوجد فيه مركز القيادة، المجال الطبيعي لمسؤولية "عباس لغرور" منذ إعلان الثورة، مع العلم أن "شحاني" كان يرتاح لعباس أكثر من إرتياحه لعجول، ولذلك عينه مراقبا على الوسط والغرب، أي السكتور الذي كان مسؤولا عليه قبل الثورة وبعدها، وقد ولاه لخصميه"عمار بن بولعيد" و"عايسي مسعود" الخصمين التقليديين "لعجول"، ليتحرر من مضايقاتهما وبالفعل فقد إنفرد "عمار" و"عايسي" بالجهة الغربية .

الإجراء الخامس: الإتفاق على ضرورة مضاعفة الهجومات والكمائن من أجل ردع العدو، ولفت إنتباه الإعلام المحلي والدولي، واغتنام المزيد من الأسلحة، وهو قرار حقق نتائج

باهرة منها إضطرار العدو لإخراج مراكزه التي غرسها في عمق وسط الأوراس، مايسعرف (بسكتور عجول) خلال صيف سنة 1955 وذلك خوفا من تكرار هزيمتهم في الهند الصينية، وذلك بعد أن عجزت وحدات العدو عن تزويد مراكزها بالمؤونة والبريد والماء، وأيضا عدم القدرة على إخراج الدوريات التي تحمي محيط تلك المراكز من خطر الثوار المتضاعف بكل إصرار.

وبعد ترحيل تلك المراكز أسند العدو مراقبة تلك المناطق التي أصبحت محرمة إلى سلاح الجو.

الإجراء السادس: الذي كان في جوهره قرارا سياسيا وإقتصاديا وهو منع التدخين على المدنيين والمجاهدين على حد سواء، والمقصود من إتخاذ القرار تحقيق هدفين :

الهدف الأول - إلحاق الضرر بالإقتصاد الفرنسي

الهدف الثاني - تبليغ الرسالة الإعلامية التي مفادها أن الثورة أصبحت لها مصداقية لدى السكان المسلمين اللذين لايترددون أبدا في تطبيق قراراتها بقناعة وشمولية.

الإجراء السابع: إصدار جريدة "الجزائر الحرة" التي كانت تصدر بالفرنسية، وهي وسيلة إعلامية فعالة، خاصة على مستوى الرأي العام الفرنسي بما في ذلك الجيش الفرنسي. بالإضافة الى مناشير أخرى متنوعة الموضوعات.

الإجراء الثامن: وهو يتضمن الرد على تآمر بورقيبه والفرنسيين على "القضية الجزائرية"، وذلك بإخراج تونس من مجهود تحرير المغرب العربي وقبول الإستقلال الداخلي ليتفرغ الجيش الفرنسي للقضاء على ثورة الجزائر، لقد قررت قيادة الثورة في الأورس بكل أعضائها (معاقبة "بورقيبه) ميدانيا، أي تقديم كل أنواع الدعم المادي والمعنوي لثوار تونس اللذين رفضوا مبدأ الإستقلال الداخلي لتونس بقيادة "الطاهر لسود"،

وتولى "عباس لغرور" تسليم تلك المساعدات المقررة والتي تتمثل في (أربعين مليون سنتيم) وكمية معتبرة من الأسلحة التي تمكنهم من مواصلة المقاومةضد مشروع "بورقيبه".

كما تقرر أيضا التنسيق مع "صالح بن يوسف" الذي أعلن المعارضة السياسية لبورقيبه ومشروعه المتخاذل.

بكل أسف لقد إنعكس هذا القرار الصائب في وقته على مصير منطقة الأوراس وقيادتها التاريخية، وذلك بدفع "بورقيبه" المتضرر بتعاون الأوراسيين مع معارضيه السياسيين والعسكريين، و"عبان رمضان" الذي واجه تحفظات على توليه قيادة الثوره خاصة من طرف الوفد الخارجي، وأيضا من المجاهدين في المنطقة الشرقية، لذلك إتفق "بورقيبه " و"عبان" على إجهاض القوة القتالية والسياسية لمنطقة الأوراس بما عشناه من مآسي طالت القيادات المتعاقبة لمنطقة الأوراس خلال سنوات 1958/1957.

- **نبذة مختصرة عن حياة بشير شحاني**

ولد "بشير شحاني" بالخروب (قسنطينه) بتاريخ 22 أفريل 1929؛ أبوه رمضان شيحاني، دخل المدرسة الفرنسية بالخروب، تلقى تعليمه بالعربية بزاوية (سيدي حميدة) بالناحية، أنهى تعليمه المتوسط سنة 1949، 1952 إنضم الى رئيس دائرة "حركة الإنتصار" بقسنطينه المناضل "حشاني إبراهيم" ثم عين بشار، وبعد بشار عاد لدائرة باتنه إلى جانب مصطفى بن بولعيد ومسؤولي الأقسام الثلاثه في "حركة الإنتصار" الذين تخلوا على "مصالي الحاج" ليقفوا وراء "مصطفى بن بولعيد" وهم على التوالي: "عاجل عجول" على قسم أريس رقم 2، و"عباس لغرور" على قسم خنشله، وعلى قسم بوعريف "الطاهر النويشي".

كان "بشير شحاني" بجانب مصطفى ليلة تنفيذ الثورة حيث عينه نائبا له مع "عجول" و"عباس لغرور"، ولما سافر "سي مصطفى" لليبيا خلال شهر فيفري 1955 عينه مكانه على قيادة المنطقة الأولى الأوراس بمعية "عباس لغرور" و"عجول" ليستمر في تلك المهمة إلى غاية إستشهاده في ظروف خاصة بعد خروجه من الغار الذي إحتمى به خلال معركة الجرف المشهورة.

- **عمار بن بولعيد ينفصل عن قيادة شيحاني**

بما أن لعمار بن بولعيد أتباع ينتمون لقبيلته بالناحية الغربية، كان سي مصطفى بن بولعيد قد عينهم قبل أسره؛ ومنهم إبن أخته رعايلي مصطفى بسطيف، وبن عكشة بعين التوته، وطورش بالحضنة، وأحمد غزوي عن فرقة المتطوعين مع الشريف رابح، اضف إلى بعض القيادات الأخرى على مستوى محيط اريس وجبل ستيلي والجبل لزرق، فقد شجعه ذلك على الخروج عن قيادة شحاني الذي كان يستمد قوته من تعيين مصطفى ومن تأييد نائبيه له عباس وعجول المسيطربين على ما يسمى سكتور عباس في الشرق، وسكتور عجول بالوسط.

وبما أن شحاني كان يتحاشى خوض المعارك مع الأفواج المقاتله، فإن ذلك حرمه من الإحتكاك بالمقاتلين وتكوين علاقة مباشرة بهم تجعلهم يتعلقون به مثل تعلقهم، بنائبيه عباس وعجول القائدين الفعليين في الميدان والمباشرين لكل صغيرة وكبيرة على مستوى قطاعيهما وهوما جعلهما منغمسين أكثر في حياة مرؤوسيهم ومحافظين على تلك العلاقة المباشرة بهم التي خدمتهما وعززت مصداقيتهما بخلاف شحاني الذي بقي كقائد عام بعيدا عن القواعد المقاتلة الدنيا، وبذلك لم يجد من يلتف حوله وينصره.

لم يكتف عمار بن بولعيد المدعم برجال قبيلته والمشجع من طرف عايسي مسعود وآخرين بالإنفراد بقيادة جل أجزاء غرب

الأوراس، إنما راح يطالب بالقيادة الفعلية على كل الأوراس مكان أخيه السجين عوضا عن شحاني الذي يتهمه بالجبن في خوض المعارك، واللجوء لمغارات الجبل الأبيض تاركا من ورائه "وسط وغرب" الأوراس بدون قيادة، رغم كونهما يمثلان العمق الطبيعي والتاريخي للثورة.

وهكذا أقدم عمار بن بلعيد على سن أول بدعة بالخروج عن قيادة شيحاني، وهي بدعة زعزعت الصفوف، وحفزت روح الشقاق وعدم الإنضباط والخروج عن سلطة القيادة العامة، وهو ماشجع المجاهد (كربادو علي) على التمرد هو الآخر على سلطة "شحاني" لما قام بمحاصرته في محيط القلعة احتجاجا على تغافله عن تصرفات رئيس القطاع "المسعود معاش" الذي أساء إلى شرف عائلته، ولولا التدخل السريع "لعجول" الذي أقنع "كربادو" بضرورة فك الحصار على "القائد "شحاني" لساءت الأحوا أكثر فأكثر.

المهم أن "عجول" نجح جزئيا في تسوية القضية مؤقتا ولكن "كربادو" سلم نفسه للعدو لاحقا.

- شحاني يسن حكم الإعدام في حق المجاهدين

بناء على مقاطعة عمار بن بولعيد" لقيادة "شحاني"، واستمرار "عايسي مسعود" في تمرده في محيط "إينو غيسن"، وتجرؤ "كربادو" على محاصرة "القائد شحاني" في محيط "القلعة" لأنه لم ينصفه في شرفه المهان من طرف "معاش مسعود" المنتمي لعرش "بني وجانه" شمال قمة شلية، حيث إقتص لنفسه منه وقتله دون إذن القيادة، ولما تعرض للعقوبة سلم نفسه للعدو، ثم أن "عباس لغرور" لما إكتشف القائد "معمر المعافي" يباشر الفاحشة مع أربعة نسوة في إحدى البيوت، فإنه قام بقتله وقتل النسوة.

لقد بدأت الأحوال تسوء حول "القائد شحاني" فخطيئة "معاش مسعود" بالتعدي على حرمة زميله القائد "كربادو"، وتحدي "كربادو" للقياده، بالإقتصاص لشرفه من "معاش" دون العودة لها، وإعلان "عمار بن بولعيد" وعايسي مسعود التمرد على شحاني، وعدم الإمتثال لقراراته كقائد عام، وأكثر من ذلك دفعهما للتآمر عليه بتكليف الثنائي "عمار معاش" و"غبروري" القيام بإغتيال "شحاني القائد العام"ونوابه بحجة تخليهم عن الأوراس وارتكابهم أخطاء باسم السلطة.

وخلاصة القصة أن "عمار معاش" و"غبروري" قد تنقلا إلى مركز القيادة بغرض إغتيال "شحاني ونوابه، ولحسن الحظ أنهما تنقلا بدون رخصة مرور التي كانت إجبارية في تلك الأونة، ولما إعترضت طريقهما دورية إستطلاع قادتهما "لعجول" الذي كان يعالج من جراح في كتفه، ودون أن يطلع على غرضهما رحب بهما بحكم العلاقة الطيبة التي كانت تربطه "بعمار معاش"،وبعد أن إستفسر على وجهتهما،أكدا له بأنهما ينويان الإتصال بالقائد "شحاني"،فزودهما برخصة مرور للإتصال بمركز القيادة العامة، ولما علم "شحاني" بقدومهما لمركز القيادة العامة، راوده الشك في قدومهما، خاصة وهو يعلم أن قريبهما "معاش مسعود" قد أعدم، لذلك كلف "عباس لغرور" بمقابلتهما والتأكد من غرضهما، ولما باشر "عباس لغرور" التحقيق معهما، تبين له سوء نيتهما، فانفرد "بغروري" كحلقة ضعيفة فاعترف له بخطة قتل "شحاني"، ولما بلغ شحاني بنتيجة التحقيق قرر إعدامهما في الحين، ووجه إستدعاء عاجلا "العجول" معتقدا أنه متورط معهما لأنه هو من سلم لهما رخصة المرور، حضر "عجول" في الحين أمام القائد "شحاني" رغم المرض الشديد، مباشرة إتهمه شحاني بالتورط مع المذكورين، فراح "عجول"يبرر تسليمهما لتلك الرخصة بحسن النية لكونه يجهل حقيقة نيتهما بارتكاب جريمة القتل، ثم أنه غير مؤهل لمنعهما من مقابلة القائد العام.

وبدون أن يستشير "شحاني" نوابه كما بينا أمر بتنفيذ حكم الإعدام في "محمد عيروري"، ولما جاء دور إعدام "عمار معاش" تحفظ "عجول" وعباس لغرور" على إعدامه، على أساس أن قتله سيثير الفتنة لا محالة، رضخ "شحاني" وأجل إعدام "عمار معاش" إلى غاية حضور "عماربن بولعيد" وعايسي مسعود" للتحقيق معهما، ولما رفضا الحضور أصدر "شحاني في حقهما أيضا حكم الإعدام، وأصدر تعليماته بضرورة إحضارهما بالقوة،ولكنه لم يتمكن من ذلك، واستمر حكم الإعدام قائما في حقهما، وفي حق "عمار معاش" إلى مابعد إستشهاد "شحاني".

وخلال حفل عودة "مصطفى بن بولعيد" للقيادة بتاريخ 13 مارس 1955، بعد خروجه من السجن، إقترح "عجول" على الحاضرين في غمرة تلك الإحتفالات التي أقيمت لنجاة وعودة القائد "مصطفى" للقيادة، العفو على "عماربن بولعيد" و"عايسي مسعود" و"معاش عمار"، وذلك تصفية للقلوب وترضية لخاطر "مصطفى بن بولعيد"، فقبل الجميع إقتراح "عجول" وبذلك رفع حكم الإعدام على المعنيين الثلاثة خلال ذلك الإحتفال،وقد حاول "عجول" بتكتيكه رفع الحرج على القائد "مصطفى" الذي سيكون بالتأكيد مخيرا بين خيارين؛ إما تنفيذ حكم الإعدام الموجل في أخيه ورفاقه المدانين، أو إلغاء ذلك الحكم الذي أصدره "القائد شحاني" بتهمة التآمر على حياته شخصيا كقائد عام في غيبته، وبذلك وفق "عجول" في إنهاء ذلك المشكل بصفة مرضية.

والحقيقة أن أحكام "شحاني" بالإعدام لم تقتصر على المذكورين، إنما شملت أيضا شابين تونسيين من جامعة "الصوربون"، كانا قد التحقا بالثورة تحت شعار الكفاح المشترك لتحرير أقطار المغرب العربي، وقدأصدر "شحاني" تعليماته للمجاهدين "القرطاس" و"الفرحاني" المنتميان لقبيلة "الزرازمة" بتنفيذ حكم الإعدام فيهما، وقد أكد ذلك القائد

"الوردي قتال" الذي كما يقول حاولت نصح "شحاني" بعدم إعدامهما فلم يستمع لنصيحتي، فاسمعته مقولة (من قتل يقتل) ولمن يريد التأكد من شهادة "الوردي" فليعد لكتاب (اللمامشه) لزروال محمد ص 232.

وهكذا يتجلى بوضوح بأن حكم الإعدام في حق المجاهدين قد سنه القائد"شحاني" خلال فترة قيادته لمنطقة الأوراس في غياب "مصطفى بن بولعيد"، ومنذ ذلك الوقت أصبحت تلك البدعة شائعة، وقد طبقت عليه شخصيا، وقد إستفحلت خلال فترة ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ والحكومة المؤقتة في تونس وطبقت بمبالغة غير مبررة ضد القادة الأوراسيين، وهي بدعة إبتدعت من طرف قادة كبار ضد ضحاياهم، ولم تلبث أن طبقت عليهم هم أنفسهم مثل "شحاني"، "عبان" و"كريم".

- **نهاية القائد شحاني**

بعد معركة الجرف الخالدة مباشرة، أشيع على "القائد شحاني" تورطه في انحراف جنسي، لاننفيه ولا نؤكده، فالأسرار الخطيرة خلال الثورة كان يلفها الكتمان الشديد، وتنتهي على مستوى القيادة العليا حتى لاتصبح حديث العام والخاص، المهم أن القائد "عباس لغرور" المعروف عليه تنزيه المجاهدين عن الخطأ قد اعترف بأن شحاني قد تورط في زلة الشذوذ الجنسي مع كاتبه، وقد شاهد ذلك بأم عينه، إلى درجة عدم قدرته على تصديق ما يشاهده، فراح ينزغ يديه بإبرة ليصحي عقله أكثر، متوهما أن ما يراه لم يكن في اليقظة، لكنه في الأخير إقتنع بما كان يقال له، وبما أورده الأخوان اللذان كانا مكلفان بإحضار الطعام "للقائد شحاني" في خلوته، فقرر "عباس لغرور" أن يستفتي عالما فيما شاهد، ليفيده بحكم الشرع، وقد حصل على الفتوى بتحريم ذلك العمل المشين في ثورة مقدسة، وهكذا تحمل "عباس" و"عجول" صراحة وبدون لف ولا دوران مسؤولية إعدام "القائد شحاني" أمام الله، وأمام المجاهدين، وأمام التاريخ.

وأشير في هذا الصدد إلى أن هناك شهادات قد نطق بها أصحابها، إما بحب الشهرة، أو لكونهم سمعوها ولم يتأكدوا منها، فزيفوا الحقائق التاريخية بذلك.

تحضرني شهادة "الجودي بوسنه" التي تضمنها كتاب الكاتب الكبير "مداسي" بعنوان "مغربلي الرمال" وهو كتاب مهم قدم معلومات قيمة جدا وبأسلوب جذاب تطلب منه مجهودا جبارا يشكر عليه، خاصة مايتعلق بالفترة الأولى في الأوراس 1956/1955 التي سيرت من طرف القائد الرمز "مصطفى بن بولعيد" ونوابه الثلاثة " شحاني"و "عباس لغرور"وعجول".

فشهادة "الجودي بوسنه" تتضمن قصة إستشهاد "القائد شحاني" والتي يبدو أن الكاتب"مداسي"قد إعتمدها كحقيقة مطلقة.

ولا بد من لفة إنتباه القارئ الكريم بأن "الجودي بوسنه" هو من أخوال "عجول" ومن أتباعه الأوفياء في النضال منذ بداية الخمسينات، واستمر بعدالثورة ملازما دائما له ومشرفا على شؤونه الخاصة، ومن خلال ملازمته "لعجول" تعرف على القاده الكبار، "مصطفى بن بولعيد"، و"شحاني"، و"عباس لغرور"، غير أن ذلك لم يمكنه أبدا من الإطلاع على أسرار الثورة بأي حل من الأحوال، وقضية إعدام "شحاني" كان متكتما عليها إلى غاية شبه المحاكم التي أريد لها أن تتم بحضور مجموعة مهمة من المجاهدين ليشهدوا على مجريات القضية من خلال "الإعترافات" التي سمعت من أفواه المتهمين.

فقضية إعدام "شحاني" كانت قضية قيادة، ولم تكن متداولة حتى يتمكن "الجودي" الجندي البسيط من مواجهة "عجول" بتلك الجرأة الإستعراضية التي لم يشهد مثيلها خلال الثورة كلها، فالطاعة العمياء خلال الثورة أمر حتمي لاخيار فيه، ولم يشهد اي مجاهد خلال الثورة كلها تنطعا في وجه المسؤول وإشهار السلاح بالكيفية التي قصها "الجودي" في شهادته دون

تطبق عليه عقوبة قد تصل إلى حكم الإعدام، فبتلك الصرامه والطاعة نجحت الثورة.

ولابد من التذكير أيضا بأن وفاء "الجودي بوسنه "لقائده "عجول" قد دفعه إلى تسليم نفسه للعدو ليكون قريبا من عجول الذي فرضت عليه الظروف ذلك المصير المشؤوم.

فليس هناك ما يهدد حياة "الجودي"الجندي البسيط ويدفعه للتضحية بماضيه المشرف، لولم تكن محبته "لعجول" هي التي فرضت عليه ذلك الموقف الغريب، بالتأكيد أن كرامته ستكون مصانة في صفوف الثورة أحسن منها عند العدو.

ج) عباس وعجول يستمران في القيادة بعد شيحاني

بعد اعدام شحاني بشير إستمر عباس لغرور وعاجل عجول في القيادة مستغلين شرعية تعيين مصطفى لهما قبل أسره وحتى بعد خروجه من سجن الكدية فإنه لم يغيرهما، لذلك واصلا مهتهما في قيادة المنطقة معتمدين على المبررات التالية:

الأولى: أنهما كانا مسؤلين على نفس المنطقة قبل الثورة في التنظيم الحزبي، واستمرا في تلك المسؤولية.

الثانية: أن "مصطفى بن بولعيد" كان قد عينهما نائبين له و"شحاني" مباشرة ليلة إعلان الثورة.

الثالثة: أنه أكد على تعينهما كنائبين "للقائد شحاني، لما قرر السفر للشرق العربي وأوصاهما بالثورة خيرا.

الرابعة: أنه بعد خروجه من السجن وتولى القيادة من جديد يوم 13 مارس 1955 لم يغيرهما، وبذلك إستمرا نائبين له الى غاية إستشهاده بالجبل الأزرق، ومن الطبيعي أن يستمرا في القيادة العامة إلى غاية عقد لقاء عام يجمع كل قيادات منطقة أوراس النمامشه للنظر في تعيين قائد جديد، وبما أنه لم يعقد

تلك الاجتماع فقد واصلا مهمتهما كقائدين شرعيين للمنطقة وفاء منهما للمهمة التي حملها لهما قائد الثورة الفعلي "مصطفى بن بولعيد".

وكان يساعدهما على تلك المسؤولية كممثلين للوسط والغرب "بوستة مصطفى" و "الشيخ مدور"، وممثلي الشرق "بابا ساعي"، و "الشايب علي الفرحي".

كان "عباس لغرور" هو المسؤول الفعلي على منطقة "جبال النمامشة" حتى الحدود التونسية"، وكانت تعرف باسم (سكتور عباس)، كما كان "عجول أيضا القائد الفعلي لمنطقة وسط الأوراس والصحراء إلى غاية "وادي سوف"، وكانت تسمى (بسكتور عجول) الذي أصبح "منطقة محرمة"، كان "عجول" و "عباس لغرور" يكونان قيادة واحدة متماسكة يطبعها التنسيق التام، والتشاور الدائم حول القضايا الجوهرية من خلال عقدهما إجتماعات دورية بين بعضهما البعض كلما كان ذلك ضروريا حسب طبيعة، يتم اللقاء إما في عمق "سكتور عجول" أو داخل "سكتور عباس لغرور"، إلى غاية تعرضهما للتصفية من طرف ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ"، حيث تجرا "الرائد عميروش" على إغتيال "عجول" ليلة 20 اكتوبر 1956 بداخل الأوراس، تماما كما تعرض زميله " عباس لغرور" لمؤامرة حيكت له من طرف ممثلي "عبان" في تونس، وعناصر الأمن التونسي خلال شهر سبتمبر 1956.

لقد إشتهر "عجول" بالتنظيمات الفعالة، وإشتهر "عباس لغرور" بالمعارك الطاحنة التي كان يواجه بها "بيجار" الذي لم يفتر بشجاعته لما إعترف صراحة بكفاءة الثوار الذين كانوا تحت قيادة القائدين المذكورين بقوله: (بأنهم كانوا يناورون بصفة مثيرة للإعجاب، وأنهم كانوا تحت إمرة قائد فذ) وهو يقصد هنا "عباس لغرور".

هذه أوردها ضباط المخابرات "فارال" في شهادة "بيجار" (كتابه معركة النمامشه) حيث يؤكد "فارال" صراحة بأن عباس وعجول كانا فاعلين الى درجة أن كلا منهما قد تمكن من قتل القائد الفرنسي الذي كان يقابله في جبهة القتال، حيث تمكن عجول من قتل القائد الفرنسي "ميكال" و"الكاهن جاك" في شعاب "وادي العرب"، وتمكن "عباس لغرور" من قتل القائد الفرنسي "متزنقر" والحاكم المدني لمدينة تبسه قرب فلتيس وقبلهما ثمانية ضباط فرنسيين آخرين منهم النقيب المشهور جدا(قرطوف). الذي من أجله أعدوا اللغم المشؤوم "للقائد مصطفى بن بولعيد" واسقطوه قرب الجبل الأزرق وبالضبط قرب قرية "تاره".

ويضيف ضابط المخابرات قوله: (لم يكن "عباس" و "عجول" يلهثان وراء المسؤولية، بقدر ما كانا يقومان بواجب ميداني محض بحسب لهما ويضيف أيضا: {(لقد مات" شيحاني بشير ومن المرجح انه قد اغتيل، وقد شعرت قيادة جبهة التحرير بأن الفوضى استفحلت في صفوف المتمردين المتواجدين بمنطقة الأوراس النمامشة وهذا غير صحيح ؛ فقد كان "لغرور عباس "يتحكم في عصابات منطقة النمامشة، وكان يحضر نفسه لتكثيف هجوماته ضد القوات الفرنسية، وكان "عجول" يتحكم في جبال بني ملول وفي قسم من منطقة الأوراس وجبل أحمرخدو، ويعمل على تعزيز صفوف عصاباته، ولكنه كان أقل هجومية من "عباس لغرور"، ويبدو أن نوعا من التفاهم كان يسود بين الرجلين، فلم يكن أي منهما يصبو للتأثير على الآخر، بل اكتفى كل واحد منهما بمسك زمام الأمور في معاقله، لم تكن هناك قيادة موحدة في" الأوراس النمامشة"، وإنما كان يوجد نوع من التنسيق الفعال، فقد كانت وضعية المتمردين في هاتين المنطقتين أحسن بكثير من بقية الولايات رغم أن لها قيادات موحدة، وهذا لاينفي وجود بعض الخلافات والشقاق، على غرار ما كان يحدث في "منطقة القبائل" وفي غيرها من

منطق الجزائر) ويواصل "فارال) في مقطع آخر حول سيطرة "عباس" و"عجول" على الأوضاع في وجه الجيش الفرنسي قائلا: (كان "عجول" أحد القادة الرئيسيين للتمرد في الأوراس وكان يشرف على قرابة 400 متمرد، حيث كان على النقيض من عباس، فهو يتجنب المواجهة المباشرة، فالأهم بالنسبة له هو بسط سيطرته على أكبر مساحة ممكنة من الأرض، وهو أمر لا يخلو من دهاء حسب تعبيره حرفيا)[1].

فهذه الشهادات الموثقة من طرف ضباط العدو الذين كانوا يواجهون "عباس لغرور" و"عجول" نستنتج الفعالية التي ظهرت في منطقة الأوراس مبكرا والتي حققت نجاحات على أرض الميدان التي دفعت إلى إدراج القضية الجزائرية في جدول أعمال "الأمم المتحدة" وسهلت عقد "مؤتمر الصومام" خاصة بعد مفاجأة العدو بعملية العشرين أوت بالمنطقة الثانية بقيادة البطل "زيروت يوسف" والتي أفقدتهم صوابهم.

وبقطع النظر عن كل ما ذكر، نقول بأن "عباس لغرور" و"عاجل عجول" لم يكونا معصومين من الخطأ فهما بشر يصيبان ويخطئان، وذلك من طبيعة الأشياء، ومن البديهيات المسلم بها، فالمسؤول معرض أكثر من غيره للخطأ بحكم الظروف الضاغطة التي تحيط به وتفرض عليه أشياء بحكم الحرص الزائد على المصلحة العليا للثورة، وتماسك صفوف جيش التحرير، فالظروف تفرض على القائد تحمل المسؤولية باتخاذ قرارات قد لاتكون في كل الأحوال صائبة ولكنها ضرورية ولا مجال لتجنبها، ولمن يريد الحكم على المسؤول في ظروف معينة، عليه أن يضع نفسه في قلب الأحداث ويكتشف الأسباب والمسببات التي كانت تحيط بذلك المسؤول، وعندها فقط يستطيع أن يحكم على قراراته بكل موضوعية وتجرد، وتبقى الأعمال بالنيات.

[1] كتاب معركة جبال النمامشة 62/54 دومينيك فارال ص 1 43

والحقيقة أن فترة "عباس" و"عجول" منذ غياب "مصطفى بن بولعيد" هي الفترة الذهبية التي تميزت بنجاحات بدون منازع، واستحقت بجدارة أن تسمى بالفترة الذهبية للثورة في الأوراس.

عباس لغرور" و"عجول" القائدين الميدانيين هما من عملا على إخراج الثورة من ضعفها لتتحول في عدة أشهر إلى القوة، نتيجة تلك الهجومات المبكرة، والكمائن الموجعة والمعارك الطاحنة والأسلحة المفتكة من العدو التي انطلقت مع بداية سنة 1955، ومن نتائج تلك التضحية تحرير المنطقة المحرمة في عمق الأوراس التي أصبحت قاعدة إستراتيجية لجيش التحرير حتى توقيف القتال.

أما الإنتصار الثاني البارز فهو الذي يتمثل في المعارك الطاحنة التي لم تتكرر بنفس الوتيرة التي كانت عليها خلال سنة 1956 والتي تشهد على ضراوتها معركة الجرف المشهورة التي سيرت من طرف القائدين الميدانيين "عباس لغرزر" و"عاجل عجول" بمساعدة نوابهما المباشرين الشجعان من أمثال "بشير ورتان" و"الوردي قتال" و"شريط" و"ساعي" و"على الفرحي" وغيرهم، والتي دامت عدة أيامات في جبل الجرف، ثم إنتقلت في وضعية كر وفر لمدة عشرين يوما كاملة، وهي معركة ليست كسائر المعارك بدليل عدم تكرارها في أي مكان آخر، ذلك لأن مقاتليها شجعان، ومسيروها غير عاديين يتمتعون بالشجاعة وعبقرية والقدرة على التنظيم، والجرأة في المواجهة، والحكمة في التسيير.

لقد كانا بحق نموذجا للقاده المشاهير من أمثال، " بن بولعيد مصطفى"" و"زيروت يوسف" صاحب إنتفاضة عشرين أوت 1956 العظيمة بشمال قسنطينه.

ينتمي عاجل عجول لقبائل وسط الأوراس، وبالضبط لقبيلة السراحنه أو ما يسمى عرش (كيمل) أحد أعراش البلدية المختلطة (أريس). وبجهوده شارك سكان (كيمل) ليلة إعلان الثورة بنحو سبعين من المغاوير إستدعاهم من طرفه شخصيا، وبمرور الأيام لم يكتفي بذلك العدد بل جند من شباب كيمل وحدها أكثر من 700 شاب واصلوا جهادهم في صفوف جيش التحرير.

ورغم تلك المجهودات الجبارة التي قام بها "عجول" كأحد القادة الفاعلين في الأوراس، فقد تعرض لمؤامرة اغتيال من طرف ممثل لجنة التنسيق والتنفيذ "الرائد عميروش" ليلة 20 أكتوبر 1956. دفعت به إلى تسليم نفسه بعد أن قرر "عميروش" قتله أو دفعه للعدو.

تلقى "عجول" تعليمه الإبتدائي في منزل أبيه الذي وفر له المعلمين، ثم تنقل لقرية (خنقة سيدي ناجي) التي كانت مركز إشعاع علمي، ومنها إلتحق بمعهد بن باديس بقسنطينه، وهناك بدت ميولاته السياسية تدفعه لخوض غمار النضال الذي إستهله بالإنضمام إلى الكشافة الإسلامية، ثم لتيار الإصلاح "جمعية العلماء المسلمين" ثم إنضم إلى "حزب الشعب" سنة 1951 بواسطة رئيس قسم التنظيم الحزبي في محيط أريس المناضل الأول "مسعود بلعقون" الذي أوقفه العدو فعوضه المناضل "محمود بن عكشه" الذي كان موظفا في الإدارة الفرنسية، وكان يتولى تزوير الوثائق لصالح المناضلين "منها بطاقات

التعريف، وجوازات السفر" منهم "الرمز ايت أحمد" الذي تحصل على جواز سفر باسم مواطن من مواليد بلدية "اريس" وبه تمكن من الفرار للخارج.

وبعد أن اكتشفت إدارة الإحتلال أمر "بن عكشه محمود" وسجنته، خلفه على رأس القسم الشاب "عاجل عجول" وذلك سنة 1951، واستمر منذ ذلك التاريخ مسوولا أولا على "قسم أريس رقم2" إلى غاية إعلان الثورة ليلة الفاتح من نوفمبر 1954.

بحكم مسؤولية "عجول" على قسم أريس فقد قام باستدعاء مجموعة الطلائع التابعين له إلى التجمع الذي أشرف عليه "مصطفى بن بولعيد " بدشرة الحجاج داخل مساكن أولاد بن شايه) ليلة الفاتح من نوفمبر 1954.

واعترافا من طرف القائد "مصطفى بن بولعيد" بجهود "عجول" فإنه عينه عضوا في أول قيادة للثورة في الأوراس، واستمر عضوا فاعلا في تلك القيادة

ولد "عاجل عجول" سنة 1922 وسط عرش كيمل في أسرة محافظة وميسروة الحال، كان أبوه "عبد الحفيض بن عجول" وجيها في محيطه، ومسموع الكلمة بين قبائل المنطقة، استغل "عجول" إمكانيات والده" فتفرغ للنضال محررا نفسه من أية مسؤولية عائلية .

ولدت أمه (صحرة بيوش) وسط فرقة (أولاد حركات) وهي فرع من عرش كيمل، وكانت "أمه صحرة بيوش" من أجمل فتيات ربعها، ونتيجة لعلاقة "عجول" بأخواله "أولاد حركات" إنضم جل شبابها إلى "حزب الشعب" كمناضلين ومحبين، ونتيجة لذلك الإنتماء الجماعي تعرضوا لمضايقات مستمرة من طرف إدارة الإحتلال .

ونتيجة لنشاط "عجول"من خلال مسؤوليته على "قسم اريس" تمكن من كسب عقول شباب القبائل التي تستقر في داخل شعاع "قسم أريس" في التنظيم الحزبي، حيث توفق في إختيار أفراد خلايا التنظيم السري من بين شباب تلك القبائل، وعمل مع المسؤولين الفرعيين على تكوينهم عقائديا وعسكريا وتدريبهم على فنون حرب العصابات.

لقد إكتشفت إدارة الإحتلال نشاط "عجول"مبكرا وسعت للقبض عليه، إلا أنه لجأ إلى حياة الكهوف مع من كانت تسميهم الخارجين على القانون،إستمر"عجول" هدفا "للقياد" و"الباش أغوات"المكلفين بتأطير المنطقة وإخضاعهالأسيادهم.

وقد ركز"بن بولعيد مصطفى"على جهودرؤساء الأقسام الحزبية الثلاثة "عجول" و"عباس لغرور" و" الطاهرنويشي" بعد أن تخلواعلى"مصالي الحاج" وانضموا لنصرة الداعين لإعلان الثورة .

كان "عجول" مسؤولا على أهم منطقة إستراتيجية في عمق الأوراس تدعى"قسم أريس" وذلك منذ 1951 حتى ليلة الفاتح من نوفمبر 1954.

وبمجرد إعلان الثورة كما أسلفنا عينه القائد "مصطفى بن بولعيد" عضوا في القيادة العليا للثورة في الأوراس، وبعد أسره أصبح نائبا للقائد "شحاني، ثم بعد إستشهاد "القائد شحاني" إستمر في قيادة منطقة الأوراس بمعية زميله في القيادة"عباس لغرور" إلى غاية تعرضهما للتصفية من طرف ممثلي "عبان رمضان" منسق لجنة التنسيق والتنفيذ وقيامهم (بإحداثهم الشغورفي القيادة التاريخية للأوراس) كما هو معرف.

- **نبذة مختصرة عن القائد "عباس لغرور"**



ولد عباس لغرورفي عائلة فقيرة محافظة راس مالها الوطنية الصادقة وذلك بتاريخ 1926/07/23 بدوار "إنسيغه" حوز بلدية خنشله المختلطة، دخل المدرسة الفرنسية ونال منها الشهادة الإبتدائية، ولكنه قاطعها من اجل العمل، إنضم مبكرا لحزب الشعب وذلك سنة 1946 تحت إشراف "حشاني إبراهيم"، إكتشف أمره وسجن، وبعد خروجه من السجن فتح متجرا للخضر والفواكه، أصبح ذلك المتجر مكانا لإجتماع مناضلي حزب الشعب، فيه تدار الإجتماعات، وفيه يتم اللقاء لتلقي وإصدار التعليمات.

تولى "عباس لغرور" مسؤولية "قسم خنشله" في تنظيم حزب الشعب، شارك "عباس" في مضاهرات 8 ماي 1945، كان "عباس لغرور" ينسق مع زميليه : "عجول"رئيس قسم أريس و"الطاهر النويشي"مسؤول قسم بوعريف، وذلك من اجل تهيئة المنطقة للثورة بتوجيهات من" مصطفى بن بولعيد"، فأعلنوا الحياد في الخلاف الحزبي بين مصالي والمركزيين.

ليلة الفاتح من نوفمبر 1954:هاجم "عباس لغرور" ثكنات مدينة خنشله بمعية "بلعباس غزالي"وآخرين أسفر ذلك الهجوم على قتل ضابط للجيش الفرنسي.

بعد إعلان الثور واصل "عباس لغرور" نشاطه كقائد لمنطقة خنشله، وعضوا فعالا في القيادة العليا للثورة على منطقة الأوراس،وذلك بقرار من القائد العام "مصطفى بن بولعيد"،

حيث إستمرا عضوا للقيادة العامة مكلفا بالجهة الشرقية من المنطقة.

وبعد إستشهاد القائد "شحاني بشير" أصبح قائدا لمنطقة الأوراس بمعية زميله "عاجل عجول" إلى غاية إستهدافهما من طرف ممثلي "عبان رمضان".

حيث تعرض "عباس لغرور" إلى مؤامرة بمشاركة الأمن التونسي خلال شهر سبتمبر 1956 . أما "عجول" فقد تعرض لمحاولة إغتيال ليلة 20 كتوبر 1956 .

كان الضحية "عباس لغرور" قبل تعرضه للمؤامرة منكبا على ترتيب البيت الداخلي، وإنهاء خلاف وقع بين مجموعة السوافه، ومجموعة النمامشه، وخلال إجتماع المصالحة أجهضت عملية المصالحة بإستغفال مجاهد ساذج مغفل حيث أطلق النار على المجتمعين، فكان ذلك حجة لتدخل الأمن التونسي الذي كان يتابع آثار "عباس لغرور" بإيعاز من ممثلي "لجنة التنسيق والتنفيذ في تونس، حيث ألقي القبض على الجميع ماعدى "عباس لغرور" الذي لم يعثروا عليه، ولكنه أصبح من تلك اللحظة مطاردا بتهمة قتل رفاقه وتهديد أمن المواطن التونسي، فتحقق لرجال "عبان" هدف إخراج "عباس" من قيادة الأوراس، تماما كما أخرجوا زميله "عجول" في الداخل، وأخضعوا الولاية الأولى لهم.

وبعد المطاردة الطويلة قرر "عباس لغرور" "تسليم نفسه طواعية لزميله "الكريم بلقاسم"، الذي سجنه ثم أعدمه يوم 25 جويلية 1957 بعد محاكمة سياسية شكلية خدمت الزعامه الشخصية والنفوذ السياسي الأعمى".

وما يؤسف له أن "بن طوبال" هو من ترأس المحكمة وهو من نطق بالحكم على "عباس"، وبعضوية عضو مجموعة 22 "بن عوده عمار"، فكان ذلك ردا للجميل من طرفهما للأوراس

الأوراسيين، وذلك تحت تأثير (عشق السلطة) وسيبقى للتاريخ رأي في الموضوع.

• مصطفى يفر من السجن ويعود للقيادة

خلال فترة قيادة "عباس لغرور" و"عجول" لمنطقة الأوراس بعد شحاني خرج "القائد مصطفى" من سجن الكدية، ودون أن نغوص في عملية فراره وملابساتها وخلفياتها والكيفية العجيبة التي أنجزت بها، نقول بأن العاشر من نوفمبر 1955 كان يوما مشهودا في صفحات تاريخ الثورة في الأوراس، ومفصلا مهما من مفاصلها، وذلك بتمكن القائد "مصطفى بن بولعيد" الفرار من سجن الكدية بقسنطينة، فكان ذلك الحدث بشرى عظيمة، غمرت نفوس الجميع بعودة قائدهم من أسره إلى مقر القيادة التي غادرها مرغما نتيجة إلقاء القبض عليه في الحدود الجنوبية التونسية.

لقد عاد "مصطفى" من جديد (لعرينه الأوراس) ليتمكن من إصلاح الأوضاع التي بدأت تنحرف بعض الشيئ عن مسارها الصحيح في غيابه، نتيجة التهافت على طلب القيادة والمسؤولية.

ولابد من التنبيه إلى أن "سي مصطفى" قبل أسره كان قد أصدر تعليمات صارمة كان الغرض من إقرارها حماية الثورة من أي خطر قد يلحقها من بعض الأسرى المقبوض عليهم من طرف العدو، ومن إمكانية افتكاك المعلومة منهم تحت التعذيب، فقرر إخضاع الأسير المسؤول إلى فترة إختبار قبل توليه أية مسؤولية مهمة قد تصل تلك الفترة إلى ستة أشهر، وقد إلتزم "سي مصطفى" نفسه بتلك الفترة لما قدر عليه الأسر، رغم محاولة بعض المتزلفين الذين كانوا يدفعونه لتزكية نفسه، ولكنه أكمل أربعة أشهر قبل عودته للقيادة وتسلمه إياها من نائبه "عجول" بتاريخ 13 مارس 1956 في إحتفال كبير إستدعى له "عجول" قيادات الشرق والوسط والغرب ماعدى "عباس

لغرور" الذي كان جريحا، وقد حضر من ناحية سوق هراس الوردي قتال، وتواورة عبد الله، وجبار عمر"، ومن ناحية تبسة "بشير ورتان وآخرون"، ومن ناحية خنشله "التجاني عثماني وآخرون"، ومن ناحية كيمل "عثماني عبد الوهاب وعثمان كعباشي"، وعن ناحية أريس "علي بن شبايبة، والكثير من القيادات التي إستقبلت "مصطفى" وأصبحت تتنقل معه في ترحاله.

تسلم "مصطفى "القيادة العامة في المكان المسمى (حاسي مسلم) قرب حمام شابورا، حيث إستهل "عجول" ذلك الحفل بكلمة ترحاب "بمصطفى" المحرر من ذل الأسر، متمنيا له التوفيق من جديد في مواصلة مهمته المقدسة (كقائد عام لمنطقة الأوراس)، ثم قدم للجميع "سي مصطفى" الذي توسط المجتمعين بعد أن وضع سلاحه جانبا، معلنا لهم بأنه يمتثل لقرار إخضاع الأسرى لفترة رقابة قانونية، وأنه سوف لن يتسلم القيادة إلا بعد موافقة الجميع، فصاح الجميع كرجل واحد (أهلا بك قائدا منزها)، وبعد تلك المبايعة والتزكية الجماعية من القائد "عجول" والحاضرين حمل "مصطفى" سلاحه من جديد، والقى خطابا كان بلسما للجراح التي كانت قد تأثرت بفيروس التفرقة البغيضة، فأعاد بذلك الثقة والأمل من جديد للنفوس الخائفة على مصير الثورة.

لقد أعلن "سي مصطفى" في ذلك التجمع نيته في عقد المؤتمر، وأنه سيتصل بقادة المناطق لذلك الغرض، وقد شكل لجنة برئاسة "عبد الوهاب عثماني" وعضوية محمد العيفة ومحمد دونه، حيث توجهت للحدود الشرقية من أجل معالجة بعض القضايا التنظيمية هناك، وتوفير شروط عقد المؤتمر العام للثورة الذي أصبح أكثر من ضرورة.

هناك من أشاع بأن "عباس لغرور" كان ضد عودة "الرمز مصطفى" للقيادة وهو إدعاء باطل لأن الثورة أصبحت محصنة

ولا يؤثر على صيرورتها أحد، كما أن "عجول" نفسه لا يجرأ ليا على إتخاذ أي قرار بغير موافقة "عباس لغرور".

وبعد إنتهاء ذلك الحفل البهيج الذي تشرفت بحضوره بالصدفة، أمر سي مصطفى القيادة بالعودة لنواحيهم، وانتقل شخصيا مع "عجول" إلى مركز القيادة العامة الواقع بوادي (بوجدار) في عمق غابة بني ملول الجنوبية، حيث وجد أمامه الشيوعي "عمراني ورفيقه الفرنسي"، وهناك أطلع "عجول" سي "مصطفى بن بولعيد" علىمختلف القضايا الإدارية والتنظيمية، وجداول التسيير، والمناشير والرسائل التشجيعية، ورسائل الإنذارات، ورسائل الشكر، وأسلوب التسيير المعتمد في غيابه، وكذلك الأوامر العسكرية والسياسية التي كانت تصدر بصفة آلية مع رأس كل شهر، وأيضا تلك التي تصدر كل ثلاثة أشهر، وأخيرا سلم "عجول" الختم الرسمي للقيادة إلى "سي مصطفى بن بولعيد".

وبعد أن تفحص"القائد مصطفى" كل ما قدمه له "عجول" من وثائق، وبعداطلاعه غلى أمهات القضايا التي طرأت أثناء غيابه، قرر "سي مصطفى" أن يستأنف جولته الرقابية، وقبل مغادرته مركز القيادة العامة كلف "عجول" من جديد بأن يؤمن المداومة في مركز القيادة العامة، ويسهر على تصريف الأمور العادية والعاجلة خلال غيابه.

لقد قاد القدر الرمز "مصطفى" من مركز القيادة العامة "بوجدار" إلى الجبل الأزرق الذي كان قد استدعى إليه بعض قيادات الجنوب، فكتب له الله الشهادة يوم 1956/03/22 في ذلك المكان، ودفن جثمانه هناك.

هناك من إدعى بأن "عجول" قد إنتقل مع الرمز "مصطفى" إلى الجبل الأزرق مكان إستشهاده، وهو إدعاء باطل، فعجول تركه "مصطفى" في مركز القيادة داخل "غابة "كيمل".

- **استشهاد مصطفى يعمق الشكوك ويشجع الطموح**

حتى ندرك بعض خلفيات تمسك "عباس لغرور" و"عجول" بشرعية القيادة، لا بد من الرجوع إلى جذور تركيبة القيادة منذ الساعة الأولى للثورة، حيث كان "سي مصطفى" في الأشهر الأولى قد تعمد تثبيت مسؤولي الأعراش في الجهات التي كانوا يناضلون فيها قبل الثورة، كما أنه أبقى رؤساء الأقسام الثلاثة الذين هيأوا للثورة كمسؤولين على الرقعة الجغرافية لأقسامهم بعد الثورة.

"مصطفى" كان الأعرف برجاله وبما يتميز به كل واحد من نوابه الثلاثة، فإذا كان "شحاني" يتميز بالثقافة والفطنة والذكاء، فإن "عباس لغرور" معروف بالشجاعة والصدق والتدين، أما "عجول" فكان يتميز بموهبة التنظيم وبديهة التسيير والقدرة على جمع المعلومات على العدو، وبذلك توفق سي "مصطفى" في تكوين قيادة متكاملة الصفات والمواهب والإختصاصات.

- ظهور الطموح المبكر لتولي المسؤوليات

بعد خروج سي "مصطفى" من السجن، وتولى القيادة العامة هدأت العاصفة، وكادت الأوضاع أن تعود إلى سالف عهدها خلال الثلاثة أشهر الأولى للثورة التي كانت متسمة بالأخوة والثقة المتبادلة، والطاعة والاحترام، وصفاء السريرة تلك الخصال التي ضمنت إستمرار اللحمة الماسكة بين الجميع.

غير أن حادثة استشهاد "سي مصطفى" قد أعادت الأوضاع إلى المربع الأول، وهي فترة التصدع والطموح، لما ضاعف "عمار بن بولعيد" مطالبته بحقه في خلافة أخيه "مصطفى" على رأس القيادة العامة، بعد إستشهاده، وبذلك أصبح الغياب الأبدي "لسي مصطفى" عاملا محفزا ومشجعا لطموحات الكثيرين ممن كانوا بالأمس لا يجرؤون على رفع أصواتهم

المطالبة بأي منصب عملا بمقولة: (من يطلب المسؤولية خائن، ومن يرفضها خائن).

لقد كانت رمزية ومصداقية "سي مصطفى" بمثابة صمام أمان حقيقي ضد كل النزوات الشخصية، والطموحات المفرطة، حقيقة أن الإنسان الذي لاطموح له قد لاينفع، ولكن لابد من لجم الأنانيات الشخصية، و التقيد بالأخلاق والمثل التي تخدم الثورة، ومع ذلك عشنا أطماعا على مستوى بعض الفئات منها:

الفئة الأولى: ظهرت بين عناصر الرعيل الأول للثورة أولهم "عمار بن بولعيد" الذي سبق وأن تعرضنا لقصته مع شحاني، ثم "الطاهر النويشي" الذي سعى بكل الوسائل لتولي قيادة الولاية، ومن أجل ذلك تعامل بالتزلف مع الأطراف التي تآمرت على منطقة الأوراس، وفرضت عليها الوصاية، وذلك بشهادة زميله "الحاج لخضر عبيد" المعروف بالواقعية والصدق، الذي إتهم "النويشي" بأنه أصبح المستشار المفضل "لعميروش" خلال مهمته في الأوراس، ولما دخل إلى تونس تعامل بنفس الطريقة مع العقيد أوعمران"، دون أن يمكنه ذلك التعامل للفوز بعضوية القياده، فاختاروا عليه "محمودشريف".

ومن بين الطامحين أيضا " المسعود بن عيسى" الذي كان أول من تمرد على "شحاني" لما كلفه بمهمة المالية والتموين خلال شهر فيفري 1955، والذي أيضا إتفق مع "عمار بن بولعيد، و"عمار معاش"و"غبروري" على إغتيال "شحاني" لاحقا.

الفئة الثانية: هي فئة القيادات التي برزت من خلال بطولاتها في ميادين القتال نتيجة إقدامهم وشجاعتهم في المعارك والكمائن، فراح البعض يعتقد بأنه المؤهل لتولي" القيادة " مادام المعيار الحقيقي في نظره هو الجرأة والفعالية في القتال، تلك الفعالية التي أصبحت مضرب الأمثال بالنسبة لبعض الأشخاص الذين كانوا موضوع أغاني وأشعار نضمت في حقهم، من ذلك

مثلا أنشودة (. الله ينصر حزب الثوار × اللي هانت معه الأعمار)، وأنشودة (الزهر شريط و البياسه بالحب تخيط)، وأنشودة (شبان صغار حاملين الرفال) الخ...

هذا لا يعني أن كل الأبطال الذين شاع ذكرهم قد أصابهم داء الغرور مثل:"عمار عشي"، و"الحاج عبد المجيد عبد الصمد"، و"مصطفى عشوري" المدعو (الحليب) و"المكي بيوش"، و "تاج الدين"، و"عبد الرحمن العمراني"، و"بو النخل"، و"صبايحي أحمد" المدعو (بن نحه)، و"رابح الوهراني"،و "الشريف رابح"،و "عزوي أحمد"، و"حقاص"، و"شياطي"، و"عمر بلواعر"غيرهم ممن لا يتسع المقام لذكرهم،فهؤلاء كانت شيمتهم التواضع، وكانت غايتهم الأولى مقاتلة العدو فحسب.

الفئة الثالثة: فئة الطلبه الشباب المتعلمين خاصة الملتحقين بالثورة في سنواتها الأولى، هذه الفئة التي كان لها فضل تطعيم صفوف الثورة بالمتعلمين لسد النقص الملاحظ في الميدان الثقافي، فبالرغم من حداثة التجربة الحزبية لأفراد هذه الفئة مقارنة بمفجري الثورة فإن بعضهم عرف كيف يستغل الظروف لصالحه بذكاء وحكمة بعيدا عن أساليب العنف والمراوغة، وكان لبعضهم الحظ في الإلتحاق بالمدارس العسكرية أذكرعلى سبيل المثال لاالحصر: لمين زروال، عبد المجيد شريف، حشيشي زين العابدين، عبد الصمد محمد الصغير، الطيب الدراجي، محمد ملوح، مصطفى ذبابي، غضبان شعبان، كما أذكر من تولى بعض المسؤليات في الميدان مثل: محمد العموري، محمد بوعزة، محمد الصالح يحياوي، صالح قوجيل، المكي حيحي، الصادق بو كريشة، عبد الكريم مشيش،، عز الدين ملاح، عماره شعبان، عبد الحميد شعباني، عبد المجيد هلايلي، عبد الكريم مشيش،عمر دبابي، محمود غواطي،الهادي هلايلي، محمد مدور تغليسية، محمد الشريف عباس، عمار ملاح، حمزه العمراني، زرداني عبد

العزيز، زعروري، عبد الكريم عباس، علي الكفيف، علي رابحي، عبد القادر مقدم، عمار نويوه،وكاتب هذه المذكرات هلايلي محمد الصغير و القائمة طويلة بعض أفرادها توجهوا للتكوين في الخارج ثم إندمج في وحدات جيش الحدود، أو مصالح الخدمات على مستوى مؤسسات الحكومة المؤقتة والبعض الآخر واصل جهاده في الداخل فاستشهد من إستشهد، وعاش من عاش لفترة الإستقلال.

عمار بن بولعيد يعلن القطيعة بغرب الأوراس

. عمار بن بولعيد كما بينا كان "عمار بن بولعيد" من بين أهم الطامحين للمسؤولية من بين الرعيل الأول، فقد إستولى على جزء هام من غرب منطقة الأوراس بمساعدة حلفائه، مستفيدا من دعم قيادات تنتمي لقبيلته التوايه ممن كلفهم الرمز "مصطفى" بنشر الثورة في عامها الأول، أذكر منهم: "رعايلي" في سطيف، و"محمد الشريف بن عكشة" عين التوته، و"طورش" بالحظنه، و"عزوي مدور"، و"عزوي أحم"، و"الشريف رابحي" بمحيط أريس وفم الطوب وجبل وستيلي، بالاضافة إلى حليفه"عايسي مسعود، و"عمار معاش" الذين تعاطفا معه ضد شحاني، وحتى "الطاهر نويشي" ولكن بأسلوب مختلف وبخلفيات أخرى.

أما "الحاج لخضر" الذي كان غير موافق على إستمرار "عجول" في القيادة لإعتقاده بأنه هو من أعد اللغم لقتل "سي مصطفى"، فإنه أيضا لم يكن أبدا مؤيدا لتولي "عماربن بولعيد" القيادة، وبذلك توسعت دائرة الطموح للقيادة العامة، وهو حق طبيعي، إذا ما ألتزم الجميع بالأعراف والتقاليد المتبعة في ثقافة الثورة وتنظيماتها وأدبياتها وأخلاقياتها.

والمرفوض في كل الأحوال هو الصيد في الماء العكر وتعمد نشر الإشاعات المغرضة بقصد تشويه صورة الآخرين وتسويد صفحاتهم، وزرع بذور الشقاق، وتعميق الكراهية والحقد وتفريق الصفوف الذي إستغله المتربصون بالأوراس

ومكانته وتضحياته، وقادته التاريخيين من السيطرة على الأوراس به وإخضاع قياداته التاريخيين الذين دفعوا الثمن غاليا بسبب تلك السذاجة وغياب الفطنة والتبصر وعدم إستشراف المستقبل وما كان يخبئه لهم الزمن من مؤامرات إستهدفتهم في العمق، وبذلك احترقوا بنار ماإكتسبته أيدي البعض منهم،فشملهم التهميش وفرضت عليهم الوصاية دون غيرهم.

• شريط لزهر على طريق عمار بن بولعيد في الشرق



لقد كان لصدى حادثة انفصال "عمار بن بولعيد" وحلفائه عن شحاني، ورفض "عايسي مسعود" تعليمات "شحاني" الأثر السلبي على وحدة القيادة، وظهرت النزعة الإنفصالية مبكرا بعد إنتشار الثورة، وتزايد عدد الملتحقين بجيش التحرير، ورفع ذكر بعض القاده الذين إشتهروا بشجاعتهم فدفع ذلك في نفوسهم غريزة الغرور والثقة في النفس والطموح لتولي المناصب العليا، فتجرؤوا على إرتكاب خطيئة الإنفصال عن القيادة العليا، مستغلين العاطفة الجهوية لكسب المزيد من الأتباع والمؤيدين.

لقد إعتبرت حادثة مقتل الشهيد (جبار عمر) وما ترتب عنها خطوة خطيرة على طريق الإنحراف والتحلل من الانضباط الذي راح يسرى بين الصفوف، خاصة بعد خروج "القائد الوردي قتال"من منطقة سوق اهراس بقصد أو بغير قصد مخيرا أومجبرا ، حيث إعتبرت سابقة شجعت البعض على التنصل من قيود الإنضباط الذي يفرض على المسؤول العمل خارج مسقط رأسه، لأن ذلك يمكنه من فرض سلطته المادية والمعنوية، ويضفي عليه المصداقية والإحترام، وبالتالي يمكنه من تطبيق القانون بدون عاطفة.

لقد إعتبر البعض تعيينهم خارج عرشهم وقبيلتهم عقوبة، وراحوا يجمعون أفراد القبيلة ويعلنون أنفسهم مسؤولون عليهم تماما كما فعل "عمار بن بولعيد" في محيط أريس، والجبل الأزرق، وجبل وستيلي.

كما أصابت تلك العدوى القائد الكبير "شريط لزهر" الذي تجرأ ذات يوم على إستدعاء كل القيادات المنتمية لجهة الجبل الأبيض بالنمامشه، والتي كانت القيادة العامة في الأوراس قد عينتهم كقادة في مناطق أخرى. لقد دعاهم لحضور إجتماع مهم بالجبل الأبيض، مؤكدا عليهم الحضور بالأسلحة المتطورة التي تسحب من مرؤوسيهم بحجة القيام بعملية نوعية ضد العدو (كعملية تحايل غير أخلاقية)، وفعلا إستجابوا لدعوة "شريط وحضروا للإجتماع الذي اشرف عليه شخصيا "بالجبل الأبيض"، كانت نتائج ذلك الإجتماع الخروج عن سلطة "عباس لغرور" المسؤول المباشر عليهم، بحجة إستنكارهم بعض تصرفات على "التجاني عثماني" المنتمي لمنطقة خنشله، والمشهور عليه الوفاء "لعجول" عضو القيادة العامة، وبذلك القرار الخطير أصبح وضعهم كوضع "عمار بن بلعيد" في غرب المنطقة.

لقد زعزع ذلك الإنفصال عن القيادة في غرب المنطقة وفي شرقها إيمان المجاهدين بالوحدة المقدسة والطاعة العمياء للثورة، وتم بذلك التنكر للقسم الغليظ الذي أدوه في فترة النضال الطاهر على أن يهبوا أرواحهم للنظام الثوري مخيرين لا مجبرين، وبذلك طغت المصلحة الفردية والجهوية العشائرية الضيقة على مصلحة الثورة وعلى النظام الثوري ككل، وشاعت بذلك الخلافات وتفريق الصفوف.

والنتيجه هو إضعاف منطقة الأوراس أمام المناطق الأخرى، والقبض على قادتها وتعرضهم للسجن والإعدام، وهي الحقيقة التي إعترف بها "محمود شريف" فيما بعد في لحظة

بقضبة ظمير، بعد أن شمله الغضب الذي قطف رؤوس أسلافه الأمجاد، كما أدرك ذلك أيضا "محمد لعموري" و "أحمد نواورة" بعد فوات الأوان.

لقد أكلوا يوم أن وافقوا على محاكمة "عباس لغرور" وزملائه، ويوم أن داسوا قبور أسلافهم، وأضاعوا كبرياءهم يوم أن حملوا بين أيديهم مفاتيح الزنزانات التي أعدت لقادة ومجاهدي الأوراس المظلومين.

فهذا الأستاذ "صالح لغرور" شقيق "عباس غرور"، ينقل لنا حوارا مثيرا ما تم بين "محمود شريف" بعد أن أدرك الحقيقة والسيد "كريم بلقاسم " والحوار المذكور تضمنه كتاب "الرئيس فرحات عباس"، جاء في ذلك الحوار مايلي:

(محمود شريف يخاطب "كريم "ويحمله مسؤلية الفوضى في الحدود، ومسؤلية سجن ثلاث عقداء، ومسؤولية مؤامرة لعموري، ومسؤلية إستسلام "حمبلي"للعدو، ومسؤلية عدم دخول الأموال للولايات داخل الجزائر)

(كريم يتنطع في وجه "محمود شريف" غاضبا ويصيح " سأحطمك"، فيرد عليه "محمود شريف": وأنا سأمحيك)[1].

وهذا الحوار يذكرنا بمقولة أحد الباءات الثلاثة النافذين في لحظة النشوة بالسلطة فقال لمخاطبيه: (لقد إنطلق الأوراس من الصفر ثم تطور وتوسع حتى فاض، وعلينا إرجاعه لحالة الصفر التي إنطلق منها ثم ننسفه نسفا) وقد طبقوا ما قالوا عمليا

نعود لموضوع إجتماع شريط الذي شجع الشقاق على القيادة العامة، فأقول:

رغم أني كنت على علم بالأسباب التي أدت الى إنفصال" شريط"ورفاقه عن قيادة "عباس لغرور "في تلك الآونة، إلا أنني فضلت تصحيح معلوماتي حول الموضوع بشهادة أحد الضباط

---

[1] -AUTOPSIE D' une guerre

الذي وجهت له دعوة "شريط" وحضر لذلك الإجتماع، إنه الضابط صاحب التاريخ المشهور "محمد الهادي رزايمية" وذكر لي بأنهم تلقوا رسالة من "لزهر شريط" إلى كل الضباط المنتمين إلى ما أصبح يعرف "بالمنطقة السادسة"و"المنطقة الخامسة" يدعوهم بموجبها للإلتحاق به في الجبل الأبيض ملحا عليهم إستقدام أسلحة فعالة، وقد إلتحق القادة وتولى "شريط لزهر" شرح دواعي الإجتماع، طالبا الإنفصال على القيادة العامة في الأوراس، والخلاصة النهائية كانت موافقة الجميع على دعوة "شريط" للتمرد على قيادة "عباس لغرور"، وتكوين قيادة محلية لمنطقة تبسه والجبل الأبيض يرأسها "شريط لزهر" وعضوية "الوردي قتال" وآخرين، وبذلك تم الإنفصال الفعلي)، ومع ذلك بقي" عباس لغرور" يحاول دون يأس إقناع المنشقين عنه، مؤكدا لهم بأن خروجهم على القيادة لاينفعهم بقدر ما يضرهم ويعرضهم للتشرذم والضياع، ويضعف موقف الولاية الأولى (التسمية الجديدة) أمام القيادة التي ظهرت بعد مؤتمر الصومام.

وبمرور الأيام أدرك شريط بأن مخازن السلاح بيد" عبد الحي " الوفي "العباس لغرور"، والذي منع على المنشقين الأسلحة والذخيرة كعملية ضغط لدفعهم لمراجعة موقفهم من القيادة العامة، ، فاشتكوا ذلك "العباس لغرور"،الذي إستغل تلك الفرصة للتوسط بين الطرفين من أجل إصلاح ذات البين وتوحيدالصفوف،مستعينا في ذلك بجهود المناضل الكبير "محساس" الذي أشاع بأن "بن بله" سيحضر إجتماع المصالحة بين المجموعتين في تونس.

وهو ما دفع ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ والحكومة التونسية لإستباق الأحداث وزرع عيونهم للتجسس على إجتماعات "عباس لغرور" لإفساد عملية المصالحة لأنها تقوي سلطة "عباس" و"محساس" و"بن بله" على حساب الحليفين "عبان رمضان" و"الرئيس بورقيبه".

كان "عباس لغرور" يدرك مايخطط للأوراس في تلك المرحلة التي ارتفعت فيها التحفظات والإحتجاجات في وجه منسق لجنة التنسيق والتنفيذ "عبان رمضان"، لذلك كان مهتما بترتيب شؤون الولاية الأولى، ورص الصفوف من خلفه، حتى يتفرغ للتعامل مع لجنة التنسيق والتنفيذ وفق المستجدات، وذلك انسجاما مع الرسالة [1] التي وجهها زميله "عجول" من وسط الأوراس لعضو لجنة التنسيق "كريم بلقاسم "بالولاية الثالثة، تلك الرسالة التي تضمنها تقرير "عميروش" إلى لجنة التنسيق والتنفيذ على مهمته في وسط الأوراس.

- **جذور الخلاف بين قيادة الأوراس وبورقيبه**

منذ إنشاء مكتب المغرب العربي الذي أسس من أجل تحرير الأقطار الثلاثة المكونة له وفق الإتفاق الذي تم بين ممثلي جبهة التحرير الجزائرية،وحزب الاستقلال المغربي، والدستور الجديد التونسي" بضرورة التكامل في جبهة موحدة للتحرر من قبضة الاحتلال الفرنسي.

بدأت المقاومة مبكرا في المغرب الأقصى، وتبعتها مقاومة القطر التونسي، ولظروف قاهرة تخلفت مقاومة الجزائر إلى غاية الفاتح من نوفمبر 1954، وبإندلاع ثورة الجزائر اكتملت الوحدة النضالية في المغرب العربي الكبير، وتوحدت الآراء والجهود والمخططات حول تحقيق الغاية المنشودة، لقد سعى سي مصطفى بن بولعيد ورفاقه قبيل اندلاع الثورة وبعدها الى إنشاء قواعد خلفية في كل من تونس وليبيا لتأمين عملية التزود بالسلاح وضروريات الكفاح التحرري، ولإستكمال ذلك المسعى النبيل كابد"سي مصطفى بن بولعيد" شخصيا أخطار السفر إلى ليبيا بنفسه في ظروف جد قاسية بقصد الإتصال "بأحمد بن بلة"

1- عد للتقرير الذي رفعه "عميروش" للجنة التنسيق والتنفيذ على مهمته في داخل الأوراس

ورفاقه في الوفد الخارجي لتوفير الإمدادات اللوجستية لمعركة الكفاح التحرري.

وبذلك بدأت بوادر التلاحم المشترك تتبلور في بوتقة الكفاح المشترك على مستوى جهود جيش التحرير التونسي، وجيش التحرير الجزائري في جبهة قتال متكاملة ضد الجيش الفرنسي في ملاحم قتالية تاريخية منذ بداية سنة 1955 جعلت القوات الفرنسية تتكبد خسائر موجعة دفعتها الى التآمر على ذلك التنسيق الخطير على مستقبلها في شمال إفريقيا وخاصة الجزائر، فعجلت بإنهاء الحرب الدائرة في الهند الصينية، ثم راحت تسعى لفصل المقاومتين المغربية والتونسية عن الثورة الجزائرية بكل الطرق والوسائل المتاحة أمامها، منها إعادة الملك "محمد الخامس" من منفاه وتمكين المغرب من نيل استقلاله، وشرعت في مفاوضة الزعيم "بورقيبة" بعد أن قربته من منفاه إلى ضواحي باريس، وبحكم معرفتهم لنفسية "بورقيبة" واتجاهاته الإيديولوجية وميولاته الثقافية، أقنعوه بأن مصلحته تكمن في التكامل مع فرنسا القريبة منه ثقافيا وإيديولوجيا، وأنها مستعدة لتمكين تونس من "الإستقلال الداخلي لتونس" في إطار التعاون المشترك، مؤكدين له بأن ارتباطه بالقومية العربية الإسلامية لا يحقق له غايته، وفوق كل ذلك لا ينسجم مع توجهاته، ولا يخدم مصالحه الاقتصادية والسياسية.

كان "بورقيبة" مهيأ لقبول العرض الفرنسي بحكم تكوينه، وراح يبرهن على قبوله العرض من خلال التصريح التالي: (أن ما يربطه بالعرب لايزيد عن ذكريات تاريخية، وأنه من مصلحة تونس أن ترتبط بالغرب وبفرنسا على وجه الخصوص، لأن مرسيليا أقرب لها من بغداد أو دمشق أو القاهرة، وأن اجتياز البحر الأبيض المتوسط أسهل من اجتياز صحراء ليبيا).

وبذلك تنكر "بورقيبه" بسهولة لمبدأ التكامل بين مناضلي أقطار المغرب العربي الثلاثة، وأدار وجهه عن مقاومتهم المشتركة، وإعطاء الفرصة الذهبية للفرنسيين بأن يتفرغوا للقضاء على الثورة الجزائرية، وإطفاء شعلتها في مهدها خلال عامها الأول في الأوراس قبل أن تنتشر ويشتد عودها.

لم يكن أحد ينتظر من بورقيبه ما صرح به وما إلتزم به مع الفرنسيين، لقد خيب آمال مناضلي المغرب العربي والشعوب العربية المناصرة والمدعمة لتحرير المغرب العربي، فعم القلق فئات الشعب التونسي المقاومة لنتائج مفاوضات "بورقيبه" التي إختزلت نضال الشعب التونسي في إستقلال ذاتي مقيد بارتباطه الكامل بفرنسا، وذلك بحكم اتفاقية جويلية 1955 .

وهو ما جعل "صالح بن يوسف" الأمين العام للحزب الدستوري الذي كان يقود وفدا في مؤتمر باندونغ يخرج عن صمته ويعلن :(إستنكاره لنتائج الاتفاقية المذكورة رافضا كل النتائج المتمخضة عنها، مؤكدا على أن الشعب العربي التونسي يرفض جملة وتفصيلا الاتفاقية التي تعطي لفرنسا حق التصرف في مصيرتونس وربطه بحاجياتها، لأن الاتفاقية تنص صراحة على إلتزام تونس بتسخير البلاد والعباد وثروات الأرض إلى فرنسا متى كانت في حاجة لذلك).

ونتيجة لتلك الإتفاقية انقسم الحزب الدستوري على نفسه خاصة بعد تصريح "الصالح بن يوسف"، وإعلانه عن مواصلة الكفاح المسلح من أجل تحقيق الاستقلال التام، وكنتيجة لتلك الخلافات التي ظهرت بين الأجنحة الفاعلة في تونس، فوجئ المجتمع التونسي ببعض الاغتيالات والمطاردات، وظهور(محكمة الشعب) التي أنشأها بورقيبه لمحاكمة الرافضين للإتفاقية من التونسيين والجزائريين، كما أصدر الأمر بإلقاء القبض على المعارض "صالح بن يوسف" الذي اضطر إلى الفرار "لليبيا" لمواصلة نشاطه من هناك.

وكنتيجة لتأزم الأوضاع صرح قائد المقاومة المسلحة التونسية "الطاهر لسود "رفضه هو الآخر للاتفاقية وأعلن على بركة الله تكوين جيش تحرير تونسي مهمته تطهير البلاد التونسية من الإستعمار وأذنابه، وأنه سيبقى وفيا لمبدأ وحدة نضال شعوب المغرب العربي والتكامل مع جيش تحرير الجزائر ومقاومي مراكش، لقد إستجاب الكثيرون من مناضلي الحزب الدستوري أبناء المعارضة وتصريح القائد " الطاهر لسود".

• قيادة الأوراس تواجه مخطط بورقيبه

لقد أدركت قيادة جيش التحرير الجزائري بالأوراس مؤامرة بورقيبه والفرنسيين الخطيرة على مصير الثورة الجزائرية فقررت مواجهتها بما يلي:

أولا: لفت انتباه الراي العام المحلي والدولي لخطورة تآمر "بورقيبة" و"فرنسا" على الثورة الجزائرية وكفاحها العادل.

ثانيا: مواصلة الدعم للقائد "الطاهر لسود" قائد جيش التحرير التونسي،وقد تمثل ذلك الدعم الأولي في (أربعين مليون سنتيم وبعض الأسلحة) سلمها "عباس لغرور" بنفسه لقادة جيش التحرير التونسي لدعم الجهود القتالية المشتركة خاصة على مستوى الحدود بين القطرين.

ثالثا: التنسيق مع المعارضة التونسية العلنية والخفية خاصة منها "الصالح بن يوسف" الذي أصبح ينسق مع ممثلي جيش التحرير الجزائري، وأيضا أعضاءالوفد الخارجي الجزائري، وقد نشطت وتيرة الإجتماعات المشتركةعلى مستوى تونس وليبيا، والتي كان يحضرها ممثل الأوراس "عباس لغرور".

وبذلك يكون "بورقيبة" قد دفع القيادة الأوراسية والوفد الخارجي الجزائري دفعا لمواجهة سياسته الخطيرة العواقب على الجزائر وعلى تونس، حيث لم يترك لهم أي خيار سوى

اللجوء إلى الدفاع عن قضيتهم المشتركة بما توفر لديهم من إمكانيات.

ونتيجة لذلك التكامل كثف الثوار الجزائريون والتونسيون جهودهم القتالية ضد الجيش الفرنسي للسيطرة على الحدود وداخل تونس، وخاصة على مستوى الجنوب الذي كان تحت سيطرة كتائب"طالب العربي، وعبد الحي".

قرارات قيادة جيش التحرير الجزائري الجريئة التي واجهت بها مشروع "بورقيبه" دفعته 'إلى التفكير في الطرق التي يواجههم بها ليطهر تونس منهم ومن تدخلاتهم،حيث سارع إلى وضع يده على طرق الإمدادات، ومطاردة قوافل الأسلحة التي كانت تصلهم، وأيضا ملاحقة مناضليهم ومحبيهم ومؤيديهم داخل التراب التونسي، فملأ بذلك سجون تونس بهم.

ولحسن الصدف بالنسبة "البورقيب" الذي كان يعاني من ضغط مقاتلي جيش التحرير الجزائري والتونسي على الحدود، ونشاط المعارضة السياسية التونسية في الداخل، عقد "مؤتمر الصومام" وظهرت تحفظات كثيرة على طريقة عقده، وعلى بعض قراراته، وعلى تولي السياسيين القيادة بإشراف "عبان رمضان"، كما ظهرت أيضا بوادر التنافس على قيادة الثورة خاصة بين "عبان رمضان" وأعضاء الوفد الخارجي بالقاهرة الذين سحب "عبان" البساط من تحت أقدامهم بقرار أولوية الداخل على الخارج، وأيضا من القادة العسكريين مفجري الثورة وقادة المناطق بأولية السياسي على العسكري.

لقد تضاعفت الإحتجاجات والتحفظات على "عبان رمضان" المفتقر إلى قوة عسكرية تحمي ظهره خاصة على مستوى الحدود الشرقية التي ستصبح قاعدة للقياده المركزية، فاضطر بذلك لمد يده "للرئيس بورقيه" الذي كان بدوره يعاني من تزايد نفوذ الأوراسيين وثوار تونس، لقد تقاطعت مصلحة الطرفين "عبان رمضا، وبورقيبه، فقررا التحالف لإخضاع المجاهدين

الجزائريين في المنطقة الشرقية بالقوة،وإلقاء القبض على عناصر جيش تحرير تونس وتفكيك المعارضة السياسية التونسية كما سنوضح ذلك لاحقا.

الفترة الثالثة

أولا: مرحلة عبان رمضان

وأحداث الشغور في قيادة الأوراس التاريخية وإخضاعها للوصاية الخارجية



لقد تعرضنا بالتفصيل للمرحلة الذهبية التي كانت تسير من طرف مفجري الثورة بقيادة "مصطفى بن بولعيد" ونوابه الثلاثة "شيحاني" و"عباس لغرور" و"عاجل عجول" تلك الفترة التي كانت تشمل مرحلتين مرحلة ماقبل إعلان الثورة (مرحلة التوحيد)، ومرحلة مابعدها (إعلان ثورة) ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 التي بدورها استمرت إلى غاية تصفية القائدين "عباس لغرور" و"عاجل عجول" في اخرسنة 1956، وإخضاع الولاية الأولى إلى وصاية رجال الولاية الثالثة، العقيد محمد السعيد"، والعقيد "اوعمران"و "الرائد عميروش".

لايختلف إثنان على أن تدخل "عميروش" في شؤون الولاية الأولى في الأوراس، ومحاولة إغتياله للقائد "عجول" قد اجهضت وتيرة القتال التي كانت على أشدها في الأوراس والتي فاجات القوات الفرنسية بالكمائن والهجومات الخاطفة والتي لم تلبث أن تطورت إلى معارك وجها لوجه مع مطلع سنة 1956، ثم إستمر لهيبها يتصاعد، فأوصل صوت الجزائر من خلال معارك الجرف بالأوراس، وانتفاضة العشرين أوت بشمال قسنطينه إلى أصقاع العالم، ومكن "عبان" و"كريم" و"بلمهيدي" في محيط العاصمة من التخطيط لعقد ذلك المؤتمر المؤجل الذي غيبوا عنه الأوراس والأطراف الأساسية داخليا وخارجيا.

ذلك المؤتمر الذي واجه أصحابه بإحتجاجات وتحفظات في الداخل والخارج، ومن أهمها مطالبة "أحمد بن بله"

بضرورة الثاني فبعد نشر قرارات "مؤتمر الصومام" قبل الإتفاق عليها، غير أن "عبان" تجاهل تلك المطالب وعجل بنشر القرارات في صحيفة المجاهد كعملية تحدي.

- **عبان رمضان يواجه خصومه بقرارات عاجلة**

ونتيجة لما ذكرناه سارع عبان الذي نصب نفسه منسقا للجنة التنسيق و التنفيذ إلى تحدي المتحفظين على قراراته وتوجهاته وذلك بـ:

اولا ـ سحب قادة عسكريين مجاهدين من جبهة القتال على مستوى منطقة القبائل ليواجه بهم خصومه في الداخل على مستوى منطقتي "سوق اهراس" و"الأوراس" و"داخل تونس"، والتعجيل بفرض التنظيم الجديد الذي أقره مؤتمر الصومام بالكيفية التي تخدم طموحاته

ثانيا ـ وجه "عبان" تهديدات شديدة اللهجة لجماعة الخارج بواسطة الرسالة التي رد بها على" بن بله" والتي جاء فيها ما يلي: (إن الثورة قد اتخذ ت قراراتها ولارجعة فيها، وانها ستسحق كل من يقف في وجهها).

وهو ما جعل البعض يتأكد بأن "عبان رمضان" الذي سبق له وأن عزل العاصمة عن الولاية الرابعة لحاجة في نفسه وحولها إلى منطقة حرة (zaa) راح من جديد يعمل على تنفيذ مخططه بمواجهة المتحفظين على توليه منصب منسق لجنة التنسيق والتنفيذ، وعلى قراره بتعيين المركزيين في القيادة التنفيذية العليا لتعزيز موقفه أمام الثوريين من السياسيين والعسكريين الذين رفعوا أصواتهم في وجهه.)

سارع إلى إستباق الأحداث بتهديد خصومه، وفرض سيطرته على الحدود الشرقية وحتى داخل تونس التي بعث لها ممثلين له منهم "عمار بن عوده" و"مزهودي" وأخرين

لمواجهة الإحتجاجات والمطالب بعقد مؤتمر جامع، ومحاولة لإستمالة مجاهدي المنطقة بالعاطفة خاصة من طرف "مزهودي" الذي ركز نشاطه على كسب عطف مجاهدي منطقة "النمامشة" ودفعهم للتمرد على "عباس لغرور" الذي كان منكبا في تلك الأونة على ترتيب البيت الداخلي وتوحيد الصفوف لمواجهة تلك التحديات، ولكن ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ تمكنوا بجهود الأمن التونسي من تلغيم الإجتماع الذي عقده "عباس لغرور" في مدينة تونس للمصالحة بين فريق "النمامشة" وفريق "السوافه".

حيث تم تسخير مجاهد أمي سياسيا ومغفل قام دون أن يعي خلفيات طيشه بإفساد ذلك الإجتماع بإطلاق الرصاص على المجتمعين فقتل من قتل وجرح من جرح، وبذلك أغتيل مشروع الولاية الأولى، وأقيمت الحجة على قائدها "عباس لغرور" وعزل من سلاحه النظامي و السياسي.

من حسن حظ "عباس لغرور" أنهم لم يتمكنوا منه في تلك اللحظات ولكنهم أقاموا عليه الحجة بقتل رفاقه، وتهديد الأمن التونسي، وبذلك أصبح مطلوب للمحاكمة على التهمة الملفقة التي تنفي عليه شرعية قيادة الأوراس مستقبلا، ريثما يلحقوا به زميله "عجول" داخل الأوراس، حيث سيتولى عميروش مهمة إغتياله، ودفعه للعدو، وذلك لتحقيق غرض إخضاع الولاية الأولى كما سنبين لاحقا.

بكل أسف لقد تمت تلك الأحداث مباشرة بعد استشهاد الرمز "زيروت يوسف" الذي كان في طريقه للأوراس، حيث كان الأوراسيون في إنتظاره بشوق كبير لما يعرفون عليه من صدق وأمانه.

فمباشرة بعد إستشهاد "زيروت" وأسر "العربي بن مهيدي"، وخروج "كريم، وعبان" من العاصمة، قرر "عبان" منسق لجنة التنسيق و التنفيذ إختيار الحدود الشرقية لتصبح

قاعدة مؤمنة للقيادة، وذلك يتطلب فرض الخضوع على منطقة الأوراس، والحدود الشرقية الجنوبية لتصبح مجالا استراتيجيا لنفوذه، كما أمر ممثليه في تونس بتشديد الخناق على المناضل "محساس"، وقطع الإتصالات عليه وعلى أعضاء الوفد الخارجي بالقاهرة الذي يراهم منافسين له خاصة بن "بلة" والمنسق السابق "بوضياف".

كانت تدخلات" العقيد أوعمران "ممثل "عبان رمضان" في تونس لاتقل عنفا عن تدخلات زميله " الرائد عميروش" في داخل الأوراس، التي قسمت ظهر الولاية الأولى وأخضعتها للوصاية الخارجية،وبالتالي شلت الوتيره القتالية التي كانت تتصاعد في الأوراس، خاصة بعد قرار إخراج "العقيد محمدي السعيد"القادة الأوراسيين من الأوراس إلى الولاية الثالثة ثم إلى تونس بحجة معالجة القضايا الجوهرية وتأقلم الولاية مع التنظيم الجديد، وتطهيرها من العناصر الممانعة، وأخيرا تعيين قيادة جديدة تعوض القياده التاريخية المغضوب عليها

- عبان رمضان ومؤتمر الصومام

من المعلوم أن الزعماء مفجري الثورة قد عينوا بوضياف منسقا واتفقوا على عقد اجتماع تقييمي في حدود ثلاثة أوستة أشهر، ولكن جحيم المعارك تسبب في استشهاد وأسر بعضهم، فلم تترك لهم الوقت لتنفيذ ذلك الوعد، رغم المحاولات الفردية مثل محاولة سي مصطفى بعد خروجه مباشرة من السجن حيث حاول أن يستدرك ذلك التأخر فأرسل لجنة لمنطقة سوق اهراس تحت إشراف "عثماني عبد الوهاب" من أجل توفير الشروط المادية لعقد مؤتمر هناك على الحدود الشرقية أو داخل تونس، وبما أنه كان دائما حريصا على إستشارة "كريم" فقد بعث له رسالة حول الموضوع حملها له "محمد العموري" وعاد برد منه لكنه أتلفها لما حوصرمن طرف العدو خوفا من كشف أسرارها، كما كان "مصطفى بن بولعيد" أيضا عازما على

زيارة المنطقة الثانية بنفسه لتدارس قضية المؤتمر، ولكن الشهادة قد سبقته، كان على نوابه في قيادة الأوراس أن يواصلوا السعي نفسه مع الولايات والوفد الخارجي لإكتمال مبادرته لكنهم قصروا في الأمر، ولو فعلوا لنالوا شرف المبادرة، وتمكنوا من تسجيل بصمتهم بوضوح في القرارات المصيرية للثورة، وقد كلفهم ذلك التقصير المصيري المحزن التهميش والتحجيم والعقاب الفردي والجماعي كما هو معلوم، وحتى الولاية الثانية بدورها كانت قداقترحت على جماعة الجزائر استعدادها لتبني عقد المؤتمر داخل محيطها ولكنهم تجاهلوا عرضها.

استغل "عبان رمضان" تلك الثغرات منها تأخر عقد المؤتمر، وعدم إنضمام الأحزاب للثورة وتلويح الحكومة الفرنسية بتكوين قوة ثالثة لضرب الثورة بقيادة عبد الرحمن فارس، وعدم وجود قياده مركزية تنسق بين مؤسسات الثورة، وظهور صراعات خفية على من سيكون" رقم واحد" حسب تعبير المنسق" بوضياف"، ولما إنضم "عبان" للعمل مع "أوعمران" ومع "بيطاط" ثم مع "كريم" و"بلمهيدي" بدأت تتكون لديه ميولات الإستيلاء على قيادة الثورة، وبدأ يشهر بخلافات أعضاء الوفد في القاهرة الذي كان يراهم منافسين له بحكم التاريخ والإحتراف السياسي، فراح يحملهم مسؤولية التقاعس فيما أوكل لهم من مهام، قصد تعقيدهم وإضعاف موقفهم، ظهر ذلك جليا من خلال مراسلاته التي كان يراسلهم بها ويخاطبهم كأنه هو القائد الأعلى للثورة، ثم راح ينفي عليهم التكلم باسم جيش التحرير وجبهة التحرير، ويهددهم بالقطيعة ويخيرهم بين توفير شروط المعركة أو الدخول ليموتوا معهم في الداخل حسب تعبيره.

لقد كان يتعمد الإنقاص من قيمتهم بقوله: (ان ضياع إطار من إطارات الخارج أهون على الثورة من ضياع مقاتل في

الداخل)، ويضيف قوله (فما أنتم إلا مجرد مهاجرين مكلفين بمهمة أدوها بجدارة أو تتنحوا).

بدأت الرغبة الملحة بعقد المؤتمر المؤجل بين الداخل والخارج، وتكوين قيادة عامة للثورة، لكن "بوضياف" و"بوصوف"، كانا يعتقدان أن الظروف لم تمكن الجميع من المشاركة في مؤتمر عام تحضره جميع الأطراف، ويتم الإتفاق المسبق على نصوصه الأساسية، وهما بذلك يعتقدان أيضا بأن المؤتمر الذي يسعى له جماعة الداخل بمفردهم سوف لن يحقق تلك الغاية، لذلك رفض "بوصوف" تزويد "بلمهيدي" وكالة تمثيل الولاية الخامسة وذلك بعد إستشارة "بوضياف".

بدأ عبان يخطط لعقد المؤتمر بالكيفية التي تؤهله لقيادة الثورة بشرعية مؤتمر غير جامع، ففوض حلفاءه السياسيين بإعداد مشاريع القرارات بنظرته الشخصية التي تقصي الأطراف المنافسة له، بقرار أولوية الداخل على الخارج بالنسبة لأعضاء الوفد الخارجي، وأولوية السياسي على العسكري لتهميش العقداء قادة الولايات، لقد أصر على أشراك السياسيين في قيادة الثورة على مستوى لجنة التنسيق والتنفيذ خاصة بالأغلبية المطلقة مرددا كلمته المشهورة (يجب أن تصبح الحية مرافقة للوحدة الوطنية).

ولا بأس من تسجيل بعض الأسباب التي دفعت إلى التعجيل بعقد المؤتمر منها:

- التأخر الغير مبرر لعقد المؤتمر.
- جعل حد لما يشاع من خلافات بين القادة السياسيين.
- اتهام الوفد الخارجي بالتقصير في توفير المال والسلاح لجيش التحرير في الولايات.
- تعيين قيادة مركزية للثورة تنسق بين الداخل والخارج.

بنجاحات الثورة في الميدان التي كانت تدفع الفرنسيين التفكير في التفاوض مع جبهة التحرير بعد فشلهم في تكوين قوة ثالثة بديلة.

- **صراعات قبل مؤتمر الصومام وبعده**

كانت الصراعات بين جماعة الخارج بزعامة "بن بله" و"بوضياف" من جهة، وبين جماعة الداخل "بلمهيدي" و"كريم" و"عبان" و"بن خده" و"بجاوي" و"أوزقان" من جهة أخرى، ولما أقصى المؤتمر أعضاء الوفد الخارجي من عضوية لجنة التنسيق والتنفيذ، وقام الفرنسيون باختطاف طائرتهم وانتهوا للسجن، وبذلك تحول الصراع من جديد بين جماعة المؤتمر أنفسهم، فأصبح "كريم" يتضايق من طموح "عبان رمضان" إلى درجة أنه ندم على تعيينه على العاصمة التي تجرأ على تحويلها لمنطقة مستقلة azz، وراح "كريم" يحمل "عبان" مسؤولية فشل معركة العاصمة، لقد أصبح "كريم" بعد أسر "بلمهيدي" يرى نفسه المؤهل لقيادة الثورة، وهو نفس الطموح الذي كان لدى عبان الذي كان يتهم العسكريين بالغباء السياسي.

في هذه الأونة بدأ "بوصوف" و"بن طوبال" يتضايقان من انفراد "عبان" و"كريم" بالسلطة، وقررا الإلتحاق بهما في الخارج ليشاركاهما السلطة، وبالتدريج تحول الصراع مرة أخرى بين الجناح العسكري المتمثل في الباءات الثلاثة "كريم" و"بوصوف" و"بن طوبال" من جهة، وبين الجناح السياسي بزعامة "عبان رمضان" و"بن خده" و"فرحات عباس" والآخرين من جهة ثانية، وهي صراعات أثرت وانعكست سلبا على الثورة وأخرت إيجاد الحلول للعوائق التي كانت تقف أمام المجاهدين في الداخل.

لقد إتفق العقداء المتحالفون على إعادة نفوذهم من "عبان" فدعوا مشروع مسودة للمجلس الوطني للثورة تعزز مكانتهم،

وذلك بإلغاء بعض قرارات مؤتمر الصومام كقرار أولوية السياسي على العسكري، وأولوية الداخل على الخارج، كما أضافوا فقرة تنص على إعطاء الأولوية لرجال الساعة الأولى مفجري الثورة وهو إقتراح جديد تقدم به كريم الوحيد الباقي من بين الستة التاريخيين ليخص نفسه بالرمزية التاريخية أمام كل الأطراف الأخرى، قدموا المشروع لمجلس الثورة المنعقد بالقاهرة سنة 1957 الذي اعتمد تلك القرارات التي كانت تستهدف تهميش دور "عبان رمضان" والسياسيين الذين دعم نفسه بهم ضد الجناح العسكري، وبذلك قرر المجلس توسيع أعضاء المجلس الوطني للثورة، وأعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ التي إنتقل عدد أعضائها من خمسة أعضاء إلى تسعه، وانتقلت بذلك الأغلبية للعقداء "كريم" و"بن طوبال" و"بوصوف" و"أوعمران" و"محمود شريف"، وذلك ضد السياسيين (عبان وبن خده وفرحات عباس وعبد الحميد مهري).

رفض "عبان" أن يجهض مشروعه وأن يغتال طموحه، وراح يهدد خصومه قائلا: (أبدا لن نسمح بالأغلبية للعسكريين فيصبحوا إقطاعيين) إستغل منبر صحيفة المجاهد للتنديد بالعسكريين متهما إياهم بالقصور الفكري والسياسي شاكيا ذلك الفقر الفكري حسب رأيه لفرحات عباس، ويقال أن "عبان رمضان" قد أسمع الرجل التاريخي "كريم بلقاسم ما لا يرضاه.

لم يفكر "عبان" يوما في تكوين قوة عسكرية تحمي ظهره عند الحاجة لكونه كان قد أوهم نفسه بأن المستقبل سيكون لصالح السياسيين وهم أساس السلطة، ولما ضعف موقفه إضطر للنجدة بالأطراف العسكرية المتضررة من تصرفات الحلفاء العسكريين الجدد تطبيقا لمقولة (عدو عدوي هو صديق لي) فلم يجد غير (جماعة الأوراس والقاعدة الشرقية) ضحاياه بالأمس، والذين لم يؤاخذوه على ماألحقه بهم،و لم يخذلوه ولكن دون جدوى، فالضعيف لا يسعف ضعيفا مثله، لقد إنتهى صراع "عبان" مع العقداء بالإختفاء الأبدي له في المغرب، وقتل

مصير "الرائد علي الحركلتي" تحت العذاب من طرف "كريم" و"بوصوف"، وضاعف بذلك الأوراسيون وقادة القاعدة الشرقية العقوبات على أنفسهم، وهو ما يؤكده حربي في كتابه (حياة تحدي وصمود) وأيضا الرائد سعيداني بقوله حرفيا (لقد فكرنا في وضع عبان معنا في قيادة القاعدة الشرقية وبذلك وضمنا إعادته للجنة التنسيق والتنفيذ)[1].

وعلى هامش جلسات المؤتمر وجه "عبان رمضان" إنتقادات لاذعة لبعض من يسعى لإضعاف موقفهم خاصة العسكريين، وجماعة الوفد الخارجي.

إنتقد تصرفات "عميروش" القاسية مع السكان، وحاول منعه من حضور جلسات المؤتمر، فأثارذلك غضب "عميروش" وطلب من كريم الإستئذان بتصفيته الجسدية لأنه يتعمد إهانة العسكريين والثوريين الحقيقيين، كما هاجم أيضا حادثة العشرين أوت في الشمال القسنطيني، ودخل في نقاش حاد مع "بن طوبال "الذي رد عليه بعنف بقوله" (لست مستعدا لتلقي الدروس من السياسيين الذين يريدون حربا نظيفة).

لقد ظهرت وجهات نظر متباينة حول من هو الحليف الأساسي للثورة؟ الريف بفلاحيه، أم المدينة بفئاتها العمال والبرجوازيين؟ كان عبان من أنصارنقل الثورة للمدينة، أما القادة العسكريون فيرون أن الفلاحين في الريف هم أقدر على تحمل مسؤولية الثورة.

وبغض النظرعن الكيفية التي عقد بها المؤتمر، والقرات الغريبة التي صدرت عنه فإن الكل ثمن قراره بتكوين قيادة وطنية تمثلت في (المجلس الوطني للثورة)، ولا ندري كيف أصبح "عبان" هو منسق لجنة التنسيق والتنفيذ، وكيف تم إشراك المركزيين فيها على حساب أعضاء الوفد الخارجي، لقد

[1] كتاب سعيداني القاعدة الشرقية

تعالت أصوات ضد ذلك القرار في الداخل والخارج، وقام عبان بمواجهتها بإجراءات ومواقف صارمة، وقرارات جريئة، بواسطة رجاله العسكريين الذين سحبهم من جبهات القتال لمواجهة منتقديه ومنافسيه كما بينا.

لقد سجلت نقائص كثيرة على المؤتمر منها تغييبه لأطراف أساسية، وعقده في منطقة يصعب على الكثير الوصول إليها خاصة جماعة الخارج الذين رغم إصرارهم على الحضور في أي مكان كان، إلا أن "عبان" وزميله "بن خده" قد فوتا عليهم الفرصة وتركوهم ينتظرون إشارة الإلتحاق الذي لم يتمكنوا منه، وبذلك عقد المؤتمر بحضور منطقتين فقط إذا إعتبارنا أن المنطقة الرابعة كانت تابعة للمنطقة الثالثة، وأن الولاية السادسة لا تزال حتى ذلك الوقت تابعة للأوراس ولم يتم تكوينها الرسمي إلا خلال المؤتمر نفسه حيث عين لها قائدا هو "علي ملاح" الذي لم يكن منتميا لثوارها، والذي إختفى في ظروف غامضة.

وحتى القائد "زيروت يوسف" لم يكن مرتاحا لما أسفر عنه مؤتمر الصومام معبرا على ذلك بمقولته المشهورة (الإستقلال على الأبواب ولكن الثورة إنحرفت).

كان "عبان" والسياسيون يتوهمون نهاية الحرب، وأن مرحلة سياسية جديدة في الأفق، وهو ما عبر عنه "فرحات عباس" بقوله: (إن العمل العسكري قد أدى ماعليه) ولعل ذلك هو ما أدى إلى عقد المؤتمر بتلك السرعة وبخلفيات طغى عليها الطموح والرغبة في التموقع، وهو مالم يكن غريبا على السياسيين.

ومع ذلك يبقى موقف" العربي بلمهيدي وكريم بلقاسم" يدعوا للغرابة لأنهما يدركان جيدا عقيدة غلاة الإستعمار، ومع

ذلك وقعا ضحية ذلك التفاؤل المبالغ فيه، وهو ما نستنتجه من قول "بلمهيدي" لزميله "زيروت يوسف" :(إلى لقاء قريب جدا في شوارع باريس)، ذلك ما يوحي بأن شيئا ما كان وراء الستار قد خدر عقول جماعة المؤتمر ولكنهم لم يفصحوا عنه إلى أن فاجأهم الجيش الفرنسي بعكس ماكانوا يبنون عليه تحليلاتهم، فغلاة الإحتلال الذين يملكون القوة والقرار قد أصروا على مواصلة الحرب بالقسوة الضرورية مركزين في ذلك على تطهير العاصمة من جيوب المقاومة، وإلقاء القبض على "العربي بلمهيدي" بكيفية تبقى في نظر البعض غامضة، وحتى "كريم" يقال أنه نجا بأعجوبة من شراك أخر، وضاقت بذلك الحلقه على رقاب الجاهلين لعقيدة الجيش الفرنسي الذي قضى على أحلامهم، قد يكون "عبان" غارقا في وهم التنظير الفكري الشفي، ووهم الطموح للزعامة بعيدا عن مايجري في الميدان على جبهات القتال حيث كان المقاتلون يتكبدون المزيد من الخسائر خاصةعلى مستوى الولاية الأولى ومنطقة سوق أهراس اللتين قرر "عبان" إضعافهما وتهديم بنيتهما بأسلوب مأساوي يستحيل بعده إسترجاع تلك الفعالية القتالية التي كان رجال الأوراس والقاعدة الشرقية يخوضون غمارها قبل أن يفاجئهم المؤتمر بتلك الخلفية الإنقلابية التي جاءت "بعبان" والسياسين.

- ذكاء وطموح عبان

بعد النجاحات التي حققها الثوار في ميدان القتال والنتائج الإيجابية لأعضاء الوفد الخارجي في الميدان الدبلوماسي والتعريف بالقضية الجزائرية دوليا، أدرك عبان بذكائه وطموحه حقيقة تلك النجاحات التي حققتها الثورة في الميدان العسكري والسياسي والدبلوماسي والإعلامي خلال فترة (11) شهرا من إنطلاقها، تلك النجاحات التي غيرت قناعات أغلب الأطراف في الميدان، فالجنرالات عجزوا ميدانيا عن إطفاء شعلة الثورة في عامها الأول رغم ما توفر لهم من إمكانيات

صحة، والحكومة الفرنسية لم تتمكن بدورها من تحقيق مخططاتها عسكريا واقتصاديا واجتماعيا وسياسيا، وحتى المجتمع الفرنسي قد أدرك بأن مقولة الجزائر فرنسية قد أصبحت في حكم التاريخ، وغلاة الإستيطان أنفسهم تأكدوا بأن أمنهم لم يصبح مضمونا، وأملاكهم لم تعد محمية، وأن تعنتهم برفض المساواة مع الجزائريين المسلمين قد أصبح مردودا عليهم وأكثر من ذلك ظهر هناك ميل للتفاوض مع الثوار مسيطرا على عقول الرسميين والمعتدلين السياسيين من الفرنسيين بدليل تلك الإتصالات السرية التي بدأت الحكومة تجريها مع الثوار بطرق غير رسمية كجس نبض وتمهيد لتهيئة النفوس.

وبذلك أدرك عبان أن الفرصة أصبحت سانحة ليظهر بشيء جديد ينقذ الموقف ويحقق له طموح صدارة الأحداث، فهو لايخفي أمنيته بأن يكون البديل المعتدل الذي تطمئن له كل الأطراف كبديل لمفجري الثورة المتهمين بالتطرف والتعصب لأفكارهم وخياراتهم التي كان يعتقد أنها لم تكن محبذة لا من الفرنسيين ولا من سياسيي الأحزاب الجزائرية التي وجدت نفسها في رواق الإنتظار.

كان عليه أن يبتكر أسلوبا يطمئن بموجبه المعتدلين في المجتمع الفرنسي ويعطي الأمل في البحث عن طريق غير طريق الحديد والنار، طريق يحقق التقارب دون التنازل عن مبدأ الاستقلال ولكن خطأه القاتل هو إعتقاده بأن العمل العسكري قد أدى ما عليه وأن المرحلة مرحلة سياسية بامتياز، وأنه صاحبها، وبناء على تلك القناعة راح يسعى لتحقيق هدفين أساسيين:

الهدف الأول: ضرورة الإسراع بعقد المؤتمر المؤجل الذي يمكنه من صدارة الأحداث بشرعية مقبولة، ويخرج الثورة من حالة التمرد ويضفي عليها شرعية الكفاح من أجل التحرر

ويحقق تقرير المصير، وهو يعلم أن عقد المؤتمر كان متفقا عليه من قبل مفجري الثورة، وأن تأخره أصبح غير مفيد للثورة نفسها التي أصبحت في حاجة لقيادة مركزية تستجيب للنجاحات المحققة، ولذلك قرر عبان بأن يكون له السبق في عقد المؤتمر بالكيفية التي تحقق الهدف الوطني وتخدمه هو شخصيا وذلك بتصدره الأحداث على مستوى القيادة العامة للثورة، مؤتمر يغير الكيفيات والأساليب والقيادات وحتى الأهداف وفق رؤيته الشخصية وما يحقق توافق أغلب الأطراف المؤمنة بالحلول السلمية من الفرنسيين والجزائريين، وبمعنى آخر تليين مواقف الثورة بالشكل الذي يحقق ثقة الفرنسيين المعتدلين، ويبعث الأمل في تعاون مشترك بين الشعبين ولم لا حتى مشاركة بعض الفرنسيين في المؤسسات التأسيسية للثورة كالمجلس الوطني للثورة طمأنة للخواطر، وهناك من يعتقد بأن تلك المشاركة قد جسدها عبان بإدخال بعض الفرنسيين في المجلس الوطني وأبقى أسماءهم في كنف السرية، وقد أكد لي محمد الصغير عبد الصمد خلال مؤتمر المجاهدين العاشر بأنه رأى بأم عينيه قائمة الفرنسيين الأربعة معلقة في لوحة الإعلانات خلال المؤتمر المنعقد في نزل الأوراسي، ولما تنقلنا معه للإطلاع على القائمة وجدناها نزعت من مكانها بعد إحداث ثوشرة في القاعة،، فمن علقها؟ ومن سحبها؟ الله أعلم.

الهدف الثاني: هو إحتواء الأحزاب التي أصبحت في حيرة من أمرها خاصة بعد عملية 20 أوت الحاسمة التي فرضت على رئيس الحكومة الفرنسية "قي مولي" الخضوع لإملاءات الكولون، فلا تلك الأحزاب التحقت بالثورة لتندمج في بوتقة الكفاح المسلح بقيادة جبهة التحرير الوطني، الوعاء الطبيعي الذي وفره لهم بيان أول نوفمبر، ولا هي تمكنت من تشكيل بديل للكفاح المسلح، ولا هي استطاعت أن تتجرد من الوعي الوطني القومي وتمد يدها للسلطة الفرنسية لتضرب بها الثورة

رغم إدراكها بأن ذلك قد يتعب الثورة ولكنه أبدا لايحقق لهم النصر عليها.

ونتيجة لما تفطن له عبان في هذا الشأن، فقد قرر أن يصطاد عصفورين بحجر واحد، لما تمكن من إخراج الأحزاب من حالة التردد إلى الحسم بقرار الانضمام للثورة لأداء الدور الطبيعي في كنف الجبهة معززا بذلك موقعه بتلك الأحزاب التي ستصبح قوة إضافية لجبهة التحرير وتغطي الدور السياسي الذي يقوم به جيش التحرير بواسطة المحافظين السياسيين العسكريين، فراح عبان يعزز موقفه بقرار مبدأ أولوية السياسي على العسكري ليهمش به القاده العسكريين مفجري الثورة بقرارات صادرة عن المؤتمر المؤجل، مجتهدا في إقناع ضحايا ذلك القرار كريم، وأوعمران، وبلمهيدي، موهما كريم بأنه يعمل لصالحه لقيادة الثورة والجمهورية الجزائرية، وبذلك حصل على الضوء الأخضر من طرف كريم بلقاسم بحكم مسؤولياته السياسية بالعاصمة، وبذلك إحتكر عبان لنفسه مهمة إعداد ارضية الوثائق التي ستقدم للمؤتمر ليصدرها كقرارات ملزمة، متعمدا عن قصد عدم إشراك ممثلي المناطق المجاورة في تلك الوثائق خوفا من عجزه عن فرض رؤيته عليهم، لأنه يدرك مدى التباين الواضح بين رؤيتهم الثورية ورؤيته السياسية وحلفائه السياسيين الملحقين بالثورة في كثير من القضايا الجوهرية والقناعات الإيديولوجية، وأكيد لو مكن ممثلي المناطق العسكرية والوفد الخارجي من المشاركة لشاهدنا مشاريع ووثائق غير تلك التي قدمت للمؤتمر.

كان على المناضل "عبان رمضان" أن يوفق بين وجهة نظره ووجهة نظر إخوانه الثوريين الذين ضحوا بأرواحهم من أجل الثورة، ولخراجه هو وغيره من السجن، وكان عليه أن يعمل على عقد مؤتمر جامع وذلك بإعطاء الفرصه للمناطق المجاورة لمكان عقد المؤتمر كالمنطقة الثانية والأولى والرابعة للمشاركة في إعداد أرضية الوثائق التي قدمها للمؤتمرين،

كان عليه التشاور حول مكان عقد المؤتمر ليؤمن حضور أغلب الأطراف مما يعطي المصداقية للمؤتمر وقراراته ويعفيه من الطعون التي لاتزيد الوضع إلا تأزما، لكن عبان تعمد عقد المؤتمر بخلفية معينة في الولاية الثالثة حيث يتعذر على كثير من الأطراف حضوره، وهو إختيار غير موفق جلب لأصحاب المؤتمر إنتقادات كونهم فكروا فقط في أنفسهم، والحقيقة أنه لا عذر لهم في عدم إستشارة قادة المنطقتين الأولى والثانية بحكم تضحياتهما وقربهما من المنطقة الثالثة، ولاحق لعبان بأن يسند مهمة إعداد النصوص لسياسيين في غياب ممثلي الولايات التي تقوم عمليا بالكفاح العسكري، ومن هناك بدت فكرة الإنقلاب عليهم بالمؤتمر المطعون في شرعيته لكونه تجاهل شرط الإجماع التي دفع الأكثرية للجهر بالتحفظات التي أثرت على جهودالمعركة، ورسخت بدعة نصرة الزعامة الفردية، والصراع على السلطة الذي تواصل معنا حتى الإستقلال.

أحيل القارئ الكريم إلى رأي "مالك بن نبي" الذي إعتبر فصل العاصمة عن قيادة الثورة في جبل الأوراس، والدعوة لعقد مؤتمر الصومام بدون رأي قيادة الأوراس، هو إزدواجية خطيرة في القيادة التي كان مبدءها الأساسي (وحدة القيادة)، تبديد لطاقات الثورة، وقلب للنظام الثوري رأسا على عقب، ونتيجة لذلك يقترح "مالك بن نبي " من أجل مليون من الشهداء عقد مؤتمرشعبي عاجل في المقبرة التي ضمت جثمان "مصطفى بن بولعيد" لتكوين لجان تحقق في نقاط مهمة ومريبة[1]:

1- تحقيق في الظروف المريبة التي تكونت فيها بالعاصمة الجزائر منذ أفريل 1955 قيادة منفصلة عن قيادة الثورة بجبل الأوراس. وتؤكد إنفصالها بلقبها المستعار (ZAA) أي القيادة المستقلة لمنطقة العاصمة، ومن المعلوم أن هذا السلوك يخالف تماما مبدأ "وحدة القيادة" الذي يجب التمسك به في الحروب العادية وفي الحروب الثورية على وجه الخصوص، حيث يؤكد كل إزدواج في القيادة إلى تبديد الطاقات الثورية حتى على فرض أ، تصدر كل قيادة نفس التوجيهات التي تصدرها الأخرى، بينما رأينا قيادة العاصمة تتخذ قرارات تخالف تماما خطة القيادة في الأوراس، مثل الدعوة إلى مؤتمر الصومام في 20 أوت 1955 وتأسيس مجلس التنسيق والتنفيذ الذي عبر تأسيسه عن قلب

• شخصية عبان رمضان

ولابد من أن نركز هنا على عقلية عبان المتميزة بقوة الشخصية والإفراط في الأنانية، والطموح المبالغ فيه، وحتى الغرور في بعض الأحيان والإستهزاء بالغير خاصة ممن سبقوه لتفجير الثورة، ذلك أنه بعدأسر بطاط وتوليه العمل السياسي بالعاصمة راح يعطي الانطباع على أنه المسؤول الفعلي لجبهة التحرير مستغلا وجوده داخل البلاد، ومصاحبته لشخصيتين بارزتين هما "كريم" و"بلمهيدي"، نستنتج ذلك من خلال إتصاله بالمناطق وبالوفد الخارجي الذي يعطي الإنطباع على أنه القائد الأعلى والناطق الرسمي للثورة، متجاهلا مبدا اللامركزية الذي إتفق عليها مفجرو الثورة الذين تركوا حرية تسيير كل منطقة لمسؤوليها بالكيفية التي يرونها مفيدة مع إمكانية التنسيق والتكامل كلما تيسر الأمر وهو المطلوب، كما تعمدوا تأجيل تكوين القيادة المركزية إلى حين عقد الإجتماع المتفق عليه، ولكن عبان وبثقة مبالغ فيها أعطى لنفسه حق الاتصال بكل الأطراف آمرا وناهيا، حتى أنه تجرأ على ربط الإتصال بممثلي الحكومة الفرنسية لترتيب لقاء بين وفد للثورة وممثل الحكومة الفرنسية داخل فرنسا، بالتأكيد قد يكون ذلك بموافقة كريم، ولما علم الفرنسيون بأن الوفد متكون من عسكريين ثوريين "كريم" و"بن بولعيد" رفضوا ذلك اللقاء لأن هدفهم كان تمكين السياسيين الجدد من تمثيل الثورة، لأن رهانهم سيكون عليهم لا على الثوريين.

ولمتابعة أسلوب عبان مع الوفد الخارجي علينا مراجعة مراسلاته لهم لنكتشف كيف كان يخاطبهم بالتعالي رغم كونهم

النظام الثوري رأسا على عقب، حيث كانت نتيجته الأولى تقرير أولوية الجانب السياسي على الجانب العسكري في قيادة الثورة وتوجيهها، أو بعبارة أخرى وضع مصير "بن بولعيد" وإخوانه المجاهدين تحت سلطة "فرحات عباس" و"بن خدة" الخ ... حتى خرجت الثورة من يد الأبطال الذين أسسوا جيش التحرير، وأصبحت بيد أولائك السياسيين الذين كانوا نقابة لرعاية مصالحهم. الخبر الأسبوعي عدد 588 جوان 2010

سبقوه لتفجير الثورة التي كان يجهل عليها كل شيئ بشهادة عبد الحميد مهري الذي يؤكد (بأن عبان يجهل كل الظروف التي هيأت للثورة ولايعرف شيئا على الأطراف الفاعلة فيها، بل كان خالي الذهن تماما عن أحداث فاتح نوفمبر 1954) وهو ما يؤكده أيضا صديقه الشخصي العقيد دهيليز الصادق الذي يقول: (إن عبان كان لايعرف شيئا عن مفجري الثورة لدرجة أنه كان يعتقد بأن اللجنة المركزية هي التي فجرت الثورة)، ومع ذلك فقد تجرأ على إعتبار أعضاء الوفد الخارجي المعتمدين مجرد مهاجرين بسطاء يخاطبهم بأسلوب لم يتجرأ أي قائد من بين مفجري الثورة الستة مخاطبة غيرهم به، فلا "كريم"، ولا "بن مهيدي"، ولا "مصطفى بن بولعيد"، ولا "زيغود يوسف" صدر عنهم مثل ذلك الأسلوب الجاف القاسي، ولعله كان يتعمد إضعاف منافسيه الذين كان يزايد عليهم بوجوده في الداخل، وبالتأكيد كان يمهد لأمور يخفيها في نفسه.

فمثلا عند ما راسل خيضر بتاريخ 20 سبتمبر 1955 فإنه أكد لهم منع التكلم باسم الثورة في الخارج، إلا لمن يكون منخرطا فيها بالجزائر، ونتيجة لذلك قرار تعيين للدكتور "لمين دباغين" كرئيس فعلي للوفد الخارجي، وبذلك أنهى تفويضهم الرسمي الصادر عن "محمد بوضياف" بتاريخ 29 أكتوبر 1954، ونفى عنهم تمثيلهم للثورة بقوله: ((إن بن بلة ليس هو ممثل جيش وجبهة التحرير في القاهرة ولا أي أحد، ولا بوضياف ولا آيت أحمد ولا خيضرولا اليزيد، ولا لحول، ويواصل تحذيره لهم لا تتقمصوا من الآن أدوار السفراء والوزراء والقادة الكبار)) كما رفض اقتراحهم تكوين قيادة عامة للثورة تنسق بين الداخل والخارج تتشكل من 12 عضوا ستة يمثلون الداخل وستة يمثلون الخارج بقوله: (إنكم طول النهار وأنتم تتحدثون عن القيادة المشتركة، فكل تحاليلكم خاطئة) وفي رسالة مؤرخة بـ 1956/03/15 راح ينهيهم عن الخوض في مالا يعنيهم بقوله: (إن التفكير في تشكيل الحكومة

لا يحكمكم، وإن تقرر تشكيلها فسيتم ذلك بالداخل لا في الخارج.

وفي الرسالة المؤرخة بـ 14/11/ 1955 يقول لهم صراحة (ما أنتم إلا مجرد مهاجرين مكلفين بمهمة ليست لكم أية علاقة بالقيادة وعليكم أن تنشغلوا بشيء واحد فقط هو إرسال السلاح وإلا فإنه لا يمكن تفادي القطيعة بيننا وبينكم)، ويواصل الحط من قدرهم بقوله: (إن خسارة عنصر من الخارج أقل ضررا للجزائر من خسارة مسؤول من الداخل، وإن لم تقوموا بما هو مطلوب منكم ادخلوا لتموتوا معنا).

فإذا كان أعضاء الوفد الخارجي قد خضعوا لقرارات "عبان" بعد المؤتمر مضطرين، فإن قادة الولايات العسكريين قد قرروا إسترجاع نفوذهم من "عبان" خلال أول جلسة للمجلس الوطني بالقاهرة 1957 كما بينا.

وعندما كان "عبان" مستشارا سياسيا للقادة الأوائل في الجزائر، فإنه راح يطرح نفسه كممثل رسمي لجبهة التحرير مقابل جيش التحرير، وبدأ يأمر المناطق العسكرية ليعودوا له في كل ما يتعلق بالقضايا السياسية التي هي من إختصاصات جبهة التحرير. لقد جاء في رسالته المؤرخة بتاريخ 1956/01/20 التي وجهها للوفد الخارجي حول مسؤوليته المباشرة على جبهة التحرير بقوله: (أن جماعة شمال قسنطينة قد قبلوا بأن يكونوا من الناحية السياسية تحت قيادة العاصمة) أي تحت قيادته هو شخصيا الذي احتكر لنفسه حق التكلم باسم جبهة التحرير. ويواصل إنتقاداته اللاذعة لمسؤولي المناطق بقوله: (إن منطقة قسنطينة تفتقر للرجال الأكفاء، وأنهم يرتكبون أخطاء لها نتائج موسعة على المستوى النفساني) ويواصل في فقرة أخرى: (إن الأوراس يعطي الانطباع بعدم النضج السياسي لأنهم لا يتكلمون في مراسلاتهم جبهة التحرير الوطني) وهو بذلك يحط من ثقافة خريجي مدرسة "مصطفى بن بولعيد".

إعتقد "عبان" بأنه قد تمكن من إستغفال العسكريين لما دعم مركزه بالسياسيين كأغلبية في إتخاذ القرارات، وأيضا بسحبه البساط من تحت أقدام الوفد الخارجي، مقدما نفسه على أنه السياسي المؤهل تاريخيا وعمليا لقيادة الثورة حاضرا ومستقبلا، واعتقد واهما بأنه حقق ثلاثة أهداف كبرى وهي:

الهدف الأول: انتصاره على العسكريين الذين كان لهم الفضل في اندلاع الثورة، وذلك بإضعاف موقعهم بقرار أولوية السياسي على العسكري.

الهدف الثاني: انتصاره على السياسيين أفراد الوفد الخارجي الذين كلفتهم الثورة بما يخدمها في الخارج دبلوماسيا وإعلاميا، فأزاحهم عن طريقه بقرار أولوية الداخل على الخارج، وتعيين الدكتور لمين دباغين مكانهم في تمثيل الثورة، ثم حرمانهم من عضوية لجنة التنسيق والتنفيذ معوضا إياهم بعضوين من المركزيين الذين كانوا أساسا ضد إعلان الثورة.

الهدف الثالث: انتصاره على مسؤولي الولايات الذين غيب بعضهم عن المؤتمر لإعتقاده بأنهم سوف لن يوافقوا على أفكاره.

كان "عبان رمضان" موفقا عندما توجه للحدود الشرقية ولم يتوجه للحدود الغربية، لأنه كا ن يدرك بأن المنطقة الخامسة محمية بشخصية مسؤولها "بوصوف" الرقم الصعب الذي لا يقبل الاحتواء، ومن ورائه "بومدين" الذي كان يتطلع إلى مقعد "عبان" و"كريم" وحلفائهما، أضف إلى ذلك إرتباط الولاية بالمنافس الشرس" أحمد بن بلة"، لذلك حول "عبان" و"كريم" إهتمامهما لمنطقة الحدود الشرقية لعدة أسباب منها:

أولا: موقعها الجغرافي الصالح للتموقع المفتوح على الدول العربية مصدر الإمدادات والتأييد الدبلوماسي.

ثانيا: محاذاتها للأراضي التونسية حيث الرئيس بورقيبه ذو الإيديولجية العلمانية المتضرر جدا في تلك الأونة من تكامل ثوار الأوراس مع معارضيه العسكريين والسياسيين الرافضين لإتفاقية الإستقلال الداخلي التي أمضاها مع الفرنسيين على حساب كفاح الشعبين التونسي والجزائري.

وبذلك إعتبر "عبان رمضان" جغرافية الولاية الأولى والقاعدة الشرقية مجالا مختارا لأن يصبح قاعدة إستراتجية لمركز القياده الجديدة بعد خروج أعضائها من محيط العاصمة التي كانوا قد بنوا عليها حساباتهم.

بالتأكيد أن ذلك الإختيار كان على حساب الشخصية الإعتبارية للولاية الأولى ومنطقة سوق اهراس اللتين فقدتا سلطتهما المادية والمعنوية والتنظيمية على الحدود وما فيها من مقاتلين ومقدرات، لأنها أصبحت تحت نفوذ القيادة العامة المتمثلة في "لجنة التنسيق والتنفيذ" ثم "الحكومة المؤقتة وما يتبعها من مؤسسات فيما بعد"، مثل (قيادة العمليات) التي عين عليها وزير الحربية "كريم" العقيد "محمد السعيد"، وأخضع لها كل الوحدات التابعة لمنطقة سوق اهراس، والولاية الأولى المتواجده على الحدود، حيث أصبحت هي نواتها الأساسية، وبذلك أصبحت مراكز المنطقتين المذكورتين على أرض لاسلطة لهما عليها، ولاتخضع لنفوذهما، وبالتالي فقدتا الشخصية المعنوية والحرية الذاتية والسيطرة على الأرض التي تتمتع بها الولايات الأخرى البعيدة عن نفوذ القيادة العامه.

ويبدو واضحا أن "العبان رمضان" حساسية إتجاه الأوراس الذي يتهمه بالتطرف الثوري، وعدم الإرتياح لمبدأ أولوية السياسي على العسكري، والإنتماء القومي العربي الإسلامي، والولاء المطلق لأفراد الوفد الخارجي بالقاهرة خاصة "بن بله" و"بوضياف و"خيذر"، والإصرار على التنسيق الوثيق مع

المناضل الكبير "محساس أحمد" في تونس الذي يعتبره مناهضا لمشروعاته.

ونتيجة لكل ذلك عجل "عبان رمضان"، باستنفار رجاله لفرض السيطرة والخضوع على الولاية الأولى التي يعتقد جازما أنه بدون خضوعها وفرض السيطرة عليها لايمكنه أن يفرض على الآخرين الإعتراف به، ولا ترسيخ قواعده على الحدود التي تقع تحت سيطرة الولاية الأولى ومنطقة سوق اهراس، لذلك عجل بإسناد مهام أساسية لرجاله الذين إختارهم بخلفية جهوية بقصد فرض هيكلة جديدة على المنطقتين، مستعملا مع الأولى الإغراء، ومع الثانية بعض الخلافات المحلية التي ظهرت بعد إغتيال "الرمز مصطفى بن بولعيد" واتهام نائبه "عجول" بذلك، وبذلك إستعمل قادة الأوراس ضد بعضهم البعض، ولما مكنوه من أنفسهم شملهم جميعا التهميش والسجن والإعدام، مستعينا في ذلك بقوة ودعم الحليف صاحب المصلحة والقوة الأمنية "الرئيس بررقيبه" المتضرر الأكبر من دعم الأوراسيين لثواره ومعارضيه السياسيين، ولما تمكن من تدجين الولاية عين لها قيادة جديدة ملتزمة بالولاء.

كما قرر "عبان رمضان" جعل منطقة سوق اهراس قاعدة للقيادة العامه معززة بالوحدات العسكرية التي أحضروها "كريم"من منطقة القبائل لتحمي ظهره، كما عجل بوضع اليد على كل مخازن الإمدادات بكل أنواعها.

وحتى يتمكن من ذلك وعد "عماره بوقلاز برتبة عقيد مسؤول مؤقت على القاعدة الشرقية، ولكنه لما طالب "عماره بوقلاز" بأن تشمل صلاحياته مخازن الإمدادات، عزلوه منها وعينوه عضوا في "قيادة العمليات"، وبذلك أصبحت كل الحدود تحت نفوذ "العقيد محمد السعيد".

- أريد للقاعدة الشرقية أن تصبح قاعدة للسلطة

تاريخيا كانت المنطقة الجغرافية التي سميت بالقاعدة الشرقية تابعة للمنطقة الأولى بموجب رسالة رسمية من "زيغود يوسف" وعلى ضوء تلك الرسالة باشرت المنطقة الأولى مسؤولياتها عليها، ثم رسمت الحدود لاحقا بين المنطقتين بالسكة الحديدية الواصلة بين عين عبيد - قالمة وما بعدها الى غاية الخروب، وبناء على تلك الإتفاق عينت قيادة الأوراس على منطقة سوق اهراس عدة مسؤولين منهم "أحمد الأوراسي" وبعد إستشهاده عين قائد آخر يدعى "مختار" الذي إختفى في ظروف غامضة بمبلغ مهم من المال، ثم عينت قيادة الأوراس بعده "غزالي بلعباس" الذي شارك ليلة نوفمبر في الهجوم على مدينة خنشلة مع "عباس لغرور"، لكن "غزالي بلعباس" ألقي عليه القبض نتيجة وشاية أحد أعوان العدو، ثم عين بعده "الوردي قتال".

في البداية أطلقت تسمية القاعدة الشرقية على الجهة التي كان "عمارة بوقلاز" مشرفا عليها، والتي أصبحت تفصل بين المنطقة الثانية والمنطقة الأولى، وهي المنطقة التي أصبح قائدها بعد ظهور المخططات على مؤتمر الصومام" و"قرارات" يطالبون بإنشاء ولاية جديدة بقيادة "عمارة بوقلاز" تضم منطقة سدراتة ومنطقة مسكيانة.

أورد هذه الشهادة أحد مهندسي ذلك الإتفاق وهو المجاهد "طلبة محجوب" الذي قال لي ما يلي: (لقد إتصلنا "بعمارة العسكري" واتفقنا معه على توحيد النواحي التابعة لمنطقة سوق اهراس ومنطقة سدراتة، ومسكيانة، والحراكتة، واتخذنا عدة قرارات هامة منها:

أولا - تكوين ولاية جديدة مستقلة بذاتها يكون لها ما للولايات الأخرى، ويكون مجلسها من "بوقلاز" برتبة عقيد وممثلا واحدا

لمنطقة سوق اهراس برتبة صاغ أول وثلاث مسؤولين برتبة صاغ أول يمثلون كلا من سدراتة، ومسكيانة، الحراكتة.

ثانيا - عدم الإعتراف بالقيادة المنبثقة عن مؤتمر الصومام، ومنع ممثليهما من المرور الى تونس، ولما أراد "العقيد أوعمران" بأن يمر لتونس منعناه من ذلك، حيث إستمر مدة طويلة من الزمن وهو يحاول الدخول إلى تونس دون جدوى، لكنه ربط علاقة خفية مع نائبي "عمارة بوقلاز" المنتمين لمنطقة القبائل، وبعاطفة الإنتماء الجهوي تمكن "العقيد أوعمران" من إقناعهما بالتأثير على قائدهما "عمارة بوقلاز" وإغرائه برتبة عقيد قائدا للقاعدة الشرقية التي كانت في مخطط القيادة المنبثقة على مؤتمر الصومام، فقبل "بوقلاز" تلك الإغراء متنكرا بذلك للإتفاق الذي أبرمناه معه ومع مجموعة سدراته ومسكيانه والحراكته، وبذلك تكونت القاعدة الشرقية بإقتراح من "العقيد أوعمران"، وبقرار من "عبان رمضان وكريم بلقاسم" لتصبح قاعدة متقدمة للولاية الثالثة على الحدود الشرقية محمية بفيالق خاصة كان "كريم بلقاسم" قد أحضرها معه من الولاية الثالثة).

وحتى لاينفرد الثنائي "عبان" و"كريم بلقاسم" بقيادة الثورة، إلتحق بهما الثنائي: "بن طوبال" الذي عزز نفسه بوحدات مماثلة على الحدود الشرقية الشمالية، و"بوصوف عبد الحفيظ" القوي بوحدات المنطقة الخامسة على الحدود الغربية بقيادة نائبه "بومدين".

• تساؤلات إفتراضية على مرحلة "عبان"

ماذا لو أن "عمارة العسكري بوقلاز" وجماعة سدراته إستمروا في حلفهم رافضين الإعتراف بلجنة التنسيق والتنفيذ، ورافضين جعل منطقتهم قاعدة للولاية الثالثة، ومجالا للقيادة العامة ومانعين العقيد أوعمران من المرور الى تونس،

ومحافظين على علاقتهم النظامية القديمة مع الوفد الخارجي ومنسقين مع ممثلهم أحمد محساس؟

وماذا لو أن الفرنسيين لم تتح لهم فرصة خطف طائرة مجموعة الوفد الخارج، واستمروا مباشرين لنفوذهم كرموز يمثلون الثورة في الخارج ويباشرون إشرافهم المعنوي على الولايات خاصة الأوراس؟

وماذا لو أن بورقيبه لم تكن له حساسية مع الأوراسيين، ولم يتمرد عليه الثوار التونسيون بقيادة "الطاهر لسود"؟، فهل يتحالف مع "عبان رمضان"، ثم مع الحكومة المؤقتة لاحقا الممثلة بشخص "كريم"؟

بالتأكيد لو لم تتدخل تلك الظروف المذكورة موضوع التساؤلات السابقة؛ لما تمكن "عبان" وحلفاؤه السياسيون من السيطرة على قمة هرم الثورة بالكيفية العنيفة التي تصرفوا بها، والتي أصبح "عبان "نفسه ضحيتها لاحقا، ثم كريم وحلفاؤه من بعد، ولعشنا وضعا مغايرا تماما لما عشناه خلال فترتي "عبان" والباءات الثلاثة سقور الحكومة المؤقتة "كريم "و"بن طوبال" و"بوصوف"، ولما ضيعنا أمجادا من القاده البارزين، وجهودا ووقتا في معركة الصراع على صراب النفوذ السياسي المدمر، ولما تمكن الجيش الفرنسي من بناء خطي الموت الذي فصل أحدهما الولايات في الداخل عن القيادة المركزية في تونس، ولما إبتليت الثورة بالنظام الإنقلابي الذي ورثناه عن مؤتمر الصومام واستمر معنا.

- أسباب دفع "عبان" للتحالف مع "بورقيبه"

هناك أسباب جوهرية فرضت على "عبان" التحالف مع "بورقيبه" الذي تقاطعت مصالحه مع مصالح عبان" الفقير إلى قوة على الأرض تعزز نفوذه ومنها:

أولا - القوة العددية القتالية الهائلة التي تتوفر عليها منطقة الأوراس في داخلها، وعلى الحدود، وحتى داخل تونس.

ثانيا - التعاون الوثيق بين ثوار الأوراس، وثوار تونس الذين رفضوا تسليم أسلحتهم للرئيس بورقيبه، والذين أصبحوا قوة، ومعارضة قاطعة.

ثالثا - ميزة الموقع الجغرافي لمنطقة الأوراس على الحدود الشرقية المفتوح على الدول العربية مصدر المساعدات، والذي وقع إختياره من طرف القياده العليا التي أخرجت من العاصمة ليصبح مجالا للقيادة العامة للثورة، والحكومة المؤقتة مستقبلا، ولكنه غير آمن ويتطلب قوة لإخضاعه.

رابعا - وجود جالية عريقة جزائرية لها أملاكها في الأراضي التونسية منحدرة من شرق الجزائر وجنوبه، وهذه الجالية سبق وأن تعاطفت مع الثورة في الأوراس، بحيث سخرت كل ممتلكاتها لثوار الأوراس بواسطة "عبد الحي "والطالب العربي".

خامسا - الإتصالات المفتوحة والدائمة مع أعضاء الوفد الخارجي بالقاهرة خاصة مع "أحمد بن بله" وبممثلهم بتونس المناضل الكبير "أحمد محساس"، وهي بالتأكيد لم تخدم الطرفين "عبان رمضان" و"بورقيبه".

فهذه المعطيات وغيرها كانت تشكل عقبة في وجه "عبان" الذي قرر أن يخضعها لنفوذه، وهو لايملك القوة العسكرية على الأرض التي تؤمن له ذلك، لذلك إضطر للتحالف مع "بورقيبه" الذي كان هو الآخر مضايقا من نفوذ الثوار الأوراسيين الذين كانوا يساعدون معارضيه.

وبذلك تمكن الحليفان من تحقيق مشروع السيطرة على المنطقة الحدودية وولاية الأوراس وأجهضا ملاحم القتال التي كانت الأوراش مشهورة بها.

- "عبان" يكلف ثلاث ضباط بمهام في الأوراس

لقد كلف "عبان رمضان" السياسي ضباطا ساميين من منطقة القبائل بمهمات لفرض السيطرة على زملائهم الثوريين في الأوراس وداخل تونس، وتنفيذ حكم الإعدام في بعضهم، وتحويل جثاميهم الطاهرة إلى أسمدة لتخصيب أرض تونس، وذلك بعد أن عجز القائد العسكري الفرنسي "بيجار" عن النيل منهم فجاء رجال "عبان السياسي" ليقتلوهم نيابة عنه بعد أن عزلوهم عن أنصارهم في تونس.

المهمة الأولى: أسندها "عبان" إلى "الرائد عميروش" في داخل الأوراس، وهي مهمة محددة الأهداف والغايات كانت (إحداث الشغور في قيادة الأوراس التاريخية) وتصفية القائدين الشرعيين "عاجل عجول" و"عباس لغرور" نائبي الشهيدين "مصطفى بن بولعيد" و"شيحاني بشير"، ووضع الولاية الأولى تحت وصاية قائد الولاية الثالثة حصريا العقيد "محمدي السعيد".

المهمة الثانية: أسندها منسق لجنة التنسيق والتنفيذ "عبان" إلى العقيد "محمدي السعيد" قائد الولاية الثالثة، الذي تجرأ على إستدعاء جل قادة الولاية الأولى للإمتثال أمامه داخل الولاية الثالثة من أجل تبليغهم قرار لجنة التنسيق والتنفيذ الذي يقضي بوضع ولايتهم تحت مسؤوليته الشخصية لفترة معينة.

المهمة الثالثة: تولاها قائد الولاية الرابعة " العقيد أوعمران"، بمساعدة الرائدين "عميروش" و" اقاسي" وآخرين، وقد خص "عبان رمضان" العقيدأوعمران بمهام أساسية منها:

أ: (تمثيل الثورة) بدل المناضل "أحمد محساس" الذي عزلوه، وعزلوا أيضا زميله مسؤول الإمدادات في تونس منذ 1955 "عبدالحي السوفي" والحكم عليهما بالإعدام".

ب: تكليفه بمهمة تسيير شؤون الولاية الأولى كما ذكرنا وتصفيتها من الإطارات الممانعة المنتمية للساعة الأولى، وذلك بالزج بها في سجون تونس في إنتظار إعدامها.

ج: وضع اليد على مخازن الإمدادات اللوجيستية وعلى طرقها ومنابعها، واستعمالها كسلاح لإخضاع الخصوم.

د: تعيين قيادة جديدة للأوراس من عناصر لاتنتمي للساعة الأولى، وذلك بعد تصفية قادتها التاريخيين.

تلك هي بعض معالم خطة "عبان" منسق لجنة التنسيق والتنفيذ التي نفذها برجاله العسكريين في داخل الأوراس، وعلى الحدود الشرقية، وداخل تونس.

وهو ما أكده بوضوح الكاتب حربي بقوله: (لقد استطاعت لجنة التنسيق والتنفيذ أن تفرض سيطرتها على خصومها كما يظهر ذلك جليا من خلال التشكيلة التي عينتها لجنة التنسيق والتنفيذ لإعادة التنظيم " بمنطقة الأوراس والمواقع الحدودية مع تونس". لقد عاد الدور البارز في هذه المهمة إلى عضوين هما العقيد أوعمران والرائد عميروش من بين العناصر الأربعه المؤلفة لهذه المهمة)[1].

وسوف نتعرض بالتفصيل لمهمة كل واحد من القاده العسكريين الثلاثه المذكورين

• أولا : مهمة "عميروش" داخل الأورس

من المعلوم أنه بعد مؤتمر الصومام مباشرة تم تعيين الشهيد "زيروت يوسف" لدخول الأوراس، وقد هلل الأوراسيون لتعيينه، فانتظروا قدومه بشوق لما يعرفونه عليه من جدية ومصداقية وقدرة على الإقناع لماكان يعيش بينهم قبل الثورة،

---

[1]. المرجع ماكتبه حول مؤامرة لعموري فصل 14

فهو الذي يعرف جيدا عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم وأسلوب حياتهم وتفكيرهم، غير أن القدر قد حرمهم من شرف إستقبال "زيروت" الثائر، ولو تمكن من دخول الأوراس لتمكن من أداء تلك المهمة بما يحقق غرض الثورة، ويوحد صفوف الأوراسيين ويوحد كلمتهم، ولكن رحمه الله قد جنبهم المحنة التي فرضت عليهم من طرف إخوانهم قادة القبائل الذين تنكروا لتضحياتهم بتأثير من "عبان السياسي"، و "استقووا" عليهم بمن تآمر على القضية الجزائرية في تلك الأونة "بورقيبه" وذلك بإمضائه إتفاقية الإستقلال الداخلي وتمكين الجيش الفرنسي من التفرغ للقضاء على الثورة الجزائرية.

ويجب أن أشير إلى أن فكرة تعيين رقابة للأوراس في أول الأمر كانت فكرة نبيلة لاخلفية لها إلا الإطلاع على حقيقة ما يجري في الأوراس بعد إغتيال "الرمز مصطفى بن بولعيد" من طرف المخابرات الفرنسية، ولا توجد أية نية في تلك الأونة فلا للإحتواء أو الخضوع للوصاية الخارجية التي أبتدعها "عبان رمضان" ونفذها برجاله المقربين"عميروش" و "العقيدين أوعمران" و"محمدي السعيد" سامحهم الله.

غير انه وبعد أسر "بلمهيدي" واستشهاد "زيروت"، تغيرت مهمة الرقابة للأوراس من منطلق وطني تنظيمي تكاملي إلى منطلق شخصي "لعبان" المبتلى بطموح الإستلاء على قيادة الثورة.

لم يكن الأوراسيون مرتاحون لتكليف "عميروش" ليس إنقاصا من قيمته، ولكنه لايرقى لتاريخ ومنزلة مفجري الثورة في الأوراس وقادته الأولين، أخلاقيا ونظاميا لايمكنه مراقبة قادة سبقوه للنضال وللقيادة، لقد اعتبروا ذلك إنقاصا من قيمتهم التاريخية.

ومع ذلك دخل ممثل"عبان"الرائد "عميروش" الأوراس من غربه، فوجد الأوراسيين في إستقباله بالترحاب رغم

شعورهم بالإحباط كما بينا، غير أن "عميروش" بحدة طبعه وتباهيه بثقة "عبان" لم يقدر تلك الحفاوة، وراح يتصرف معهم وكأنه هو القائد العام للولاية لا كمراقب يجمع المعلومات ويحيلها للقيادة التي كلفته، لقد تجاوز الأعراف المعمول بها من أجل تطبيقه المخطط الذي تدارسه مع "عبان" فيما يخص (مصير منطقة الأوراس التي لابد من إسقاط قيادتها الشرعية وإخضاعها للوصاية الخارجية) ومن ذلك تصفية القائدين الشرعيين المسيرين لمنطقة الأوراس بالنيابة في تلك الأونة وهما "عباس لغرور" و "عاجل عجول"، وبما أن عباس كان داخل تونس، فإن "عجول" قد دفع الثمن بمحاولة الإغتيال التي نفذها "عميروش" ضده بواسطة بعض القاده المحليين الذين كانت لهم حساسية مع "عجول"، فأطلقوا عليه الرصاص وهو نائم في حماية ممثل لجنة التنسيق و التنفيذ "عميروش" المستفيد من ذلك، دون أن يشفع له كرم الضيافة، ولانية التعامل الصادق معه لما تنازل على قيادته تسهيلا لمهمته كممثل القياده المركزية، وحرصا منه على مصلحة الثورة، وأمن المنطقة وتاريخها المشرف، ولكن "عميروش" كان ملزما بتحقيق هدف (إحداث الشغور في قيادة الأوراس) من أجل وضع الولاية الأولى تحت نفوذ قائد الولاية الثالثة حصريا، والتمكن من (تطهير المنطقة من المتحفظين والممانعين والمحتجين على "عبان"، وقطع كل إتصال بأعضاء الوفد الخارجي في القاهرة وممثلهم "محساس أحمد" وتهيئة المنطقة الحدودية الشرقية لتصبح كمجال طبيعي للقيادة الجديدة أرضا وبشرا، مستعينين في ذلك بجهود القوة الأمنية "لبورقيبه".

لقد برهن "عميروش" بالدليل القاطع على أنه لم يقدم للأوراس من أجل إصلاح ذات البين بين الإخوة الأوراسيين، لأنه لو كان ذلك هو جوهر مهمته لما تجرأ على سفك دماء جديدة كما فعل مع "عجول"، كما أنه لم يدخل الأوراس من أجل تبليغ قرارات المؤتمر التي تنص صراحة على أن الجزاء

والعقاب الذي يخص قادة الولايات يعود للجنة التنسيق وحدها، بينما نجد "عميروش" قد تجرأ على إغتيال "عجول"، وقام بالعزل والتعيين، وفرض الوصاية على الجميع دون العودة للقيادة العليا، وهكذا بعد أن أنهى مهمته عجل بخروجه من الأوراس، حسب المخطط ليشرع في تطبيق المرحلة الموالية مع الأوراسيين في تونس.

والسؤال الجوهري هو: لماذا لم يعين "عميروش" لجنة تحقق مشكلة من حكماء مؤهلين تحقق "مع عجول" وتصدر حكمها بتوصيات واضحة، ثم يشكل محكمة عسكرية تحاكم "عجول" تصدر حكمها عليه بصفة علنية ونظامية وقانونية في محضر رسمي ممضي ومختوم بالختم الرسمي القانوني تطبيقا للقرارات الجديدة الصادرة عن مؤتمر الصومام التي جاء ليبشر بها، والتي تنص صراحة بأنه " لا إدانة بدون محاكمة قانونية"؟

ثم لماذا رفض "عميروش" يد "عجول" الممدودة للحوار رغم الغدر به، إن لم يكن قاصدا إنهاءه من الوجود بأي صفة؟ وقد فعل.

"فعجول" لم يكن رجلا عاديا حتى يرمى بالرصاص في مرقده كالوحش أو كقاطع طريق، ومن لا يحترم الإجراءات القانونية التي أقرها المؤتمر الذي جاء يبشر بها، وتقاليد وأدبيات الثورة، لايمكن أن تكون لأحكامه مصداقية ولاشرعية مهما حاول البعض تبرير ذلك.

والسؤال البديهي الآخر هو الا يوجد من بين الأوراسيين من هو مؤهل لتسيير الولاية الأولى حتى يضطر "عبان" لتعيين "محمدي السعيد" عليها؟ وحتى لو افترضنا عدم إطمئنانه لأحد من قادة الأوراس، كان عليه أن يعين لجنة مشكلة من بعض الضباط التابعين للولايات الأخرى تتولى تسيير الولاية المنكوبة بصفة مؤقتة، ولو فعل ذلك لرفع الحرج عن نفسه ولترفع عن العاطفة الجهوية، ولكن "عبان" لايثق إلا في رجاله لإخضاع

منطقة الأوراس التي إعتبرها مجالا خاصا مكملا لمجاله الطبيعي.

يذكر الرائد "مراردة مصطفى" قصة زيارة عميروش للأوراس بقوله: (لقد دخل الرائد عميروش الولاية من الغرب، وخلال مروره داخل المنطقة الأولى كان يجتمع مع القيادات التي يجدها في طريقه، وقد التف حوله عدد منها). ويواصل في فقرة أخرى: (رغم أن عميروش لم يكن قائدا كبيرا، ولكن الإستقبال الذي خصصناه له كان في مستوى القادة الكبار ونظرا إلى أن إطارات الولاية الأولى لم يكونوا على توافق فقد رأوا في عميروش القائد المخلص الذي سيحل كل المشاكل العالقة بينهم، لذلك سلموه كل شيء، وقدموا له كل المعلومات والأسرار التي تخص بعضهم البعض، فصار هو الأمر الناهي الذي يحكم بما يشاء)[1].

كان "عميروش " قد مر على المنطقة الأولى مرور الكرام لأن غايته كانت الإتصال "بعجول" عضو القيادة الشرعية للأوراس في الداخل الذي طلب مقابلته برسالة خاصة، واستجابة لتلك ا لرسالة سارع "عجول" للقاء "عميروش" بقلب مفتوح، وقد تم ذلك اللقاء بين "عميروش" و"عجول" بالمكان المسمى(تامدينت بذراع الشرفه)، بمحيط مقر بلدية كيمل حاليا، حيث ساد اللقا ء جو من الإرتياح والأمل وحفاوة الضيافة، كان ذلك بشهادة "سي حسين بن معلم" في إحدى تعليقاته الصحفية على الموضوع.

وبعد تناول وجبة العشاء أحضرنا للضيف "عميروش" مركوبا (بغل) وانطلقنا من ذراع الشرفة متجهين جنوبا نحو مركز(فيض لقبور") في عمق الغابة، وذلك تأمينا لأمن وراحة الضيف المكرم، وفي صبيحة اليوم الموالي دخل "عميروش" و"عجول" في محادثات على إنفراد، كان "عجول" قد أبدى

[1] مذكرات الرائد مراردة ص 64

لعميروش تأسفه لعدم حضوره هو و"عباس لغرور" جلسات مؤتمر الصومام لعدم تلقيهما الإستدعاء، إلا أن ذلك لم يمنعهما من التعبير عن رأيهما بنص الرسالة التي وجهها "عجول" شخصيا للجنة التنسيق والتنفيذ بالولاية الثالثة، وقد كلف بحملها إلى "كريم" المناضل "بلعقون مسعود" ودليله "جبالي" مع مجموعة من الوثائق (والختم الرسمي للمنطقة) الذي تركه مصطفى بن بولعيد قصد تغييره حسب التنظيم الجديد والقصد من رزمة الوثائق وضع أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ في الصورة والكيفية التي تسير بها المنطقة الأولى منذ ليلة نوفمبر 1954، وفعلا أكد عميروش لعجول علمه بالرسالة والوثائق التي حجزها "عمار بن بولعيد"، وأنه تولى شخصيا تحرير حاملي الرسالة "بلعقون" و"جبالي" ورفاقهما من سجن "عمار بن بولعيد".

ولما تناول الطرفان كل الأوضاع داخل الولاية وخارجها بالشرح والتحليل، إقترح "عميروش" على "عجول" التنازل عن القيادة والسفر معه لشرق الولاية للاتصال بعباس المتواجد على الحدود التونسية، فقبل عجول الفكرة مرحبا بها لأنها كانت تنسجم مع مايتطلع له "عجول" من إتصال بعباس، وبأعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ إنطلاقا من شعوره بالمسؤولية الثقيلة على الأوراس.

وقبل السفر قام "عميروش" بتعيين "محمد بوعزة عرعار" مسؤولا على ناحية كيمل، و"صالح فوجيل" مساعدا سياسيا له، كما عين "عجول" من جهته "عثمان كعباشي" الذي كان من قبل هو المسؤول الفعلي لتلك الناحية خلفا "لعبد الوهاب الولجي" الذي كلفه "سي مصطفى" برئاسة لجنة رقابة لشرق المنطقة على الحدود التونسية، فتولى "كعباشي" مهمة عسكري الناحية حسب التنظيم الجديد، وبذلك وقع الاتفاق مع كل قيادات الأوراس على السفر إلى منطقة النمامشة شرقا.

سلك "عجول" و"عميروش" و"الحاج لخضر" وآخرون طريق الجنوب، بينما سلك "عمار بن بولعيد" وآخرون طريقا مغايرا في الشمال، انطلقنا في الرحلة الأولى من غابة بني ملول قاصدين "جبل برقة" المطل على بلدة "خنقة سيدي ناجي"، قضينا ليلتنا بقرية تسمى (تغليسية) في وسط الجبل بها عين ماؤها سلسبيلا، ثم انطلقنا في الرحلة الثانية من تغليسية قاصدين جبل "عالي الناس" حيث قطعنا واد العرب في النقطة التي قتل فيها "عجول" الضابط الفرنسي (العقيد ميكال) المدعو بولحية، وقبل صلاة الفجر وصلنا إلى المكان المسمى "أولحاج" بجبل "عالي الناس"، ذلك المكان الذي استشهد فيه القائد "صحراوي بيشة "ومجموعته خلال صيف سنة 1955 وقد توليت شخصيا دفن جثمانه وجثامين 60 شهيدا من رفاقه، وتوليت تسيير الجهة مكانه لعدة أشهر.

وعندما بدأنا نهيئ أنفسنا للشروع في قطع مسافة الرحلة الثالثة إنطلاقا من "مركز أولحاج" نحو مركز "القلعه" الواقع جنوب خنشلة، وهي طريق خطيرة جدا لكونها تقع بين مركزين للعدو هما مركز "تابردقه" في الشمال ومركز "جلال" في الجنوب، ولعل القارئ يكون قد تعرف على المنطقة التي وقعت فيها إبادة قافلة للعدو بكاملها، وحرق كل عرباتها وغنم كل الأسلحته وذلك بتاريخ 1955/07/27. والتي كنت تحدثت عنها في موضوع (قرار البدأ بالكمائن).

بكل أسف قبل الإنطلاق بدأنا نتلمس بعض معالم المؤامرة على "عجول"، ذلك أنه وبمجرد خروج الدورية المكلفة باستطلاع تلك الطريق، عاد أحد أفرادها حاملا رسالة إلى "عميروش" وهي عبارة عن ورقة من "كناشة جيب" مكتوب عليها بخط رديئ جدا: (لا يمكنك "ياعميروش" المرور و"عجول" بصحبتكم). ادعى حامل تلك الورقة بأنها مرسلة من مجموعة النمامشة، وهو إدعاء باطل لأنه لا وجود لجماعة النمامشة في تلك الجهة التي يسيطر عليها "عجول"، والحقيقة

أن الرسالة كانت صادرة عن بعض مرافقي عميروش نسبت تمويها لجماعة النمامشه، والغرض من الرسالة عدم تمكين "عجول من لقاء لجنة التنسيق والتنفيذ و "عباس لغرور" الذي أصبح مطاردا في تونس دون علم "عجول "، فلعجول الثقة في لجنة التنسيق والتنفيذ بحلول الرسالة المشهوره التي كان قد وجهها "الكريم بلقاسم"وحجزها "عمار بن بولعيد" وتأكد منها عميروش نفسه، "فعجول" كان جد حريص على لقاء حلفائه في تونس "عباس لغرور" و"عبد الحي" و"طالب العربي" و"محساس" وغيرهم، فنظرة "عجول" كانت تتجاوز الصراع على قيادة محلية في منطقة الأوراس، إلى الأمانة التي كلفه بها "مصطفى بن بولعيد" مع "عباس"، ثم المشاركة الفعلية في تحديد معالم مستقبل الثورة الى جانب قادة الولايات الأخرى، وأيضا مع أعضاءلجنة التنسيق والتنفيذ، كان ذلك هو الهدف الأسمى الذي كان "عجول" يحرص على تحقيقه، ولما منع من المرور مع "عميروش" إلى شرق الولاية كان مصرا على سلوك طريق الصحراء للإلتحاق بجماعة "عبد الحي" و"طالب العربي" المسيطرين على الجنوب التونسي في تلك الظروف، ليتمكن من أداء الدور القيادي المنتظر منه ومن "عباس لغرور"، فهو يدرك أن الطريق للولاية الثالثة مقطوع في وجهه من طرف جماعة "عايسي" و"عمار بن بولعيد" وطريق الصحراء يمكنه من الإتصال بحلفائه الطبيعيين "السوافه" في الجنوب التونسي، ولكن الحظ لم يسعفه، لأن هناك من كان يخطط لقتله، وقد تمكنوا من ذلك في إجتماع 20 أكتوبر 1956 بواد الشرفه وسط غابة بني ملول.

ونعود لقصة الرسالة التي منعت عجول من مواصلة طريقه مع "عميروش" لشرق الولاية، فبعد قراءة "عميروش" لتلك الرسالة قرر "عجول" العودة لغابة "كيمل" فزوده "عميروش" برخصة مرور تمكنه من الإلتحاق بلجنة التنسيق والتنفيذ على طريق الولاية الثالثة أو على طريق الصحراء لتونس، المفاجأة

أنه بعد أيام قليلة وصل "لعجول" إستدعاء من عميروش يطلب منه حضور إجتماع مهم في المنطقة الشمالية (بسيدي علي ولجة النشم") فعجلنا السفر لحضور "عجول" ذلك الإجتماع، وقد وصلنا إلى مكان الإجتماع حوالي الساعة الثانية بعد الزوال، كان عدد الفرقة التي صاحبت "عجول" لا تزيد عن 26 مجاهدا مسلحين بسلاح جيد إفتكوه من العدو بما فيه رشاش 29/24، أنكر هذا لأن هناك من إدعى أن عجول وضع حراسته مقابل مكان الإجتماع بقصد الهجوم على "عميروش والقادة الأوراسيين، وهو إدعاء يراد منه تغييب حقيقة الغدر "بعجول"، فالعقل السليم لايصدق هجوم 26 مسلح على 300 مقاتل حضروا مع القيادات الحاضرة في الإجتماع، وماهي إلا تحرشات كانت تستهدف عجول.

• ليلة العزم على إغتيال عجول

إنضم "عجول" لمجموعة "عميروش" في ذلك الإجتماع الذي إستمر كل تلك الأمسية الى غاية المغرب، وبعد رفع الجلسة عاد لنا "عجول" لينضم إلينا نحن الذين كنا في إنتظاره، سألنا "عجول" عن بقية أفراد الفوج، فأكد له "سي عثمان كعباشي" بأنه حولهم لكوخ على مسافة 800 متربعد أن تعذر عليه وجود "كوخ" قريب، لم يكن "عجول" مرتاحا لإبعاد فوجه عن مكان الإجتماع، ولكنه رافقنا الى الكوخ الذي سبقتنا له المجموعة، فوجدناهم يعدون خبز (الكرون) فتناولنا وجبة العشاء معهم، ثم عدنا نحن الثلاثة مع "عجول" الى وسط مجموعة "عميروش"، حيث قرر "عجول أن ينام في وسطهم تطبيبا لخواطرهم، لأن واجب الضيافة يقتضي منه ذلك، وقد بحث "عجول" عن الكوخ الذي يقيم فيه "الحاج لخضر عبيد" فوجدناه في كوخ متطرف بعد "الشاي" وبجانبه "حيحي مكي" الذي إلتحق لتوه بجيش التحرير فارا من المحتشد، أخذنا مكاننا في ركن الكوخ وتدثرنا برداء واحد لشدة البرد والتعب، وبينما كان النوم يداعب جفوني سمعت الحاج لخضر يخاطب عجول بقوله: (لاتتم ياعجول حتى

ترتشف معي كوبا من الشاي)، أجابه "عجول" (أنا متعب فإن نمت أرجوك لا توقظني وإن لم أنم سأشاركك الشاي)، غمضنا في نوم عميق، ولا ندري كم من ساعة أو دقائق إستغرقناها نائمين حتى صحوت على صوت الرشاشات تمطرنا من مسافة عدة أمتار، ودون أن أشعر إنتصبت واقفا، وإذا بهم يمطروننا برصاص كثيف فإنبطحت بسرعة البرق، واضعا يدي اليمنى على زميلي "الصادق"، ويدي اليسرى على زميلي الثاني "عبد الرحيم" لكي أوقظهما، معتقدا أنهما لا زالا نائمين، وإذا بيداي تغرقان في دمائهما، وبكل حسرة وأسى تحسست أجزاء من لحمهما الممزق بين أصابعي، بحثت في تلك اللحظة الحرجة عن "عجول"، فلم أجده بجوارنا، وأثناء إستدارتي نحو الباب لمحت رجلا واقفا في الركن المقابل، لقد كان ذلك هو عجول الجريح، ولعله كان يقظا لحظة الهجوم علينا، وبمجرد أن هاجمه أحمد أزروال ليقتله ضرب له عجول رصاصة من مسدسه فأسقطه وانتقل لمكانه برهة من الزمن ثم تسلل للخارج دون أن يتمكن أحد من معرفته، لقد نجا بأعجوبة، وأنجاني الله أنا كذلك بطريقة لم أستطع تصديقها لولا الإيمان بقدرة الله، اخترق الرصاص لباسي وحرق شعر رأسي، لقد كان ينزلق على جلدي ولا ينفذ بقدرة قادر، وكم كنت مذهولا للقدرة الإلهية التي شملتني مستحضرا قوله تعالى: (إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) صدق الله العظيم.

وخلال تلك اللحظات تسللت إلى كوخ مجاور متحيزا عن مرمى الرصاص، ثم أحدثت نفسي بالخروج، ولما وضعت سلاحي الذي كان من نوع (مات 49) في وضعية الرمي أحدث صوتا شبيها بطقة الخرطوش المستعمل، وإذا برجل من خلفي كان ملتصقا بعمود من أعمدة الكوخ لم أفطن لوجوده يخاطبني بلهجة الآمر: (لا تطلق النار) كنت قبل سماع هذا الصوت معتقدا أن الهجوم من طرف العدو، غير أنني وبمجرد تعرفي على نبرات صاحب الصوت (أحمد بن الحاج النفورغي)

أدركت أنها مؤامرة ضد "عجول"، "فأحمد بن الحاج النفورغي" من المناهضين "لعجول" وهو نفسه من سلم الرسالة "لعميروش" في عالي الناس التي كانت سببا في منعنا من مواصلة سيرنا نحو الشرق كما كان مقررا،، فقلت لصاحب الصوت من خلفي: (من هؤلاء الذين يقاتلوننا بهذه الشراسة؟). أجابني قائلا: (أخرج إليهم لتتعرف عليهم) في تلك اللحظة سمعت حوارنا المجموعة التي كانت جاثمة فوق سطح الكوخ الذي نحن داخله، فأمرونا بالخروج، وهددونا بإلقاء القنابل اليدوية من فوهة المدخنة إن لم نفعل، عندها خاطبهم "أحمد بلحاج" قائلا: (لا، لا ترموا القنابل فمن تبحثون عنه غير موجود هنا)، وهنا تأكدت بأنهم وضعوه خصيصا داخل الكوخ لقنص "عجول" إن لجأ للكوخ (وهنا أفتح قوسا للتعليق على شهادة العقيد الطاهر زبيري الواردة في مذكراته التي يؤكد فيها بالحرف الواحد: (بأن عجول لشدة ذكائه وحرصه على حياته وضع حراسته فوق الكوخ الذي نام فيه ليلة إغتياله)، وهي شهادة غير مؤسسة بدليل أن من قرروا قتل "عجول" كانوا هم من إتخذوا مكانهم فوق ذلك الكوخ، أقفل القوس).

كان القمر في تلك الليلة في تمامه، بحيث يستطيع الإنسان أن يشاهد كل التحركات بوضوح في الخارج، وعندما تهيأ "أحمد بلحاج مساهل" للخروج من الكوخ تنفيذا لتعليمات المجموعه فوق السطح، إلتصقت به لعلني أتمكن من الخروج دون أن يشعر بي المهاجمون، ولكنه كان متفطنا لكل حركاتي بحيث أشار خفية لصاحبه "علي مشيش" الذي وجده أمامه في الباب ودون أن أشعر مرر "علي مشيش" مسدسه من تحت الإبط الأيسر "لأحمد بلحاج" ووضع فوهته في صدري، ويده الأخرى تقبض على سلاحي وهو يخاطبني بلهجة المتغطرس (سلم سلاحك) فما كان مني إلا أن تنازلت له عنه، ثم بدأ يردد في تلك اللحظات بأسلوب نفاقي مفضوح: (ماهذا الذي تفعلونه يا أبناء الجزائر؟). لقد بعثت في نفسي تلك العبارات بعض

الطمأنينة وحفزتني للتقرب منه قائلا: (عمي علي أعد لي سلاحي) وإذا به يصيح في وجهي مكشرا ومتوعدا: (أين المكلفين بالمساجين؟). أجابته مجموعة كانت منبطحة في وضعية الرمي في شبه خنادق أمام الكوخ مصوبين أسلحتهم نحونا (نحن هنا)، فقادني اليهم حيث أمسكوا بي وهم يرتعشون من شدة الخوف، ولعلهم لم يكونوا مطلعين على تفاصيل المؤامرة، ومن مكاني ذاك شاهدت بنادق ملقاة على الأرض أعرف بعض أصحابها بالإسم لأنها مميزة وأصحابها كذلك مميزون جدا، لقد كانت المفاجأة مذهلة حين بدأ "مشيش علي" يعض أصابعه ويصيح (آه، آه لقد نجا الخائن من الموت، لقد هرب الخائن)" فكان جد متحسر لنجاة "عجول "من بين أيديهم، وبعد مرور نحو عشرين دقيقة من فرار "عجول" من بيننا، وبعد أن هدأت عاصفة المؤامرة، جمعنا "عميروش" في ساحة أمام الكوخ الذي كان يقيم فيه، وبدأ خطابه قائلا: (لقد إبتلى الله الأوراس "بطامات" تريد السيطرة عليه، ولا بد من القضاء عليها بكل الوسائل) فمدلول عبارات "عميروش" تعطي نفس مدلول عبارات "سي حسين بن معلم" بقوله: (كنا نرفض وجود دويلات في الأوراس)، وما يفهم من كلامهما أن "الطامات"، و"الدويلات" يهددان مشروع "عبان" في الأوراس ، كما أن صيغة الجمع في خطاب عميروش لا تعني "عجول" بمفرده، إنما كانت تعني كل القيادات الأوراسية الملتفة حوله بما فيها من نفذ له العملية ضد "عجول"، وبالفعل فقد شملهم العقاب بالتهميش والسجن وحتى الإعدام.

واصل "عميروش" خطابه وهو يتعجل التنقل لمكان أمن خوفا من أي طارئ أو تدخل من أنصار "عجول" وختم خطبته بقوله: (إن هذا الخائن "عجول" الذي نجا من بين أيديكم في هذه الليلة، يجب عليكم ملاحقته إلى أن تقضوا عليه، أو تدفعوه لأن يسلم نفسه للعدو)، لقد كان "عميروش" واضحا في حكمه على "عجول" (بالقتل وبالخيانة)، وهودليل قاطع على أن رأس

"عجول" كان في صلب مهمته، ولكنه كان يبحث على مبررات ومتطوعين لتنفيذ قتل "عجول"من بين القيادات المحلية الملتفة حوله، وهو ماحصل عليه بسهولة.

شيء لايصدق فبمجرد فرار "عجول" من الموت أصبح (خائنا) في نظر "عميروش" الذي كان يدعي بأنه دخل الأوراس من أجل معرفة من قتل "مصطفى بن بولعيد" وإصلاح ذات البين، وإذا به يقترف جريمة قتل أخرى وسعت حلقات الخلاف نتيجة إراقة دماء قائد الأوراس بالنيابة "عجول" الذي كان قبل ساعة بجانب "عميروش" في الإجتماع مجاهدا مثله، فأي خيانة إقترفها "عجول" خلال تلك الساعة التي فارق فيها "عجول "ضيفه "عميروش، غير الفرار من الموت؟

تبين بوضوح أن مهمة "عميروش" في الأوراس كان جوهرها الأساسي هو إحداث (الشغور في قيادة الأوراس التاريخية) فلو لم يكن "عجول" يمثل تلك القيادة الشرعية لما أصر "عميروش" على قتله أو دفعه للعدو حسب ما أعلنه في خطبته، والحقيقة أن المستهدف الأساسي من وراء كل ذلك هو (منطقة الأوراس).

(فهنيئا "لعميروش" الذي حقق الغرض بإزاحة "عجول" العقبة التي كانت في طريقه، " وهنيئا لممثلي "عبان" في تونس الذين أثبتوا التهمةالملفقة على عضو القياده الشرعية "عباس لغرور "الذي حولوه بقدرة قادر إلى مجرم مطارد.

فلا مجال إذن للتمويه ولا لتبرئة الذمة من محاولة اغتيال "عجول"، والوقيعة بزميله "عباس لغرور" داخل تونس) فذنب "عجول" و"عباس لغرور" كما ذكرنا هو كونهما أولا يمثلان قيادة الأوراس التاريخية التي يجب أن تختفي لتفتح المجال لسيطرة السياسيين الجدد، وثانيا لأنهما يحملان قناعات رعيل أول نوفمبر التي أصبحت تضايق البعض في القيادة الجديدة، وثالثا يرفضان الإحتواء الغير مبرر.

وما حجة محاولة تقييد "عجول" إلا افتراء وضحكا على الذقون، فالكل يدرك إستحالة تقييده وجره مكبلا من بين أنصاره بسهولة، لذلك كان قرار إغتياله بالخديعة واضحا لا لبس فيه.

المهم أن "عميروش" وفر الغطاء لمجموعة مغررا بها تطوعت لتنفيذ مهمة الإغتيال في ذلك الإجتماع المنعقد أساسا لإنهاء حياة "عجول" والسيطرة على الأوراس المستهدف، وعندما حقق "عميروش" الغاية ونفذت الخديعة إنفض الإجتماع دون جدول أعمال، ودون قرارات، ودون توصيات، ولا حتى محضر جلسة، فما يهم قد تحقق بإزاحة "عجول" وهو الشعور في القيادة التاريخية لمنطقة الأوراس.

والسؤال الذي يجب أن يطرح على من يريد أن يرى ثمة "عميروش" و"عبان" من دم عجول هو: لماذا لم يتجرا الأوراسيون على تقييد "عجول"، أو قتله، أو عزله من مهامه القيادية قبل دخول عميروش للأوراس؟

- عجول الضحية يطلب لقاء عميروش فيرفض

بعد إصابة "عجول" بجروح اثر الهجوم عليه، وتمكنه من الوصول لنوابه بالمكان المسمى (غاسديس) تدارس معهم عملية الهجوم عليه وتداعياته وما سيترتب عليه من نتائج سلبية مستقبلا، إتفقوا حسب ما اكد لي زملائي الحاضرين على أن يوجه "عجول" رسالة إلى عميروش يطلب منه لقاء ثانيا لإستئناف الحوار وتوضيح المواقف التي تزيل التشنجات، حمل الرسالة "أحمد شرارة"، وعلى الساعة الواحدة زوالا من اليوم الموالي ظهر مبعوث عجول على قمة الجبل المطل على مكان الحادث شرقا، حيث كنت شخصيا مسجونا تحت حراسة بعض الجنود، ولما رصدته الحراسة وتم التعرف عليه، أذن له بالتقدم نحونا، وفي طريقه للمسؤول عن الحراسة مر عن قصد بجانبي ليسألني عن رفيقاي "الصادق" و"عبد الرحيم"، أكدت له أنهما قد استشهدا، فواصل سيره حيث المسؤول الذي أفصح له عن

مهمته التي كانت تتلخص في نقطتين: النقطة الأولى تبليغ رسالة من "عجول" إلى "عميروش" من اجل لقاء جديد بينهما، والنقطة الثانية المطالبة بإعادة (أبنائنا) حسب تعبير "شرارة أحمد"، ثم انصرف بعد تأكده من دفن الشهيدين "الصادق" و"عبد الرحيم" دون أن يحاول إطلاق سراحي وكأنني لم أكن أحد أبنائهم الذين جاء يطالب بهم لأخذهم معه وبخلفية نتركها لله تجاهلني سامحه الله وعاد "لعجول"، وبناء على ذلك التجاهل الذي قابلني به "شرارة" قررت تغيير الناحية (بعد فك القيود من يداي) والإلتحاق بمجاهدي عرش "بني وجانة" بشيلية (الناحية الثانية)، حيث كان صديق أبي الشيخ "إبراهيم مزوزي" مسؤولا عن تلك الناحية فأخذني معه كاتبا خاصا له، إستمرت إقامتي بالناحية الثانية أربع سنوات كاملة، دون أن أفكر في العودة إلى منطقتي الأصلية "كيمل"، إلا بعد أن عينت قائدا عاما عليها بعد معركة (فرغوس) التي قضت على كل أعضاء قيادة الناحية الرابعة المنكوبة التي أصبحت بدون قيادة، وذلك خلال حملة الجنرال شال على الأوراس سنة 1960.

- عميروش يعجل رحيله بعد إزاحة عجول

غادر "عميروش" والمجموعة المرافقة له مكان (حادثة محاولة إغتيال "عجول") بسرعة قاصدين ناحية شلية.

كان "الحاج لخضر عبيد" جد غاضب ومستاء من تصرفات "عميروش" مع "عجول" الضحية، ومن الذين ساعدوه على تنفيذ الخديعة، لأنه كان يعلم بأن "عجول" قد وضع ثقته فيه شخصيا، وقد ذكرنا سابقا بأن "عجول "بحث على" الكوخ الذي كان فيه الحاج" وذلك لينام في حماه.

يؤكد الشهود على أن "الحاج لخضر" قد وجه كلامه "للرائد عميروش" غاضبا ومستفسرا: (لماذا أمرتم باغتيال عجول؟) وبمبررات من "عميروش" غير مقنعة، أقسم له "الحاج لخضر" بأغلظ الأيمان قائلا: (لو انكم قتلتم عجول لقاتلتكم أنا

شخصيا، ثم أضاف... إعلم "ياعميروش" أنني منذ اليوم لست مسؤولا على أمنك الشخصي) طبعا استنكر الحاضرون لهجة "الحاج لخضر" القاسية التي خاطب بها "عميروش" ولكنه لم يبالي بعتابهم ولومهم، ذلك لأنه اعتبر نفسه مسؤولا على أمن عجول بعد وضع ثقته فيه شخصيا، لقد شعر بخيانة الثقة، ومن يريد استجلاء موقف "الحاج لخضر" بصفة أدق، فليعد إلى شهاداته المتكررة حول الموضوع في كثير من الإستجوابات والتشريات منها كتاب زروال (إشكالية القيادة ص 291).

- عميروش يحرم عمار بن بولعيد من القيادة

قبل أن يسند "عبان" قيادة الولاية الأولى إلى قائد الولاية الثالثة كان "عمار بن بولعيد" قد سلم "لعميروش" تفويضا من بعض قيادات منطقة الأوراس يقضي بتوليه لقيادة الولاية الأولى مباشرة بعد إزاحة "عجول"، ولكن "عميروش" رفض صراحة ذلك التفويض دون مبررات لذلك الرفض، وهو ماجعل "عمار بن بولعيد" يلح على "عميروش" بتحويل التفويض إلى لجنة التنسيق والتنفيذ لترى رأيها فيه، ومرة أخرى رفض "عميروش" تحويل التفويض إلى لجنة التنسيق والتنفيذ.

ذلك لأن رفض "عميروش" كان مبني على خلفيات واستراتيجيات تم الإتفاق عليها مع "عبان" قبل دخوله للأوراس بدليل أن "العقيد محمدي السعيد" هو الآخر قد منع "العموري" من تولي قيادة المنطقة الأولى، فالقرار المتفق عليه وهومنع أي قائد من قادة الأوراس تولي قيادة الولاية الأولى في تلك الأونة ونتيجة لذلك القرار فوض "عبان رمضان" قائد الولاية الثالثة العقيد محمدي السعيد" لقيادتها، ومن بعده قائد الولاية الرابعة "العقيد أوعمران"

الا يدل ذلك على أن الأمر كان قد إتفق عليه مع "عبان" قبل دخول "عميروش" للأوراس ؟.

"عميروش" نفسه لم يخف رفضه تفويض "عمار بن بولعيد" و"عميروش" نفسه لم يخف رفضه تفويض ...

• عجول كان يعد لدخول تونس قبل الغدر به

لقد أكد المجاهد "سي حسين بن معلم" في مقال نشره في الصحافة على أنهم لما رجعوا من "جبل عالي الناس"تفاجؤوا بعدم سفر "عجول" للولاية الثالثة، وهو تفاجؤ في غير محله، لأن المدة التي كانت تفصل بين تاريخ مغادرة "عجول" للرائد "عميروش" بعالي الناس، وتاريخ عقد الاجتماع لاتزيد عن عدد أصابع اليد، فمغادرة "عجول" للرائد "عميروش" كانت يوم 11/10/ 1956، وعقد الاجتماع كان يوم 17/10/1956 فهذه المدة القصيرة أبدا لا تمكن "عجول" من السفر وذلك للأسباب الموضوعية التالية:

أولا: أن لعجول عائلة متكونة من والدين، وزوجة، وأبناء كلهم يعيشون في خط النار بالمنطقة المحرمة في حماية جيش التحرير فرارا من تنكيل الفرنسيين وأذنابهم، ويصعب عليه أن يسافر قبل أن يؤمن لهم أدنى شروط الحياة أثناء غيابه ويطمئن عليهم، وهو واجب ديني وإنساني.

ثانيا: من جهة أخرى يعلم عجول وغيره بأن طريق الغرب نحو الولاية الثالثة مقطوعة في وجهه من طرف "عمار بن بولعيد" و"عايسي مسعود"، ولذلك قرر السفر لتونس على طريق الصحراء، وهذا الطريق يتطلب ترتيبات منها:

أ: البحث على دليل عارف بمسالك الصحراء وخفاياها، ثانيا: شراء الجمال من نوع (مهري) وذلك يتطلب متسعا من الوقت، ب: اختيار المرافقين، فهذه الشروط الثلاثة تتطلب مدة لاتقل عن شهر، ونظرا لكون عجول غير مرتبط بموعد محدد وحتى الرخصة الممضاة له من "عميروش" كانت غير محدوده، ومع ذلك كان في عجلة من أمره للالتحاق بزميله عضو القيادة "عباس لغرور"، ومجموعة السوافه "عبد الحي"، و"الطالب العربي"، و"عبد الكريم هالي"، و"محساس أحمد" للإطلاع على المستجدات التي على ضوئها يتعامل هو و"عباس لغرور"

مع لجنة التنسيق والتنفيذ بما تقتضيه مسؤوليتهما كقائدين بالنيابة على منطقة الأوراس (الولاية الأولى).

ولا بأس من التذكير بما صرحت به زوجة "عجول" لمداسي صاحب كتاب (مغربلي الرمال) بقولها: (إن زوجي كان قد أشعرني حينها بأنه يعتزم السفر إلى تونس عن طريق الصحراء، غير أن محاولة اغتياله حالت دون ذلك).

• خلاصة نجاحات مهمة عميروش في الأوراس

لم ينجح الرائد "عميروش" فقط في تصفية "عجول" وإزاحته لتبرير التدخل في الشؤون الداخلية للولاية الأولى، وإخضاعها للوصاية، إنما نجح أيضا في دراسة نفسيات القاده الأوراسيين الذين تعلقوا به (واعتبروه المهدي المنتظر) حسب تعبير "الرائد مصطفى مراردة" في منكراته، فكانوا له نعم العون لتحقيق مهمته التي حققت طموح "عبان" وطموح بعض قادة منطقة القبائل بعد إستشهاد "زيروت يوسف" وأسر "بلمهيدي العربي"، وإنضمام مناضلي الأحزاب بقناعة (وهم الإستقلال على الأبواب، واعتقادهم الجازم بأن المرحله هي مرحلة مفاوضين أكفاء).

وقد توهم قادة الولاية الثالثة بأن تلك الشروط متوفرة في الجناح السياسي بإشراف "عبان الطموح"، والجناح العسكري بقيادة الرمز الثوري" كريم بلقاسم" الحالم دوما رحمه الله بقيادة الثورة،وتولي منصب رئيس الحكومة المؤقتة، ولما لا للجمهورية الجزائرية الحديثة.

فعند ما تغيب هذه الحقائق على وعي قادة الأوراس، فمن حق "عبان" و"كريم" و"عميروش" وأوعمران" و"محمد السعيد" و"الرائد إيدير" وزبانيته أن يحجزوا على إرادتهم، ويفرضوا عليهم الوصاية قهرا.

وبذلك نجد أن "عميروش" قد توفق في تحقيق اربع أهداف على الطريق الطويل للسيطرة على الأوراس :

أولا: الشغور في قيادة الأوراس الذي أعطى مبررات "لعبان" بفرض الوصاية على الولاية الأولى، - وتكليف قائد الولاية الثالثة العقيد" محمدي السعيد" بتسييرها مؤقتا ريثما يلتحق "العقيد لوعمران" بتونس ويتولى بصفة رسمية شؤون الولاية الأولى بمساعدة "عميروش" والرائد قاسي".

ثانيا: تحميل مسؤولية اغتيال "عجول" للقادة الأوراسيين أنفسهم، دون أن يتحدد الطرف المسؤول على ذلك.

ثالثا: إيهام الجميع بأن التدخل السريع في شؤون الولاية الأولى من طرف "عبان الطموح" ورجاله إنما جاء بنية إصلاح ذات البين، والبحث عن (لغز) قتل "الرمز مصطفى بن بولعيد" (قميص عثمان)، ثم هيكلة الولاية مع تنظيمات مؤتمر الصومام الجديدة لتصبح كغيرها من الولايات الأخرى، ولكن الحقيقة كانت غير ذلك.

رابعا: نعت "عميروش" قادة الأوراس "بالطامات الكبرى" وأكد على ضرورة تصفيتهم، لأن بقاءهم يشكل عقبة أمام مشروع المنسق "عبان".

والسؤال الجوهري: هو من أعطى لرجال ولاية بعينها الحق في فرض أنفسهم على رجال مثلهم تماما في ولاية غير ولايتهم، خاصة إذا كانت تلك الولاية هي ولاية الأوراس المشهورة بتضحياتها المبكرة التي يشهد عليها العام والخاص؟

- **تدخلات عميروش اجهضت الملاحم القتالية**

بتلك التدخلات العنيفة "لعميروش" ممثل "عبان رمضان" المنسق العام للجنة التنسيق والتنفيذ في الشؤون الداخلية للأوراس، دخلت الولاية الأولى في نفق من الفوضى والحيرة

والتشرذم نتيجة محاولة إغتيال "عجول"، تلك المحاولة الخطيرة التي وسعت حلقات الخلاف بين القادة، وعمقت الأحقاد، وشتت الصفوف وشرذمة الوحدات المقاتلة وأجهضت الملاحم القتالية في الميدان.

ومما "زاد الطين بلة"، وضاعف من محن الولاية الأولى أكثر فأكثر هو: قرار "العقيد محمدي السعيد" بإخراج قادة الأوراس إلى الولاية الثالثة في مرحلة أولى، ثم إلى تونس في مرحلة ثانية وترك الولاية بدون تأطير، وهو ما انعكس سلبا على معنويات المقاتلين وأفراد الشعب، ومكن الجيش الفرنسي من السيطرة في غياب أبطال المعارك الذين كانوا يواجهونه، لقد تفرغ الفرنسيون بذلك إلى بناء الخطين المكهربين الذين فصلا الداخل عن الخارج.

بكل أسف أن تلك النتائج السلبية التي نتجت عن التدخلات الغير مدروسة لم تقلق "عبان" الذي كان في ذروة السعادة بما حققه له "عميروش من نتائج راح يبشر بها ممثليه في تونس برسالته المحررة بتاريخ 1956/12/03 فيقول :(لقد عاد عميروش من الأوراس، ونجح في ضم أغلبية قادة الأوراس الذين أعادوا تنظيم أنفسهم طبقا للتنظيمات الجديدة......) فعبارتي (ضم أغلبية قادة الأوراس) و(إعادة تنظيم أنفسهم)" تؤكد بوضوح ماكان يعتقده "عبان" في قرارة نفسه (بأن الأوراس كان رافضا للتنظيمات الجديدة، ومتحفظا على قرارات مؤتمر الصومام، لأنهم حلفاء لمنافسيه أعضاء الوفد الخارجي بالقاهرة "بن بله "و"خيذر" و"بو ضياف").

وهو إتهام خطير يقلل من ثقافتهم السياسية ويطعن في وطنيتهم وولائهم للثورة، ويستهين بمدرسة "بن بو لعيد مصطفى" التي لا تقبل الإحتواء ولا التبعية المذلة.

- **ملابسات القبض على عجول أو تسليم نفسه[1]**

لقد تغلب "عجول" المغدور به على جراحه الجسدية والمعنوية، وقرر توجيه رسالة إلى الرائد "عميروش" ملحا عليه تحديد موعد لمواصلة الحوار مرة ثانية من أجل إزالة العوائق، غير أن "عميروش" الذي تجرأ على تصفيته رفض مرة أخرى يد "عجول الممدودة، وأصدر أوامره القاطعة بضرورة ملاحقة "عجول" الجريح حتى القضاء عليه، أودفعه للعدو حسب تعبيره الحرفي في خطبته التي ألقاها بعد فرار "عجول" من بين يديه".

وهو ما يوحي بأن تصفية "عجول" كانت هي جوهر مهمته في الأوراس لما ستحققه من نتائج تخدم من عينه في المجالين القريب والبعيد ؟

لقد تبين بوضوح تام بأن بقاء "عجول" حيا بين صفوف جيش التحرير داخل الأوراس ولو بدون مسؤولية لايخدم مخطط "عبان رمضان" الذي جند له خيرة قادة منطقة القبائل الذين سحبهم من جبهات القتال وهم على التوالي "عميروش" و"مجدي السعيد" و"العقيد أوعمران" وآخرين مساعدين.

لقد خاب ظن "عجول" في زميله المجاهد "عميروش"، لأن المصالح والغايات التي كانت توحد بينهما في مراحل سابقة قد إختلفت بسبب الطموح المبالغ فيه "لعبان ورجاله" الذين أصبحت أولوياتهم (الإستيلاء على قمة هرم الثورة) وذلك بعد النجاحات التي حققتها الثورة خلال سنتي 1956/1955 والتي

---

[1] أحيل من يهمه الأمر من الباحثين الى احدى المراجع باللغة الانجليزية (Quoted in barberot, Malaventure en Algerie avec le général Paris de Bollardière, p115) حيث يؤكد كاتب هذا المرجع حرفيا بأن عاجل عجول مقبوض عليه
Adjel-Adjoul, a captured rebel leader, made the follozing statement which was mineographed and distributed by french military authorities...

فتحت شهية السباق على من يكون (رقم واحد) حسب تعبير "محمد بوضياف" حول الموضوع.

"العجول" لم يفاجأ فقط برفض زميله "عميروش" يده الممدودة لإستئناف الحوار، إنما تفاجأ أيضا بموقف بعض أصدقائه الذين افتقدوه الأمل، مثل صديقه الوفي "امحمد بونخل" الذي بعث له رسالة عاجلة يؤكد له فيها بأن من سيقتله هو مدسوس وسط حراسه، وواجب المودة والصداقة يفرضان عليه تنبيهه لذلك.

إذن لم يبق "لعجول" أي أمل يواجه به الام الجراح، وضياع المصير، والغدر، والإحباط وهو انه على مرؤوسيه غير الجوء لصدر والده المتحصر على سوء حال إبنه الذي بدأت جراحه تتعفن، وتحت وطئ العاطفة الأبوية، وجد الأب نفسه أمام مركز العدو بقرية "زريبة الوادي"، ودون أن يشعر إبنه عجول بذلك، حيث أفشى سر مكان تواجد إبنه عجول المتألم لقائد مركز العدو، وبذلك قدمه هدية للجيش الفرنسي الذي عجز عن مواجهته في عرينه الأوراس.

(فأي حظ سعيد إستهل به قائد مركز "زريبة الوادي" يومه بالقبض على "عجول الجريح"، "ماأجملها هدية خصه بها القائد المجاهد "عميروش" بتصرف غير مدروس العواقب التي قسمت ظهر المنطقة الأولى الأوراس، وذلك خدمة للطموح الشخصي والجهوي الجارف)

لقد إنهالت الأسئلة الكثيرة على "عجول" ووالده وأبنائه الصغار الذين أدخلهم معه خوفا عليهم من القصاص الذي طال الأخ الأكبر لعجول الذي أعدموه بعد ثلاث سنوات من تاريخ تسليم "عجول" نفسه للعدو (ولاتزر وازرة وزر أخرى) صدق الله العظيم.

أسئله متنوعه تهاطلت على "عجول" لعلهم يفتكون معلومة على أسرار الثورة خاصة تلك التي لايعرفها غيره، فكان جوابه

بسيط (أنا قائد كبير لاأعرف شيئا عن مراكز جيش التحرير التي تتغير باستمرار، أعرف أسماء المسؤولين وعدد الوحدات ونوع الأسلحة ولكن لاأعرف شيئا عن المراكز والتنظيمات المدنية والعسكرية لأنها من مهام مرزوسي، فأنا أخطط وأصدر الأوامر وغيري في الميدان ينفذ)، فكل ماكان يعرفه عجول لم يطلع العدو عليه بما في ذلك المال الذي كان لايعرفه غيره فبقي في مكانه إلى غاية إخبارنا به بعد توقيف القتال، فوجدناه قد تهدم، وكذلك بعض الأسلحة الثقيلة التي أكلها الصدأ ولم يدل العدو عليها.

إستمر عجول بدون يأس ولا ملل يطالب بمحاكمة عادلة من خلال مراسلاته المتكررة لقادة الولاية، ولا أحد منهم تجاوب معه وحقق له تلك الأمنية، فلو كان "عجول" مذنبا أو مسيئا للثورة لما أستمر يلح على طلب المحاكمه العادلة خاصة بعد الإستقلال.

كما أن "عجول" كان من خلال مراسلاته يؤكد لقادة الولاية بأنه مستعد للإلتحاق بالثورة إن ائتمن على حياته، وسيصحب معه كل (الحركى) في محيط أريس، بقيادة (القايد السبتي)، و(الصالح بن عصار فروجي)، وعدد يزيد عن 600 مسلح، ولكن لا أحد رد عليه.

ومن جملة المسؤولين الذين كاتبهم "عجول" بخصوص ذلك "الرائد عبد الله بلهوشات" عضو قيادة الولاية الذي دخل من تونس في مهمة رقابية خلال صيف سنة 1957 إلى وسط الأوراس، ولكنه لم يتلقى أي رد على رسالته، ومع ذلك لم ييأس واستمر يطالب بتلك المحاكمة بعد توقيف القتال إلى أن وافته المنية.

علما أن رئيس الجمهورية الفرنسية "دو قول" قد عرض على "عجول" نقله معهم إلى فرنسا، لكن "عجول" رفض العرض مصمما على وضع نفسه تحت العدالة الجزائرية وهو

في سجن (لامبيز) الى أن أطلقت السلطات الجزائرية سراحه فمات وفي حلقه غصة رفضهم محاكمة عادلة ترفع عنه الإتهامات الباطلة التي لحقت به وسودت تاريخه أمام من جندهم للثورة، من ذلك إتهامه بقتل الرمز "مصطفى بن بولعيد"، تلك التهمة التي إعترفت المخابرات الفرنسية في كتاب لأحد ضباطها بأنها هي التي أعدت ذلك (الجهاز الملغم) الذي إنفجر على "سي مصطفى بن بولعيد" رحمة الله عليه، ومع ذلك لايزال البعض يستثمر بالغباء المركب في إثارة قضية موت "سي مصطفى" لحاجة في نفوسهم، ولا يدرون أنهم بذلك ينقصون من قيمة "سي مصطفى" ومن مصداقيته، ويبرئون العدو من قتله وينسبون ذلك لنوابه، وهو تفكير ساذج يقلل من رمزية "بن بولعيد مصطفى" وشخصيته وعبقريته وبعده الفلسفي التاريخي، فمصطفى أكثر من أن يختزل في رجل يحسده زملاؤه وأتباعه فيتآمرون عليه ويغتالونه، أما ان لهؤلاء السذج الأغبياء أن يدركوا تلك الحقيقة التي تسيء لرمزية القائد الفذ "مصطفى بن بولعيد"؟

بكل أسف لم يتعض من تسبب لعجول في ذلك المصير الذي فرضوه عليه فرضا، ولم يراجعوا أنفسهم بالتوبة أمام الله والتاريخ عن ما ألحقوه "بعجول" وبالأوراس من ظلم لامبرر له، فهذا وزير المجاهدين "محمدي السعيد" الذي كان أحد المتعسفين في حق الأوراس وفي حق الضحية "عجول" راح يبحث على "عجول" في سجنه ليشمت فيه وهو المشهور بالتدين حين قرر أن يزور "عجول" في سجنه، ولما أحضرته له إدارة السجن، دخل الوزير على "عجول" وهو واقف في قاعة فسيحة دون أن يلقي عليه تحية الإسلام،بل بادره بسؤال يحمل كثيرا من الإستهزاء والإهانة: (هل أنت هو "عجول")؟، أجابه "عجول" نعم أنا هو "عجول"، ثم طرح عليه السؤال التهكمي الثاني (هل تعلم بأن الجزائر قد إستقلت؟) أجابه "عجول" نعم اعرف ذلك، وأمام هذا المنظر المؤسف الذي لم يسعد أعضاء

مكتب التنسيق الولائي [illegible] الوزير يشفي غليله في زميله عجول الضحية.

لم يتعظ الوزير "محمدي السعيد" بما سببه "العجول" المظلوم ومن خلاله الولاية الأولى لما خدمته لظروف ورفاقه في فترة معينة، لما أزاحوه بتلك المحاولة الفاشلة ليلة 20 أكتوبر 1956 وحل مكانه في تسيير منطقة الأوراس، ولما أصبح وزيرا عوض أن يعتذر له راح يتشفى فيه وهو في السجن ليضاعف من أحزانه، وينبش في جراحه وينكره بمأساته معهم لما قرروا قتله وفرضوا عليه اللجوء للعدو.

كان على وزير المجاهدين المعني بتصحيح التاريخ أن يمكن "عجول" من المحاكمة العادلة التي كان يطالب بها، فإن أقرت إدانته عندها يمكنه أن يصب غضبه عليه بما يدخل السرور على نفسه، ولكن سيادة الوزير إستمر حاقدا على "عجول" الضحية الذي لم يصدر منه ما يسيئ له ولغيره.

فإذا كان العقاب على المواقف فإن "العقيد محمدي السعيد" نفسه كان يقتل من أجل القائد "كريم" ولما جافته الأيام، وتغيرت موازين الأمور لصالح خصومه، أدار "العقيد محمدي السعيد" ظهره عنه والتحق بالأقوياء الذين مكنوه من مرتبة وزير فاستقوى بها على "عجول" السجين المغلوب على أمره.

وليسمح لي القارئ الكريم بتكرار سؤال لألف مرة، وهو: ما هي جريمة "عجول" غير الفرار من رصاص "عميروش" بدون محاكمة، ولا حتى بلجنة تحقيق؟

ومن هو المسؤول المباشر على فرض الخضوع على الأوراس دون غيرها من الولايات الأخرى، وأخضعها لوصاية الولاية الثالثة حصريا؟، وفرض العقوبات الصارمة على رموزها التاريخيين.

[illegible] لذة [illegible]

ولكن "قد طالت قيادتين متعاقبتين للأوراس، وهل كل ذلك "الحربي" كان طبيعيا و عاديا و لا يتطلب تفسيرا؟!

- **تعقيب على مانشره "سي حسين بن معلم"**

نفتح قوسا لنسلط الضوء على ما نشره "سي حسين بن معلم" حول تفاصيل مهمة عميروش، وحادثة إغتيال عجول[1].

قبل ذلك أريد أن أكد على أن "لسي حسين بن معلم" منزلة مميزة في نفسي، فهو زميل في الجهاد، ورجل فاضل ووطني، وينحدر من عائلة محترمة، ومن قبيلة عريقة في النضال لها في نفسي منزلة خاصة، غير أن ذلك لايمنعني من التعقيب على مانشره في الصحف حول موضوع "عجول" وما نراه مصرا على مراجعته دوريا بالمناسبة وبدون مناسبة، رغم أننا نحاول نسيانه لأنه يسبب وجع الراس.

تضمنت مقالة "سي حسين بن معلم "وقائع غير مطابقه للحقيقة إما لكونه يجهل تفاصيل الحادثة كغيره ممن كانوا حاضرين في تلك الليلة في المكان والزمان ولكنهم لايعلمون شيئا على تفاصيل الحادثة إلا بما تفاجؤوا به، لأنها كانت مخططةعلى مستوى محدود جدا وفي ساعة متأخرة، أو أنه كان يعلم بعض التفاصيل يتعمد كغيره تغيير الحقائق لتبرير الحادثة تاريخيا وإنسانيا وأخلاقيا بشهادات غير دقيقة من ذلك مثلا:

1) إن سي حسين قد ركز على نقطتين ليلة إغتيال عجول؛ الأولى: قوله أن أحد الأشخاص قد تقدم من "عجول" وتلبط جسمه بكلتا يديه ليكبله، والثانية: قوله أن جماعة "عجول" كانوا متهيئين، وأنهم هم من بدأوا بإطلاق الرصاص.

---

[1] الشروق العدد 2861 بتاريخ 28 فيفري 2010

والسؤال البديهي الذي يجب أن يطرح قبل التعليق على اللقطتين المذكورتين، وهو: أين كان "سي حسين" في تلك اللحظات حتى يتمكن من تأمين نفسه من الخطر ويشاهد كل وقائع حادثة إطلاق النار بالتفصيل دون فزع ولا إصابة؟

وإذا كان من بين من فاجأتهم الواقعة فلا يمكنه التركيز على التفاصيل التي ذكرها إلا إذا كان هو أحد المتفقين وأنا أجزم أنه لم يكن من بينهم ولم يكن مطلعا على قرار التنفيذ رغم كونه كان كاتبا لصاحب القرار "عميروش"، لأن قرار الإغتيال كما ذكرنا قد إتخذ في سرية وبين عناصر محدودة وفي ساعة متأخرة، ومن هنا يكون سي حسين قد سمع التفاصيل من متعمد يصر على تغيير الحقيقة قصد إبعاد المسؤولية على مقترفي الجريمة في حق ثالث القاده الأساسيين للأوراس الذين هيؤوا للثورة وفجروها وقادوا طلائعها واستمروا فاعلين في أحداثها كقادة أساسيين ميدانيين فاعلين بإشراف "القائد الرمز مصطفى بن بولعيد"، وهي بكل المقاييس جريمة فضيعة راح ضحيتها خمسة مجاهدين أولهم القائد "عجول" نفسه، وثانيهم "أحمد أوزوال" أحد المتفقين للمؤامرة لاأدري بأية قناعة، وثالثهم ورابعهم الضحيتان الصادق بلنسي وعبدالرحيم ثنية حارسا عجول وخامسهم العبد الضعيف صاحب هذه المذكرات.

"سي حسين يعلم" من خلال التجربة والإحتراف بأن البادئ بإطلاق النار في كل الأحوال هو من يلحق الأذى بخصمه وفي هذه الحادثة وقع العكس، لأن الإصابات كانت في جماعة "عجول"، فلا يعقل أن يبدؤوا بإطلاق الرصاص كما أكد "سي حسين" ومع ذلك لايصيب رصاصهم أحدا من المهاجمين بل وقع الخسائر في صفوفهم فقط كان عددهم أربعة أفراد أصيب منهم ثلاثة.

وكذلك الشأن بالنسبة للشخص الذي يقول عليه "سي حسين" بأنه تلبط "عجول" بكلتا يديه، والسؤال مادام جماعة

عجول" كانوا متهيئين حسب "سي حسين" ومع ذلك لم يمنعوه أو يقتلوه، فالمستنفر لايترك الفرصة للخصم الذي يتوقع منه الأذى، الحقيقة الثابتة هي أ ننا كنا غافلين وغارقين في نومنا نتيجة الثقة، إلى أن فوجئنا بوابل من رصاص يمطرنا من عدة رشاشات على مسافة عدة أمتار منا، أصيب في الوهلة الأولى "عجول" في يده ورجله، وقتل الحارسان "الصادق بلنسي" و"عبد الرحيم" ثنيه وهما نائمان (من موت النوم إلى الموت الأبدي)، وكنت الوحيد من بين الأربعة المغدور بهم الذي أنجاه الله بكيفية لم أستطع إستيعابها حتى اليوم إلا بعامل الإيمان بالله والحمد والشكر له.

2) وأيضا يؤكد "سي حسين" على أن عجول في تلك الليلة كان قد وضع مجموعة من رجاله بالجهة المواجهة للمكان الذي تمركز فيه "عميروش" وذلك بقصد الهجوم على مجموعة "عميروش" ومن معه من المسؤولين، وهي شهادة تدعوا للغرابه فكيف يمكن ل 26 مقاتل أن يتجرؤوا على مهاجمة أكثر من 300 مسلح؛ إنه الجنون بعينه إن هم فكروا في ذلك، لو كان عجول حقا مصرا على مهاجمة جماعة "عميروش" لأحضر معه قوة تفوق عدد من يريد مهاجمتهم، وله القوة الكافية لذلك بالتأكيد، ولكنه لم يفكر في ذلك بدليل أنه ترك حراسه وراح ينام وسط مجموعة "عميروش" بعامل الأمان والثقة.

والواقع الذي لايمكن إنكاره هو أن رأس "عجول" كان مستهدفا تلك الليلة، ومن ساعدوا على تنفيذ المؤامرة أنفسهم من العناصر المحلية لم يكونوا مدركين لخلفية العملية وأبعادها الآنية والمستقبلية عليهم وعلى ولايتهم، وراحوا ضحية إتهام "عجول" بقتل "مصطفى بن بولعيد"، والثقة المطلقة في ممثل لجنة التنسيق والتنفيذ، ثم الطمع والغباء وعدم التبصر.

3) يؤكد "سي حسين" أيضا على أن "عجول" قد غير موقفه على ما إتفق عليه مع "عميروش"، وعدل عن السفر للولاية

الثالثة، وكان مصرا على إسترجاع قيادته من "عزعار بوعزه"، بل كان عازما على قتله حسب الشهادة المذكورة.

فلو كان "عجول" مصمما على أسترجاع قيادته لما تنازل عنها، ولو إفترضنا جدلا بأنه تنازل عنها ثم ندم، كان في وسعه الإستمرار في منطقته قائدا كما كان، ويمتنع عن حضور الإجتماع من أصله، ولكن ثقته في ممثل القيادة المركزية الجديدة جعلته يتطوع للتفاعل معه بالصدق والوفاء تقديرا لمصلحة الثورة، وتكريما له بصفته ممثل القياده المركزية.

ومع ذلك دعنا نضع الزميل "سي حسين بن معلم " أمام ضميره وشرفه الثوري والوطني ونقول له: هل كنت حقا على قناعة بما تقوله على "عجول" في قرارة نفسك ؟ بالتأكيد أشك في ذلك.

وسؤال الآخر: ما عساه أن يكون موقفكم لو أن أحد قادة منطقة القبائل التاريخيين مثل "كريم" أو "أوعمران" أو "محمدي السعيد" أو"عميروش" نفسه وضع في هذا الموقف، فهل تبقى القناعة هي هي؟ والإتهامات هي هي؟ والمبررات هي هي ؟

والسؤال الذي يزيل الغموض نهائيا هو: لماذا لم يتجرأ الأوراسيون على الغدر" بعجول" قبل قدوم "عميروش" للأوراس، حيث لا أحد منهم فكر في ذلك إلا لما دخل "عميروش" الأوراس؟، فهل لهذا السؤال من جواب منطقي مقنع ؟

4) يؤكد الجنرال "سي حسين" مستعملا نون الجماعة بقوله: (كنا نرفض أن تبقى هذه الدويلات في الأوراس ويترك جيش الإستعمار يعيث في الأرض فسادا) دون أن نتبين على من يعود ضمير (نون الجماعة) .

وأما بخصوص اتهام "سي حسين لإخوانه الأوراسيين بمهادنة العدو أحيل القارئ الكريم لشهادات ضباط العدو أنفسهم

الذين كانوا يواجهون الأوراسيين في الميدان، لأنه في مثل هذه الحالة فليس هناك أصدق من شهادتهم في هذا الموضوع الحساس.

ولنبدأ بشهادة الجنرال "الطيارميشال فورجي" الذي كان مكلفا بالمراقبة الجوية "للمناطق المحرمة التي خرجت عن سيطرة القوات البرية الفرنسية بالأوراس فيقول: ((إن كتلة الأوراس كانت بحق عظيمة لكنها سيئة المعشر، والاستقبال الذي حظينا به فيها كان ابعد من أن يكون وديا. .. ، ومتمردي الأوراس يعدون من بين المقاتلين الأشداء الذين جابهناهم نظرا لميزاتهم القتالية) ويواصل في فقرة أخرى (كتلة الأوراس هي النواة الصلبه ومهد التمرد الذي سيكون المسرح المفضل لعملياتنا كما كان حتى الآن وكما سيظل الى النهاية... ، ويواصل : لقد إعتبر الأوراس كحصن منيع، وزاد في تعزيز تلك المكانة خروج أكثر من ثلاثة أرباع المنطقة عن السيطرة وتحويلها الى مناطق محرمة على قواتنا البرية).

وفي فقرات أخرى يؤكد على أن الهجومات ضدهم كانت تتزايد يوما بعد يوم فيقول: (بينما كان عدد هجومات المتمردين علينا شهريا في مناطق الأوراس خلال النصف الثاني من سنة 1955 مقبولا، ولكنه لم يلبث أن إرتفع ذلك العدد ليصل إلى أكثر من 2540 هجوما في الشهر خلال سنة 1956،) (ويواصل الطيار الفرنسي قوله... وأما الإشتباكات فصارت أكثر قسوة حيث بدأ عدد الطائرات المصابة في تزايد نظرا لتزايد الإعتماد عليها.... ، كما أن التدمير الكلي لطائراتنا تضاعف أواخر سنة 1955 وبداية سنة 1956 بثلاث مرات) وفي الصفحة 162 يؤكد بأن العمليات القتالية في الأوراس لم تترك لهم فرصة الراحه فيقول: (كل يوم نقوم بهجومات إستطلاعية وعمليات حماية، وحتى ملاحقات دون خفض ذلك أثناء العطل الأسبوعية وأيام الأعياد، والعكس هو الصحيح في منطقة واسعة كما هي

منطقتاي الأوراس، فقلما يمر يوم دون أن يحدث إشتباك في مكان ما تطلب منا وحدة أرضية التدخل السريع.)[1].

تنبه القارئ الكريم بأن هذه الفترة التي يتحدث عنها "الطيار الفرنسي" هي نفسها الفترة التي كان يعنيها سي "حسين بن معلم" و التي زار فيها هو شخصيا الأوراس مع "عميروش" فهل كل الحقائق التي نقلها لنا "الطيار الفرنسي" تتطابق مع إتهاماته لإخوانه الأوراسيين بأنهم كانوا منشغلين بدولاتهم تاركين العدو يعبث على حساب مقاتلة العدو يعني هذا ترك الفرصه للعدو ليعبث حسب تعبير "السيد حسين".

ولنترك شهادة الجنرال الطيار (ميشال)، ونقرأ نصا من خطبة القائد (بيجار) الذي كان الأوراس مجال نشاطه، فنجده يقول لمرؤوسيه مايلي: (إفهموني جيدا أيها الجنود، إنه في هذا الجنوب "منطقة النمامشه" هذه يكون من الصعب علينا أن نلعب دور الأبطال في مهاجمة متمرد يبحث عن المواجهة، وعن خوض المعركة، وجبال النمامشه تعد قلب المتمردين، وموضع رهبة الشرق القسنطيني).

في الأوراس لم يغتر "بيجار" بشجاعته وجرأته، وإنما يعترف وينوه بشجاعة خصومه في الميدان خاصة منهم (عباس لغرور) حيث يقول: (إن المتمردين في النمامشه يناورون بصورة مثيرة للإعجاب بين مواقع حسنة التنظيم تحت إمرة قائد فذ، إنه "لغرور عباس"، ولو أننا إرتكبنا خطأ واحدا من جانبنا لكلفنا ذلك خسائر لاتحصى).

وما يدعوا للأسف والأسى أن القائد الفرنسي "بيجار" يعترف لعدوه "عباس لغرور" بالكفاءة والشجاعة، ويشيد ببطولاته، بينما "قادة الثورة" الجدد يتهمونه بالخيانة، ويعدمونه ورفاقه دون خجل من أجل النفوذ الشخصي.

---

[1]. الجنرال ميشال في كتابه الحرب البادرة الصفحات 60 /88/90/ 137/ 162

وأخيرا نستعرض شهادة ثالثة لضابط المخابرات "دومينيك فارال" الذي كان ينشط بجبال النمامشه والجزء الشرقي من الأوراس، والذي كان مدمنا على متابعة خطوات عباس لغرور ويقول عليه: (كان عباس يتحدى "بيجار" في واضحة النهار، ومع ذلك فقد أفلح "بيجار" في القضاء على جزء كبير من عصابات المتمريدين في الأوراس على مستوى منطقة النمامشة التي تعد من أقوى وأخطر قلاع جبهة التحرير في الفترة مابين 1954 حتى مطلع سنة 1957) وفي فقرة أخرى يقول: (ظل عباس لغرور متمتعا بروح قتالية عالية خلال ثلاث مراحل متكاملة، تبدأ المرحلة الأولى من نوفمبر 1954 إلى غاية سبتمبر 1955 حيث تمكن لغرور عباس من إحكام قبضته على السكان، واوقع القوات الفرنسية في عدة كمائن قتل فيها قرابة ستين قتيلا منهم قائدا كتيبتين.

أما المرحلة الثانية فإنها تستمر من سبتمبر 1955 الى غاية سبتمبر 1956 وهي المرحلة التي تميزت بمعارك طاحنة سقط خلالها أكثر من 100 قتيل من الجيش الفرنسي، من بينهم 8 ضباط وفي المرحلة الثالثة ثم دخل المتمردون في مرحلة ثالثة) فشهادة ضابط المخابرات "فارال" تؤكد بوضوح على أنه بعد شهر سبتمبر 1956) ويواصل في فقرة أخرى قوله (تميزت المرحلة الثالثة التي بدأت مع مطلع سنة 1957 بملاحقتنا للمتمردين بعد تشرذمهم)[1].

فالضابط الفرنسي "دومينيك فارال" يقصد بالمرحلة الثالثة تلك الفترة التي جاءت مباشرة بعد تدخل رجال"عبان رمضان" في تونس ضد "عباس لغرور"، وفي داخل الأوراس ضد "عجول" وما ترتب على تلك التدخلات التي قسمت ظهر الولاية الأولى، وشرذمت صفوفها حسب تعبير ضابط المخابرات "فارال"

---

[1]. كتاب معركة جبال النمامشه للعقيد (فارال) ص 143

ويمكننا تلخيص أسباب ذلك التشرذم الخطير كما يلي:

أولا- تلك الانعكاسات السلبية المتعددة التي ترتبت على حادثة (إطلاق النار على عجول وهو نائم) من طرف مجموعة "عميروش"، وذلك ليلة 20 اكتوبر 1956.

ثانيا- مؤامرة تلغيم إجتماع المصالحه الذي ترتبت عنه مطاردة "عباس لغرور" خلال شهر سبتمبر 1956 ثم سجنه وتنفيذ حكم الإعدام فيه وفي زملائه.

ثالثا- إخضاع الولاية الأولى لوصاية قائد الولاية الثالثة" محمدي السعيد" حصريا، وقراره إفراغ الولاية من قادتها، وترك الولاية بدون تأطير.

رابعا- تشرذم صفوف مقاتلي الأوراس نتيجة تدخل "عميروش"، وماترتب عليه من إحباطات واضطرابات نفسية عميقة شلت فعالية الوحدات القتالية في الأوراس وخاصة بعد قطع ضروريات المعركة عليهم، وذلك بعد إفتكاك مفاتيح مخازن الإمدادات اللوجيستية من "عبد الحي، ومطاردته ثم الحكم عليه بالإعدام.

خامسا- سجن مجاهدي الأوراس البسطاء الذين رافقوا قادتهم لتونس كحراس، وذلك كإجراء عقابي نتيجة إحتجاجاتهم على سجن وإعدام قادتهم في مدينة تونس، وبعد أن أعدموا منهم نحو ثلاثين مجاهدا أخرجوا البقية الباقية وسخروهم لحمل السلاح للولاية الثالثة دون غيرها بأمر قائدها "عميروش".

سادسا- ونتيجة لتلك الأوضاع المأساوية إضطر نحو (3000) مجاهد من ثوار الأوراس إلى التمركز على الحدود الشرقية حول مركز (الشعانبي)، حيث دخلوا في شبه إحتجاجات متواصلة على أوضاعهم المتدهورة وعلى سوء المعاملة، والحجز على قادتهم المباشرين. . الخ. .

فمن المسؤول إذن على تلك الوضعية الكارثية التي فرضت على أبناء الولاية الأولى الذين كانوا شوكة في حلق الجيش الفرنسي بشهادة ضباطه،ثم يأتي أخيرا من يتهمهم بالخيانة ويحملهم باسم الثورة وهي بريئة من تهمهم.

لقد عاش معنا "سي حسين بن معلم" بعض تلك الوقائع لما كان مرافقا للرائد"عميروش" خلال شهر اكتوبر 1956 مع فارق كبير بيننا وبينه، فنحن عشناها كضحايا للمرحلة ولرجالها المنفذين بحكم الظروف، بينما "سي حسين بن معلم" عاشها متفرجا وغير متحسس لمعاناتنا تلك، أو أنه لايعتبرها كذلك.

فعندما جمعت الظروف بيننا في حادثة اغتيال "عجول" في حضرة "عميروش" كان "سي حسين" كاتبا للرائد "عميروش"، وكنت" أنا العبد الضعيف" كاتبا للضحية "عجول"، لم تعر إهتمام زميلي "سي حسين" وضعيتي المأساوية في تلك الأونة حين قتلوا زملائي حراس عجول بجنبي، وقضوا على مصير قائدي "عجول"، ولما أنجاني الله من المجزرة نزعوا مني سلاحي وتركوني ضحية للعدو، لالشيء إلا لأنني من مجاهدي الأوراس، وكاتبا للضحية "عجول"، فأي جرم إقترفه "عجول" غير الفرار من القتل غدرا؟ ومن المسؤول على من قتل في تلك المجزرة ؟، وما ذنبي أنا حتى أتجرع مرارة تلك التعسفات؟. (أقفل القوس، وأعود لسرد حلقات مهمة "عميروش").

- سذاجة الطاهر النويشي وزملائه

الكل يعرف أن "الطاهر النويشي" كان أحد رؤساء الأقسام الثلاثة الذين أعدوا للثورة في الأوراس، وهو تاريخ مشرف بالتأكيد لم يحاول صونه، لما راح يتذلل أمام "عميروش" لنيل رضاه " بشهادة " الحاج لخضر".

ولم يحاول "النويشي" ورفاقه أن يعرفوا بأن "عميروش" قبل دخوله للأوراس ليحاسب قادته مفجري الثورة، كان قادته في الولاية الثالثة قد رفعوا رتبته هو وزملاءه منهم خمسة عقداء عينوا بعد الترقية لرتب سامية كأعضاء في المجلس الوطني للثورة، وهو إجراء سياسي هادف له ما بعده.

كان من المفروض أن يحضر "عميروش" معه رتبا سامية لقادة الأوراس كتلك التي نالها ضباط ولايته، إلا أنه قام بالعقاب وتجاهل حق الجزاء

فهل أن تضحيات ثوار الولاية لا تستوجب تلك الترقيات ؟

لم يزود "عبان" عميروش" بتلك الرتب لضباط الولاية الأولى لأنه يدرك بأن أي ترقية لقادة منطقة الأوراس قبل تصفية من العناصر الممانعة التي لاتنسجم مع مخططاته قد يفسد عليه مشروع وضع اليد على الولاية الأولى ورجالها ومقدراتها.

لم يستوعب "الطاهر النويشي وزملاؤه تلك الحقيقة، ولم يتعضوا بما يطبق عليهم، ولم تدفعهم الغيرة للإقتداء بذكاء إخوانهم وجيرانهم قادة الولاية الثالثة الذين أعدوا رجالهم للمرحاة الحاسمة.

فبدل أن يوحدوا صفوفهم وراء قادتهم ويحمون ظهورهم لكي يمثلوهم أحسن تمثيل على مستوى مؤسسات الثورة بكل ندية مع زملائهم قادة الولايات الأخرى، فبدل أن يفعلوا ذلك راحوا يتآمرون على بعضهم ويكيلون التهم الجزافية لبعضهم البعض، فنالهم جميعا التهميش والعقاب.

ومع ذلك نقول لمن لايزال يتعمد إستغفالنا بالإصرار الممنهج على تغيير الحقائق '(إتقوا الله وكفوا عن ممارسة الضحك على الأذقان (وأتركوا البذر بغطائه) فنحن ندرك جيدا بأن "عباس لغرور، و"عجول" ورفاقهما المعدومين والمهمشين و المنفيين

والمطاردين لم يكونوا أبدا مغفلين ولا سذجا، ولكن المؤامرة التي إستهدفتهم ومن ورائهم منطقة الأوراس كانت أكثر منهم، في المدى كانوا ضحية لمرحلة معينة، ولإستراتجية معينة لخططها وتركها للتاريخ، وعلينا أن نسجل للتاريخ وللأجيال بأن المسؤولية في ذلك يتحملها "الرئيس التونسي بورقيبه" فهو من سخر إمكانيات الحكومة التونسية لكسر شوكة الأوراس الثائر على الظلم).

- **المهمة الثانية لرجال عبان**

بعد أن تحقق الشغور "العبان" في القيادة التاريخية لمنطقة الأوراس، وذلك بإزاحة "عباس لغرور"و" عجول"، بادر بتفويض قائد الولاية الثالثة "العقيد محمدي السعيد" لتسيير الولاية الأولى بصفة مرحلية ريثما يلتحق "العقيد أوعمران" بتونس ليتولى مسؤولية تنظيم وهيكلة الولاية الأولى بمساعدة "عميروش الذي نال تنويه "عبان" على نجاحه في مهمته التي حققت الغرض.

فالغرض المقصود من تعيين "العقيد محمدي السعيد" مباشرة بعد إزاحة "عجول" هو منع القاده الأوراسيين من التفكير في تعيين قيادة جديدة لهم تعوض الضحيتين "عباس" و"عجول"، أول عمل قام به "العقيد محمدي السعيد" هو إستدعاء قادة الأوراس للإجتماع تحت إشرافه داخل الولاية الثالثة، ولكن الأثار السلبية التي تركها "عميروش" وراءه في الأوراس دفعت بعض القاده المستدعين للولاية الثالثة، وقرروا تعيين "محمد لعموري مسؤولا عليهم في المنطقة الأولى، غير أن "محمد لعموري"نصحهم بعدم التمرد على لجنة التنسيق والتنفيذ، ونتيجة لتلك النصيحة، إستجاب البعض للإستدعاء، وامتنع البعض الآخر، من بين الممتنعين طبعا "عمار بن بولعيد" الذي منعه "عميروش" من تولي قيادة الولاية رغم

تفويضات بعض الزملاء، وامتنع أيضا "عايسي مسعود" وحلفائهما.

فمن كانت له طموحات وأطماع في التموقع إستجاب، ومن أدرك إستحالة التموقع مع "عبان"، صاحب الحساسية المفرطة إزاء رجال الساعة الأولى مفجري الثورة إمتنع عن الإلتحاق بالولاية الثالثة.

أشرف العقيد "محمدي السعيد" على عدة إجتماعات روتينية مع القاده الذين لبوا دعوته، كانت تلك الإجتماعات عبارة عن إستهلاك للوقت في إنتظار إلتحاق "العقيد أوعمران" بتونس، وعندها يتولى بصفة رسمية تسيير شؤون الولاية الأولى وهيكلتها من جديد.

خلال تلك الإجتماعات الروتينية أخبرهم قائد الولاية الثالثة بقرارين إثنين صدرا عن منسق لجنة التنسيق و التنفيذ "عبان رمضان" وهما:

القرار الأول: تولي لجنة التنسيق و التنفيذ تسيير الولاية الأولى، وهي بدورها قد فوضت قائد الولاية الثالثة شخصيا لتولي تسيير الولاية الأولى مؤقتا

القرار الثاني: حرمانهم من تعيين "محمد لعموري" الذي كانوا قد إتفقوا عليه قبل إستدعائهم من طرف "العقيد محمد السعيد"، وهو قرار يشبه قرار منع "عميروش" "عمار بن بولعيد من تولي قيادة الولاية الأولى بتفويض من زملائه، والقرار بحرمان قادة الأوراس تسيير شؤونهم بأنفسهم في تلك الفترة، لأنه محجوز على إرادتهم، وفي هذا الشأن يقول "الحاج لخضر عبيد" "لما سمعت نص القرارين أصبت بالدوران، وإعتبرتهما لطمة قوية على وجهي " لقد حجزوا على إرادتنا، وأخضعوا ولايتنا لوصايتهم، وعندها أدركنا بوضوح عمق

سلطتنا التي ساهمنا فيها نحن لما مكنا "الرائد عميروش" من أنفسنا وضحينا "بعجول"[1].

مباشرة أمر "العقيد محمد السعيد" الرائد "عميروش، و"محمد لعموري" بالسفر إلى تونس ليلتحقا "بالعقيد أوعمران" هناك.

لقد أصبح "الرائد عميروش"مختصا في الشؤون الداخلية للولاية الأولى، ومتضلعا في قراءة نفسيات ضباطها، وما يشكله كل واحد منهم من خطر على المخطط المقرر للأوراس مستقبلا، ولذلك تنقل لتونس ليتولى التعامل مع القاده الأوراسيين الذين إلتحقوا كلهم بها بدعوى المشاركة في تشكيل (قيادة جديدة للولاية الأولى)، و التزود بالسلاح واللباس والمال لسد حاجيات مقاتليهم الذين تركوهم خلفهم بدون تأطير وبدون إمكانيات

---

[1] وحول هذا الوضوع أنقل نص شهادة الحاج لخضر عبيد الذي جاء فيها مايلي: (عندما خرجنا من حادثة اغتيال عجول، قررنا تعيين محمد العموري مسؤولا علينا لأننا أصبحنا بدون قيادة، تردد في البداية محمد لعموري ثم وافق في الأخير، بدأنا في معالجة جراحنا بالروية والتبصر، وإذا بنا نفاجأ باستدعائنا من طرف العقيد محمدي السعيد قائد الولاية الثالثة ملحا علينا ضرورة الالتحاق به وحضور الاجتماعات داخل تراب الولاية الثالثة بأمر من منسق لجنة ت ت، ونتيجة لمأساة حادثة عجول أصبحنا مترددين في تلبية الدعوة، ولكن محمد العموري أقنعنا بأن لا نقطع شعرة معاوية مع لجنة ت ت التي وضعتنا تحت وصاية قائد الولاية الثالثة، وفي نهاية المطاف بعضنا رفض تلبية الإستدعاء، والبعض الآخر التحق بالولاية الثالثة، وكان من بين الرافضين، عمار بن بولعيد، وعايسي مسعود. وبعد وصولنا إلى الولاية الثالثة اجتمعنا تحت إشراف العقيد ناصر عدة مرات، كان أهم تلك الاجتماعات هو اجتماع يوم 4 و5/ جانفي 1957 الذي فاجأنا فيه محمدي السعيد بقوله:

أن تسيير الولاية الأولى سيبقى من اختصاص لجنة ت ت التي فوضتني شخصيا بالتسيير المباشر للولاية الأولى، وعليه فأنتم ملزمون بتنفيذ تعليمتي الآتية: بداية لا بد لمحمد لعموري من السفر إلى مدينة تونس مع عميروش ليلتحقا بالعقيد أوعمران الذي سيكون هو المعني بشؤونكم هناك بتونس فيما بعد. شعرت حينها أن ما سمعته من العقيد ناصر كان بمثابة لطمة قاسية على وجوهنا، خاصة إبعاد محمد العموري لتونس الذي إخترناه قائدا علينا فحرمونا مرة أخرى من اختيار ما نراه مناسبا لقيادتنا). عن كتاب زرواله "إشكالية القيادة" ص312

متقلين باليأس والإحباط نتيجة الوضع المزري الذي فرض على ولايتهم.

يؤكد "السيد حسين بن معلم" بالنسبة لمهمة "عميروش" مايلي: (إن لجنة التنسيق والتنفيذ وبعد نجاح عميروش في مهمته بالأوراس، فإنها كلفته من جديد ليساعد "العقيد أوعمران" لمواصلة تأطير الولاية الأولى هناك بتونس)[1].

ومن المفيد التذكير ببعض تلك الإجتماعات التي أشرف عليها قائد الولاية الثالثة خاصة جلستي 57/01/4، و01/5/ 1957.

الحاضرون: الصاغ الثاني "امحمدي السعيد" والصاغ الأول "عميروش"، أما الأوراسيون فمنهم: "محمد لعموري" و"عبد الحفيظ طورش" و"المكي حيحي" و"الحاج لخضر" و"أحمد قادري" و "السعيد عوفي" و"الصالح عبد الصمد" و"النويشي" و"نواورة" و"كبوية" وعلي النمر" و"علي بن مشيش" و"عمار العقون"، وأهم نقاط جدول الأعمال: (مسألة عجول، مسألة النمامشة، مسألة إتهام القائد الحواس بالمصالية).

أما إجتماع 01/11/ 1957 فكان مخصص لمساءلة أحمد بن عبد الرزاق " الحواس" المتهم بالمصالية والذي أجاب على أكثر من 25 سؤالا، ومن المفيد الإستدلال بما كتبه "محمد حربي حول الموضوع حيث يقول: (لقد عرف تنظيم ولاية الأوراس النمامشه مرحلة ثانية في جهة ما من منطقة القبائل، بحضور "العقيد محمدي السعيد "مندوب لجنة التنسيق والتنفيذ، والرائد عميروش خلال شهري ديسمبر 1956وجانفي 1957 وحضر هذا التنظيم الحواس بن عبد الرزاق)[2].

---

[1] - حسين بن معلم مجلة أول نفمبر العدد 169 سنة 2006 ص55

[2] - حربي في كتابه حياة تحدي وصمود

• وكما ذكرنا سحب "عبان" رمضان "العقيد اوعمران" قائد الولاية الرابعة من جبهة القتال، وحوله لتونس ليواجه به هنالك المناضلين، والممانعين والمتحفظين، وليوكل له مهمة تطهير الولاية الأولى من قادتها الممانعين، وإعادة هيكلتها بالكيفية التي تخدم مخططه الجديد.

إنضم "العقيد اوعمران" إلى من وجدهم أمامه في تونس من ممثلي "عبان" وهم :"عمار بن عودة" و"حامدي"، و"ايت حسين" و"إبراهيم مزهودي" هذا الأخير الذي منحوه رتبة "الرائد" وكلفوه بمهمة التأثير على ولاء ثوار منطقة النمامشه "عباس لغرور" وإقناعهم بالإتفاف حول ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ، وقد لعب "مزهودي" دورا مهما في ذلك الإتجاه، حتى أنه ضحى بالطلبه المنتمين للأوراس لما ورطهم في لعبة الخلافات تحت غطاء الرقابه، فبدل أن يبعثهم للمعاهد والجامعات كماكان يفعل "أوعمران" و"عميروش" مع طلبة منطقة القبائل، راح يدفعهم لحتفهم ليموتوا بمهمة وهمية عنوانها "الرقابه" وقد إستشهد أغلبهم دون جدوى.

وقد نجح ممثلوا عبان في تونس في تفجير إجتماع "عباس لغرور" الذي عقده بقصد المصالحة بين فريق السوافه، وفريق النمامشه خلال شهر سبتمبر 1956 بتونس.

لقد فرض "عبان" "العقيد أوعمران" بصلاحيات واسعة، ونفوذ مطلق منها تمثيل الثورة مكان المناضل الكبير "محساس أحمد" الذي عزلوه وحكموا عليه بالإعدام وعينوا من يغتاله في منفاه، أول خطوة قام بها "أوعمران" هي وضع يده على مخازن الإمدادات، بعد أن عزل المجاهد "عبد الحي"، وراح يستغل تلك الإمدادات للضغط على المتحفظين والممانعين.

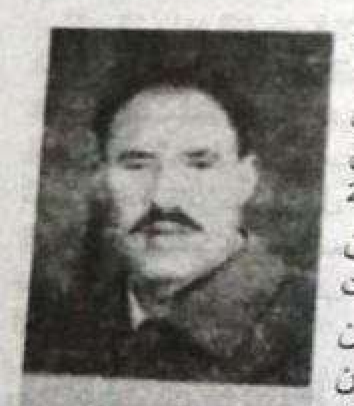
من خلال الإجتماعات التي عقدها "العقيد أوعمران" مع قادة الأوراس الذين وفدوا على تونس بأمر العقيد" محمدي السعيد"، أدركوا بوضوح أن الأمور ليست في صالحهم، وأن شؤونهم أصبحت بيد غيرهم، وأن مشاركتهم في تعيين قيادة لهم ماهي إلا خدعة إستعملت بقصد إبعادهم عن قواعدهم للإنفراد بهم في المنفى داخل تونس.

في النهاية من كانت له طموحات في التموقع بالهوان خضع للأمر الواقع، ومن أدرك أبعاد المؤامرة والرغبة في تهميش رجال الساعة الأولى (مفجري الثورة) المتهمين بالتطرف والتحجر الفكري، وعدم الإنضباط، والأمية السياسية، قرروا مقاطعة تلك الإجتماعات، معلنين رفضهم خضوع جيش التحرير للسياسيين حسب تعبير "عايسي مسعود".

وبذلك أعطوا الفرصة "للعقيد أوعمران" بإصدار التعليمات للأمن التونسي بالقبض عليهم، فمن تمكنوا من القبض عليهم ادخلوهم السجن وأعدموا بعضهم، ومن لم يتمكنوا من القبض عليهم إنقسموا إلى قسمين، قسم إلتحق مباشرة بجبل الأوراس واطلق عليهم (المشوشون) وأصدرت التعليمات لمحاربتهم مثل "عايسي المسعود بن عيسى" وعزوي" وغيرهما، أما القسم الثاني فقد إضطر أفراده لتسليم أنفسهم للسلطات التونسية بعد مطاردات مرهقة وهم على التوالي: البطل المغوار "عباس لغرور" و"شريط لزهر" و" عبدالحي" وطالب العربي وآخرين، بينما ألقي القبض على "عمار بن بولعيد، وحوحا بلعيد، والسوفي عبد الحفيظ وآخرين، نفي "عمار" وأعدم السوفي، وحوحا بلعيد " مع نحو خمسين (50) ضحيه من أبناء الولاية الأولى أعدموا بحجة عدم الإمتثال للقيادات التي ظهرت بعد مؤتمر الصومام.

كان ذلك هو الأسلوب الجاف الذي واجه به العقيد أوعمران"، و "الرائد عميروش" و"الرائد قاسي" من إعتبروهم خارجين على سلطتهم، مستغلين في ذلك القوة الأمنية للحكومة التونسية، بناء على الرسالة التي وجهها "عبان رمضان" الى الأمين العام" للحزب الدستوري التونسي السيد "التليلي" بتاريخ 25 /12/ 1956.

ولما تم تطهير الولاية الأولى من العناصر التي إعتبروها مشاغبة وممانعة، قام "العقيد أوعمران" بتعيين قيادة جديدة للولاية الأولى من عناصر رضيت بالتموقع على حساب منطقة الأوراس أرضا ورموزا وتضحيات، ولكن العقاب شمل بعضهم، كما شمل أيضا المجاهدين البسطاء الذين دخلوا تونس كعراس لقادة تهم المقبوض عليهم، فأدخلوهم السجون لمدة معينة، ثم أخرجوهم ليحملوا عليهم السلاح للولاية الثالثة دون غيرها بأمر من قائدها "عميروش".


مصطفى مراردة

ومن المفيد التذكير بما جاء في مذكرات "الرائد مرارده مصطفى" الذي تولى تسيير الولاية الأولى بالنيابة في الداخل في فترة من الفترات حيث يقول: (بأن جماعة الصومام، وخاصة أوعمران وبن عودة قد حكموا على إطارات الولاية الأولى جميعا بأنهم قتلة لبن بولعيد وشحاني، وأنهم يشكلون عائقا كبيرا لا بد من إزالته، ولذلك عملوا على إزاحة إطارات الولاية الأولى من الطريق بالقوة وبكل الوسائل، ولم يحاولوا استعمال الحوار، والطرق السلمية في حل المشاكل العالقة، ذلك ماحدث مع الأوراسيين في تونس، والتصفيات التي تعرض لها جنود وإطارات الولاية الأولى على أيدي جماعة مؤتمر الصومام)

ويواصل مراردة شهادته في مقطع آخر بقوله: (إن سبب الخلاف بين الولاية الأولى وقيادة مؤتمر الصومام، هو أن الأوراسيين كانت لهم صلة بآيت أحمد، وخيضر، وبن بلة، وكانوا بإتصال مع أحمد محساس ممثل بن بله، المتمركز بالحدود التونسية)[1].

وهكذا فمن يجهل الروابط المتأصلة عبر الزمن بين منطقة القبائل ومنطقة الأوراس يتوهم بأن هناك بين المنطقتين حسابات قديمة حان وقت تصفيتها بواسطة قاده منطقة القبائل خلال الثورة الذين مكنتهم الظروف من رقاب زملائهم الأوراسيين، وهو إحساس نجد صداه في كتابات البعض منهم المجاهد هشماوي مصطفى الذي عاش تلك الأحداث عن قرب، وعبر عنها بقوله: (لقد ترجمت بعض الأخطاء على أن منطقة القبائل تريد الاستيلاء على منطقة الأوراس مستغلة الفراغ القيادي للولاية الأولى)[2].

ولكن الشواهد التاريخية لاتعكس أبدا ذلك التصرف الغريب لبعض قادة القبائل خلال الثورة، بدليل ما صرح به المناضل الكبير "آيت أحمد" في إحدى خطبه في مدينة باتنه بمناسبة ترشحه للإنتخابات الرئاسية منافسا للرئيس " بوتفليقه" حيث أكد بأن إدارة الإحتلال قبل الثورة حاولت القبض عليه، فلجأ إلى الأوراس حيث مكنه "مصطفى بن بولعيد" من جواز سفر باسم مواطن من مواليد بلدية أريس، وبذلك الجواز تمكن من الفرار للخارج.

وقد تعمدت ذكر شهادة "آيت أحمد" لأبرهن على العلاقات الحميمة التي كانت تربط بين مناضلي المنطقتين لما كان النضال لوجه الله والوطن وحده.

1. مذكرات الرائد مصطفى مراردة ص79
2. جذور نوفمبر لمصطفى هشماوي ص 131

والسؤال الذي يبقى جوابه معلقا هو: هل بلغ جرم قادة الأوراس المعدومين الحد الذي لا ينفع معه إلا عقوبة الإعدام بدل السجن أو النفي، خاصة وأنهم في دولة شقيقة مستقلة ؟

اليوم الا يحق لأبنائهم وأراملهم وحتى المؤرخين بعد أكثر من خمسين سنة أن يتطلعوا إلى تصفح المحاضر التي أدينوا فيها، والتي على أساسها صدر في حقهم حكم الإعدام الذي نفذ بالسرعة الملفتة للإنتباه؟).

- **شهادة ضحايا حمل السلاح للولاية الثالثة**

حتى لا اتهم بالتجني على العقيد "عميروش" الذي أخرج المجاهدين المسجونين في سجن "العقيد أوعمرا" وسخرهم لحمل السلاح لولايته أقدم شهادة ثلاثة منهم:

الضحية الأولى: هو "بغامي الطيب" (زلماطي) الذي وردت شهادته بالتفصيل في مذكرات "مراردة مصطفى" أنقل منها هذا النص القصير حيث يقول: (لقد كونوا منا دورية عدد أفرادها 300 مجاهد مسجون بقيادة " سليمان لاصو" فحملوا كل واحد منا بندقيتين و(450) أربعمائة وخمسين طلقه نارية تفاصيل شهادة "بغامي" منشورة في موضع آخر على صفحات هذه المذكرات)[1].

الضحية الثانية: هو بودوح السبتي التي جاءت بالتفصيل في مذكراته الشخصية التي أخذنا منها هذه الفقرة فيقول: (كنت مع 13 مجاهد في سجن (البريشني) وكان التحقيق معنا يتم من طرف "بن عوده عمار" و"الحاج على"، ومحافظ للأمن التونسي المدعو "بن شعبان" وبعد مدة أمرونا بحمل السلاح للولاية الثالثة على طريق الولاية الثانية)[2].

1. مذكرات مراردة مصطفى ص82
2. مذكرات بودوح السبتي ص 67/66

الضحية الثالثة: هو الضابط "موسى طايري" الذي كان من بين من حملوا السلاح إلى الولاية الثالثة، حيث يقول: (لقد اتصل بنا نحن مجموعة متكونة من نحو(45) مجاهد من الولاية الأولى في "تيجروين" العقيد عميروش مع محمد لعموري وطلبا منا الإستعداد للتنقل إلى "سوق الأربعاء، ومنها إلى "غارنماو" حيث شكلوا منا ثلاث كتائب كلفت بحمل السلاح إلى لولاية الثالثة، كانت الكتيبه الأولى بقيادة "أحمد لقبايلي"، والكتيبة الثانية بقيادة "البسباسي"، والكتيبة الثالثة بقيادة "سليمان لاصو" كان عددنا ما بين 300 و350 منهم ستون مجاهدا من جنود "طالب العربي" وقد تمكنا من إيصال السلاح إلى الولاية الثالثة حيث سلمناه للضابط " سي حميمي"المكلف بتسلمه منا من طرف "العقيد عميروش"، وللأسف فقد أعادونا بدون سلاح للولاية الأولى، ثم يضيف:. . أيعقل أن يترك هولاء الرجال لمصيرهم وهم من قطعوا (700) كلم[1].)

فمن يقتل "عاجل عجول" غدرا بدون وجه حق، ويقدم على إعدام رموز خالدين مثل البطل "عباس لغرور" و"طالب العربي" و"عبد الحي" و"هالي عبد الكريم" والسوفي عبد الحفيظ" و"حوحا بلعيد" و"التجاني" و"الشاب منتوري" و"شريط لزهر" وغيرهم من أبطال المعارك الشهيرة في منطقة الأوراس، أبدا لايمكنه أن يحقق حكما راشدا، ولا أن يسعد بمصير أمن.

- **أوعمران يضحي بالقاده التاريخيين، ويعين غيرهم**

كان من المقرر أن يعقد "العقيد أوعمران" الإجتماع العام الذي تعهد به "العقيد محمد السعيد" أمام قادة الأوراس في إجتماع 4 جانفي 1957 داخل حدود الولاية الثالثة والذي على أساسه دخلوا تونس، بقصد المشاركة في اختيار "قياده جديدة لولايتهم" بالتراضي، ولكنهم فوجئوا بأن "العقيد أوعمران" قد

[1] شهادة طايري في كتاب عمار ملاح قادة جيش التحرير ص139

عين القيادة بدون رأي الأغلبية، ولما أبدوا احتجاجاتهم وعدم ارتياحهم لما تم في غيابهم، وجدوا أنفسهم محل متابعة من طرف الأمن التونسي الذي راح يلتقطهم الواحد بعد الآخر من الشوارع والفنادق والحمامات ووسائل النقل، فمن قبضوا عليه تعاملوا معه إما بالسجن أو بالإعدام أو بالتهميش أو بالمطاردة أو بالنفي. كما بينا.

وبذلك يكون "عبان رمضان" ورجاله قد أعطوا لأنفسهم حق التصرف المطلق في شؤون الولاية الأولى أرضا وبشرا، مستقويين في ذلك بجهود "الرئيس بورقيبة" دون الرجوع لا إلى لجنة التنسيق والتنفيذ، ولا إلى المجلس الوطني، ولا لمجلس قادة الولايات.

فقرار معاقبة ولاية كولاية الأوراس التي لها الفضل في مواجهة حصار الجيش الفرنسي الذي عزم على إخماد شعلة الثورة في مهدها لايمكن أن يتخذ من طرف مجموعة أشخاص مهما علت منزلتهم، إلا إذ أسلمنا بكلام الرئيس علي كافي" الذي يؤكد مبالغة "عبان رمضان " في طموحه حيث يقول "كافي" مايلي : (لقد كان هاجس "عبان رمضان" الأساسي هو بسط سلطته على الثورة، وافتكاك زمامها من أعضاء الوفد الخارجي الذين اعتبرهم مجرد قائمين بمهمة، وهذا ما تبلور في "مؤتمر الصومام" بالنسبة للداخل والخارج، وكذلك نزع السلطة من القيادات العسكرية" ووضعها في يد القيادات السياسية، باعتباره سياسيا محسوبا على السياسيين، ولجأ إلى المجموعة التي لا تؤمن بالثورة؛ كفرحات عباس والشيخ العباس)[1].

[1] .مذكرات الرئيس علي كافي

- القيادة المعينة تحاول إمتصاص الغضب

وكما أكدنا قام "العقيد أوعمران" ومساعده "الرائد عميروش"، بتجاهل رأي القاده الأوراسيون الذين قدموا لتونس من أجل المشاركة في إختيار قيادة للولاية الأولى تعوض القاده التاريخيين الذين سجنوا وهمشوا وأعدموا، وعلينا هنا التنويه بفراسة "الحاج لخضر عبيد" الفطرية التي جعلته يدرك بأن تنظيم وهيكلة الولاية الأولى في المنفى بتونس، من طرف عناصر خارجية أمر غير طبيعي وسوف لن يؤدي إلى نتيجة، ولذلك رفض السفر لتونس محبذا البقاء داخل منطقته بمحيط باتنه، وكم كان حكيما وموفقا في قراره ذاك.

فصراحته "الحاج لخضر" المعهودة، ورفضه النفاق والمراوغة ستؤدي به حتما الى مصير زملائه المعدومين، أوفارا لجبال الأوراس مشوشا مع زميله "عايسي مسعود"، فلا وسطية لدى الحاج لخضر، (إما أسود أو أبيض).

ولما فرض "العقيد أوعمران" الأمر الواقع على الأوراسيين بتعيين من براهم أوفياء له لقيادة الولاية الأولى، راح أعضاء القياده الجديدة يحاولون إمتصاص الغضب من خلال إجتماع لم يستدعوا له كل الأطراف مثل "عايسي مسعود" و"عمار بن بلعيد" و"عزوي أحمد" و"السوفي عبد الحفيظ" و"حوحا بلعيد" و"التجاني" وجماعة النمامشه، وجماعة السوافه، وغيرهم من القاده الكبار المنتمين للساعة الأولى لتفجير الثورة.

فتح الجلسه قائد الولاية الجديد "محمود شريف"، وقام بتقديم عرض للحاضرين الذين كان الغضب ظاهرا على وجوههم، ومن خلال تدخلاتهم أبدوا عدم إرتياحهم للتعيين.

تناول الكلمة الصالح "قوجيل" الذي قدم إحتجاجه الشديد على عدم تعيين "محمد لعموري" قائدا عاما للولاية، وراح يصارح "محمود شريف" بعدم أهليته لقيادة الولاية الأولى

"مصطفى بن بولعيد"، ولما إشتد الخلاف تدخل تعويض "الحواس بن عبد الرزاق" ليخفف من نبرة "قوجيل"، لكن رد "قوجيل" كان جارحا لما خاطبه قائلا: (أنت أيضا ليس لك الحق في هذا الأمر لأنك من أتباع "مصالي")، هنا إنسطر "محمد لعموري" للمطالبة برفع الجلسة من "محمود شريف"، لينفرد "بقوجيل" وينصحه بتجنب التدخلات العنيفة التي تسيء للغير، ثم أنضم إليهما "الحواس" والدموع تترقرق في عينيه موجها كلامه "الصالح قوجيل" (إبني صالح أطلب منك أن لا تؤاخذني فالمصلحة العامة هي التي فرضت علي ذلك)، ثم أنضم إليهم "محمود شريف" بقصد تلطيف الجو.

علما أن التحفظ على تعيين "محمود شريف" لم يكن فقط من مجموعة غرب ووسط الأوراس، إنما كان أيضا من مجموعة المنطقة السادسة "شريط لزهر" و"بابانا ساعي" و"قتال الوردي"، وفي الأخير أدرك الجميع بأن الخيار لم يكن بأيديهم، وأنهم مجبرون على قبول ما يملى عليهم، ولا حق لهم في الرفض أو التعليق، فمن قبل منهم الخضوع للأمر الواقع حول للجهة التي حددت له، ومن رفض" زج به في السجن"، ومن احتاط لنفسه واعتصم بالجبال على مستوى الحدود واستمر يضغط من أجل الإفراج على المقبوض عليهم لم يحقق أية نتيجة.

وفي هذا الموضوع بالذات أورد شهادة الضابط "محمد الهادي رزايمية حول قصة دخول "عايسي"، و"حوحا بلعيد"، و"عمار بن بولعيد" لتونس وكيف أصبحوا مطاردين قبل أن يلقى عليهم القبض ويسجنون مع عباس لغرور ثم يعدمون جميعا ماعدى "عمار بن بولعيد" الذي نفي للخارج.

فيقول: { كنت قد دخلت تونس قبل قادة الأوراس، ثم إلتحق بي "حوحا بلعيد" و"السوفي عبد الحفيظ" و"عمار بن بلعيد" و"عايسي مسعود"، ولما أصبحوا مطاردين على الحدود

التونسية من طرف "أوعمران" ومساعديه، إتصلوا بي وكلفوني بشراء التموين لهم، حيث وضعوا مبلغا من المال يقدر بثمانين مليون ستتم تحت يد "عمار بن بولعيد" وطلبوا مني أخذ مايكفي منه لشراء ضروريات حياتهم، وفي يوم من الأيام قررت زيارة صديقي "الوالي التونسي" (المعتمد) وأخذت معي "حوحا بلعيد" لمكتبه دون أن يعلم بأنه أحد المطلوب القبض عليهم، وأثناء الحديث شاهد "المعتمد" مسدس "حوحا بلعيد" فأعجب به، ولبعث الطمأنينة في نفسه قام "حوحا" بإهداء ذلك المسدس له، وبعد أسبوع طلب مني "حوحا" وجماعته أن أمكنهم من سيارة تنقلهم لمدينة تونس، فلم أجد غير صديقي "المعتمد" التونسي لأستعير منه سيارة، وكان كريما حيث مكنني من سيارة من نوع "لاندروفر" سلمت مفاتحها "لحوحا" و"السوفي عبد الحفيظ" و"عمار بن بولعيد"، ولسوء طالعهم أن الأمن التونسي قد أوقفهم في الطريق، وبعد التأكد من شخصيتهم ساقوهم "للعقيد أوعمران"، وتلقى صديقي المعتمد توبيخا من وزير الداخلية التونسي بسبب تسخيره سيارة الدولة لعناصر مطلوب القبض عليهم، ونتيجة لذلك أدخلوني السجن فوجدت فيه عددا من مجاهدي الأوراس}.

ولتوضيح الموقف أكثر أنقل أيضا شهادة الكاتب الخاص "للمسعود عايسي" المجاهد "الطيب بغامي زلماطي" الذي سبق وأن أخذنا ملخصا من شهادته في موضوع (شهادة ضحايا حمل السلاح للولاية الثالثة)

فيقول "بغامي" (كنت كاتبا لمسعود عايسي، ودخلنا لتونس يوم 20 مارس 1957 بأمر من قائد الولاية الثالثة، وبمجرد وصولنا لتونس بادرنا بزيارة إلى "أحمد محساس"، ثم إلى "عبد الحي"، ثم عقدنا ثلاث إجتماعات مع" العقيد أوعمران" و"عمار بن عوده"، وخلال تلك الإجتماعات أفصح "عايسي مسعود" عن رأيه برفض أولوية السياسيين على جيش التحرير، فأغضب تصريحه "العقيد أوعمران" وأدرك "عايسي" أنه

مهدد بالقتل، فقرر الفرار إلى الجبال ومعه حراسه وممرضته، وبمجرد خروجه من وسطنا فوجئنا برجال الدرك التونسي يحاصروننا ومعهم كدليل إبن عمه "علي مشيش"، ولما لم يجدوا "عايسي مسعود" بيننا ساقونا نحن جميعا لسجن "الوسق" حيث وجدنا فيه أكثر من 200 سجين من ثوار الأوراس،و كان "عمار بن عوده" هو الذي يحقق معنا ويردد بغضب شديد (لقد دخلتم إلى تونس لتقتلوا المجاهدين وجزاؤكم الإعدام، وعليكم الإفصاح بأسماء من كنتم تريدون قتلهم).

لقد كانوا في كل ليلة يرفعون منا أربعة ينفذوا فيهم حكم الإعدام، وكانوا يحملونهم في السيارة التي يقودها "أحمد معوش"، وبعد ما أعدموا منا 30 ثلاثين شهيدا كلهم قادة منهم: "السوفي عبد الحفظ " و"العيد بوحد يجي"، و"حوحا بلعيد"، و"الباهي شوشان"، و"قرفي الربيعي"، بينما كانت مجموعة "عباس لغرور" التي أعدموها في سجن آخر.

وذات ليلة كنا في إنتظار دور من سيعدمونه في تلك الليلة، وإذا "بعيروش" يدخل علينا وهو يقول: (الرجال هنا يتعرضون للقتل ونحن في حاجة لمن يحمل لنا السلاح للداخل)، لقد أمر حالا بإخراجنا وتوجيهنا "للحمام"، ثم عجلوا بنقلنا لمركز "سوق الأربعاء" ومنه سلموا لكل واحد منا بندقيتين و450 طلقة نارية، فكان عددنا 300 مجاهدا، وكان قائد دوريتنا هو "سليمان لاصو" ومهمتنا هي إيصال السلاح للولاية الثالثة[1].

وأمام هذه الوقائع التي لايصدقها العقل، نقول لو كانت النوايا صادقة مع الله والوطن ومع مصلحة الثورة بعيدا عن الزعامات الشخصية، وحب السيطرة، ولو كانت النفوس متعففة ومترفعة عن المغريات وحب النفوذ الزائف، ووفية لأهداف الثورة

[1] الشهادة مسجلة في مذكرات الرائد مصطفى مراردة ص 82 ، كتاب إشكالية القيادة لزروالة ص355

المقدسة، ومقدرة لمبدأ الزمالة والأخوة التي كانت تربط بين أبناء المنطقتين القبائل والأوراس، لكان الأجدر بمن إرتكبوا هذه المظالم في حق الضحايا الأوراسيين أن يعالجوا تلك القضايا المفتعلة في داخل الولاية الأولى وفي عمقها الجغرافي وسط مجاهديها ومجتمعها، وتحت إشراف أحد أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ الذين تحملوا مسؤولية الثورة وجيش التحرير في تلك الأونة، مراعين في ذلك ما قدمته الأوراس من تضحيات وبطولات كانت محل إعجاب في الداخل والخارج، ولكنهم لم يفعلوا، بل تورطوا في سفك الدماء، وفي فرض العقوبات التي ضاعفت التأزم.

- أعضاء القيادة الجديدة في سطور



محمود الشريف

- محمود شريف: القائد العام وهو من مواليد منطقة تبسه من عائلة لها وضع إجتماعي مميز، تطوع في الجيش الفرنسي وحصل على رتبة ضابط كان انتماؤه السياسي "لحزب البيان "بزعامة فرحات عباس"، ولما حصل على التقاعد من الجيش الفرنسي عينوه مشرفا على "نادي الضباط" بمدينة تبسه، ونتيجة لتردد ضباط الجيش الفرنسيين على ذلك النادي خلال الثورة، أتهم بالتجسس على الثورة لصالح الجيش الفرنسي، فاختطف من طرف جيش التحرير، وبتدخل من بعض المسئولين الفاعلين الذين مكنوه من فرصة القيام بعملية فدائية يبرهن بها على إخلاصه للثورة، وقد نفذ تلك العملية الفدائية بكفاءة وجرأة، وأصيب خلالها بجراح نقل على إثرها لمستشفى داخل تونس للعلاج، ومن حسن حظه أن كريم كان في تلك الأونة يبحث عن ضباط من الجيش الفرنسي ليؤطر بهم جيش التحرير، وحتى "العقيد أوعمران"

نفسه كان يبحث على قائد للولاية الأولى لاينتمي لمفجري الثورة.

ووجدا ضالتهما في "محمود شريف" كضابط محترف ليضعوه في مواجهة القاده الثوريين المتحفظين على سلوكات القيادة الجديدة التي ظهرت بعد مؤتمر الصومام بإشراف "عبان".

لقد كانوا على يقين بان تعيين "محمود شريف" سيترتب عليه سلبيات بين الجهات غرب وسط شرق، وأخرى بين الأشخاص، وقد تعمدوها عن قصد، فالغرباء إذاما أرادوا السيطرة عليهم إعتماد (أسلوب فرق تسد).

فهم يدركون بان هناك من هو أجدر من "محمود شريف"، في تسيير الولاية الأولى، فهو لم يكن من بين القاده التاريخيين مفجري الثورة، ولم يشتهر بالبطولات في ميدان القتال، ولاينتمي لحركة "انتصار الحريات" ولا "للمنظمة السرية" التي فجرت الثورة.

من البداية أشعروه بضعف موقفه، وذلك ليستمر معتمدا على مآزرتهم ودعمهم له في فرض سيطرته داخليا على رجال الولاية، وخارجيا ليصبح ندا لقادة الولايات النافذين والفاعلين في مؤسسات الثورة.

وقد ظهرت بالفعل تحفظات على تعيين "محمود شريف"، سواء من مجموعة الغرب، والسط مثل: "عايسي"، وعمار بن بولعيد"، والحاج لخضر عبيد" ومحمد لعموري، والطاهر النويشي، وعزوي وغيرهم، أو من طرف مجموعة منطقة النمامشه نفسها مثل؛ شريط لزهر، وبابانا ساعي، والوردي قتال، وقنز محمود، وحتى من جماعة السوافه ؛ كعبد الحي، وطالب العربي، وعبد الكريم هالي، وبوغزاله وغيرهم.

وعلينا أن لانسقط من عقولنا بأن تعيين "محمود شريف" كان تجسيدا للنظرة السياسية الجديدة "لعبان رمضان" التي تستهدف إبعاد القاده الثوريين التاريخيين عن مناصب المسؤولية.

فالتعيينات إذن كانت مدروسة بعناية فائقة، بقصد التحكم والنفاذ بين الصفوف لإكتشاف ما يتفاعل تحت السطح، وقد تأكد "محمود شريف" نفسه بعد مدة من ذلك النفاق السياسي الذي استعملوه معه ؛ فعند ما إنتهت مهمتهم منه، طبقوا عليه ما طبقوه على أسلافه (رموز الأوراس الذين أعدموهم أمام سمعه وبصره، بل وتحت مسؤوليته الشخصية" خلال فترة توليه قيادة الولاية)، لقد همش وهدد بالموت لولا شفاعة "كريم.

النائب الأول محمد لعموري:
المولود بعين ياقوت شمال مدينة باتنه، كان طالبا في معهد بن باديس، إلتحق بالثورة مبكرا مع مطلع سنة 1955، إحتك بالقاده التاريخيين، كلفه سي مصطفى بعدة مهام، وبعد حادثة إغتيال "عجول" عينه رفاقه بالمنطقة الأولى كقا ند عليهم، وبما أن ذلك التعيين الذي يتناقض مع مخطط "عبان" ورجاله في الأوراس رفض قائد الولاية الثالثة "محمدي السعيد" ذلك التعيين، وحول "لعموري" إلى تونس صحبة "عميروش" ليبعده عن الولاية في الداخل، ولما دخل تونس إستمر يداهن "عميروش" و"العقيد أوعمران" حتى لايقطع معهما (شعرة معاوية) التي كان ينصح بها رفاقه في داخل الولاية

محمد عموري

فمؤهلات لعموري كانت تدفع في نفسه الثقة والطموح لتعويض "مصطفى بن بولعيد" على قيادة الأوراس، حتى أنه

اتهم من طرف زملائه بأنه باع الأوراس لكريم من أجل التموقع، ورغم ذلك التعاون فقد شمله غضب القاده المشرفين عليه خاصة منهم "العقيد محمد السعيد"، حين حاول فرض نفسه كممثل لولاية مهمة كالأوراس، لقد وجد نفسه مغضوبا عليه ومعاقب.

وما تعيينه كعضو في القيادة الجديدة للولاية إلا لسد الطريق على رجال الساعة الأولى "عمار بن بولعيد" أخو "مصطفى" الذي سبق وأن تمرد على شحاني لوراثة منصب أخيه، وأيضا "عايسي مسعود" الذي كان هو الآخر يدعي أحقيته في "قيادة الولاية الأولى"، وكذلك الطاهر النويشي ثالث مسؤولي الأقسام الذين هيئوا لتفجير الثورة في الأوراس، ورغم تاريخه والخدمات السخية" التي قدمها للرائد عميروش"فإنه لم يعينه.

أحمد نواووره: هو الآخر ينتمي لوسط الأوراس، ومن رجال الساعة الأولى، عين في القيادة الجديدة لثلاث أسباب:

السبب الأول: لينفوا عن أنفسهم تصفية رجال الساعة الأولى،
السبب الثاني: لكونه يعاني من عقدة عدم تنفيذه المهمة الموكلة له ليلة الفاتح من نوفمبر 1954.
السبب الثالث: ليبعدوا به "عمار بن بولعيد"، و"عزوي أحمد" و"الشريف رابح"، و"عايسي مسعود" والحاج لخضر"، و"عمار معاش"، و"البشير ورتان"، و"الطاهر النويشي" وغيرهم، لم يتركوا شيئا للصدفة. ألم نقل بأن "عميروش" أصبح مختصا في دراسة نفسيات قادة الأوراس بسبب ما باحوا به له من أسرار عن بعضهم البعض.

النائب الثالث عبدالله بلهوشات: الذي التحق بالثورة بعد تنفيذه عملية جريئة ضد الجيش الفرنسي، ومن حسن حظه أن مقياس العمل في الجيش الفرنسي كان محبذا، ورغم أن رتبته كضابط صف لا تؤهله لعضوية قيادة الولاية، ولكنهم اختاروه لتوفر المقاييس المذكورة فيه، ولكونه يمثل الجهة الشمالية للولاية

رغم تواجد الكثير من أبنائها في صفوف الثوار منذ الوهلة الأولى، ولأنه أيضا قام بعملية كبرى ضد الجيش الفرنسي يشكر عليها، والملاحظ أن سي "عبد الله بلهوشات" كان في كل مرة يحافظ على مرتبته في كل التشكيلات المتوالية لأسباب نتركها للمؤرخين.

وهكذا فالتعيينات كما بينا كانت مبنية على: الإغراء، والإكراه، وتقريب هذا وأبعاد ذاك، وترقية هذا وعزل ذاك، وتشجيع من يقدمون أكثر الخدمات بالتزلف والتودد وهدر الكرامة وتدمير الذات، وهي ممارسة لم تكن اعتباطية في ولاية أريد لها أن تخرج عن المألوف، وتكف عن تباهيها بتضحياتها المبكرة من أجل نجاح الثورة، وتنسى ماضيها وتاريخها وحتى مقاوماتها وثوراتها ضد المحتل منذ 1830، وعليها أن تقبل بقدرها الذي فرضه عليها السياسيون الجدد.

- **القياده الجديدة يفرض عليها البقاء بتونس**

على غير ماهو معمول به في الولايات الأخرى، إنفردت الولاية الاولى بإجراءات إستوجبت إستقرار قيادتها في المنفى داخل تونس لتكون تحت عين الرقابة المباشرة حتى لا تتمرد على من عينها، وقد ترتب على ذلك حقيقتين.

الحقيقة الأولى: إضطرار الكتائب والفيالق إلى الهجرة نحو الحدود والتمركز قريبا من مركز القيادة لربط الإتصال الطبيعي بها والتزود بالمتطلبات الضرورية من لباس وعتاد وسلاح وعلاج وحقوق، وقد بلغ عدد أفرادها أكثر من ثلاثة الاف مقاتل حطوا رحالهم في محيط مراكز: الشعانبي، و"بوغار"، و"الكاف" و"غار دماو" وغيرها.

وبما أن الحدود أصبحت خاضعة للقيادة العامه ولقيادة العمليات برئاسة "العقيد محمدي السعيد"، فقد أصبحت تلك الوحدات خارج قيادة الولاية الأولى، وهو مايعني حرمان الولاية من

مقاتليها، وإضعافها ماديا ومعنويا أمام لعبة موازين القوى التي كانت في صالح (الباءات الثلاثة) الأقوياء بكثرة عدد مرؤوسيهم من خلفهم داخل ولاياتهم. فذلك هو السبب الأساسي الذي جعل الولاية الأولى ضعيفة ولم ترق لقوة الولاية الثالثة والثانية والخامسة.

الحقيقة الثانية: وجود مركز قيادة الولاية في المنفى خارج أرض الولاية قد تسبب في عزل أعضاء القيادة عن قواعدهم، وحرمهم من الإندماج مع مرؤوسيهم على أرض المعركة، لقد أصبحوا يجهلون واقع الولاية وأوضاع جمهورها ومقاتليها، فابتعدوا روحيا وجسديا واجتماعيا وتنظيميا عن الهياكل القاعدية مما جعلهم يجهلون قادة المناطق، والنواحي، والقسمات، والفيالق والكتائب والفرق، فهم سجناء التسيير بالمراسلة عن طريق الجهاز اللاسلكي.

ليس من المقبول أن يجهل قائد الولاية "العقيد محمود شريف" الطبيعة الجغرافية للولاية التي تولى مسؤوليتها سياسيا وتنظيميا وأخلاقيا، ولم يدفعه يوما الشوق إلى زيارة قبر الرمز "مصطفى بن بولعيد" في الجبل الأزرق، ولم يخطر بباله عقد إجتماع عام لإطارات الولاية في عمقها بالمنطقة المحرمه "كيمل؛ بني ملول)" ، ولم تحدثه نفسه القيام بزيارة للأماكن التاريخية التي كان "مصطفى بن بولعيد" و"عجول" و"عباس لغرور" و"النويشي الطاهر" يسهرون فيها على إنشاء الخلايا الأولى (للتنظيم السري) وتدريب الطلائع التي نفذت عمليات ليلة الفاتح من نوفمبر 1954، ولا"حتى المكانين"التاريخيين اللذين وزع فيهما "مصطفى" ورفاقه (السلاح على مغاوير التحرير) ليلة إعلان الثورة.

ولا أن يحصل له شرف خوض معركة كبرى مع رجاله في عمق الولاية ترفع سمعته وتخلد ذكره، كما كان يفعل أسلافه

"عجول" و"عباس لغرور" الذي كان يواجه "بيجار" في تلك المناطق التاريخية خلال سنتي 1955/ 1956.

وحتى "العموري" و"نواورة" رغم كونهما من عمق الأوراس فإنهما منذ أن غادراه لم يعودا إليه حتى نفذ فيهما حكم الإعدام في المنفى، ولم يكتب لهما شرف تسيير معركة واحدة بعد تعيينهما كأعضاء في القيادة الجديدة.

فلا مقارنة بين أعضاء القيادة الجديدة المعينة من خارج الولاية، والقادة التاريخيين الذين رفعوا إسم الأوراس بالملاحم القتالية التي لم تتكرر بعدهم، فكانوا بحق قادة ميدانيين، ومربيين مثاليين وأمجادا خالدين.

ثانيا- مرحلة الرجل التاريخي "كريم بلقاسم"



ولد الرمز "كريم بلقاسم" بمنطقة القبائل بتاريخ بتاريخ 1922/12/14 بدائرة ذراع الميزان،، له تاريخ مشرف قبل الثورة وخلالها، أصبح "كريم" قدوة للمناضلين في شوارع العاصمة وداخل جبال منطقة القبائل، وذلك بفضل نشاطه الفعال وصدق وطنيته وتحديه للأخطار، جمع حوله كثيرا من المناضلين العقائديين المؤمنين بتحرير الجزائر بالسلاح.

كان "مصطفى بن بولعيد" يراهن على دور "كريم" في تجنيد منطقة القبائل للثورة، وقد بذل جهودا جبارة لإقناعه بترك "الزعيم مصالي" وضمه لأمانة الخمسة الذين إنتخبتهم مجموعة 22، وقد ساعده على ذلك "عمر أوعمران"، وبذلك أصبح "كريم" سادس الأمانة المنتخبة، بكل أسف لم يكتب للزعيم "مصالي" شرف زعامة الثورة.

لعب "كريم" دورا بارزا ومؤثرا في مسيرة الثورة بعد الصومام، حيث تولى حقيبة وزارة الدفاع في الحكومة المؤقتة، وبتحالفه مع العقيدين "بن طوبال" و"بوصوف" أصبحوا يكونون القيادة الفعلية للثورة، استمر نفوذهم مسيطرا على مؤسسات الثورة إلى غاية ظهور هيئة الأركان العامة بقيادة "بومدين" مع مطلع سنة 1960، حيث بدأ نفوذ العقداء المعروفين بالباءات الثلاثة يتقلص، وبعد مؤتمر طرابلس غادر "كريم" وزارة الدفاع إلى وزارة الخارجية حيث لعب دورا هاما في مفاوضات (إيفيان).

لا أحد يجهل فضل "عبان" على "كريم" قبل عقد مؤتمر الصومام وحتى بعده، "فعبان بطموحه وقوة شخصيته عمل على إقتحام المواقع، وإزاحة جماعة الخارج التاريخيين بقرار أولوية الداخل على الخارج، وإخضاع المنطقة الشرقية ذات الموقع الإستراتيجي لنفوذه بجهود الحكومة التونسية وأخضع الولاية الأولى لوصاية رجله.

ولكن مبالغة "عبان" في فرض سيطرته على العقداء العسكريين قادة الولايات الذين دفعهم لمواجهته واستعادة نفوذهم منه، خلال أول دورة للمجلس الوطني للثورة بالقاهرة سنة 1957 والذي أعاد النظر في بعض قرارات مؤتمر الصومام، كما تبنى أيضا قرارا جديدا يعطي الأولوية لرجال الساعة الأولى مفجري الثورة باقتراح من "كريم بلقاسم" شخصيا ليميز نفسه وحلفاءه بالشرعية التاريخية، وبذلك أصبح "كريم" هو الشخصية البارزة والنافذة بعد أسر واستشهاد زملائه أعضاء مجموعة الستة التاريخيين.

منذ البداية كان "كريم" يسعى إلى توليه رئاسة الحكومة المؤقتة، ولكن "بوصوف" و"بن طوبال" لم يمكناه من ذلك خوفا من أن يستغل السلطة ويهمشهما، وبذلك كان العقداء الثلاثة الأقوياء حلفاء ضد الآخرين، ولكنهم منافسين لبعضهم

البعض في الخفاء، ومع ذلك لعبوا الدور الأساسي في قيادة الثورة بعد تخلصهم من "عبان" في المغرب، فأصبحوا هم القيادة الفعلية للثورة خلال سنوات 1957/1958/1959، وقد حققوا بذلك مكاسب تشهد على جديتهم ووطنيتهم، ولكن مبالغتهم في المحافظة على نفوذهم صرفهم عن بعض المهام الأساسية كمحاربة العدو.

لقد تغافلوا عن توفير شروط المعركة، ولم يتوفقوا في إختيار قيادة فاعلة وطنية لجيش التحرير على الحدود، كما أهملوا الولايات في الداخل، وتركوا للعدو فرصة بناء خطي الموت على الحدود الشرقية والغربية، ولذلك جاء من بعجبهم من يحملهم مسؤولية ذلك صراحة ويقلص من فترة حكمهم. وبذلك تحملوا مسؤولية الفشل، وأشيع على أعضاء الحكومة الإنغماس في ملذات عيشة الترف من خلال التجوال بين عواصم العالم، متغافلين في ذلك عن واجبهم إزاء وحدات جيش التحرير التي حجزت وراء الخطوط المكهربة في الشرق والغرب.[1]

كان لابد من إحداث التغيير، وإعطاء نفس جديد لمؤسسات الثورة، ولذلك قام بعض العقداء الغير أعضاء في الحكومة المؤقتة برفع لهجتهم ضد أداء الحكومة المتدهور، ودخلوا في إجتماعات ماراطونية إنتهت بتحميل الحكومة مسؤولية الفشل الذريع، ونتيجة لذلك إستدعي المجلس الوطني للإنعقاد فقرر

[1] يلح "مالكبن نبي" دائما على ضرورة التحقيق عن تصرفات الحكومة المؤقتة الجزائرية في أموال الثورة من وجهتين ـــ من الوجهة الفنية لعقد المقارنة بين المزانية التي خصصتها للجهاز السياسي ـــ ومن الوجهة الأخلاقية للكشف عن التكاليف التي كانت هذه الحكومة تخصصها لأعضائها في السنوات الأخيرة الخ .... الخبر الأسبوعي العدد 588 جوان 2010.

إنشاء "هيئة الأركان العامة "لجيش التحرير" التي أحدثت توازنا جديدا بينها وبين الحكومة المؤقتة[1].

حاول العقداء الثلاثة (الوزراء) من جديد استرجاع نفوذهم دون جدوى، لأن قيادة الأركان سدت الطريق أمامهم، بعد أن كسبوا ثقة وحدات جيش التحرير التي دخلت في تنظيم جديد أعطاها القوة والفعالية في الميدان، فتعززت بذلك سلطة "بومدين" خاصة بعد أن خضعت الولايات لقيادته في الداخل ونتيجة لذلك زحزح الرجل القوي "كريم" كما ذكرنا من وزارة الحربية، وانتقل إلى وزارة الخارجية التي حولها من جديد إلى مجمع لرجاله الذين كانوا السبب المباشر في كل الإنتكاسات التي إنعكست على "كريم" وأضعفت موقفه.

منذ تولي "كريم وزارة الدفاع" حاول أن ينتقي رجاله وأتباعه على قاعدة الثقة والولاء الجهوي، ليتمكن من تكوين جيش احترافي ذي فعالية عالية، ولكنه لم يوفق لأن البطانة التي اختارها لم تكن في مستوى الرمزية التاريخية "لكريم"، والمهمة النبيلة التي حملتها له الظروف، وقد زاد من عجزهم افتقارهم لثقافة التواصل الإجتماعي العادي مع ثوار ليسوا مرتزقة ولامحترفين،بل كانوا ثوارا أرهقتهم المعارك والجراح وتقدم السن.

قبل أن تعمل تلك البطانة على إضفاء المصداقية على شخصية القائد "كريم: وتعزز ثقة أفراد الجيش في شخصه، فإنها بسلوكاتها الغير منطقية وتصرفاتها الشاذة، وربطت "كريم" في الحسابات الضيقة التي كانت لاتنسجم مع مقامه الرفيع كوزير وقائد عام لجيش التحرير الوطني.

[1] العقداء السبع هم : العقيد علي كافي. العقيد الحاج لخضرعبيد. العقيد لطفي. العقيد محمدي السعيد العقيد سليمان دهيليس. العقيد أوزران. العقيد هواري بومدين.

ولا بأس من تسجيل حكم رئيس ديوانه للشؤون المدنية "محمد حربي" الذي يقول (إن وزارة الدفاع في فترة "كريم" كانت قلعة مغلقة في وجه الغرباء). ولما عجز "كريم" عن كسب المصداقية وفرض سيطرته على الولاية الأولى والقاعدة الشرقية، راح يستنجد بقوة "الرئيس بورقيبه" للسيطرة على مرؤوسيه لفرض سيطرته عليهم بالأجنبي.

لقد حاول رئيس ديوانه "محمد حربي" أن يجد مبررات لذلك التصرف الغريب الصادر عن "كريم" بقوله: (و بما أن القوات التابعة للولايات؛ الثانية والثالثة والرابعة المتواجدة على الحدود التونسية كانت أقلية، بحيث لم تمكن "كريم" من فرض السيطرة المطلقة إذا ما قورنت بقوات الولاية الأولى المتمردة على سلطته، لذلك وجد "كريم" نفسه كوزير الحربية محرجا وفي وضعية صعبة جدا، فكان عليه إتخاذ إحدى الخيارين؛ إما اللجوء إلى طلب الدعم التونسي، فيشيعون عليه بأنه "رجل بورقيبه" أو المخاطرة بإحتمال وقوع المشادات بين الجزائريين، فاختار "كريم" الحل الأول مكرها).

والحقيقة أن إستقواء "كريم" "ببورقيبه" قد سبقه إليه "منسق لجنة التنسيق والتنفيذ "عبان رمضان" دائما ضد ثوار منطقة الأوراس والقاعدة الشرقية، وبجهود الرئيس بورقيبه تمكن "عبان" من السيطرة على الولاية الأولى وعلى قادتها التاريخيين مفجري الثورة بالأوراس.

كان من المفروض لما تولى "كريم" القيادة العامة كوزير للدفاع، أن يسعى لمعالجة تلك الأخطاء بما يعيد الثقة ويطيب الخواطر، وذلك بفتح قنوات الحوار الهادء والكلمة الطيبة، للأسف لم يفعل ذلك، بل واصل نفس الأسلوب العنيف "لعبان"، واعتمد أيضا على نفس رجاله: العقيد محمدي السعيد، والعقيد أوعمران، والرائد عميروش، والرائد قاسي وآخرين.

وبذلك تضاعف الشعور بالظلم وعدم الإرتياح، الذي أدى في النهاية إلى العصيان والتمردات على شخص "كريم" وعلى أداة العقيد محمدي السعيد قائد العمليات.

وهكذا فلا "كريم" توفق في فرض قراراته بما يحقق الإستقرار والطاعه والإمتثال لسلطته، ولا الأوراسيون حموا أنفسهم من تلك التعسفات التي أدت بهم إلى المزيد من العقوبات التي إنتهت بالسجن والإعدامات المتلاحقة.

- **"كريم بلقاسم" يكون بطانة من ثلاث حلقات**

الحلقة الأولى: تتكون من الرجال العسكريين الذين سحبهم "عبان" من جبهة القتال وكلفهم بمهام فرض سيطرته على المناطق الشرقية؛ الولاية الأولى والقاعدة الشرقية وحتى داخل التراب التونسي وهم على التوالي:

1- **قائد الولاية الثالثة "العقيد محمدي السعيد"** الذي عينه "عبان" مسيرا للولاية الأولى في مرحلة إنتقالية، وذلك مباشرة بعد محاولة إغتيال "عجول" وإحداث الشغور في القيادة التاريخية للأوراس، وفرض الوصاية عليه، و"العقيد محمد السعيد" هو الذي عينه "كريم" فيما بعد على قيادة العمليات بالحدود الشرقية.

2- **"العقيد الصادق دهيليس"** الذي حاول "كريم" فرضه كقائد عام على الجبهة الغربية ليكمل سلطة العقيد"محمدي السعيد"، ولكن بوصوف رفض ذلك و عين مكانه نائبه "بومدين"، وترك له مهمة النيابه، ولما أدرك تهميشه عاد من جديد" للوزير كريم" بتونس.

3- "الرائد عميروش" الذي لعب ثلاث أدوار أساسية:

أ) الدور الأول داخل الأوراس وقد حقق من خلاله (الشغور في قيادة منطقة الأوراس) وذلك بإزاحة "عجول"، ودفعه جريحا للعدو فارارا من القتل المؤكد.

ب) الدور الثاني "لعميروش" أداه داخل تونس كمساعد أساسي" للعقيد أوعمران" في مهمة تصفية قادة الأوراس المغضوب عليهم، ثم هيكلة الولاية الأولى بالكيفية التي تحقق سيطرة "عبان"وفرض الطاعة والإمتثال.

ج)الدور الثالث "لعميروش" أداه داخل الجزائر كمنسق لقادة الولايات ومكملا لدور وزير الدفاع "كريم"، وقد تجلى ذلك في الإجتماع الذي إستدعى له بعض قادة الولايات للتنسيق وذلك خلال شهر ديسمبر 1958 بالولاية الثانية التي قاطع رئيسها العقيد "على كافي" ذلك الإجتماع، وأهم النقاط في جدول أعماله هي:

1) تكوين محكمة عليا داخل تراب الولاية الثالثة تنظر في أخطاء ومخالفات ضباط كل الولايات في الداخل.

2) أنشاء شبه مدرسة تكوين داخل الولاية الثالثة، تنظم فترات تكوينية بالتناوب لضباط الولايات الأخرى في الداخل.

4)- **قائد الولاية الرابعة "العقيد أوعمران"** الذي خوله "عبان" أربع مهام أساسية وهي:

أ - **تمثيل الثورة** مكان المناضل "محساس"الذي عزل وحكم عليه بالإعدام.

ب - وضع اليد على مخازن الإمدادات اللوجيستية من أسلحة وذخيرة ولباس، واستعمالها كسلاح ضد المتحفظين و الممانعين.

ج- مهمة تسيير شؤون الولاية الأولى وتصفيتها من العناصر الغير مرغوب فيها.

د- تعيين قياده جديدة للولاية الأولى من عناصر خاضعة للأمر الواقع.

- **الحلقة الثانية لبطانة "كريم"**

هي التي تتكون من مجموعة الضباط الفارين من الجيش الفرنسي الذين كان "كريم" ينتقيهم ليؤطر بهم جيش التحرير، وكان أكثرهم نفوذا لدى "كريم" هو رئيس ديوانه "الرائد إيدير" وزبانيته منهم عبد المومن زرقيني، بوتله، بوعناني وغيرهم[1]

- **الحلقة الثالثة لبطانة كريم**

هي تلك التي تشمل الإطارات المنتمية لمنطقة القبائل والعاملين في مختلف مؤسسات الحكومة المؤقتة ولكنهم مرتبطون "بكريم" شخصيا.

[1] - وفي هذا المضمار يقترح دائما - مالك بن نبي: تحقيقا عن الظروف المريبة التي إنضم فيها بعض القواد الجزائريين العاملين بالجيش الفرنسي إلى جيش التحرير، ولماذا وقع إنضمام بعضهم مثل المدعو"الكومندانإيدير" عن طريق قيادة العاصمة عوضا أن يكون عن طريق "قيادة جبل الأوراس" بينما كان هذا الضابط يعمل في وحدة فرنسية تقيم بمدينة خنشلة، والملاحظ أن هؤلاء الضباط تناولوا مناصب مرموقة في جيش التحرير، وهي المناصب التي جردوا منها أصحابها الذين إستحقوها لخدمتهم في صفوف الثورمنذ اليوم الأول، بل نرى أصحابها قد قتلوا في مؤامرات إغتيال شنيعة مثل مصطفى الأكحل الذي إغتاله جهاز السيد " بوصوف" بالقرب من مدينة الكاف التونسية وبعضهم جرد من منصبه وترك وشأنه بلا زاد ولا راحلة في شوارع تونس والرباط، والتحقيق أيضا في إغتيال المرحوم "عميره علاوة" في مقر الحكومة الجزائرية المؤقتة بالقاهرة لأنه أكتشف أثناء مهمته توجه فيها إلى بيروت" إتصالات مريبة تخص السيد "فرحات عباس"الخبر الأسبوعي العدد588 جوان 2010،

- **مآخذ الأوراسيين على القائدين "كريم" و"بن طوبال"**



رغم معاناة الأوراسيين من نفوذ العقداء الثلاثة "كريم، بن طوبال، بوصوف"، إلا أنهم كانوا يبجلونهم ويحترمونهم كقادة وطنيين قدموا الكثير للثورة الجزائرية خلال فترة توليهم المسؤولية.

فبالنسبة "لكريم بلقاسم "قائد الولاية الثالثة المجاورة للولاية الأولى، كانت تربطه علاقات متينة بالرمز "مصطفى بن بولعيد" نتيجة العلاقات الراسخة بين المنطقتين.

ونتيجة لتلك الروابط والعلاقات، كان الأوراسيون يتوقعون من "كريم" أن يشملهم برعايته خاصة بعد غياب قائدهم "مصطفى"، فيتولى بنفسه الإشراف على شؤونهم، تماما كما كان يشرف على شؤون منطقة القبائل، ولكنهم تفاجأوا بتكليف الرائد عميروش المعروف بحدة طبعه، فعميروش لايرق لتاريخ مفجري الثورة في الأوراس، ولا إلى منزلتهم القيادية التي تقل عن منزلة "كريم" نفسه.

والحقيقة أن زيارة "كريم" لمنطقة الأوراس كانت واجبة، تفرضها مصلحة الثورة قبل كل شيئ، ثم الجيرة وحتمية التكامل بين المنطقتين في مواجهة العدو الذي ركز جهوده على المنطقتين في بداية الأمر، ثم أن المنزلة التاريخية التي يتمتع بها "كريم" في منطقة الأوراس كأحد الستة الخالدين تجعل قراراته نافذة ومطاعة.

ولذلك كان من المفروض جدا أن يقوم "كريم" أو" العربي بن مهيدي" بدخول الأوراس بعد إستشهاد زميلهما "زيروت يوسف" الذي عين لمهمة رقابية في الأوراس، ولو أن أحد هما دخل منطقة الأوراس لجنبها المصائب التي سلطت عليها من طرف ممثلي "عبان السياسي" الذين لم يوفقوا أبدا في التعامل مع الأوراسيين، لقد قسمت تدخلاتهم ظهر منطقة الأوراس، وشرذمت صفوف مقاتليها، وزعزعت الثقة بين قادتها.

وكذلك الشأن بالنسبة للقائد السياسي المحنك "بن طبال" الذي لم يكن هو الآخر وفيا لصداقة الأوراسيين، ولم يكن عادلا في تعامله معهم خلال المحنة التي فرضت عليهم بحكم موقعهم الجغرافي، وعلاقتهم مع الوفد الخارجي بالقاهرة.

لقد لاحظ الأوراسيون تغير نظرة "بن طوبال" إزاءهم لما أصبح وزيرا وحليفا "لكريم"، رغم ما كانوا يكنون له من احترام وتعظيم نتيجة نضاله قبل الثورة في وسطهم، لما كان يساهم في تلقين فن السياسة وحرب العصابات للطلائع الأولى التي نفذت عمليات ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 في الأوراس.

ولما أصبح ضيفهم وزيرا للداخلية لم ينصفهم بل كان عليهم في القرارات التي أرهقتهم مع نائبه "بن عوده عمار" الذي سخره "عبان" لقهرهم.

تأسف الأوراسيون لما لمسوه من "بن طوبال" من سلوكات ماكانت لتنسجم مع تاريخه وأخلاقه وإنسانيته، ولكن كما يقال (السلطة مفسدة).

تنكر الوزير "بن طوبال" وزميله "عمار بن عوده" بالمناضل الذي كان يشرف على شؤونهما لما كانا في الأوراس، وهو المناضل "مصطفى بوستة" أمين سر "الرمز مصطفى بن بولعيد" "فمصطفى بوستة" أعدم من طرف النظام الذي يمثله "بن طوبال" و"كريم" كوزيرين نافذين في الحكومة المؤقتة،

لقد إتهموه بالتعاطف مع المشوشين لأنه وجيه قومه، ولذلك قرر مسير الولاية نفيه من الولاية الأولى إلى الولاية السادسة، وبالرغم من رفضه للتهمة فقد رضي بعقوبة النفي الى لولاية السادسة إحتراما للنظام، وخلال الطريق لمنفاه أمرت قيادة الولاية الأولى مجاهدا باغتياله من الخلف، وذلك جنوب قرية (سيدي عقبه"، وشاء القدر بان لاتفارق روح "بوسته" جسده المتألم، (سبحان الله العظيم) قصة "بوسته" تشبه تماما قصة القائد الكبير "شريط لزهر" في تونس، "كلاهما أعدم بقرار من القيادة المباشرة، وكلاهما لم تفارق روحهما جسد يهما، وكلاهما عثر عليهما من طرف رعاة الغنم، ولكن الفرق بين راعي الغنم الجزائري مع بوسته، وراعي الغنم التونسي مع "شريط"، هو أن الراعي الجزائري أخبر الفرنسيين على" بوسته "الجريح، فعجلوا بحمله في طائرة خاصة لمستشفى "قسنطينه لعلاجه، بينما "شريط" الذي بلغ الراعي التونسي القياده الجزائرية بتونس عليه، فإنها لم تحاول معالجته، بل عينت من يعدمه مرة ثانية، فاي حقد هذا على أبطال المعارك، وأي ذنب لايغتفر إقترفوه؟

بالتاكيد أن الفرنسيين كانوا يسعون للإستفادة مما يعرفه "بوسته" من أسرار على الثورة، ولكن الرصاصة التي أطلقت على راسه من الخلف قد قطعت حبال صوت "بوسته" الضحية.

أولم تكن حادثة "بوسته" في محيط بسكره، وحادثة زميله" شريط لزهر" في تونس مظهرا من مظاهر التعسفات في حق صفوة من الرجال الذين سبلوا أنفسهم للثورة قبل أن يعرفوا من سيكون مسوولا عليهم، ويحكم عليهم بالخيانة فقط لأنهم يرفضون التعسف والظلم في ثورة مقدسة، وذلك من أجل النفوذ الفردي والجهوي؟

- **خلفيات قضية العموري وزملائه في الكاف**

منذ البداية كانت هيكلة الولاية الأولى والقاعدة الشرقية مبنية على خلفيات غير سليمه، فتدخلات "عبان" ورجاله لم تكن من أجل الثورة، بل كانت من أجل بسط النفوذ الشخصي والجهوي على ولاية قامت بالتضحيات الجسام المشهود لها، وهي تدخلات لو فرضت على الولاية الثالثة نفسها لرفضتها بقوة لأنها غير طبيعية، وقد شاهدنا رد فعل قادة منطقة القبائل القلبي بعد توقيف القتال سواء من طرف العقيد "محمد والحاج"، أو المناضل الكبير "أيت أحمد"، ثم الرمز التاريخي "كريم بلقاسم"، وكلنا أسف على ما الوا اليه من مصير غير مقبول.

لقد تمت تصفية القاده التاريخيين في الأوراس بطريقة غريبة من طرف ممثلي "عبان"، وتم تعيين قيادة جديدة لم تستطع إمتصاص الغضب والتذمر الذي إستمر يتفاعل بين صفوف مقاتلي الأوراس بسبب فرض الوصاية عليهم، وهو مادفع "العقيد "محمد لعموري" إلى مواجهة ممارسات "العقيد محمد السعيد"، وزبانية الرائد "إيدير" رئيس ديوان "كريم" للشؤون العسكرية.

ولما أدرك "كريم" خطورة تلك التحول في موقف "لعموري" و"بوقلاز" على سلطته، قرر إبعادهما نهائيا عن أية قيادة مباشرة لوحدات جيش التحرير على الحدود الشرقية، وبعد إستشارة مع بن طوبال حول الموضوع، إتفقا على عقد إجتماع في القاهرة يضم أعضاء قيادة العمليات، وخلال ذلك الإجتماع قرر "كريم" حل القيادة، ومعاقبة "العقيد محمد لعموري، و"العقيد بوقلاز" بالنفي وتخفيض الرتبة، لم يشمل العقاب العضو الثالث "عمار بن عوده" لكونه محمي من طرف الرجل القوي "بن طوبال"، وكذلك الشان بالنسبة للعقيد" محمدي

"السعيد" المحمي من طرف "كريم بلقاسم" فقد أعاده كما كان لقيادة ال COM.

مرة أخرى برهن "كريم" وبن طوبال" على الكيل بمكيالين مع قادة القاعده الشرقية والولاية الأولى

ونتيجة لذلك إحتج كل من نائب"لعموري" نواوره أحمد قائد الولاية الأولى، ونائب "بوقلاز" محمد عواشرية قائد الناحية الشرقية على قرار الحل والعقوبات الغير عادله، ورفضا تعويضهما كأعضاء في القيادة الجديدة، وأكثر من ذلك وجه "نواوره أحمد" رسالة إلى "رئيس الحكومة "عباس فرحات" يحمله مسؤولية تعرض "لعموري" و"بوقلاز" لأي خطر أو تصفية جسدية، لأن إشاعة راجت بأن "كريم" كان ينوي تصفيتهما جسديا.

إستمر "لعموري" في الخارج يتوعد ويهدد ويتصل بزملائه في تونس باللهجة "الشاوية" وهم يسجلون عنه أسرار تلك المكالمات، وراحوا يدفعونه لإثبات التهم على نفسه بواسطة علاقاتهم إلى أن قرر العودة لتونس سريا، فبعثوا له سائق "كريم" ليتولى نقله لتونس، وقد وضع "لعموري" ثقته فيه بشيئ من الغباء، متوقعا منه الوفاء ضد ولي نعمته "كريم الوزير".

كانت الأمور مرتبة بعناية بين الوزراء الثلاثه "كريم" و"بن طوبال"، و"بوصوف" من جهة، والحكومة التونسية من جهة أخرى، ولما حضر الوزراء الثلاثة بالقرب من مكان الإجتماع، أعطوا الإشارة للقوات التونسية بالتدخل حيث تم القبض على الجميع بتهمة الإنقلاب على الحكومة المؤقتة، والتعامل مع المخابرات المصرية، حكم بالإعدام على "لعموري" و"العقيد نواوره" و"الرائد عواشريه" و"النقيب مصطفى لكحل"، وحكم بالسجن على أكثر من (80) ضابطا من ضباط الولاية الأولى،

وبذلك تلقت الولاية الأولى الضربة القاضية (بالشاقور) التي قسمت ظهرها.

ولتوضيح الصورة أكثر يمكننا نقل ما كتبه "حربي محمد" حول الموضوع حيث يقول: (في 21 اكتوبر قام الرائد "محمد عواشريه" بجمع أنصاره على مستوى القاعدة الشرقية لإبرام اتفاق مع الولاية الأولى على الأسس الآتية:

1) عدم التخلي عن القاعدة الحدودية.
2) تحديد المسؤوليات فيما يخص خط موريس.
3) توحيد فصائل إيصال المواد والأسلحة تحت مسؤولية القاعدة الشرقية والولاية الأولى.
4) الوقوف على الأسباب التي أدت إلى إنشاء (قيادة العمليات العسكرية)، ثم قرار حلها، وأسباب إبعاد ثلاثة من أعضائها وعودة "محمدي السعيد" فقط لمنصبه على رأس القيادة المنحلة).
5) ضرورة عودة الثلاثة المبعدين ومحاكمتهم من طرف جيش التحرير إن اقتضى الأمر ذلك.
6) توضيح الأسباب التي أدت إلى تصفية عبان رمضان،
7) أسباب التمييز بين الجزائريين.
8) لابد من عقد اجتماع مع الحكومة المؤقتة بحضور "كريم" نفسه.

- المؤامرة التي أزاحت عباس لغرور من القيادية

نعود لجهود ممثلي "عبان" في تونس " بن عوده عمار" و"مزهودي ابراهيم" وتدخلهما المباشر في شؤون الأوراس الداخلية والتحريض على تمرد مجاهدي منطقة النمامشه على

"عباس لغرور" و"محساس أحمد"، و"بن بله" ورفاقه في القاهرة.

لقد إستغل الثنائي "بن عوده عمار" ومزهودي" تلك الخلافات التي نشبت مؤقتا بين مجموعة النمامشه بقيادة "شريط" و"الوردي قتال"، ومجموعة السوافه بإشراف "عبد الحي" و"طالب العربي"، وهي الخلافات التي كان "عباس لغرور" منشغلا بالقضاء عليها، وقد أشيع على أن " بن بله أحمد" شخصيا سيساهم في مجهود المصالحه بين المجموعتين لصالح الثورة، وهو ماجعل ممثلي عبان يستنفرون قواهم لإفشال العملية وتفويت الفرصة على الجميع خدمة لنفوذ "عبان"منسق لجنة التنسيق والتنفيذ الذي كان يواجه تحفظات من عدة أطراف.

أشرف "عباس لغرور" على إجتماع تمهيدي للمصالحة ضم أفراد المجموعتين المتخاصمتين، خصصه لتقريب وجهة نظر الطرفين وتليين المواقف، ثم حدد موعد إجتماع أخر ينهي تلك الخلافات، ويدفع بالجميع لمواجهة التطورات بصفوف متراصة خلفه كقائد بالنيابة لمنطقة الأوراس.

حضر أفراد المجموعتين في الموعد المحدد ودخلوا لقاعة الإجتماع، وبينما كان "عباس يتهيأ لفتح الجلسة، إستأذنه أحدهم الحاضرين للخروج معه في قضية عاجلة، وبمجرد تجاوز "عباس" عتبة باب قاعة الإجتماع، وإذا بأحد الحاضرين من جماعة السوافه يمطر الحاضرين داخل القاعة برصاص كثيف قتل وجرح الكثير ممن كانوا داخل القاعة.

بالتأكيد هو عمل إجرامي صدر عن مغفل بالعاطفة الجهوية، أو بالخيانة لأطراف لاتخدمها المصالحة بين المجموعتين، ويسعون لتوريط "عباس لغرور" في دم مرؤوسيه، يدينونه بتهمة القتل، وتهديد الأمن التونسي.

فالمؤامرة على "عباس" كانت تشبه تماما تلك التي إستهدفت زميله الضحية "عجول" في داخل الأوراس من طرف ممثل "عبان" دائما الرائد "عميروش"، وذلك بغرض إحداث الشغور في القيادة التاريخية لمنطقة الأوراس المتمثلة في الثنائي "عباس لغرور" و"عجول" الذين تمت إزاحتما في وقت واحد خلال شهري سبتمبر وإكتوبر 1956، إذن فالهدف واحد والأطراف المنفذة واحدة، والضحية واحدة (الولاية الأولى).

لم يكن "عباس لغرور" سعيدا بوضعه كمطارد وكمتهم، لذلك قرر طلب الشهادة في معركة مع العدو لعل الله يكرمه بالإلتحاق لجواره شهيدا في ميدان الشرف، فجمع رجاله وهجم بهم على وحدة عسكرية فرنسية داخل التراب التونسي، كان رحمه الله خلال ذلك الهجوم يقاتل واقفا لعل رصاصة من رصاصات العدو تأخذ طريقها لقلبه فينال بها الشهادة في سبيل الله، وبما أن الأعمار بيد الله فقد أصيب بجراح ولم يستشهد، وبذلك ضاعف على نفسه الجرم مرة ثانية بتهمة مقاتلة العدو في أرض دولة مستقلة وذات سيادة.

ومباشرة بعد أن شفي من جراحه قرر أن يسلم نفسه لزميله ورفيق دربه وشريك قضيته المقدسة المناضل الكبير "كريم بلقاسم"، معتقدا في قرارة نفسه بأنه سوف لن يخذله، وسيعامله كأحد الأبطال الجديرين بالتقدير والتمجيد.

حاول رفاق "عباس لغرور" أن يثنوه عن المبالغة في حسن ظنه في "كريم"، مؤكدين له بأن "كريم" الثوري الذي كان يعرفه قد غيرته السياسة وحب السلطة، وأنه سيشنقه إن تمكن منه، غير أن "عباس" لم يغير موقفه من رفيقه المجاهد "كريم" فسلم نفسه عمليا للمعتمد التونسي الذي حمله لرجال "كريم" فعجلوا بوضعه في شبه سجن تحت (سلم) "فيلا "بتونس قرب سوق الأربعاء مع مجموعة محدودة العدد من زملائه الذين تم القبض عليهم، وإعدامهم فيما بعد.

شكل "كريم" و"بن طوبال" محكمة صورية "العباس لغرور" كان حكمها بالإعدام مقررا قبل تكوينها، وعين "كريم" عن قصد بن طوبال" رئيسا للمحكمة، و"عمار بن عوده" نائبا له.

وكأنه يريد أن يعفي رجال الولاية الثالثة من ثم الأوراسيين الذين نفذ فيهم حكم الإعدام كل حسب التهمة التي أدين بها، ولكن التاريخ سيحمله مع "عبان" مسؤولية إعدام قادة الأوراس بدون وجه حق، لأنه ليس هناك ما يبرر إعدام قاده ثوريين في دولة مستقلة من أمثال "عباس لغرور" و"عجول" و"شريط" و"عبد الحي" و"طالب العربي" و"حوحا بلعيد" و"التجاني" و"محمود منتوري" و"عبد الحفيظ سوفي" و"على الحركاتي" وآخرين ممن شملتهم القائمة الطويلة[1]

ولاباس من تلخيص خمس عمليات خطيرة قسمت ظهر منطقة الأوراس وفرقت صفوفها وهي:

الأولى - إستشهاد "مصطفى بن بولعيد" بسبب اللغم الذي أسقطته المخابرات، وراحت تلصق تهمة قتله لنائبه "عجول"، وبذلك أصبحت قضية إستشهاده "مصطفى بن بولعيد" بمثابة (قميص عثمان")، إستغلت من طرف أطراف داخلية وخارجية بكيفية غير منطقية.

[1] - يؤكد دائما مالك بن نبي على ضرورة التحقيق في الظروف المريبة التي وجد فيها حتفهم أولائك الرجال الذين قادوا الثورة في خطواتها الأولى "مصطفى بن بولعيد" و"عباس لغرور" و"يوسف زيوت" و"بن مهيدي" و"عميروش" و"الكلونيل محمد الباهي" و"عبد الحي" الخ...

وربما يكشف التحقيق عن صلة مقتل هؤلاء الرجال بأولئك الذين نصبوا أنفسهم قيادة مستقلة بالعاصمة في شهر أبريل 1955 والذين كانوا يهدفون بكل وضوح إلى الإستلاء على مقاليد الثورة كما يبدو ذلك أيضا في إختطاف "بن بلة" الخبر الأسبوعي عدد...

الثانية - إستشهاد القائد الكبير "زيروت يوسف" الذي عين لدخول الولاية الأولى من طرف مؤتمر الصومام، وقد حرمت الأوراس من خدماته لما كان الجميع في إنتظار قدومه بشوق وأمل، لكن استشهاده فتح الباب لتدخل عنيف أساء لمنطقة الأوراس وأوقعها في محنة القهر والسيطرة التي دامت ثلاث سنوات، خسرت خلالها هيبتها وسلطتها وصفوة رجالها.

الثالثة - المؤامرة التي إستهدفت "عباس لغرور" في تونس، لإحداث الشغور في القيادة التاريخية لمنطقة الأوراس ووضعها تحت وصاية قادة الولاية الثالثة حصريا.

الرابعة - تلك العملية الإرتجالية الظالمة التي نفذت من طرف الرائد عميروش، ضد القائد "عجول"، وما ترتب عنها من إحباطات ومآسي.

الخامسة - إستغلال الخلافات المحلية، وإخراج قادة الأوراس إلى الولاية الثالثة ثم إلى تونس وترك الولاية بدون تأطير، والقبض هناك على خيرة قادة الأوراس التاريخيين وتصفيتهم في المنفى.

نلاحظ أن القائد الكبير "بن طوبال" لم يكتفي بإصدار حكم الإعدام على إخوانه قادة الأوراس الذين فرقت السلطة بينه وبينهم، بل تعدى ذلك إلى القيام بجلدهم بالسوط كالبهائم في السجن، بعد أن أضربوا على الطعام إحتجاجا على أوضاعهم المزرية، وهو مادفع السجين "عمار ابن العقون" أحد أقارب الرمز "مصطفى بن بولعيد" إلى مخاطبة الوزير "بن طوبال" بقوله: (نعم من حقك ياعمي "عبدالله بن طوبال" أن تجلد من كانوا بالأمس في الأوراس يؤثرونك على أنفسهم وأولادهم ويقدمون لك" الجوز، والعسل"، فلا يهمك "عمي سي عبد الله" فنحن نستحق منك ومن غيرك أكثر من الجلد لأننا مكناكم من أنفسنا) عندها سقط السوط من يد "سي عبد الله بن طوبال"، وغادر مع "كريم "السجن.

وما يقال على القائد "بن طوبال"، يقال أيضا على نائبه "عمار بن عوده" عضو مجموعة 22 الذي كان يتطوع للتحقيق مع الأوراسيين المسجونين، ويتحمس لإصدار حكم الإعدام في حقهم توددا للرجل النافذ "كريم بلقاسم" ولرجاله.

أما بالنسبة للعقيد "محمود شريف" الذي أصبح قائدا للولاية الأولى مكان الضحيتين "عباس لغرور" و"عاجل عجول"، فقد أسندوا له عن قصد مهمة "المدعي العام"، وذلك ليضخم قائمة التهم الملفقة إلى رؤسائه المسجونين المحكوم عليهم بالإعدام قبل المحكمة.

كان على "محمود شريف" إعفاء نفسه من تلك المهمة التي ستحط من شأنه، ولكنه من خلال مرافعاته راح يطالب بحكم الإعدام على رئيسه "عباس لغرور" بطل معارك قنطيس والجبل الأبيض.

"فمحمود شريف" لم يتطوع لمحاكمة "عباس لغرور" فقط إنما تطوع أيضا للقبض على القاده الذين فروا من شبح الإعدامات، وذالك بوضع قواته تحت تصرف السلطات التونسية من أجل القبض والقضاء عليهم، كان ذلك واضحا في التقرير الذي حرره بخط يده وباللغة الفرنسية، ورفعه لأعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ خلال شهر أفريل 1957، يخبرهم فيه بأنه قد عرض على "المعتمدين التونسيين" وضع قواته تحت تصرفهما للقضاء والقبض على المطاردين، مشترطا عليهما أن يظهروا بلباس الجيش التونسي للتمويه، ولكن "المعتمدين التونسيين" رفضا اقتراحه)[1].

وهو بذلك يكون قد كرر بدعة الاستعانة والإستقواء بالقوة الأجنبية التونسية على مرؤوسيه تماما كما فعلها قبله "عبان

1- رسالة محمود شريف حررها بخط يده باللغة الفرنسية وهي منشورة في عدة مراجع منها كتاب زروال محمد إشكالية القيادة

رمضان" لما قبض على القاده التاريخيين، وفعلها لاحقا القائد الكبير "كريم بلقاسم" للقبض على "مجموعة العموري" بالكاف ثم تشفع "لمحمود شريف" تلك الخدمات المجانية حين جاء دوره هو الآخر وطبقوا عليه ما طبقوه على أسلافه فهمش وهدد بالقتل.

- **أسباب إتهام الأوراسيين بعدم الإنضباط**

أولا وقبل كل شيء علينا أن نعترف بأهمية العقداء الثلاثه "كريم بلقاسم" و"بو صوف" و"بن طوبال" قادة الولايات الثالثة والخامسة والثانية وبالجهود الوطنية الجبارة التي أدوها خلال فترتهم في القيادة العليا للثورة، لقد كانوا بحق قاده ثقافيين وطنيين يتميزون بالوطنية والعبقرية والكفاءة التي أهلتهم لتسيير مؤسسات الثورة خلال الفترة الممتدة من مطلع سنة 1957 حتى مطلع سنة 1960، وحتى قبل ذلك لما كان كل واحد منهم مسيرا لولايته حيث تمكنوا من تكوين قوة متماسكة خلفهم أهلت كل واحد منهم ليصبح طرفا فاعلا في التحالف الثلاثي الذي مكنهم من فرض أنفسهم كقيادة مركزية للثورة خلال فترة لجنة التنسيق والتنفيذ الثانية، والحكومة المؤقتة التي كانوا هم صقورها بامتياز.

كان من المفروض أن يكون قائد الولاية الأولى طرفا قويا في تحالفهم، ولكن الرجل التاريخي الطاهر النويشي ورفاقه بسذاجتهم مكنوا "الرائد عميروش" من إزاحة قادة الأوراس التاريخيين المؤهلين لأداء ذلك الدور بجدارة.

لقد تعامى النويشي وزملائه عن إدراك خلفيات المخطط الذي دخل الرائد "عميروش" إلى الأوراس من أجله.

ومن الطبيعي جدا أن يترتب على إرتكاب الظلم ردات فعل متباينة حسب الظروف والموقائع والقوة والضعف،فعندما يبالغ القائد العام في ظلم مرؤوسيه، أو يشعرهم بالإهانة الغير مبررة فسيواجهونه حتما بالتمرد والعصيان، وقد لمسنا ذلك بوضوح

في منطقة القبائل نفسها بعد توقيف القتال حيث تمرد "العقيد محمد أولحاج"، وأيضا تمرد الرمزان التاريخيان "كريم" و"أيت أحمد".

وحتى "عبان رمضان" نفسه الذي إعتبر رد فعل الأوراسيين على تدخلات رجاله العنيفة ضدهم "إنحرافا وتمردا"، فإننا نجده بعد ما إنقلب السحر على الساحر، وتحالف ضده "العقداء قادة الولايات"، لم يستسلم وواجههم بردات فعل عنيفة، وراح يشن عليهم حربا شعواء أدت بكل أسف إلى تصفيته جسديا، ذلك لأن عشاق السلطة لايرعون حرمة للنفس البشرية التي حرم الله قتلها إلا بالحق.

والعقداء الثلاثه الأقوياء أنفسهم الذين أزاحوا "عبان" وسيطروا على مؤسسات الثورة خلال سنوات 59/58/57 لم يقبلوا من ضحاياهم قادة الأوراس تلك التعسفات التي أرهقتهم دون غيرهم، واعتبروا إحتجاجاتهم عصيانا وتمردا إستوجب الاعدم السريع، ولكن لما دارت الدائرة عليهم، وحملوا مسؤولية الفشل من طرف زملائهم العقداء السبعة الذين شهروا بسلبيات تسييرهم، إعتبروا ذلك تنكرا لجهودهم وإساءة لمصداقيتهم وطعنا في وطنيتهم وبالتالي ظلما وتعسفا في حقهم، و(كما يدين المرأ يدان).

- لأبناء الريف في الأوراس حساسية ضد سياسي الأحزاب

علينا أن نقر بأن للمجتمع الأوراسي الريفي حساسية خاصة ضد سياسي الأحزاب الذين كانوا يعتبرون المجتمع الريفي مجتمعا متخلفا سياسيا واجتمعيا وثقافيا ومنغلقا على نفسه، وغير مؤهل لاستعاب خطاباتهم السياسية ومخططاتهم وقناعاتهم وخياراتهم، وأن التركيز عليهم مضيعة للوقت.

فالحزب الوحيد الذي فتحوا أعينهم عليه هو: "حزب الشعب" الذي تحول (لحركة إنتصار الحريات الديمقراطية)، أو

المتمثل في "جمعية العلماء" الذي كان نشاطهم الدور الإصلاحي مقتصرا على التربية والتعليم، ويعود الفضل في تواجده بمنطقة الأوراس لبعض العلماء المنتمين للمنطقة الذين ضحوا بشبابهم من أجل رفع الأمية عن أبناء الأوراس المهمشين، وذلك بفتح شبه مدارس تحت غطاء جمعية العلماء المسلمين بإمكانيات المواطنين إنقاذا لفلذات أكبادهم من شبح الأمية، وأذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ أحمد السرحاني، والشيخ براهيم مرزوقي، والشيخ عيسى يحياوي، والشيخ عمر دردور، والشيخ عباس، والشيخ الأمير صالحي والشيخ العربي التبسي.

إن لأبناء الريف في الأوراس حساسية ضد الأحزاب التي تجاهلتهم، وحتى حزبهم الذي تجندوا مبكرا في صفوفه فقد فاجأهم برفض تبني الثورة، وعمل على حل المنظمة السرية التي تبنت العمل المسلح كخيار أخير، ولما إنتصرت الثورة التي إعتبروها مغامرة سارعوا لركوب قطارها سائرا، بل وسارعوا لسرقتها من أصحابها بواسطة قرارات "مؤتمر الصومام الذي غيب المعنيين بالثورة، وبذلك تولى "عبان" لسياسي الإشراف على لجنة التنسيق والتنفيذ، مدعما مركزه بزعماء الأحزاب، مستغلا في ذلك قرار أولوية السياسي على العسكري الذي مرره للمؤتمر عن قصد، وبذلك أصبحت الأغلبية في القيادة المركزية لصالح السياسيين على حساب العسكريين مفجري الثورة، وهو مالم يقنع ثوار الأوراس البسطاء فتحفظوا عليه، واعتبروه إنحرافا في مسيرة الثورة على حساب جيش التحرير.

لقد لدغ مناضلوا الأوراس عدة مرات من طرف السياسيين

فاللدغة الأولى: تمت عندما تنكر المصاليون والمركزيون للعمل المسلح كخيار وحيد لتحرير الجزائر من إستعمار إستيطاني.

واللدغة الثانية: تمت لما تجرؤوا على حل التنظيم السري وهددوا عناصره بالتصفية الجسدية إن ركبوا رؤوسهم وقرروا الثورة، وهوما يعني ضياع نضال ربع قرن من أعمارهم.

اللدغة الثالثة: جاءت من طرف مؤتمر الصومام الذي سلم قيادة الثورة للسياسيين على حساب مفجريها الأساسيين وذلك بالأغلبية المطلقة بإشراف "عبان السياسي" بحجة أولوية السياسي على العسكري، والداخل على الخارج.

فبهذين القرارين أزاح "عبان السياسي" قادة الولايات العسكريين، وأيضا السياسيين الثوريين أعضاء الوفد الخارجي.

كان ذلك هو السبب المباشر في بعض ردات فعل مجاهدي الأوراس العاديين بثقافتهم السياسية المتواضعة على بعض قرارات مؤتمر الصومام، فهم لايعرفون إلا تنظيما واحدا إسمه (جيش التحرير الوطني) الذي كانوا نواته الصلبة، وطلائعه أمام الجيش الفرنسي في ميدان القتال، ولما تفاجأوا بقرارات أولوية السياسي على العسكري، ولما أبدوا تحفظاتهم على ذلك عوملوا "كمتمردين وخارجين عن طاعة القياده العامة."

نعم لقد واجههم "عبان" بزملائهم القادة العسكريين الذين سحبهم من جبهة القتال بمنطقة القبائل، وكلفهم بإخضاع منطقتهم، وبتصفية قادتهم الممانعين، وبفرض الوصاية عليهم، وهو مادفع البعض منهم إلى تأطير ظاهرة (التشويش) في الجبال الذي كان نتيجه حتمية لتلك التعسفات الغير مبررة التي مورست عليهم باسم القيادة الجديدة التي ظهرت بعد مؤتمر الصومام.

وفي هذا الشأن يقول الرائد "مراردة مصطفى" مايلي: (فهؤلاء المشوشون لم يكونوا ضد مبادئ الثورة، ولم يكونوا يرغبون الإلتحاق بالعدو كما يشاع عليهم، ولكن القياده العليا لم تحاول فهم حقيقة مأساتهم ومأساة من أعدم منهم في تونس،

إعتمدت العنف بدل لغة الحوار والإقناع، وذلك ماأدى إلى التطور الذي وصلت اليه الأمور).

ولما أدركت المخابرات الفرنسية الورطة التي وقع فيها المشوشون (قتال، ومطارده، وجوع، وعراء) حاولت إغراءهم بالإنضمام إلى (جيش المصاليين) بقيادة "الجنرال بلونيس"، وذلك بواسطة عملائها المنتشرين وسط الأعراش والذين أشاعوا بأن "مصالي الحاج" قد قبل بالإستقلال الداخلي، وأن جيش الجنرال "بلونيس" هو جيش جزائر المستقبل، وعلى المشوشين المهددين بالقتل من طرف جبهة التحرير أن ينضموا لذلك الجيش، وقد إنطلت الخديعة على مجموعة من المشوشين في محيط "خنشله" بقيادة "الصالح الثابتي" الذي سلم نفسه ومن معه للجيش الفرنسي، فأقاموا له مركزا قرب "مدينة خنشله" رفع عليه العلم الجزائري للتمويه، وحددت لهم المخابرات الفرنسية مهام أساسية منها قطع الطريق على المجاهدين الذين يعبرون المنطقة ذهابا وإيابا.

ومن حسن الحظ أن المجاهدين العاديين وبعض القادة في تلك المجموعة قد أدركوا خطورة المؤامرة، فقاموا بقتل قائدهم "صالح الثابتي"، وانضموا من جديد لجيش التحرير بقيادة "عمار الرفال"، و"بلقاسم حفصاوي"، وبذلك سفهوا أحلام المخابرات وواصلوا جهادهم من جديد بالصدق والوفاء للثورة.

أولا تعود المسؤولية في ذلك لتدخلات رجال الولاية الثالثة في شؤون الولاية الأولى دون تقدير العواقب؟

- الأعراش تأوي المشوشين كردة فعل

لم يكن من السهل على الأعراش في الأوراس التي تجندت بكل إمكانياتها في الثورة خلف "بن بولعيد"، أن تجد نفسها في يوم من الأيام تحمي المتمردين على القيادة العامة للثورة، غير أن الحكم بالإعدام على أبنائهم وهم في رباط مقدس مع الثورة

من طرف القيادة المنبثقة على مؤتمر الصومام، بهوس التنافس على السلطة وحب الزعامة الفردية والجهوية، جعلهم يتعاملون مع المشوشين الفارين من القتل المحتم.

فعند ما يدركون حقيقة تعرض "عجول" لمحاولة الإغتيال بعد ماوضع نفسه تحت تصرف ممثل القيادة الجديدة "الزائد عميروش"، ثم يرفض يده الممدودة للحوار رغم الغدر به، ويأمر بملاحقته للقضاء عليه، فماذا ينتظرون من قبيلته غير التأسف والتأفف وتفويض أمرهم لله ؟

وعندما يهان "عمار بن بولعيد "أخو" الرمز مصطفى بن بولعيد"، ويهدد بالقتل ويفرض عليه النفي، ويحرم من شرف الجهاد، ويسجن نائبه أحمد عزوي قائد '(الكوماندو')، ويطارد "الشريف رابح"، ويسجن "عمار بلعقون" ويضرب بالسوط من طرف الوزير "بن طوبال"، فماذا ينتظرون من "قبيلة التوابة" التي ضحت بكل ماتملك من أجل الجزائر غير التذمر وعدم الإرتياح، وحماية المظلومين؟

وعندما يعدم "السوفي عبد الحفيظ "، قائد قبيلة بني ملول، القبيلة المتمردة على الاستعمار أبا عن جد، والحامية لحمى غابات وسط الأوراس منذ عهد الكاهنة، فماذا ينتظرون من أبنائها غير محاولة الاقتصاص من الأطراف التي تعمدت سفك دم قائدهم السوفي عبد الحفيظ؟

وعندما يعدم كل من "التجاني عثماني" بن مدينة خنشله الثائرة، ورئيسه البطل الخالد "عباس لغرورن"، وزميله "حوحا بلعيد"، أبطال معارك جبال أوراس النمامشة في وجه "بيجار"، فماذا ينتظرون من قبائل محيط خنشلة غير التأسف للمصير الذي فرض على أبطالهم بسبب التكالب على الزعامة، ثم الإصرار على نصرة من بقي حيا مطاردا في الجبال من أبنائهم؟

وعندما يعدم الثائر ما قبل الثورة "شريط لزهر" لمرتين متتاليتين بدون إنسانية، فماذا ينتظرون من قبائل النمامشة الذين شهدوا أبطولاتهم على صخور الجبل الأبيض وهاهم غير التمرد على القيادة في تونس التي نفذت حكم الإعدام في قائدهم "شريط" الذي سلم نفسه إحتراما للنظام.

وعندما يطارد "المسعود عايسي" الذي فر من الموت متسللا لجبل الأوراس، وهو يقسم بأغلض الأيمان بأنه سيقاتل حتى الجنود القادمة من منطقة القبائل نتيجة ماتعرض له من طرف "عميروش" و"اوعمران" و"قاسي" من إهانات، ثم يدفعه تلك التصف المهين الى ! إقتراف أشنع جريمة في حق شبان أبرياء ذنبهم الوحيد أنهم ينتمون لمنطقة القاده الذين أهانوه وقهروه، فهل يلام أهله الذين تبرؤوا من جريمته ولكنهم إضطروا لإطعامه وحمايته من الموت؟

وفي الأخير عندما يجيب الوزير "بن طوبال" عن السؤال الذي طرحه عليه" الضابط السعيد بوخالفه" في منزل المجاهد "محمود بوجاني" بمناسبة إحياء ذكرى نوفمبر بحضور المجاهد" طلبه معيوف" عن سبب مبالغتهم في إعدام أكثر من 54 ضحية من قادة الأوراس، فيجيب قائلا: (كنا ندافع عن ثورتنا، ولست نادما على مافعلت) فأي مصداقية تبقى لهم؟

لم يكن ذلك غريبا على "بن طوبال" فهو صاحب مقولة (من يريد إفتكاك القيادة منا فما عليه إلا حمل البندقية لمقاتلتنا)، فهل التحق بالثورة ليكون وزيرا مدى الحياة؟، أي نفوذ، وأية أخلاق تبيح إراقة دم أبطال المعارك من طرف قادة كنا نعتبرهم ملائكه منزلين مثل: كريم وبوصوف وبن طبال؟، وأي مصداقية لمن يستقوي على مرؤوسيه "بالرئيس التونسي" المتآمر على القضية الجزائرية خلال فترة ضعفها بشهادة التاريخ؟

- الخلاف في الأوراس سببه تدخلات خارجية

كثيرا ما يشاع على أن الأوراسيين دخلوا في خلافات مدمرة فيما بينهم نتيجة العاطفة القبلية، والطموح للقيادة، متخلين عن مقاتلة العدو كما يحلو للبعض أن يشيعوا تلك الإدعاءات الباطلة على أعمدة الصحف لتبرير ممارسات غير قانونية إرتكبت في حق المنطقة دون غيرها في ظروف معينة وبخلفيات معينة، ومن طرف أشخاص معينين مكنتهم الظروف من ذلك.

علينا أن نعترف بأن كل الولايات قد عرفت خلافات متفاوتة الخطورة، إنتهت في زمانها ومكانها، ولم يحاول أحد التركيز عليها والتشهير بها.

ففي الولاية الخامسة مثلا: كانت قضية المجاهد البطل الرائد "الزبير"، وفي الولاية السادسة كذلك كانت قضية "الرائد الطيب جغلالي"، وفي الولاية الرابعة، كانت قصة مفاوضي الجنرال (دوقول)، وفي الولاية الثالثة كانت تلك المأسات الكبرى المتمثلة في قصة "الزورق".

في الولاية الأولى أيضا كانت خلافات عادية سببها قتل الرمز "مصطفى بن بولعيد" الذي زعزع الثقة بين قادة الأوراس على أساس أن نائبه "عجول" هو من قتله" وقد إستغلت تلك الخلافات من طرف أطراف خارجية عن قصد لتبرير التدخل في الشؤون الداخلية للمنطقة بكيفية مبالغ فيها ترتبت عليها مآسي تركت آثارا سلبية على وحدة الصف، وعطلت بذلك وتيرة القتال التي إشتهرت بها منطقة الأوراس خلال سنتي 1955/ 1956، وذلك قبل تولي "عبان السياسي" قيادة لجنة التنسيق والتنفيذ، ولعله من المفيد شرح تلك التدخلات وهي كما يلي:

التدخل الأول الخطير جاء من المخابرات الفرنسية بعد تعمدها إسقاط "اللغم المشؤوم" الذي إنفجر على "القائد الفذ مصطفى

بن بولعيد" قرب قرية "تفارة" بواسطة الطائرة، وقد حققت المخابرات بذلك هدفين خطيرين في الأوراس وهما:

الهدف الأول - التمكن من قتل "القائد الكبير سي مصطفى" الذي ترك فراغا فضيعا على مستوى منطقة الأوراس وعلى المستوى الوطني كذلك، من ذلك ما عانته منطقة الأوراس من تعسفات ماكانت لتتم لو كان "مصطفى" حيا.

الهدف الثاني - زرع الفتنة بإتهام نائبي "الرمز مصطفى بن بولعيد"، "عجول" و"عباس بقتله من أجل البقاء في القيادة، وقد شاعت تلك التهمة المدمرة وسط الصفوف العامة للمنطقة، وصدقها البعض نتيجة قرار كتمان إستشهاد "الرمز مصطفى" خوفا على معنويات المجاهدين، فساعد ذلك الكتمان على تصديق التهمة.

ومن الأسباب التي ساعدت على إتهام "عجول" بقتل الرمز "مصطفى" هو تكوينه لورشة صناعة الألغام على مستوى، أسند مسؤوليتها لعسكري من جنسية ألمانية إلتحق فارا من الجيش الفرنسي، ولما شاعت تهمة قتل "مصطفى" من طرف "عجول" إتصلت أطراف بالألماني ودفعوه تحت التهديد ليعترف بأنه هو من صنع اللغم الذي قتل "مصطفى"، ولكن المخابرات الفرنسية إعترفت بأنها هي التي أعدت اللغم وأسقطته بالطائرة، ومع ذلك هناك من لايزال يستثمر في قضية قتل "سي مصطفى.

أما التدخل الثاني: فجاء كما بينا من ممثلي منسق لجنة التنسيق والتنفيذ "عبان رمضان"، أولهم "الرائد عميروش" الذي دخل الأوراس بإسم البحث على من قتل "الرمز مصطفى"، ثم إصلاح ذات البين وأخيرا تبليغ قرارات المؤتمر، ولكنه خرج من الأوراس تاركا من ورائه نتائج مأساوية ضاعفت حلقات الخلافات بسبب إراقة دماء عضو القياده "عجول" والحكم عليه بالخيانة، ودفعه للعدو رغم يده الممدودة للحوار.

التدخل الثالث: جاء أيضا مرة ثانية على أيدي ممثلي لجنة التنسيق و التنفيذ في تونس بقيادة العقيد أو عمران" و"الرائد عميروش" ضد عباس لغرور وزملائه الذين سجنوا ثم أعدموا بتهمة عدم الإنضباط و التمرد على سلطة القيادة العليا، فخدموا بذلك الجيش الفرنسي الذي أقام خطي(شال،وموريس) وسيطر على منطقة جبال النمامشه بعد خروج أبطالها منها

يؤكد "مالكين نابي" في شهادته النادرة المنشورة في الخبر الأسبوعي عدد588 بتاريخ جوان 2010 مايلي:[1]

---

[1]. إن القيادة الفرنسية إستطاعت أن تنشئ خط "موريس" المكهرب بكل هدوء دون أن تقوم القيادة الجزائرية الجديدة بأي مجهود يبطل المشروع أويعطله على الأقل وعلى العكس من ذلك نراها تعطل في هذه الفترة بالذات تموين جيش التحرير بالداخل بالسلاح والذخيرة. بل تبطله في الوقت الذي كان يجب فيه تنشيطه نظرا لبناء خط "موريس"ومن الواقع، ونرى الوحدات المقاتلة التي كانت تقف في وجه الإستعمار في الداخل تسحب بالتدريج على الحدود شرقا وغربا كأنما إرادة خفية تنشئ بذلك موقفا يتيح للقوات الفرنسية أن تسترجع الأنفاس التي فقدتها خلال معارك 1955و 1956 ، حتى يمكن أن تقرر للتاريخ أن آخر معركة تذكر هي التي خاضتها القوات الثورية بجبل أرقو1956 وبعدها سيصبح جيش التحرير الظافر الذي كان قوة الشعب الضاربة في المعارك الخالدة مجرد قوة إستعراض يستخدمها الزعماء لدعايتهم في المهرجانات الصحافية على الحدود)

الفـترة الـرابـعـة

الولاية الأولى تسير من الداخل كسائر الولايات الأخرى

- وأخيرا خرجت الولاية الأولى من حكم الوصاية المباشرة للولاية الثالثة لتصبح كغيرها من الولايات الأخرى تسير محليا من قبل ضباطها، وهو ما جعلها تعود تدريجيا لوضعها الطبيعي كسائر الولايات التي كانت منذ البداية تسير بإطاراتها المحلية على أرض المعركة، وبذلك تكون قد خرجت من الوضع غير العادي.

- **أسماء مسيري الولاية في الداخل**

لقد تداول على تسيير الولاية بالنيابة في الداخل عدد من المسيرين، فكان لكل واحد منهم أسلوب يختص به من حيث الكفاءة والشجاعة والشدة واللين وتقدير المسؤولية، وهم كالتالي:

1- **الرائد علي النمر**



علي النمر

المجاهد "علي النمر" من مواليد 16 مارس1925، إلتحق مبكرا بالثورة، وهو رجل صبور وهادئ يتمتع بثقافة متوسطة، كان أول من تعين لتسيير الولاية بالنيابة في الداخل خلال فترة "العقيد محمود شريف" الذي عين كقائد عام على الولاية الأولى بتونس من طرف"العقيدأو عمران" و"الرائد عميروش".

يتميز "الرائد علي النمر" بالبساطة والتواضع والبشاشة، يغلب على طبعه التسامح واللين وثقافة الحوار التي أضفت على شخصه الحكمة والتبصر ورضاء المجاهدين عليه كقائد محبوب، ولذلك نجح في كسب ثقة أغلب

المجاهدين بما فيهم المتهمون (بالتشويش)، لتفهمه خلفيات ذلك التشويش وأسبابه ومسبباته في تلك المرحلة الحرجة من عمر الثورة في الأوراس فكان رحمه الله متحمسا لنفسيات المشوشين الذين اعتصموا بالجبال فرارا من شبح الإعدامات التي طالت قادتهم التاريخيين وزملاءهم، صارفين كل جهودهم وانشغالاتهم لمقاتلة العدو وحده، وتفهما لذلك الواقع المر لم يتورط "علي النمر"في مقاتلة المشوشين كما فعل غيره، حيث كان أسلوبه معهم النصيحة والكلمة الطيبة، والسعي لكسب ثقتهم وذلك بمعالجة أسباب إزمتهم التي تشعبت وتفاقمت، لقد تجنب أسلوب العنف ضدهم والمطاردات التي أثبتت عدم نجاعتها، مركزا في ذلك على إطفاء جذوة الحقد التي طغت على العقول بعد التصفية الجسدية التي شملت الرموز التاريخيين لمنطقة الأوراس.

لم يكن"علي النمر" من نوع المسيرين الذين يستنسخون أخطاء من سبقوهم، ولذلك تمكن من إعادة الثقة للنفوس،ناصحا بعدم التعنت، فالتمرد لا يؤدي إلا لمزيد من تشتت الصفوف، ومضاعفة الخسائر، وعلى الجميع نسيان الماضي والامه، ووضع الثقة من جديد في النظام وسوف لن يندموا.

إنطلاقا من ثقافة التسامحية والصدق في المعامله "تعززت علاقة "علي النمر" مع كل مقاتلي الولاية الأولى،لأنه إندمج في بينتهم، وتقرب منهم بالمصاهرة الشرعية قدوة ب"محمد"رسول الله عليه السلام، حيث تزوج من امرأة شريفة النسب من "قبيلة الشرفاء بمنطقة كيمل" زوجها إياه قريبها المجاهد الكبير "البشير ورتان" وجيه قبيلة الشرفاء بدوار كيمل، ليصبح بذلك "علي النمر" زوجا لابنتهم "فاطمة حقاين"، فتقرب أكثر إلى نفوسهم وأحاسيسهم التي ساعدته على، توحيد الصفوف، وبذلك عزز سلطته كمسير للولاية،غير أن فترته لم تطل كثيرا حيث نال الشهادة في ميدان الشرف، بمعركة كبرى في "قمة شليه"، وذلك بتاريخ 1958/06/05، تلك المعركة التي استشهد فيها الكثير من الأبطال بسبب معلومات إفتكها العدو من أسير

معركة وقعت صباح ذلك اليوم شمال قمة شلية على بعد 10 كم، إستقوا معلومات من أسير جريح دلهم تحت التعذيب عن مكان مسير الولاية "علي النمر"، وقيادة الناحية الثانية، وكان لي شرف المشاركة في تلك المعركة لأني كنت أحد مجموعة الناحية الثانية التي كانت داخل الحصار، حيث بدأت المعركة حدود الساعة الثانية بعد الزوال بقواة لاتعد ولاتحصى، بعد علمهم بأن مسير الولاية كان داخل الحصار، لقد إستعملوا كل أنواع الأسلحة المتاحة لهم، ومن حسن حظنا أننا كنا متموقعين بالراس المسنن لقمة شلية، والمعلوم أن القمم المسننة الشاهقة الإرتفاع لاتمكن الطيارين من تسديد القنابل والقذائف، فالإرتفاع يعيق تحليقها، فكانت القنابل التي تصب علينا تتدحرج إلى أسفل الوادي دون أن تصيبنا، ولكن مدفعية الميدان كانت تلحق بنا الضرر، وتصيب الأهداف، ولما جن الليل بدأنا الهجوم على عدة جبهات للخروج من الحصار، فمقاتلي الولاية هجموا على الجبهة الغربية، ونحن مجموعة الناحية هجمنا على الجبهة الشرقية، وقعت خسائر معتبرة في مقاتلي الولاية حيث إستشهد مسير الولاية "علي النمر"، وأسر قائد الناحية الثانية الملازم الثاني "الشيخ إبراهيم مزوزي" واستشهد العديد من مروسيه وأبناء عمومته.

وبذلك أسدل الستار على تجربة رائدة للمرحوم "علي النمر" وبدأت مرحلة جديدة من بعده تولى قيادتها المجاهد "الحاج لخضر عبيد" أحد وجوه الساعة الأولى لفاتح نوفمبر.

- الحاج لخضر كمسير للولاية بالنيابة

مباشرة بعد استشهاد علي النمر تولى" الحاج لخضر عبيد"تسيير الولاية في الداخل بالنيابة، وهو وجه من الوجوه القديمة في النضال الحزبي، وأحد رجال الساعة الأولى للفاتح من نوفمبر 1954، وهو أحد المهاجمين على المركز العسكري لمدينة باتنة بمعية الشهيد قرين بلقاسم الشريفي.



الحاج لخضر

فشخصية الحاج لخضر" تختلف عن شخصية سلفه"علي النمر" من حيث الشدة، فهو شديد القسوة حتى على نفسه، صارما مع مرؤوسيه، أسلوبه في الحوار إصدار التعليمات الجافة، قلما يبتسم في وجه مرؤوسيه، حتى أنني لم أتذكر إبتسامة عريضة للحاج لخضر، ولكن إخلاصه للثورة جعله يشعر وكأنه وحده المسؤول عنها.

وأثناء تولي "الحاج لخضر" مسؤولية تسيير الولاية بالداخل، واجهته ثلاث حوادث أثرت على أسلوب تعامله مع المجاهدين، والمسيرين وهي:

أولا: ظهور عناصر مناهضة لأسلوب تسييره على مستوى المنطقة الأولى التي كان مسؤولا عليها شخصيا قبل تنقله للولاية، حيث إتهمه منتقدوه بالفضاضة معهم والإنحياز لأبناء قبيلته، وتفضيلهم بالمسؤوليات على حساب من هم أجدر منهم كفاءة وتاريخا وبطولة، تعالت بعض أصوات المحتجين في وجهه، مع أنه لايقبل الإنتقاد، غير أنهم تحدوه برفع تقارير إلى القيادة في تونس للتنديد بالسلوكيات التي يشيعونها عليه وهو قائدهم المباشر.

ثانيا: ثم أنه لما زار الولاية الثالثة لحضور إجتماع تنسيقي بين بعض قادة الولايات خلال شهر ديسمبر 1958، تفاجأ باختراق المخابرات الفرنسية لصفوف مجاهدي الولاية الثالثة بما عرف بقضية "الزورق".

لقد أوهم العقيد "عميروش، الحاج لخضر عبيد" بأن الولاية الأولى نفسها مخترقة من طرف المخابرات الفرنسية، وسلمه أسماء بعض مجاهدي الولاية الأولى المتهمين، ومباشرة عجل الحاج لخضر بالعودة للولاية الأولى مفجوعا مفزوعا متوعدا بضرورة كشف ذلك الإختراق بكل الطرق، متوعدا من يكشف عليه العمالة بالإعدام الفوري.

وبما أن "عميروش يعلم حقيقة المشوشين الذين فروا من بين يديه في تونس إلى الجبال، فقد شكك في وطنيتهم، وحاول إقناع "الحاج لخضر" بأن ظاهرة التشويش من إيحاء المخابرات الفرنسية، وأقنعه بضرورة مقاتلتهم، وخصص لذلك كتائب من منطقة القبائل تدخل الأوراس لمحاصرتهم والقضاء عليهم، وقد دخلت تلك الكتائب للأوراس، ولكنها لم تتمكن من تصفية المشوشين.

ثالثا: ولما دخل "الحاج لخضر" لمركز الولاية بغابة "كيمل - بني ملول" أحضر معه حراسة خاصة من المنطقة الأولى لأن "عميروش" قد زعزع ثقته في مجاهدي المنطقة الثانية (محيط المشوشين)، وأصبح مقر الولاية محروسا من طرف كتائب المنطقة الأولى، وهو ما أثر على نفسيات مجاهدي المنطقة الثانية، كون قائد الولاية لايثق في ولائهم، وساءت العلاقة بين قائد الولاية وبعض الكتائب التي أعلنت التمرد على قيادته نتيجة تعامله معهم بالغلظة والشك في وطنيتهم، ونتيجة لذلك تمت إعدامات كثيرة بالشك في صفوف مجاهدي المنطقة الثانية، شملت الإعدامات عناصر لاعلاقة لها بالمشوشين، حيث تم إعدام "أحمد عجول" الأخ الأكبر للقائد عجول بمجرد الشك

في تعامله مع أخيه عجول، وهو رجل من طلائع ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 بعد تسليم أخيه نفسه للعدو فرارا من "عميروش أصبح "أحمد عجول" منطويا على نفسه مدمنا على محاربة العدو، ولاعلاقة له بالمشوشين ومع ذلك أعدم، كما أعدم أيضا "ثنيه الصادق المكلف بالتموين في فترة "عجول"، وهو أيضا من طلائع ليلة الفاتح من نوفمبر، وكما أعدم أيضا "بيشه" وآخرين راحوا ضحية الشك الذي إستولى على عقل قائد الولاية نتيجة مازرعته المخابرات من فتنة ووهم الإختراق كما سنبين ذلك بالتفصيل لاحقا.

- **الحاج لخضر يتوهم اختراق المخابرات لولايته**

كما ذكرنا عاد "الحاج لخضر" من الولاية الثالثة مفزوعا من هول ما سمعه من زميله قائد الولاية الثالثة من إختراقات خطيرة للمخابرات الفرنسية، فعاد "الحاج لخضر" لولايته وهو شبه متأكد بأنها هي الأخرى مخترقة، وأن المشويشين في المنطقة الثانية، والجماعات التي إتهمته بسوء التسيير في المنطقة الأولى قد يكونا لهما علاقة بالمخابرات الفرنسية.

وبمجرد عودته من الولاية الثالثة، سارع إلى تعيين "مصطفى مراردة" محل ثقته وأقرب الناس له بالولاء العائلي، ليتولى التحقيق مع المحتجين على تسيير "الحاج" بالمنطقة الأولى، وهو ما يؤكده "مراردة مصطفى" في مذكراته بقوله: (خلال شهر فبراير 1959 رجع "الحاج لخضر" من الولاية الثالثة وفي جيبه قائمة تضم أسماء مشبوهين، منهم مسؤولون سياسيون، ومسؤولون عسكريون، ومسؤولو فرق، وقد أمرني "الحاج" بالتحقيق معهم رفقة ' "حمومه قادري'، وقد تبين لنا من خلال التحقيق، بأن مسألة الخيانة غير واردة، لكن كانت هناك محاولات للتكتل ضد "الحاج لخضر" ومن معه من عرشه ومؤيديه، وانتهينا من التحقيق إلى أن القضية ليست سوى نوع من التكتل العشائري لاغير) ويواصل"مراردة" في

فقرة أخرى: (كان "الحاج لخضر" قد كلفني أيضا بالتحقيق في قضية أخرى مماثلة، وقد لامني لأننا حكمنا بالبراءة على الشخص الذي أمرنا بمحاكمته، وخاطبني "الحاج" شخصيا بقوله: ('أنت أيها الخائن، قلت "لعمار عشي" قائد المنطقة الأولى (كذا... وكذا') فأجبته قائلا: (نحن حكمنا بما نراه حقا، وإن شئت أن تحكم عليه بالإعدام بغير وجه حق، فأعد التقرير لنفعل ذلك')[1].

تؤكد هذه الشهادة لأقرب الناس "للحاج لخضر" بأنه فعلا أصبح ضحية لسلطان الشك الذي دفعه لإتهام كل الشباب المثقفين إعتقادا منه بأنهم غير محصنين وطنيا لصغر سنهم وضعف شخصيتهم وقلة تجربتهم، وحتى أبطال المعارك الشجعان لم يسلموا من شبهة الشك الذي سيطر على عقل "الحاج لخضر"، إلى درجة أنه أصبح يشك حتى في نزاهة من كلفهم بالتحيق، مثل قريبه "مصطفى بن النوي مراردة" الذي يؤكد لنا في فقرة أخرى قوله: (حقيقة أن بعض المشبوهين حكم عليهم بالإعدام، وتم تنفيذ الحكم فيهم، وقد كان من بينهم شخص واحد فقط ثبتت خيانته فعلا، لأنه حين كان في الناحية الثالثة والرابعة (من المنطقة الأولى) كان يحرض على عدم الانضباط، وعدم الطاعة، وعدم قبول تحمل المسؤولية، وهو بالتحديد المدعو'عمر حجي')

فشهادة "مراردة" هذه تفيد بأن التحقيق لم يثبت الخيانة على المعدومين ومع ذلك أعدموا مثل الضحية "حجي عمر"، فعدم الانضباط ورفض تحمل المسؤولية، لا يؤدي بالضرورة إلى كونه عميلا للمخابرات الفرنسية، وبالتالي فإن إعدامه ورفاقه قد تم دون دليل، ولكن سلطان الخوف من الاختراق دفع "الحاج لخضر" الى التضحية بهم خوفا على الثورة.

[1] مذكرات الرائد مراردة ص110

ولأقرب القارئ الكريم من الحقيقة حول هذا الموضوع الخطير الذي ذهب ضحيته شبان وهبوا أرواحهم للثورة قبل أن يعرفوا من سيكون قائدا لهم، أقدم موجزا مختصرا من شهادة أحد ضحايا الشك الخطير بالإختراق المزعوم في فترة "الحاج لخضر عبيد"، وهو ضابط مثقف يدعى "محمد الصالح بن الطامه" والذي كان مسؤولا على "مدينة سطيف"، وهي مدينة تقع على الحدود بين الولاية الأولى والولاية الثالثة، وكانت محل نزاع بينهما، ولعل ذلك النزاع هو السبب في تسليم "عميروش" إسم "بن الطامه محمد الصالح" "للحاج لخضر". المهم أن "بن الطامه" طاله الشك في وطنيته لكونه شابا مثقفا ونشيطا أدى خدمات جليلة في مدينة سطيف التي كان "بن بولعيد مصطفى "قد عين مسؤولا عليها إبن أخته" مصطفى رعايلي" خلال شهر ديسمبر 1954، فقد ألقي القبض على "بن الطامه وخضع للتحقيق والسجن، أنقل بعض الفقرات من شهادته الطويلة حيث يقول: (في هذه الصفحات أوجز لكم كيف تمت عملية (لزرق) في الولاية الأولى، خاصة المنطقة الأولى وذلك للتخلص من أغلب الكفاءات الشجاعة في جيش التحرير الوطني خلال الفترة الممتدة من آخر 1958 إلى أوائل 1960، وقد شملتني التهمة دون أن أتفطن لحالي، وبينما كنت في إحدى الإجتماعات النظامية بدأت أحس بنظرات تتجه نحوي خفية، وبعد الإنتهاء من ذلك الإجتماع أشعرت بأني سأنقل من مهامي الى مهام أخرى، وفعلا أمرت بالسفر وخصصت لي دورية لمرافقتي للمكان الجديد، ومباشرة بعد خروجنا من مكان الإجتماع المنعقد في مقر المنطقة الأولى، نزع مني سلاحي وربطت يدايا إلى الخلف من طرف مسؤول الدورية المجاهد 'حسن بو زراعة' وهو قائد كتيبة حيث قادوني إلى سجن المنطقة الموجود "بأولاد سلطان دوار سفيان"، مكثت في السجن بعد التحقيقات الدقيقة ثمانية أشهر كاملة تحت الأرض، أي

من أواخر مارس 59 إلى نوفمبر 59، انضم لي في ذلك السجن "محمد الوهراني"، و"لخضر زيباني"، و"عبد الهادي سويسي"، و"موسى بعلي"، و"عمار زواق"، وإليكم أسماء من عذبوا، ثم أعدموا، وهم:

(1عبد الحميد بورزق أعدم، 2) جمال حفيز أعدم، 3) عمر بعجي أعدم، 4) الذوادي عبيرز أعدم، 5) عبد المجيد دباش أعدم، 6) موسى بعلي أعدم، أما من سجنوا وأطلق سراحهم فهم: محمد الوهراني، بلقاسم شنوف، عمار زواق، محمد الصالح بن الطامة 'صاحب الشهادة'، عبد السلام برجان، لخضر زيباني، عبد الهادي سويسي) هذا جزء من شهادة بن طامه أعتذر عن عدم نشرها كاملة لأنها طويله تعرضت لشرح ملابساتهم، وقد ذكر العقيد على كافي بعض الضحايا ممن ذكرهم بن الطامة حيث يقول:

(لقد حولت الولاية الأولى لنا مسؤولين متهمين بالخيانة، فلم تكترث برأيها بل أسندنا للمتهمين مسؤوليات مهمة أدوها بكل إخلاص ووطنية وهم "بكوش"، و"عبد السلام برجان"، و"بلقاسم شنوفي")[1].

وهناك تقرير آخر في هذا الشان، كتبه محمد الصالح 'الصفاقصي' الذي كان كاتبا لفرحات عباس في حزب البيان، يصف فيه مأساة المثقفين والطلبة والمتعلمين في هذه الفترة الحرجة، وقد حول ذلك التقرير إلى القيادة بتونس عن طريق الولاية الثانية.

ولا بأس من التذكير بما أوردناه سابقا، بأن الدكتور محمود عثامنة طبيب الولاية، والدكتور عبد السلام بن باديس كانا قد اضطرا إلى الفرار من داخل الولاية خوفا من عقوبة مسير الولاية "مرارده مصطفى"، وذلك بعد سوء علاقتهما معه، وقد

1. مذكرات الرئيس علي كافي ص 125

سافرت معهما نحو الحدود بنية الدخول لتونس، ولما حاولنا قطع الخط المكهرب صادفنا دخول "الرائد علي سوايعي" من تونس، فعدنا معه لمقر الولاية حيث تولى تسيير الولاية بدلا من "مرازده"، لكن الدكتور "عبد السلام بن باديس" أصر على الدخول لتونس حيث إستشهد على مستوى الخط المكهرب.

والجدير بالملاحظة أن ما ذكرناه في المنطقة الأولى، قد شمل أيضا عناصر أخرى في المنطقة الثانية لما أصبح "مرازده مصطفى" هو المسير الفعلي للولاية في الداخل، حيث تم إعدام قادة ثوريين منهم "مصطفى بوستة"، و"العايش بادسي"، والنقيب "السعودي" قائد المنطقة الرابعة وآخرين كلهم من رجال الساعة الأولى مفجري الثورة، والبعض منهم اضطر إلى تسليم نفسه للعدو بعد المطاردة مثل "الصالح شنخلوفي"، و"الجودي بوسنه"، و"معمر بن سي علي" و"مذور بلقاسم"، واستمر الباقون مطاردون إلى أن فرج الله كربتهم بتعيين مسؤولين آخرين على الولاية متشبعين بثقافة الحوار، فعالجوا المشاكل بالواقعية والتروي، وأنهوا مشكلة "التشويش"، وعاد الجميع للصفوف، وبذلك انتهت ظاهرة التشويش التي بدأت من تونس وانتهت في عمق الأوراس.

- الشك في وطنية المشوشين

قبل كل شيء أريد أن أأكد بأني أبدا لم أكن يوما من بين من يطلق عليهم (المشوشون) حتى لا أتهم بأني أدافع على نفسي من خلال تعرضي لظروفهم ومأساتهم حين دفعوا دفعا لذلك المصير، فرارا من الإعدامات التي شملت خيرة أبطال الأوراس في تونس من طرف ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ خلال فترة "عبان رمضان" بالخصوص.

لم يوفق "الحاج لخضر" في التعامل مع المشوشين باللين والحوار، حيث عاملهم كمتمردين خاصة بعد النصيحة التي تلقاها من زميله "عميروش" في الولاية الثالثة، بأن ظاهرة

التشويش من إنجاز المخابرات الفرنسية، وذلك رغم المعارك البطولية التي كان يقوم بها المشوشون على أرض الميدان في المنطقة، وليس ذلك غريبا عنهم فهم من الرعيل الذي فجر الثورة.

يبدو أن لا ألوم "الحاج لخضر" على تلك المعضلة القاسية المشوشين، لأنه كان خالي الذهن من المأساة التي دفعت التجاء إلى الجبال فرارا من قبضة الأمن التونسي ورجال "أوعمران" بتونس، وبالتأكيد لو أن الحاج لخضر، قد لحق بتونس خلال فترة العقيد أوعمران لكان مصيره نفس مصير "عباس لغرور" وهو الإعدام، أومصير "عزوي عيسى" و"الشريف رابح" وهو المطارده" والتشويش.

وبالتالي فإن "الحاج لخضر" لايعرف الوسطية (سوداء، أو بيضاء) ولايقبل الإحتواء، وبالتلي لايمكنه أن يقبل ما فرضه "العقيد أوعمران" على قادة الأوراس الذين أعدموا، أو الذين تمردوا وشوشوا، وبما أنه يجهل تلك الأسباب التي دفعتهم للتمرد، فطبيعي أن يقسو عليهم ويعتبرهم متمردين على سلطته، وبذلك أصبحوا بين نارين: نار العدو وتآمر عيونه المنتشرين بين السكان، ونار مطاردة إخوانهم المجاهدين بتهمة الخيانة.

- المخابرات الفرنسية تقوم بثلاث محاولات إختراق وهمية

بعد ان فرضت الثورة نفسها في الميدان، وعجز العدو عن تصفية الثوار، راح يستنجد بوسائل أخرى لعلها تمكنه من حفظ ماء الوجه أمام سيطرة جيش التحرير، فلم يجد غير الحرب النفسية السيكولوجية التي جربها في الهند الصينية ليطبقها في الجزائر كأسلوب معول عليه لبعث الاضطراب والشك والفتنة وسط السكان وحتى بين الثوار إنفسهم إن مكنته الظروف من ذلك.

وقد تمكن من تحقيق بعض النجاحات على مستوى الولاية الثالثة والرابعة، وحاول تطبيق التجربة في الولاية الأولى، بمحاولات تضليلية فاشلة حاول من خلالها إيهام قائد الولاية بحقيقة إختراقهم لصفوف الولاية الأول، مركزين جهودهم على فئة الشباب والمرأة وقدماء المحاربين دون جدوى، فقدماء المحاربين خيبوا ظنه بتسخير تجربتهم لصالح الثورة، والشباب طعموا صفوف المجاهدين بالحيوية والحماس.

أما المرأة فقد برهنت على فعاليتها بالخدمات الجليلة بكل سخاء وتحدي، من ذلك حمل السلاح والتضحية بالعمل الخفي في الخلايا السرية وعلى مستوى الأسرة الجزائرية في المدينة والريف، وكذلك الخدمات على مستوى مراكز جيش التحرير من إطعام ونظافة وعلاج، وفي هذا الموضوع بالذات أذكر كمثال المجاهدة "فياله" إبنة المجاهد بودوح التي كانت زوجة للشهيد البطل "دوحه"، لقد كان بإمكان "فياله بودوح" حمل السلاح كزميلاتها لكنها إختارت خدمة كتائب جيش التحرير في المراكز السرية وسط المواطنين على مستوى الناحية الأولى المنطقة الثانية في محيط أريس، حيث كانت تتنقل بين المراكز لتقوم بالطبخ والغسيل ومواساة الجرحى والمرضى، وعند قيام الجيش الفرنسي بحملاته التفتيشية داخل السكان فإنها كانت تغامر بالتسلل وسط نساء المنطقة كواحدة منهن، ثم تعود لعملها دون إنقطاع.

وأذكر أيضا تلك الفتاة البطلة التي كانت في طريقها لتونس وصادف أن حضرت إحدى المعارك مع البطل "عبد الرحمن العمراني بجبل (تامزه) وكان خندقها بالقرب من قائد المعركة "عبد الرحمن العمراني"، فبعد إستشهاده أخذت سلاحه وقاتلت بروح عالية إلى أن سقطت هي الأخرى شهيدة بجواره في خندق الشرف. وكانت محل إعجاب ضباط العدو أنفسهم، وهناك كثيرات ممن برهن للعدو بأن أبطال معارك التحرير هم

...ما رحم البطلات الجزائريات وغيرها كثيرات مما لايسع المقام ...د بطولاتهن في كل ناحية.

...محاولات التضليل الثلاثة للمخابرات الفرنسية كانت كما يلي:

المحاولة الأولى: أسقطوا مجموعة من الوثائق في (عمق غابة ...بني ملول) بواسطة الطائرة، وضعوا تلك الوثائق داخل ...وعاء مجوف ثبتوا على طرفيه خرقة حمراء للتدليل على مكانه ...وتسهيل العثور عليه من طرف المجاهدين، من بين الوثائق رسائل عاطفية وأخرى غرامية مرسلة إلى من يعتقد أنهم قد اخترقوا صفوف الثوار، وأصبحوا يعيشون في وسطهم دون أن يعرفوا بهم، وأنهم على علاقة ببعض المجاهدين ليسهلوا لهم التنقل والتخفي، ومع الرسائل وثائق أخرى عبارة عن أوامر بمهام ورخص مرور...... الخ.

المحاولة الثانية: قاموا أيضا بإسقاط جثة رجل ميت مربوط بالمظلة التي أسقطتها الطائرة وسط المنطقة المحرمة، فقد علقت المظلة والجثة بالأشجار الباسقة ليسهل إكتشافها، ولما عثر عليها من طرف المجاهدين وجدوا في جيوب الجثة رسائل، وثائق متنوعة، ولما فحص الجثة طبيب الولاية "محمود عثمنه" تبين له بأن الجثة تعود لسجين مات تحت العذاب، لأن آثار التعذيب كانت بادية بوضوح عليها.

قد تعمدت المخابرات الفرنسية إسقاط تلك الجثة لتوهم قائد الولاية بأن عددا معتبرا من عملاء المخابرات قد أسقطوا بنفس الطريقة وأنهم يؤدون مهامهم الموكلة لهم في الخفاء وسط محيط الثوار، وهي محاولة يائسة إكتشفت بالسرعة المطلوبة.

المحاولة الثالثة: إستغلال المخابرات أيضا "تعليمة" كان قائد الناحية الثانية (أريس) "محمد حابه" قد أصدرها لمرؤوسيه يحثهم بها على تكثيف نشاطهم ضد وحدات العدو التي كثفت من نشاطها وسط السكان، وبالصدفة وقع مسؤول القسمة في

كمين نصبه العدو له، وبعد قتال شرس سقط شهيدا فأخرجوا من جيبه نسخة من تلك التعليمة، فقام ضابط المخابرات بإرسالها لمسؤول الولاية ليوهمه بأن له عيونا يخبرونه بكل صغيرة وكبيرة والدليل تلك التعليمة، وبمجرد تسلم قائد الولاية تلك الوثيقة المرسلة من المخابرات، قام بإستدعاء قائد الناحية "حابه محمد"، ولعل "الحاج لخضر" قد أدى به الأمر إلى الشك في قائد الناحية "محمد حابه" لأنه كان قبل إلتحاقه بالثورة مجندا في صفوف الجيش الفرنسي برتبة (كبرال). فلقد أصبح "الحاج لخضر "يشك في كل مساعديه. وبمجرد حضور "حابه محمد" أمام قائد الولاية أقنعه بأن الوثيقة عثرت عليها المخابرات الفرنسية بالصدفة في جيب الشهيد وليس هناك ما يدعو للريبة.

كانت تلك عينة من بعض المحاولات التي حاولت المخابرات إستغلالها لبعث الشك وسط قادة الولاية لتوهمهم بأن بعضهم يتعامل معها سريا وبالتالي تنجح في تصفيتهم ببعضهم البعض

وفعلا لقد أصبحت الثقة مفقودة إلى درجة أن كل واحد منا أصبح يعتقد انه الوحيد الذي لايزال على العهد، وعليه أن يحتاط لنفسه من اقرب الناس إليه حتى لايقيدوه ويسلموه للعدو، وحول هذا الموضوع يذكر الجنرال الطيار "فروجي" مايلي: (كنا نقوم بمهمات منها المنبه، والمباغت، والمهماز، ومارتار، وسيسرون، وغيرها ذات الأسماء المثيرة، ماعدا الأخيرة ذات الأصل الغامض التي كانت تتمثل في إسقاط سري ما أمكن "لوثائق مزيفة" أعدها المكتب الأرضي الثاني في قلب بعض مناطق الملاذ (مناطق محرمه) وهي وثائق الهدف منها نشر التناحر بين متمردين كان ميلهم الى التقاتل قويا كما أظهرته وقيعة "لابلو يت" في القبائل حيث أصيب قائدها عميروش بهوس التجسس الحاد)[1].

1. الجنرال "فروجي" في كتابه الحرب الباردة وحرب الجزائر 147

• قائد الولاية يتهم عبد المجيد عبد الصمد بالخيانة

كما بينا أصبح قائد الولاية يشك في كل من كان ينتمي للجيش الفرنسي، وكذلك الشباب والطلبة، والمجندين حديثا، وكل من له أقارب في مراكز العدو من عملاء وحركى وعسكريين.

تدعمت فتنة الشك المدمر الذي تسبب في إعدام كثير من الضحايا الأبرياء كما ذكرنا سابقا، لقد استمر الشك معشعشا في رأس قائد الولاية الى درجة أنه شك في إخلاص أشجع ضابط في الولاية بدون منازع، إنه قائد الناحية الثانية "عبد المجيد عبد الصمد" المشهور بخوض المعارك ضد وحدات العدو، فتوعده ضابط المخابرات على مستوى المكتب الثاني الفرنسي المتواجد في ثكنة "فراقصو بوحمامه"، الذي أصبح على علم بالوسواس الذي سكن عقل قائد الولاية، فعجل بنسج مكيدة لعبد الصمد عبد المجيد أمام قائد الولاية المهلوس بشبح الإختراق، فحرر رسالة وجهها "لعبد الصمد عبد المجيد" ينوه بشجاعته واحترافيته في القتال، وينصحه بأن مستقبله في الجيش الفرنسي.

وطبعا بعد تسلم "عبد المجيد عبد الصمد" رسالة ضابط المخابرات تلك، حولها مباشرة للمنطقة التي حولتها بدورها لقائد الولاية الذي إعتبر تلك الرسالة دليلا على علاقة "عبد المجيد" بالمخابرات، فأوقفه في الحال، وبدأ يبحث على مورطين أخرين معه، فكنت أنا شخصيا الضحية الثانية بعد "عبد المجيد" مسؤولي المباشر، فهو قائد الناحية، وأنا قائد قسمة، أباشر مهامي مع السكان تحت إمرته المباشرة، فشملني الشك أنا الأخرعلى أساس أني حلقة إتصال بين "الحاج عبد المجيد" والمخابرات الفرنسية، سجن قائد الناحية "عبد المجيد" في مركز الولاية، وسجنت أنا شخصيا بمركز المنطقة الثانية،

ثم شمل الشك الشاب "عبد الله مزوزي" الذي سجنوه بمركز الناحية.

وبتلك السذاجة أصبح ثلاث مجاهدين مثاليين في أداء مهامهم بكل صدق وإخلاص للثورة، مطعونا في شرفهم الوطني، ومتهمين بالتعامل مع جيش العدو.

لقد سقط قائد الولاية بعفوية في مصيدة الشك المدمر الذي أوقعته فيه المخابرات الفرنسية بدسائسها، مصدقا ماسمعه من زميله قائد الولاية الثالثة.

لا أدري ماهو معيار الإدانة "لدى الحاج لخضر" لغيره من المجاهدين الذين تطوعوا مثله تماما للتضحية في أقدس معركة لتحرير الوطن؟ وهل بمجرد أن يصبح الإنسان مسؤولا يحق له أن يطعن في وطنية مرؤوسه ؟

فلقد كان "الحاج عبد المجيد عبد الصمد" بطلا لا يوجد غيره في محيط قائد الولاية من كان يروع القوات الفرنسية ويؤرق مضجعها، لذلك حاربته المخابرات الفرنسية بالدسائس لعل قائده المباشر يريحها منه بالغباء، أمر لم يتكرر بكل أسف خلال الثورة الجزائرية إلا مع الأوراسيين.

وها نحن اليوم داخل ولاية الأوراس رغم تضحياتنا نتهم في شرفنا الوطني من طرف مسؤولنا المباشر الذي لاتميزه عنا غير المسؤولية بحكم الظروف، لقد أخضعنا لنفس المصير الذي فرضوه على مسؤولينا التاريخيين أبطال معركة الجرف وغيرها التي لم تتكرر في فترة من عوضوهم على قيادة الأوراس، والذين لم يتمكنوا من تحقيق ماحققوه خلال الفترة الذهبية 1956/1955 مهما إدعوا.

وهكذا لم يبق أمامنا في تلك التهمة غير التضرع لله الذي يميز بين الطيب والخبيث لعله يلهم قائد الولاية اليقين حتى لايشمل

شكه كل بطل يلحق الضرر بالقوات الفرنسية التي إهتدت [illegible] على أيدي قادتنا المباشرين.

لم تشفع "الحاج عبد المجيد" لدى قائد الولاية تلك المعارك التي كان يخوضها، ولا تلك التقارير التي ترفع له على العمليات القتالية اليومية التي كان يقوم بها، ولا أشلاء الطائرات التي أسقطها، ولا هياكل الدبابات والمركبات التي أحرقها، فراح يصدق إتهامات العدو دون تروي .

فالعقل لا يصدق أن من كان يعصف بجنود العدو ويتحدى قدرات واحترافية جنرالاته في الإشتباكات المتكررة والكمائن الموجعة يصبح متورطا في العمالة ضد قضيته المقدسة التي بذل حياته لها، فأي عقل يصدق ذلك؟، بهذا المنطق سيجد قائد الولاية نفسه في يوم ما الوحيد الباقي وحده على العهد بعد الفتك بكل رجاله؟

فمأساة الأوراسيين تتكرر بالغباء والسذاجة، أولم تكن مأساتنا شبيهة بمأساة "عجول" مع "عميروش"، ومأساة "عباس لغرور "وزملائه في تونس مع ممثلي "عبان" "العقيد أعمران"، وبن عوده، ومحمدي السعيد، وهي نفسها مأساة "محمد لعموري" و"نواوره" و"عواشرية، والأكحل، و54 ضحية في تونس مع الحكومة المؤقتة خلال فترة كريم"، و"بن طوبال" و"بوصوف"، ورئيس الحكومة التونسية ؟، والله وحده يعلم من سيكون الضحية من بعدنا وبعد هؤلاء الرموز، مع فارق كبير جدا: هو أن "عجول" و"عباس لغرور" ورفاقهم كانوا ضحية النفوذ السياسي بعد مؤتمر الصومام، أما نحن " فكنا ضحية الخوف المبالغ فيه على الثورة من طرف قائدنا "الحاج لخضر عبيد" الذي بمجرد تسلمه رسالة بسيطة صادرة عن ضباط المخابرات بمركز (بوحمامه) بقصد زرع الفتنة بواسطة الشك وانطلت عليه الخدعة بتلك السهولة، فما أقساها

محن توالت على رجال جيش التحرير في الأوراس داخليا وخارجيا نتيجة عدم التبصر.

فبإذا كان "الحاج عبد الصمد" متهما برسالة ضابط المخابرات الفرنسية بمركز بوحمامة، فإن إتهامي أنا شخصيا لم تتبين أسبابه حتى هذه اللحظة، ولعلها تكون بسبب علاقتي القديمة مع "عاجل عجول" الذي تعرض لنفس المحنة التي نتعرض لها نحن الآن، ولكن بأسلوب آخر، أو بسبب علاقتي الحميمة مع قائدي المباشر "عبد المجيد عبد الصمد" بصفتي قائدا لأهم قسمة في الناحية الثانية التي كان يتوقف عليها تموين جيش التحرير في المنطقة، فكل شيء أصبح ممكنا في تلك الآونة في الأوراس بالذات، كما أن تهمة "عبد الله مزوزي" قد تعود لعلاقته مع عمه "الشيخ ابراهيم مزوزي، الذي أسر في المعركة التي إستشهد فيها قائد الولاية "علي النمر" بقمة شليه خلال شهر جوان1958.

والسؤال البديهي الذي يطرح نفسه هو: متى كانت المخابرات تتطوع لكشف عملائها للجهة التي تتجسس عليها؟.

من حسن حظنا أن الرأي العام للمجاهدين أبدا لم يصدق تلك التهمة المفضوحة، بل حذروا من خطر تصديقها، لأنها قد تشمل الجميع إلى درجة أنه لاأحد يستطيع أن يزكي نفسه، وقد يصل الشك لرأس الهرم وتلك أم الكوارث.

فما دام "عبد الصمد" أصبح متهما فلا أحد يبقى منزها، ولا أحد يدعي البراءة، وهو ما دفع المسؤولين على مستوى المنطقة الثانية إلى المطالبة بتولي التحقيق في قضيتنا بأنفسهم، وتحت الضغط والتصميم رضخ قائد الولاية لرغبتهم، وكون منهم لجنة تحقيق، أدركنا حينها أننا سنكون بين أيادي أمينة.

إستمر "الحاج عبد الصمد" سجينا في مركز الولاية خاضعا للتحقيق، وكنت أجهل تماما تفاصيل التهم الموجهة له، وما

علمته أنه أضرب على الطعام إحتجاجا على إتهامه دون تقديم أدلة تثبت ذلك، وعندما قرر إنهاء الإضراب قدمت له وجبة من (الشرشم) وهي عبارة عن حبوب القمح المطبوخة في الماء، فتسبب نتيجة ذلك بوعكة خطيرة في أمعائه وجهازه الهضمي.

أما أنا فقد تولى إستدعائي مسؤول المنطقة الثانية "الشيخ يوسف اليعلاوي" للتحقيق معي وذلك يوم 3/3/ 1959 حيث تفاجأني بتوجيه تهمة التعامل مع المخابرات الفرنسية، أنا العبد الضعيف وقائدي المباشر "الحاج عبد المجيد عبد الصمد"؛ فما قيمتها تهمة توجه لمجاهد سبل روحه للوطن منذ أكثر من أربع سنوات مضت، وقد أدركت حينها انه لا فائدة من محاولة تبرئة ذمة بعد رفع حصانة الجهاد عنا، ولكنني قررت أن أضع الشيخ يوسف أمام ضميره فذكرته بثلاث حقائق:

الأولى: (إن والدي بسعة علمه وورعه وصدق وطنيته قد حصن أولاده بالوطنية، ودفع بهم جميعا إلى الثورة كوقود لمعركة التحرير وهم خمس مقاتلين في خنادق القتال يتحدون العدو، وأتمنى أن لا يلاقوا نفس مصيري).

الثانية: تعلمون بأنني من تلامذة معهد ابن باديس، وسيادتكم من أساتذته، واتهامي بالخيانة ينعكس على مردودكم كمربين ولا يشرفكم أبدا، وإنكم باتهامي تطعنون في مصداقية معهد العلامه بن باديس وأنتم تنتمون له.

الثالثة: (أأكد لكم بأنكم ستندمون عندما تتأكدون بأن العدو قد ضحك عليكم وإستغفلكم وأوقعكم في مصيدته ودفعكم لإعدامنا ونحن أبرياء).

لقد تبين لي أن كلماتي قد أثرت في نفسية الشيخ، وأنه في عمقه غير مقتنع باتهامنا، لكنه لم يشعرني بذلك، فقط أمرني بتسليم العهدة وما بقي تحت يدي من مبلغ الاشتراكات إلى "المرشح محمد بن المسوس"، ففعلت ذلك فورا مقابل تسليمي لوصل

مدون عليه ذلك المبلغ كإثبات على ما تسلمه مني "بن المسوس"، ولا زلت أحتفظ به إلى اليوم. ومباشرة بعد ذلك خصص لي هذا الأخير فوجا ليوصلني لمركز المنطقة الذي كان الضابط الأول العسكري "محمد الشريف جار الله" فيه، وبمجرد دخولنا المركز قام مسؤوله بوضع القيود في يدي، مداوما كيف لايجتهد في شدها على عميل للعدو حسب ما رسخوه في قناعته، معذورا أخي المجاهد، ثم حشروني داخل ملجأ (قشون) تحت حراسة مشددة، وفي اليوم الموالي لما فتحوا قيدي لتناول الأكل البسيط كتبت رسالة قصيرة لسي "محمد الشريف جار الله" الذي سبق وأن تتلمذ على أبي في صغره، طالبته بفك القيود فكان جوابه حرفيا كالتالي: (أخي اتاسف لما أصابك، ولكن بهذا أمرنا النظام، والعفو من الله، الاعتراف بالحق فرض، وعليك بالصدق ولو حرقوك بالنار) لقد المني كثيرا ذلك الرد لكونه يعرف جيدا عائلتي ومع ذلك يشك في وطنيتي، ولكني عذرته وتجاهلت نصيحته الصادقة، واحتفظت بورقته حتى الساعة كتذكار، وأأكد في هذا المقام أنني والحق يقال لم أتعرض لأي تعذيب ما عدى التعذيب النفسي المعنوي ولم يتكرر التحقيق معي إلى غاية البراءة.

- **تشكيل لجنة للتحقيق معنا والمحاكمة**

وتحت ضغط مسؤولي النواحي في المنطقة الثانية إضطرقائد الولاية "الحاج لخضر" لتعيين لجنة تحقيق في ملابسات قضيتنا من بينهم، وقد كانت تضم:

1) محمد الشريف جار الله: المسؤول العسكري للمنطقة، رئيسا.
2)- الضابط علي رابح عضواللجنة
3)- الضابط محمد حابة عضو اللجنة.
4)- الضابط محمد الصغير عبد الصمد: عضو اللجنة.

انكبت هذه اللجنة على التحقيق في التهم المنسوبة إلينا، وخاصة التقرير الذي تقدم به نواب "الحاج عبد المجيد" الثلاثة

المتطوعين لذلك عن قصد وهم: "محمد بن المسوس" المسؤول العسكري للناحية، و"عبد الباقي بلعباس" السياسي، و"العايش حصروري" مسؤول الإعلام، وقد إعتمدوا الرسالة التي بعث بها ضابط المخابرات إلى "عبد الصمد عبد المجيد" كحجر الزاوية في إتهامنا، ومن حسن حظنا أن "العايش حصروري" قد تراجع عن التقرير الذي حرروه ضدنا، واعترف بأن لادليل له على إتهامنا، وهو رجل فاضل كان من بين ممن أمضوا تقرير الإتهام تحت شبح الخوف، وأن بعض الإيحاءات دفعتهم للتجني على مسؤولهم المباشر"عبد المجيد عبد الصمد.

أما "عبد الباقي بلعباس" المتورط طواعية في إتهام مسؤوله "عبد المجيد عبد الصمد"، فهو رجل صاحب شخصية باهتة بدين وجبان جدا، ولاعلاقة له بالحرب ودواعيها، وأمام عقدة الجبن التي يعانيها أمام مسؤوله الشجاع"عبد المجيد"، فإنه وجد الفرصة للتخلص منه، لذلك أمضى على إتهامنا.

أما العضو الثالث لنواب "عبد المجيد" وهو "محمد بلمسوس" رأس الفتنة، فقد كان يحلم بتولي قيادة الناحية بدل "عبد المجيد" معتمدا في ذلك على علاقته الوثيقة مع قائد الولاية، لذلك أمضى تقرير الإتهام للتخلص من مسؤوله عبد المجيد، والحقيقة أنه رجل جبان ومنافق وطموح، لذلك كان من المتحمسين لتوريطنا، ومن سوء حظه أنه لايملك أية أدلة تورطنا لأنها أساسا لاتوجد إلا في مخيلته ماعدى رسالة ضابط المخابرات، ولذلك قرر أعضاء لجنة التحقيق تبرئة ساحتنا بعد تحقيقات وتنقلات وسط القسمة التي كنت مسؤولا عليها فلم يجدوا ما يتهموننا به.

وبعد ذلك مباشرة سلم "بلمسوس نفسه للعدو، نعم لقد رفع خرقة بيضاء وقصد مركز العدو الواقع قرب قرية "تاوزيانت" على الطريق الواصل بين باتنه وخنشله، ولعله كان المندس الوحيد علينا من طرف المخابرات الفرنسية دون أن يتفطن له قائد الولاية الذي كان قد إختاره لحراسته الشخصية.

وبذلك انتهت اللجنة إلى حقيقة افتراء التقرير وبطلان التهمة، وبالتالي برأت ساحتنا وحررت منشورا وزع على مراكز العدو، مفاده أن دسائس المخابرات لم ولن تنطلي على قادة الثورة، وأن ميدان المعارك يبقى الوحيد الفاصل بيننا وبينكم.

- **الحاج لخضر يعين مراردة خلفا له علي الولاية**

خلال هذه الأونة وكنتيجة مباشرة للإجتماع الذي دعا له "عميروش" بعض قادة الولايات ليجتمعوا في الولاية الثانية، وهو إجتماع تنسيقي تم خلاله تقييم جهود الحكومة المؤقتة، خلال ذلك الإجتماع بدأ طموح" عميروش" يتجلى بتنصيب نفسه منسقا لمسؤولي الولايات في الداخل فيكمل بذلك دور "كريم" في الخارج، وهو مادفع قائد الولاية الثانية للتغيب عن ذلك الإجتماع رغم إنعقاده في داخل ولايته، ونتيجة للتقرير الذي وجهه الحاضرون في ذلك الإجتماع للحكومة المؤقتة، والذي حملها مسؤولية تجاهل الولايات في الداخل، وترك العدو يعزل الداخل على الخارج، فقد سارعت الحكومة الى إستدعاء قادة الولايات في الداخل لحضور إجتماع عام في تونس، ويقال أن الغرض كان التخلص منهم لما إستدعوهم بواسطة جهاز اللاسلكي وبشفرة قديمة سبق للعدو أن إكتشفها، ولذلك إستشهد أغلبهم ماعدى "الحاج لخضر " الذي تمكن من الدخول لتونس تاركا وراءه قريبه النقيب "مصطفى مراردة" قائدا للمنطقة الأولى بالنيابة.

لم يتفاجا أحد بتعيين "الحاج لخضر" لقريبه "مصطفى بن النوي مراردة"، فهو محل ثقته وهو المقرب منه في كل الأحوال، وقد تعودنا على تعيينه خلفا له كلما ترقى لمسؤولية جديدة مبجله على من هم أكثر منه كفاءة وأقدمية ونضالا وبطولة وتجربة، فقد سبق وأن عينه مكانه على قيادة الناحية الأولى بأتنه لما تولى قيادة المنطقة الأولى، ثم عينه خلفا له على المنطقة الأولى لما عين كمسير للولاية، وبعد سفره لتونس عينه

مرة ثالثة مكانه لتسيير الولاية بالنيابة، ورغم تلك الحظوة التي أسبغها عليه قائد الولاية "الحاج لخضر" إلا أن "مراردة مصطفى" لم يرق الى ثقة "الحاج لخضر" ورمزيته وتاريخه ومصداقيته.

لم يتمكن "مراردة" من كسب ثقة مرؤوسيه، وإقناعهم بتعويض القادة الثوريين "مصطفى بن بولعيد" وشيحاني "عباس لغرور" وعجول"، وحتى الرائد علي النمر، والحاج لخضر نفسه.

من العاده أن القائد في الثورة يفرض نفسه في القيادة وينال الترقية الى المراتب العليا بالشجاعة والتبصر وسرعة البديهة والإقدام، وتقدم الصفوف خلال المعارك، وبالتواضع والبشاشة والحوار ومحبة الأخرين، والمثالية في السلوك، تلك الخصال في وحدها التي كانت تكسب المسؤول ثقة المقاتلين وترفعه لمنزلة الأب الروحي لهم.

لكن أغلبية مرؤوسي "سي مصطفى بن النوي"لم يتحسسوا منه ذلك، بل أن فضاضته، وتعاليه عليهم وعدم الإندماج معهم وتعنته لإنتقاده، وبذلك سجن "سي مصطفى مراردة" نفسه وسط مجموعة مقربة منه تحت هالة من التقديس والرعب الذي يجعل مرؤوسيه يتحاشون التقرب منه، ومن حاشيته الخاصة، فأصبح يعيش في شبه عزلة جعلته يشك في نوايا الجميع نحوه، لأنه لم يحاول يوما أن يفتح قلبه لهم فيصارحوه بمعاناتهم، وبذلك فشل في كسب عقول المشوشين الذين تمردوا نتيجة التعسف المبالغ فيه ضدهم من طرف" ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ بتونس، وبدل أن يجدوا في مسير الولاية تعاطفا وتفهما لوضعهم، فوجئوا بأنه أكثرهم بطشا وجفاء

وحتى لا نبالغ في حق "سي مصطفى مراردة"، ننقل للقارئ الكريم بعض الفقرات الواردة في مذكراته شخصيا منها قوله: "إن أول عمل قمت به هو إطلاق سراح المنشقين من السجون

ونقلهم الى بعض المناطق خارج الولاية الأولى كما سبق وأن ذكرت)[1].

فسي "مرارده مصطفى" يعترف بأنه قام بنفي بعض قادة المشوشين الذين قدموا أنفسهم له كقائد لولايتهم إلى ولايات أخرى، ورغم قبولهم مكرهين قرار نفيهم خارج ولايتهم، إلا أن قيادة الولاية أمرت باغتيالهم في الطريق، ولقد شاع خبر إغتيالهم، فامتنع رفاقهم عن تسليم أنفسهم للولاية حتى لايشملهم حكم الإعدام، وقدموا إحتجاجا على الطريقة التي أعدم بها رفاقهم بعد وضع أنفسهم تحت تصرف النظام في الولاية، وقد نقل لنا "سي مصطفى مرارده" نفسه نص رسالتهم له حرفيا بقوله: (نحن لم تبق لنا ثقة في الخضوع لما تريده منا الولاية وهو نفينا وتوزيعنا على المناطق الأخرى خارج ولايتنا، لأنه سبق وأن رضي بعضنا بذلك التنقل فتم إعدامهم جميعا إلا من نجا بروحه) والأشخاص الذين تم إغتيالهم وهم في طريقهم للولاية السادسة هم:

مصطفى بوستة: ذلك المناضل القديم رفيق بن بولعيد "مصطفى"، وكبير قبيلة بني بوسليمان الذي إغتيل وهو في طريقه للولاية السادسة وبالضبط جنوب قرية الصحابي "عقبه بن نافع"، ولكن إرادة الله لم ترد له تلك النهاية لأنه لم يمت، لقد سقط مغشيا عليه فتوهم قاتله بأنه قد فارق الحياة، ولذلك تركه والتحق برفاقه.

وفي صباح اليوم الموالي ساق له الله "راعي غنم"، حيث عثر عليه بالصدفة وهو يصارع الموت، فسارع لتبليغ الفرنسيين بمكانه فحملوه على جناح السرعة بالطائرة إلى مستشفى قسنطينة لمعالجته رغبة في انتزاع المعلومات منه لأنهم يقدرون منزلته، فهو المطارد من طرفهم منذ 1951، ولكن تدابير الخالق حرمتهم من الإستفادة مما يعرفه عن أسرار الثورة

1. مذكرات الرائد مرارده ف ص 122/128

الرصاصة التي أطلقت عليه من الخلف من طرف رفيقه قد أزالت فكه وحنجرته فأتلفت بذلك الحبال الصوتية وهشمت وجهه، فأصبح عاجزا تماما عن الكلام، ولما يئسوا منه أعادوه إلى قريته جنوب "مدينة أريس" حيث أكمل بقية حياته هناك بفم مهشم وصوت مقطوع وقلب مهموم.

العايش بادسي السرحاني: وهو من طلائع ليلة الفاتح من نوفمبر 1954، ووالد "الصادق بادسي" الذي استشهد في حادثة محاولة اغتيال "عاجل عجول" من طرف "الرائد عميروش" بتاريخ 20 أكتوبر 1956.

العايش بادسي رجل ثوري عنيد وجيه في قومه، قبيلته تبنت الثورة منذ اللحظة الأولى مما جعل قوات الإحتلال تبكر بقنبلة قريتهم (دشرة الحمام) بواسطة الطائرات خلال الأسبوع الأول لإعلان الثورة، كان مصير العايش بادسي الإعدام بالغدر بعد أن إنشق عن المشوشين ووضع نفسه تحت قيادة الولاية، وبدل أن ترحب به أمرت بإعدامه وهو في طريقه للولاية السادسة تماما كما فعل بزميله وصديقه "بوسته مصطفى".

الضابط الثاني السعودي السقني: قائد المنطقة الرابعة سابقا الذي أعدم هو الآخر بنفس الطريقة التي أعدم بها رفيقه "بوسته" و"بادسي العايش"، كان على قيادة الولاية محاكمتهم، وإعدامهم علانية لاخلسة.

لقد شاعت أخبار هذه الحادثة المروعة وانتهت الى أسماع المنشقين الذين كانوا على إستعداد لإنهاء تمردهم، وذلك بتسليم أنفسهم لقيادة الولاية، ولما تأكدوا من إغتيال رفاقهم عدلوا عن قرارهم بالعودة للصفوف، مؤجلين ذلك لفترة أخرى لعلها تكون أرحم بهم.

وربما يؤسف له حقا أن "الرائد مصطفى مرارده" يعترف صراحة بأن الضحايا المشار إليهم أولائك ينتمون للرعيل الأول

مفجري الثورة، فيقول عليهم: (إنهم كانوا هم النواة الأولى التي فجرت ثورة نوفمبر في الأوراس).

وقد تعرض "الرئيس على كافي" لبعض القاده الذين نفتهم قيادة الولاية الأولى إلى الولاية الثانية كما سبق وأن ذكرنا في موضوع اخر[1].

وما يمكن أن يقال على مثل هذه التصرفات، أنها مكملة لتصرفات ممثلي لجنة التنسيق والتنفيذ بتونس التي كانت السبب في دفع بعض قادة الأوراس للتمرد، والإحتماء بالجبال فرارا من عقوبة السجن والإعدام.

ولم يقتصر ذلك التصرف القاسي مع المجاهدين البسطاء والقاده المتهمين بالتشويش، إنما شمل أيضا فئات مثقفة ومستنيرة مثل فئة الأطباء الذين من المفروض أن تكون لهم منزلة متميزة لدى مسير الولاية "سي مصطفى مراراده"، ولكنه بالعكس من ذلك فقد تعامل معهم بقسوة، وهو مادفعهم للفرار من الولاية نحو تونس.

لقد قرر "الدكتور محمود عثامنة" و"الدكتور عبد السلام بن باديس" الفرار والدخول لتونس، وكنت أحد مرافقيهما للحدود الشرقية، وبمجرد وصولنا للخط المكهرب، علمنا بدخول "الرائد علي سوايعي" للجزائر فعدنا للخلف بمسافة 10 كم غرب الخط المكهرب، وبالضبط إلى "جبل أم الكماكم" حيث تأكدنا من دخول "الراندعلي سوايعي" كعضو في قيادة الولاية فقررنا العودة معه لمركز القيادة، لكن الدكتور "عبد السلام بن باديس تمسك بدخوله لتونس فاستشهد في الخط المكهرب.

وهناك قام قادة المناطق بعزل "الرائد مراراده" وتنصيب "الرائد علي سوايعي" مكانه كمسير للولاية في الداخل بالنيابة، وعندها تنفست المجموعة التي كان مغضوبا عليها، والتي كانت

---

1. مذكرات الرئيس على كافي ص 125

قد ابعدت للمنطقة السادسة التي أصبح يطلق عليها منطقة الموت بعد خروج "عباس لغرور" و"شريط لزهر" منها وإعدامهما من طرف "كريم" وحلفائه بتونس.

وكان مسير الولاية عندما يغضب من أحد مرؤوسيه يحوله للمنطقة السادسة ليتولى العدو قتله فيستريح منه، اذكر من بين هؤلاء على سبيل المثال:

"الحاج عبد المجيد عبد الصمد"، و"محمد الصالح يحياوي" ابن الشيخ عيسى يحياوي، و الضابط الأول "علي رابحي" المولود بمنطقة وادي ريغ، و "إسماعيل شعباني" و"عيسى بحوش" و "مسعود بن عمارة"، و "محمد الشريف عباس" الذي صادف إبعاده دخول "علي سوايعي" وعودة "عبد الصمد عبد المجيد"، فكان ذلك رحمة عليه حيث أعيد لمسؤوليته السابقة التي كان يشغلها، وهناك من لم اتذكر اسماءهم.

يقول مراراده نفسه على هؤلاء المبعدين مايلي : (و للعلم فان المنطقة السادسة كانت فارغة من المجاهدين فعين لها "الحاج لخضر" مجموعة من الإطارات الذين اعتبروا أن نقلهم إلى تلك المنطقة بمثابة عقوبة لهم لذلك ترك بعضهم مكانه والتحق بتونس مثل عبد المجيد الذي التقى في تونس مع المجموعة التي حاولت الانقلاب على "حيحي مكي" و"الحاج لخضر" في المنطقة الأولى، وضدي أنا شخصيا باعتباري مساعدا "للحاج لخضر"، وكانوا يتهموننا بأننا قتلة وعنصريون، من جراء تعاملنا مع المشوشين). ويواصل في نص اخر: (فهؤلاء الناقمون علينا باختلاف اتجاهاتهم قد تكتلوا ضدنا عندما عادوا للمنطقة الثانية، وظلوا يشوشون على عملنا ويحركون غيرهم للعمل ضدنا، وعندما توليت قيادة الولاية بالنيابة ضايقوني وحاولوا إيهام الاخرين بعدم قدرتي على التسيير وهو الوضع

الذي استغله ضدي كل من "الطاهر زبيري" و"علي سوايعي" عند دخولهما للولاية)[1].

ولعله من المفيد الإستدلال بما ورد في مذكرات "العقيد الزبيري" حول الموضوع حيث يقول: (استقبلنا مجاهدو الأوراس بحرارة وحفاوة، وفرحوا بقدومي إلى مركز الولاية أيما فرح، وحتى المجاهدون الغاضبون من القيادة أي (المشوشون) فقد فرحوا لعودتي، وعودة "سوايعي"، فالكل كان متعطشا للجهاد لإخراج المحتل من الجزائر) ويواصل في فترة أخرى قوله: (لقد أشرف "علي سوايعي" في مقر الولاية على إجتماع عام حضره مسؤولو المناطق، ومسؤولي النواحي، وذلك لمناقشة المشاكل التي كانت تواجههم، فأبدوا تحفظاتهم على طريقة تسيير "العقيد الحاج لخضر" ونائبه "الرائد مصطفى مراردة"، لقد تحول ذلك الاجتماع إلى شبه محاكمة لتسيير "العقيد الحاج لخضر"، الذي إتهموه بالصرامة، والشدة المبالغ فيهما بما في ذلك المنشقين)[2].

وحتى "الرائد مراردة مصطفى" نفسه يعترف بسوء العلاقة بينه وبين مرؤوسيه، في مذكراته فيقول حرفيا مايلي:

(... كانت قيادة الولاية تشتكي من مرؤوسيها والمرؤوسين يشتكون من الأحكام الجائرة وبذلك غاب نهائيا عامل الثقة بين الطرفين وفقدت العلاقة الإنسانية العادية وروح الأخوة الجهادية).

لقد عبر سي مصطفى مراردة بوضوح وصدق وواقعية عن حقيقة الوضع المأساوي بالولاية. فمجاهدو الولاية لم يكونوا يوما مطمئنين لإسلوب تسييره لهم، فراحوا يستنجدون "بالرائد

[1]. مذكرات الرائد مصطفى مراردة ص 109

[2]. مذكرات أحد قادة الأوراس العقيد الطاهر زبيري 245

علي سوايعي" عند دخوله من تونس، فالتفوا حوله شاكين متظلمين بالوضع السائد.

ونتيجة لغضب الإطارات على "الرائد مراردة"، إضطر "الرائد سوايعي" إلى إبعاد مراردة عن المشاركة في تسيير الولاية، وحتى "الرائد الزبيري بعد إستشهاد "سوايعي، إتخذ نفس الإجراء في حق "الرائد مراردة"، فلو كان "مراردة مصطفى" موفقا في تسيير الولاية وكانت علاقته طبيعية مع مجاهديها لما تخلوا عنه والتفوا حول الرائدين "سوايعي" و"الزبيري".

- "سوايعي" يبايع كمسير للولاية ضد "مراردة"



كما ذكرنا لقد كان دخول "الرائدين سوايعي" و"الزبيري" لمركز قيادة الولاية بالداخل بمثابة جرعة من الأكسجين قدمت لمريض الربو لتخفيف أزمته إلى درجة أن الترحاب بقدومهما قد أضفى عليهما هالة من المصداقية والتقدير، وكأنهما نزلا من السماء رحمة للمتألمين من وضعهم المتأزم.

فعندما نتدبر إعترفات "الرائد مراردة" في مذكراته على مضايقات مرؤوسيه له، واستغلال "الزبيري" و"سوايعي" ذلك ضده، ندرك حقيقة التأزم بين مسير الولاية ومرؤوسيه على مستوى المناطق والنواحي، الذين إضطروا للتمرد على قيادته، وطالبوا بمحاسبته، حسب شهادة "العقيد الطاهر زبيري" المذكورة سابقا.

- الرائد سوايعي يجري تنظيمات جديدة

بناء على التقييم الذي باشره "الرائدعلي سوايعي" منذ الوهلة الأولى التي دخل فيها إلى مركز القيادة، وما تلمسه من إرهاصات واحباطات في نفوس إطارات الولاية في الداخل بسبب عدم توفق "الرائد مراردة" في تسيير الولاية؛ فإنه سارع إلى اتخاذ جملة من الإجراءات التي كان يراها ضرورية لتهدئة النفوس، وطمأنة الخواطر خاصة على مستوى المنطقة الثانية ذات الموقع الإستراتيجي والقوة العددية للمقاتلين.

فقد بادر بتعيين القاده في المهام الشاغرة، سواء بسبب الإستشهاد أو نتيجة التغييرات وذلك على مستوى جميع المناطق، والنواحي والقسمات، والكتائب، وركز جهوده بصفة خاصة على معالجة وضع المنطقة السادسة التي أصبحت بدون

وحدات مقاتلة، حيث لم يجد فيها غير الإطارات التي أرسلت لها كإجراء عقابي "كالملازم الثاني "محمد الصالح يحياوي" الذي عين مسؤولا لا على الناحية ولكنه كان يقوم بدور مسؤول المنطقة السادسة أيضا وبدون إمكانيات ولا وحدات مقاتلة، وقد أصيب بجراح خطيرة أثناء أدائه تلك المهام.

وقد شملتني شخصيا تلك التعيينات التي شملت كل الإطارات التي كانت مهمشة ومغضوب عليها، حيث عينت كملازم أول مكلفا بالإتصال والأخبار في الناحية الأولى أريس، لقد أعاد "سوايعي" بتلك التعينات الثقة لنفوس الكثير من الإطارات الذين برهنوا له بدورهم على حسن ظنه فيهم بالأداء الجيد في التنظيم والفاعلية في مقاتلة العدو.

لقد التحقت بالمهمة الجديدة التي عينت لها على مستوى ناحية أريس، ولم تكن لي أية معرفة سابقة بتضاريس وطبيعة الناحية الأولى المكتضة بمراكز العدو، وكتائب الحركى "القومية"

وكان مجال عملنا يتم على مستوى الجبل الأزرق، وجبل وستيلي، وجبل نيردي، وجبل الأرباع هذا الأخير الذي إستقبلني بمعركة كبرى حصل لي شرف المشاركة فيها، والتي دامت يوما كاملا نصرنا الله فيها نصرا مؤزرا، فلم يصب فيها إلا قائدنا "محمد حابة " بجروح خفيفة خلال هجومنا الليلي للخروج من الحصار فأصابته شضايا من قذيفة (لانص فيبي) وجهها نحونا أحد القناصه على ضوء الإنارة التي كانت الطائرات تنير بها مكان المعركة، كانت الإصابة مباشرة ولكنها لم تقعده عن مواصلة السير، وبذلك تمكنا من الخروج والتوجه إلى رحاب غابة "جبل وستيلي" الفسيحة سالمين بفضل الله.

• **الجنرال شال يحاصر الأوراس**

جاءت إستراتيجية الجنرال" شال" مخالفة لإستراتيجية من سبقوه من جنرالات العدو، وذلك من حيث التكتيك "والقوة العددية المستنفرة التي تزيد عن 400 ألف فرد، يضاف لها 200 ألف من الإضافيين العرب صبايحيه وحركي، وكان أسلوب المناورات مغايرا لما تعودنا عليه، الشيء الذي فرض علينا حل الوحدات الكبرى وتنظيمها في مجموعات محدودة العدد للتمكن من تحقيق الفعالية دون كشفها، وحتى وإن قدر واكتشفت فإن الخسائر بالتأكيد تكون محدودة.

لقد إبتكر "الجنرال شال" خطة تمكنه من إعادة السيطرة على المناطق المحرمة (مناطق الملاذ) كما كانوا يسمونها، وهي مناطق كانت قد خرجت عن سيطرة قوات العدو البرية منذ صيف 1955 بعد الهجومات المكثفة عليها، وأصبحت ملاذا أمنا لجيش التحرير، ومنذ ذلك التاريخ أوكلوا مهمة مراقبتها لسلاح الجو.

كانت خطة "الجنرال شال" تستهدف البقاء في المنطقة التي يدخلونها لأطول مدة، وكانت قوافلها تقوم بتحركات بهلوانية، تخرج من هنا وتعود من الجهة الأخرى في شكل حلقات متسلسلة لاتترك للثوار فرصة للتحرك، أو تسديد الضربات، ويمكن تلخيص الخطوط العريضة لمخطط "شال" **في نقطتين جامعتين:**

أولا - وضع السكان تحت الرقابة المشددة وذلك من أجل.

أ - تشديد الخناق على الثوار وقطع الإمدادات عليهم
ب - كشف التنظيم السري لجبهة التحرير وعرقلة نشاطه، وملاحقة عناصره السرية بواسطة فرق المصالح الإدارية (صاص) وأعوانهم من الجزائريين.

محاولة كسب فئات السكان من خلال الخدمات الطبية، الخدمات شبه الثقافية (سنما محاضرات، النوادي الرياضية، تأطير الشبان والشابات).. الخ

ثانيا - تجنيد المزيد من الوحدات الإضافية من السكان المسلمين، وإقحام كل القوات في سلسلة عمليات كبرى تشمل مناطق جغرافية شاسعة تسيطر عليها وتستقر فيها لمدة طويلة حتى تدمر قواعد الثوار وتسيطر على مناطق ملاذهم وعلى المسالك والطرقات، ومنابع المياه وأماكن الإيواء، والأماكن المرتفعة.

كانت تلك هي بعض فقرات مخطط "شال" الذي أعده لتنفيذ عملية التطهير الشامل لأرض الجزائر من الغرب إلى الشرق، معززا مخططه بإضافة خط ثاني مكهرب على الحدود الشرقية والغربية.

• **حملة "شال" تلحق بنا أربع ضربات موجعة**

لقد ألحقت بنا الحمله العسكرية الكبرى للجنرال "شال" أربع ضربات موجعة كانت كالتالي:

الضربة الأولى: تمثلت في القضاء على قيادة الناحية الرابعة بكيمل وذلك نتيجة لإستهانة قائد الناحية الرابعة بالحملة العسكرية للجنرال "شال"، وعدم تطبيقه تعليمات توزيع الكتيبة التي كانت معه، وبذلك فاجأته الحملة العسكرية الفرنسية بتنقلاتها الخاطفة في المكان الذي لجأ له معتقدا هو ورجاله بأنه سيكون ومن معه في مأمن وبعيدا عن المحور الذي كانت تغطيه الحملة، ولكنهم فجأة وجدوا أنفسهم مع طلوع الفجر في قلب الحصار "بوادي فرغوس" جنوب سلسلة "جبل أحمر خدو"، وسط أرض "أولاد عبد الرحمان كباش"، وجبل فرغوس هذا المكان التاريخي الذي سبق للمقاوم الكبير "أحمد باي" أن لجأ له واتخذه عرينا له، كما كان أيضا ملجأ لرجال

الزاوية الرحمانية وشيخها الصادق بلحاج وأبنائه، خلال ثورتهم المشهورة ضد التجنيد الإجباري، وهاهو مرة أخرى يخلد في التاريخ بتلك المعركة التي راح ضحيتها أكثر من مائة شهيد خلال شهر أكتوبر 1960، لقد كانت بحق ضربة موجعة وقاسية جدا على الثوار، مكنت العدو من تحقيق نجاحات ما كان له أن يحلم بتحقيقها لو أن قيادة الناحية قد طبقت التعليمات بتوزيع الوحدات إلى مجموعات صغيرة قدر الإمكان، لقد قضى العدو على كل أعضاء قيادة الناحية الرابعة، ولم ينجو منهم غير "محمد جرموني"، عسكري الناحية الذي سلم من هول المعركة ونجا بأعجوبة.

كان قائد الناحية "عبد الحميد شعبان" رجل عصامي طيب السريرة، غير أنه كان يعاني الوهن والمرض، وضعف البصر، وكان محاطا بكوكبة من الكفاءات في قيادة مميزة يتمتع أفرادها بالثقافة والفعالية وحسن التدبير، ولكنها كتبت لهم الشهادة وهم على التوالي:

1) الملازم الثاني "عبد الحميد شعبان" قائد الناحية
2) الملازم الأول محمد تغليسيا (مدور): مسؤول سياسي، كان طالبا معنا بمعهد بن باديس بقسنطينة.
3) الملازم الأول جرموني محمد: من الطلائع الأولى لليلة أول نوفمبر، أنجاه الله بفضله.
4) المساعد الهادي هلايلي كاتب الناحية: من تلاميذ معهد بن باديس، وهو ثالث أبناء عمي شقيق أبي "المجاهد علي هلايلي" الذين سقطوا شهداء في ميدان الشرف.
5). الملازم الأول "لخضر السطايفي" الذي أسروه وقاموا بذبحه كالخروف قرب "جبل أيدال"

لقد فرضت عليهم تلك المعركة الغير متكافئة،ولكنهم واجهوها بالعزيمة، والصبر والثبات محتمين بصخور القمم المشرفة على الوادي التي كثيرا ما كانت تعيق تحليق الطائرات وتصويب مدافعها وقنابلها، كانت القوات البرية تتجنب الهجوم

...لجنود المجاهدين كان لايخطئ الهدف، ولكن حجم مدفعية الطيران وسلاح الطائرات قد تمكن منهم.

كانت المعركة جد مؤلمة، يتحمل فيها المرحوم قائد الناحية ... الشهداء مسؤولية عدم الإحتياط وعدم تنفيذ تعليمات توزيع الوحدات، لقد تركت تلك المعركة الطاحنة آثارا نفسية بليغة عميقة الأثر، لم يتعود جيش التحرير على مثل تلك الخسائر الموجعة في الماضي خاصة في الناحية الرابعة الحصينة بجبالها وطبيعتها الغابية، وبسكانها الذين إلتحموا جميعهم في الثورة، فقام العدو بترحيلهم خارج محيطهم الجغرافي، واستمر الثوار لوحدهم يعمرون تلك المساحات التي تشكل الجزء الأهم في المنطقة المحرمة التي تمكن القائد عجول من تحريرها خلال صيف 1955، وبذلك أصبحت منطقة محرمة.

لقد تأثرت الناحية الرابعة بقرار قيادة الولاية الذي بموجبه خرجت منها أربع كتائب أرسلت للمنطقة الأولى، التي تختلف طبيعتها عن الطبيعة الجبلية لناحية كيمل، وهو قرار غير موفق تماما، لقد إستشهد جل أفراد تلك الكتائب الأربعه دون الإستفادة من جهودهم القتالية، فحرمت بذلك الناحية الرابعة من مقاتليها ودون أن تستفيد منهم المنطقة الأولى وهذه الكتائب هي:

الكتيبة الأولى: التي كان يقودها مصطفى عاشوري (لحليب)، وهو من مواليد محيط "بادس وليانه" قريتان في خط إلتماس بين الصحراء والجبل كانتا خزانا للإمدادات والرجال، وطريقا لجلب السلاح قبل ليلة الفاتح من نوفمبر 1954، "فمصطفى عاشوري" رجل شجاع إلى درجة التهور طاهر السريرة نقي القلب، صادق الإيمان، صلب الشكيمة، وقوي الشخصية والإرادة.

الكتيبة الثانية: كان قائدها "المكي بيوش" وهو من عرش السراحنة (فرقة أولاد حركات) رجل شجاع حكيم حيلي جدا

وتكي متبصر ورزين، ورغم أميته إلا أن مداركه العقلية كانت سابقة لجيله.

الكتيبة الثالثة: بقيادة "أحمد شرارة" وهو رجل وجيه في قومه السراحنة عزيز النفس تواقا للمفاخر والمراتب العليا، طموح يعشق الشهرة، طليق اللسان، عذب الكلام، تغلب على طبعه البشاشة تعلو محياه الابتسامة الدائمة

الكتيبة الرابعة: هي التي كان يقودها "الضابط لخضر وصيفي" وهو قائد ينتمي لطلائع ليلة الفاتح من نوفمبر 1954 وهو شاب مقاتل بشوش يمتلك من الحيلة والذكاء ما يؤهله للقيادة رغم حرمانه من التعليم.

فهذه الكتائب المنقولة بقرار غير إستراتيجي كانت حصنا للناحية الرابعة في وجه العدو، كانت مسيطرة على الأرض التي تعرف جيدا أسرارها، شاركت في العديد من المعارك الطاحنة والعمليات القتالية التاريخية دون أن ينال منها العدو لانها في محيطها الطبيعي، ولما تنقل أفرادها لارض يجهلونها تمكن منهم العدو بسهولة، فطبيعة المنطقة الأولى لاتقبل الوحدات الكبرى.

- **تعييني قائدا لناحية كيمل المنكوبة**

مباشرة بعد وقوع كارثة معركة (فرغوس) خلال شهر أكتوبر 1960 ،قام "الرائد علي سوايعي "باستدعائي وتعييني قائدا للناحية الرابعة المنكوبة، وهي مهمة ليست سهلة في عز سيطرة الحملة العسكرية للعدو الذي تمكن من السيطرة الفعلية على أرض الناحية المنكوبة، وراح يروج وسط المواطنين على أن الجهة التي إنطلقت منها الثورة قد تم تنظيفها من الثوار بصفة نهائية، وأصبح تطهير الناحية بمثابة عملية نموذجية تعكس نجاحات خطة "الجنرال شال "في الأوراس.

...على عجل للناحية المنكوبة كقائد عام عليها، لقد ...ت الكثير من مقاتليها وقيادتها العامة في تلك المعركة التي ...ت على معنويات الثوار وحتى السكان.

...كان علي أن أدخل الناحية للبحث على العناصر التي ...ت، لأعيد هيكلتها رغم الأخطار المحدقة.

...دخلت الناحية المنكوبة من شمالها برفقة مجاهد واحد كان ...قني في الناحية الأولى لقد تطوع لمرافقتي إلى الناحية ...رابعة، وهو رجل مخلص ووفي يدعى" عبد المجيد زحاف". ...لما دخلت أرض "غاسكيل" قرب حمام شابوره وجدت بعض ...المجاهدين المحبطين متحسرين على فقدهم قيادتهم ورفاقهم، ...وجدتهم يتغذون على الحشائش وبعض المحاصيل الزراعية ...كالذره" التي زرعها السكان اللاجئين في خط النار وسط ...المنطقة المحرمه.

...كان علي تضميد الجراح المادية والمعنوية، فمجاهدي ناحية ...كيمل بطبيعتهم الجغرافية المشجعة على القتال لم يتعودوا على ...مثل تلك الخسائر التي لحقت بهم بكيفية غير عادية.

...لا لابد من المبادرة ومواجهة الوضع بالسرعة المطلوبة ...تجميع المجاهدين المشتتين، والرد على دعاية العدو.

...أول عمل قمت به إعادة المجاهدين المنتمين للشريط ...الصحراوي (الزاب الشرقي، ووادي ريغ، ووادي سوف)، إلى ...وسط السكان ليظهروا ويتجولوا بين سكان القرى المذكورة ...كعملية سياسية لرفع معنويات السكان والتأكد بأن أبناءهم ...لازالون أحياء، وقد قصدت من ذلك الإجراء العاجل مايلي:

أولا: حمايتهم من خطر الحمله العسكرية المسيطرة على المناطق الجبلية.

ثانيا: إعطاء الدليل للسكان بأن شعلة الثورة لم تنطفئ في الناحية كما يروج العدو.

ثالثا: إعادة ترميم الخلايا والمجالس الشعبية وسط السكان التي تأثرت بالحملة، وتعيين مناضلين آخرين لتعويض من قتل منهم أو سجن أو إستشهد.

رابعا: تزويدنا بضروريات الحياة من مال، وتموين، ولباس، وغذاء، ودواء وما إلى ذلك.

وبذلك تمكنت بجهود من بقي على قيد الحياة من إطارات القسمات من السيطرة والتنظيم، وقد ساعدني على ذلك كوني أولا منتميا للناحية بحكم المولد، وثانيا معرفتي الدقيقة بالمنطقة وسكانها لأني كنت قد إلتحقت بالثورة مبكرا جدا.

بدأت العمل مع "الملازم الأول محمد جرموني" الوحيد الناجي من المعركة الماحقة الذي وجدته لايزال متأثرا بالصدمة، لقد شرعنا في تجميع ما تبقى من المجاهدين الذين كتبت لهم السلامة، خاصة على مستوى القسمات وبعض الأفواج المقاتلة، وبفضل الله وبجهود الجميع تمكنا من رفع التحدي وبعث الحياة من جديد، وتضميد الجراح، ورص الصفوف، وإعادة الهيكلة بالكيفية المطلوبة، رغم النقص الفادح في الضروريات على مستوى جيش التحرير، وأيضا على مستوى الشعب اللاجئ في خط النار.

أبدا لم يخيب أملي أولائك الرجال الذين كنت قد علقت عليهم كل الآمال، فبالسرعة المطلوبة تمت هيكلة القسمات مصدر الإمدادات، ثم الناحية، والفرق القتالية، وأفواج الخدمات المتنوعة، لقد بذلوا مجهودات فوق ماكنت أتوقعه منهم استحقوا عليها التنويه والتقدير والترقيات، أذكر منهم على سبيل المثال "المكي بادي"، و"قدمي عبد القادر" صاحب البشرة الداكنة والقلب الأبيض والوطنية الراسخة، و"سي محمود لعجال

الشحيح في الكلام، الكريم في الأعمال والمواقف، و"سي الطيب موسى" الرجل العصامي صاحب الإبتسامة الجذابة، و"لخضر مويسي" بجهوده وخصاله وتفانيه، و"عمار نويوة" بذكائه الوقاد وإراداته القوية وعزيمته التي لا تعرف الكلل، و"عمر بيابي" بدهائه الهادئ وبصيرته المتفتحة وابتسامته المحتشمة الدافئة، و"علواني عبد المجيد" بخصوصياته العريقة، و"الطاهر صدراتي" بسلوكاته الشاذة، وتفانيه في ترضية القادة، والقاضي الورع "لمقلين مصطفى" بصدق وطنيته ونظافة سريرته، و"عبد الرحمن بن نور الدين" المتفوق على الذئاب في حيله المتجددة وغرائب تصرفاته التي تجعله دائما موضوع إهتمام وحذر، و"الوردي قصباية" بسياسته الناعمة وحيله الكسيلية، و"أحمد بن نحه صبايحي" بجرأته وشجاعته وحدة طبعه ضد كل ما هو غير معقول، وآخرين كثر لا يتسع المقام لتعداد فضائلهم علينا وعلى الثورة في تلك الفترة جعل الله البركة في أبنائهم وأحفادهم.

كما إخترت شبانا لمرافقتي الدائمة منهم الطاهر عواطي، والعايش قربازي، ومحمد العيد بروش، والجودي كيور، وصفصافي، وعبد المجيد زحاف، وغيرهم من الرجال الشجعان الذين كانوا لي عونا وحماية.

وبتلك الوتيرة المتسارعة والجهود إسترجعت الناحية عافيتها بفضل تعاون الجميع من ضباط وضباط صف، ورؤساء قسمات ومجاهدين بسطاء ومناضلين وأعضاء المجالس الشعبية وأفراد الشعب العاديين، لقد تمكنا بفضل كل أولائك من تحقيق قفزة نوعية أعادت للناحية الرابعة بعد ثلاثة أشهر من تاريخ تلك المعركة الطاحنة مكانتها وعافيتها، فاستأنفت الأفواج المقاتلة نشاطها ضد العدو من جديد بروح التحدي، وبرهنت القسمات على فعالية كبرى بتوفير الضروريات بطفرة تحسب لها، وتم ترميم الخلايا والمجالس الشعبية وتجنيد المناضلين

للعمل الميداني، وانطلق المسبلون في مهامهم فاستعادوا دورهم بسرعة فائقة.

ومع ذلك دائما تبقى المواجهة مع العدو متوقعة، فمهما إستعدنا فاعليتنا ضده فهو بإمكانياته الهائلة وتفوقه علينا عددا وعدة يستطيع أن يلحق بنا بعض الضربات القاسية من حين لآخر، بعضها يحصل بالصدفة والبعض الآخر يكون نتيجة المعلومات التي تنزع من المناضلين المسجونين والأسرى المجروحين، أو على طريق المخبرين المستأجرين، أو بالحملات التفتيشية العادية.

وأنكر على سبيل المثال الإنزال المفاجئ بالحوامات والوحدات الأرضية وتغطية الطائرات الذي فاجأ مجموعة القسمة الثالثة "بحاسي مسلم"[1]، التي كان يقودها "عمار نويوه" الذي أصيب بنيران رشاش من عيار 12.7 من الجو فاخترق الرصاص ظهره وتمزقت رئتاه ونجا بأعجوبة من الأسر، ولكن كاتبه الصغير السن "هلايلي أحمد" الذي كان في ذلك اليوم يعاني من مرض "الحمى"قد إكتشفه العدو وقتله في مكانه، وبذلك نال الشهادة التي سبقه لها أخويه: " محمد لخضر هلايلي" الذي إستشهد بواد ريغ سنة 1957، و"محمد الهادي هلايلي" الذي إستشهد في معركة (فرغوس) وبقي والدهم المجاهد علي هلايلي الشقيق الوحيد لوالدي المرحوم، قلت بقي وحيدا في تلك الظروف الصعبة بعد أن سبل للثورة كل أولاده الثلاثةولم تبق له إلا"عائشه هلايلي" البنت الوحيدة معه في خط النار مع زوجته.

كما فاجأنا العدو أيضا وبنفس الطريقة بمحاصرة القسمة الثانية بعين"العزازه" بعد أن تمكن من تحديد مكانها في تلك المنطقة الجرداء والعارية من أية تغطية نباتية، حيث طوقهم

---

1. في هذا المكان سلم عجول القيادة العامه لسي مصطفى بن بولعيد 13 مارس 1956 بعد خروجه من السجن. وهو نفس المكان الذي وقعت فيه معركة القسمة الثالثة1960

بالحوامات والطائرات ودارت مع مقاتليها معركة غير متكافئة، فجرح من جرح واستشهد من إستشهد وأسر من أسر، وكان من بين الأسرى المسؤول العسكري للقسمة "محمد بن عمر بيوش" وهو من رجال الساعة الأولى للفاتح من نوفمبر 1954، وأيضا الكاتب العام للقسمة "عبد المجيد هلايلي" شقيقي الأصغر ورفاقهم الذين نقلوهم لمركز زريبة الوادي حيث أخضعوهم للعذاب الشديد كالعادة لنزع المعلومات ولكنهم لم يمكنوهم من مبتغاهم.

لقد توالت علينا ضربات أخرى ولكنها لم تؤثر على مردودنا، لأنها كانت تدخل في صلب واجباتنا المقدسة من أجل الجزائر التي سبلنا لها أرواحنا، فلا حرية بدون تضحيات.

وهكذا صمد الرجال العصاميون الذين كانوا في رهان تحدي محموم ضد ضباط الفرق المتخصصة (صاص) والعملاء الذين كانوا يتوعدونهم، حيث كانوا يشوهون جثث من كتب عليهم الأسر، إمعانا في الغل والحقد، لقد ذبحوا "الملازم الأول عبد القادر مقدم"، وأيضا "المجاهد لخضر السطايفي" متجاوزين في ذلك حقوق حماية أسير الحرب.

الضربة الثانية: استشهاد الرائد سوايعي:

بما أن ظروف الحرب لا تخلو من مفاجآت كما أسلفت، فلقد فوجئنا مرة أخرى بضربة أشد ألما بعد القضاء على قيادة الناحية الرابعة، وهي التي تمثلت في محاصرة قيادة الولاية الأولى في عمق "غابة بني ملول" وسط المنطقة المحرمة، وكانت نتيجة المعركة إستشهاد مسير الولاية بالنيابة "الرائد علي سوايعي" الذي كان له الفضل في إعادة الثقة في نفوس مجاهدي الولاية الأولى، وأيضا جرح "الرائد الطاهر الزبيري" الذي خرج من الحصار بصحبة ممرض يدعى" قويدر"، أما "الرائد مراده" فقد تمكن مبكرا من الإفلات من الحصار لإستعانته (بمجموعة البراجه) أصحاب الأرض، كانت

نتائج المعركة على جيش التحرير مؤلمة، كانت أن تنسينا مأساة خسارتنا لقيادة الناحية الرابعة بسلسلة "جبل أحمر خدو" من قبل.

وبذلك نال الشهادة في ميدان الشرف "الرائد علي سوايعي" أحد القادة الشباب الذي أحببنا فيه التواضع والذكاء وموهبة قيادة الرجال، واكتشاف الكفاءات، لقد أرسى معايير جديدة في قيادة الولاية، فأعاد بذلك فعالية ولاية الأوراس لعهدها، كم كانت خسارتنا فادحة باستشهاد "الرائد علي سوايعي" الذي عودنا على البشاشة وحسن التصرف والحكمة في اتخاذ القرارات، ورغم صغر سنه فقد أعاد الطمأنينة لقلوب أولائك الرجال الذين تمردوا ذات يوم على القيادة التي كانت قد تعمدت ضدهم لغة الحجز والقتل والتهميش في تونس، وحتى داخل الولاية.

- **كريم يجازي "الزبيري" بقيادة الولاية**



الطاهر زبيري

كانت قد بينت بأن دخول "الرائد سوايعي" و"الرائد الزبيري" إلى داخل الأوراس كان بمثابة بشرى إنفراج، ورفع كابوس على مجاهدي الولاية في الداخل حيث تخلصوا من مآسي تسيير عقيم شل فعاليتهم، ولكن دخول الرائدين المذكورين أعاد لمقاتلي الولاية لحمتهم وسيطرتهم القتالية، رغم ظهور بعض الحساسيات المتعلقة بالقيادة بين "سوايعي" و"الزبيري" نتيجة لعدم تقبل "الزبيري" سلطة "سوايعي" عليه لعدة إعتبارات ذاتية منها:

كان "الزبيري" يعتقد في نفسه أنه مميزا على "سوايعي" بعامل السن، والأقدمية، والتمرس على القتال، والإنتماء لمفجري الثورة، ومعاشرته "القائد مصطفى" في السجن

والخروج معا منه، وأكثر من ذلك إعتزازه بثقة "وزير الدفاع كريم" نتيجة الخدمات التي قدمها له على مستوى القاعدة الشرقية، ولعله يكون قد وعده على قيادة الولاية قبل دخوله لأرض الجزائر.

أما بالنسبة "العلي سوايعي" فيرى نفسه مؤهلا على "الزبيري" في قيادة الولاية بحكم الثقافة أولا، وثانيا بحكم مهمته كسياسي تطبيقا لمبدأ أولوية السياسي على العسكري، وثالثا لكونه سبق "الزبيري" لمباشرة تسيير الولاية بتفويض واسع من إطاراتها لما تمردوا على زميله "الرائد مراردة".

ونتيجة لتلك الحساسية بين الرجلين، عجل "الرائد الزبيري" بمراسلة صديقه وزير الدفاع "السيد كريم" ليحثه على تعيين قائد علم الولاية بعد عجز قائدها السابق "الحاج لخضر" عن الدخول من تونس للجزائر بحكم السن والصعوبات التي واجهته.

كان "الرائد الزبيري" على ثقة بأن "كريم" سيختاره على زملائه نتيجة للعلاقات التي ربطت بينهما حين كان يتطوع لخدمته بإخماد تمردات وحدات القاعدة الشرقية على الحدود، ومتأكد أيضا بأن من مصلحة "كريم" تأمين ولاء الولاية الأولى لشخصه بتعيين "الزبيري" عليها، وبذلك كان ظن الزبيري في محله حيث عجل "كريم"، بتعيين "الزبيري" كقائد علم للولاية الأولى على حساب من سبقوه لتسييرها "مراردة" و"سوايعي"، وأيضا على حساب "الحاج لخضر" نفسه الذي كان يسعى للإلتحاق بمسؤولياته داخل الولاية.

لقد فوجئ "الرائد علي سوايعي" بذلك التعيين الذي تم نتيجة البرقية العاجلة من "الزبيري" إلى صديقه وزير الدفاع "كريم" بتونس.

لقد سلم "السعيد بن عبد الله رحال"، برقية تعيين "الزبيري" للرائد "علي سوايعي" وبالتأكيد أنه صدم بتفضيل "كريم "الزبيري" عليه، ولعله يكون قد فكر في رفض تلك التعيين من أصله، لأنه كان محبوبا ومباشرا فعليا للقيدة بالمبايعة الواسعة التي حصل عليها من جمهور الولاية الذي لم يكن سعيدا بتدخلات القيادة المركزية في تونس التي لم توفر لهم شروط المعركة، حيث كانوا يشعرون بالغبن، غير أن إرادة الله قد جنبته وجنبت الولاية الأولى محنة الخلاف مرة أخرى لما اختاره الله لجواره شهيدا في ميدان الشرف معطرا بدمائه من أجل الوطن وحده، وبذلك تدخل القدر مرة أخرى ليجنب الولاية محنة الخلافات المدمرة، وبذلك كان حظ "الزبيري" مرة أخرى شبيها بحظ "عبان رمضان" الذي خدمه الفرنسيون دون أن يشعروا بخطفهم طائرة "بن بله" ورفاقه.

المهم أن "الزبيري" فاز بتولي القيادة العامة للولاية الأولى التي أعدم من أجلها رموز تاريخيون في ظروف خاصة لا مرحبا بها ولا متأسفا عليها

أما "مراردة" فقد واجه نفس الجفاء من "العقيد الجديد الزبيري" رغم ما كان يبديه له من تعاطف على حساب "علي سوايعي"، فكانت حساسية القيادة ملازمة لأغلب القيادات، حيث عجل "الزبيري" بإبعاد زميله "مراردة "من محيطه بمجرد توليه القيادة، حيث كلفه بمهمة في الولاية الثانية، ولما أنهى "مراردة" تلك المهمة أدرك إستحالة عمله مع "الزبيري"، ولذلك قرر الإلتحاق بقريبه "الحاج لخضر" الموجود بتونس لعله يحصل على مهمة أخرى تبعده عن المشاحنات.

الضربة ثالثة إستشهاد عبد المجيد عبد الصمد

ضربة موجعة ثالثة ألحقتها حملة الجنرال "شال" بالولاية الأولى تمثلت في أستشهاد البطل الكبير قائد المنطقة "عبد المجيد عبد الصمد"، وهي خسارة كبرى تأتي مباشرة بعد

القضاء على قيادة الناحية الرابع "كيمل"، وإستشهاد مسير الولاية "علي سوايعي". ليس من السهل تعويض "عبد المجيد عبد الصمد" الذي كان نسخة من البطل المغوار "عباس لغرور" الذي أعدم من طرف القيادة المنبثقة عن مؤتمر الصومام كما ذكرنا.

كان "عبد المجيد عبد الصمد" يخطط لمفاجأة العدو بعملية ثانية جريئة وخاطفة، حيث كان يعد مرزوسيه بتنفيذ عملية تربك العدو، ويشاهد سكان قسنطينه شعاع لهيبها في الأوراس الأشم لم يكن "عبد المجيد عبد الصمد"، يحتاط لنفسه خلال الإشتباكات والمعارك ضد العدو، فهو أبدا لا يستقر في خندقه خلال المعركة، يكثر من التنقل ليراقب المجاهدين في خنادقهم أثناء القتال ليتأكد بنفسه على وضع كل مرزوسيه المقاتلين، والإطمئنان عليهم، كما أنه لايحمل سلاحا خلال المعركه لأن سلاحه الحقيقي هو فعالية مرزوسيه في المعركة الذين يحرص على تحفيزهم في مقاتلة العدو، بكل أسف فقد أسقطت الطائرة على رأسه قنبلة وهو واقف مع جذع شجرة يتابع تحركات العدو لعله يكتشف فجوة بين صفوفه تمكنه من المباغته، لقد تفحمت جثته تغمده الله برحمته، ورحم الله الأم التي أنجبته وقدس روحه وروحها.

الضربة الرابعة: إصابة قائد المنطقة 2

للمرة الثانية يتعرض "محمد الصالح يحياوي" قائد المنطقة الثانية لجروح بليغة، الإصابة الأولى كانت في المطقة السادسة، والإصابة الثانية كانت "بالوادي الأحمر"، حيث تحطمت ساقه، وأقعدته تلك الإصابة الخطيرة عن قيادة المنطقة الثانية فتوليت قيادتها نيابة عنه لأني كنت نائبه السياسي، وتولى "محفوض إسماعيلي علاجه في مغارة وسط جبل "فورار" بغابة البراجه، وكان الممرض "لخضر شريف" هو الذي يرعاه في تلك المغاره مع حراسه المقربين منهم العقيد محمد جلالي، لقد كانت ساقه مربوطة إلى رزمة ثقيلة من الحجارة حتى لايلتحم العضم

في غير مكانه، ولكنها لم تنفع فقد إلتحم العضم في غير مكانه، فأعيد كسره من جديد من طرف الطبيب اليهودي "قح" في مستشفى قسنطينة بعد توقيف القتال.

كانت لي علاقة مميزة مع "سي محمد الصالح بحياوي" تعود إلى فترة التعليم بمعهد بن باديس، ثم ترسخت أكثر خلال ثورة التحرير، كان في فترة من الفترات القائد المباشرلي في المنطقة الثانية، حتى أنني عوضته في قيادتها لما رقي لمجلس الولاية

- أطباء مجاهدون على أرض المعركة

إذا كان المجاهد العادي في حياته اليومية، يعاني مشاق التعب، وقلة النوم، ومفاجآت العدو، وحمم المدافع والقنابل، فإن المجاهد الطبيب، يعاني ذلك ويعاني مشاق أخرى متعلقة بمهمته الإنسانية التي لامجال للتفريط فيها، فدور الطبيب أساسي في رفع معنويات المقاتلين، فعندما يدرك المقاتل بان من خلفه من يتولى معالجة جراحه يقدم على القتال بشجاعة وثقة، كان الأطباء يرعون أكثر من 70 جريحا في مستشفى الولاية بإمكانيات جد محدودة، فسلاح الأطباء رفع المعنويات واستعادة الأمل في النفوس، وبعث الثقة في المستقبل، ومحاربة اليأس في نفوس الجرحى، كما كان الأطباء يسهرون على صحة المدنيين الذين فروا من المحتشدات بنسائهم وأطفالهم ولجؤوا للمنطقة المحرمة، وكانوا يكونون ثلاث مجموعات":

المجموعة الأولى كانت تابعة للناحية الرابعة "كيمل"، أما المجموعة الثانية فكانت تستقر في غابة "بني ملول"، والمجموعة الثالثة كانت مستقرة في "غابة البراجة" وعددها كثير، وهي مجموعة منذ أن ولد أفرادها لم يروا في حياتهم الجنس الفرنسي.

لقد كان أطباء جيش التحرير ملزمين بالتكفل بكل من يحتمي بجيش التحرير في المناطق المحرمة من اللاجئين، فكان طبيب

الولاية "الدكتور محمود عثامنة" يتفقد أحوالهم باستمرار، كان يعرفهم فردا فردا، ويعرف أمراضهم بالتدقيق.

فما أعظمها وما أنبلها من مهمة إنسانية، وما أروعها من تضحيات جليلة قدمت للمجاهدين، ولأفراد الشعب اللاجئ من طرف أطباء الولاية الثلاثة؛ "الدكتور محمود عثامنة"، و"الفرمسيان محفوظ اسماعيلي"، و"الدكتور عبد السلام بن باديس"، والممرضين الذين اختاروا طواعية مهنة التطبيب والتمريض على مهمة حمل السلاح، أذكر على سبيل المثال "لخضر شريفي" الرجل العصامي الصابر البشوش الذي كان يؤثر مرضاه على نفسه، "وتاربينت صلاح" و"أخيه تاربينت المبروك"، و"سي معمر الممرض الشغوف بمهنته، والممرض "بوليلا" في المنطقة الأولى، ومحمد نهوده، وتغلسيه، والعيد رحماني، ومحمد خليفه وغيرهم كثيرون كان سلاحهم حمل محفظة الأدوية.

إنها أسماء محفورة في الذاكرة لأطباء وممرضين سهروا على راحة المرضى والجرحى في أدغال الجبال، ووهاد الغابات، ودفء الأكواخ (القشون).

- الصيدلي محفوظ اسماعيلي

وهو من مواليد الجزائر العاصمة وقد كان مسؤولا في حزب الشعب، يحمل شهادة صيدلي. ألقي القبض عليه، أثناء الحملة الواسعة، التي شملت أعضاء الحزب، على خلفية مغلوطة، مفادها أن منتسبي الحزب هم الذين قاموا بالثورة. سيق إلى سجن سركاجي، ليبقى هناك لمدة أربعة أشهر، وبعد الإفراج عنه، ربط اتصالا مع مسؤولي الأوراس، وانتهى به الأمر إلى بلوغ عاجل عجول، الذي كلفه بإنشاء مستشفى، ومنذ ذلك الوقت تولى محفوظ مسؤولية المستشفى، علاجا، وتنظيما، وتكوينا، فتعلم على يديه عدد كبير من الممرضين، الذين تم توزيعهم على الأقسام، والنواحي، والمناطق والكتائب.

وبعد الاستقلال جازاه الأوراسيون بتمثيلهم في أول برلمان، ترأسه فرحات عباس، ثم جددوا له الثقة في البرلمان الثاني على الجنوب، بعدها تولى مسؤولية مراقب في حزب جبهة التحرير إلى أن دخلت الجزائر عهد التعددية. ولسي محفوظ أبناء منهم الطبيبة حفيظة، البنت الكبرى، التي لجأت مع والدتها إلى الأوراس، ليعيشا بين سكانه الذين أواهما إلى غاية الاستقلال حيث عادت مع أبيها وأمها إلى العاصمة حيث واصلت تعليمها. كما رزق "سي محفوظ" بأول ولد وسماه مصطفى، تبركا "بين بولعيد مصطفى".

- الدكتور محمود عثامنة

وهو من مواليد مدينة باتنة، التحق بالولاية الأولى خلال سنة 1957 قادما إليها من تونس، واصل تعليمه في إختصاص الطب، وخلال السنه الخامسة إلتحق بالثورة لأداء واجبه الجهادي. تولى مسؤولية الطب على مستوى الولاية الأولى.

يعرف "الدكتور محمود عثامنه" بتواضعه، وبساطته، ومزاحه، وكان "محمود" قد دخل مرتين لتونس آخرها سنة1959، على اثر خلاف بينه وبين مسير الولاية "مصطفى مرا ردة.

- الدكتور عبد السلام بن باديس

الدكتور "عبد السلام بن باديس" من أقارب العلامه "عبد الحميد بن باديس"، وهو طبيب عيون، متضلع في السياسه، اختار حياة الجهاد على حياة الرفاهية. التحق بالولاية الأولى وأدى أدوارا مهمة في إختصاصه بجانب "محمود عثامنه، ومحفوظ إسماعيلي كما ذكرنا إستشهد رحمه الله على مستوى الخط المكهرب سنة 1960 في طريقه لتونس.

الهيكله التنظيمية للولاية الأولى ومناطقها قبيل توقيف القتال

أعضاء مجلس الولاية

العقيد الطاهر زبيري: قائد الولاية.
الصاغ الأول: محمد الصالح يحياوي:سياسي.
الصاغ الأول عمار ملاح: الاتصال والأخبار
الصاغ الأول: محفوظ اسماعيلي: المستشفى.
كتابة الولاية تتكون من: حسين سلمان: مسؤول. وحسين وقواق: مساعد.
الشؤون العامة لمركز الولاية: الضابط خطاف لحبيب.
والمسؤول على جهاز الإشارة اللاسلكي: رحال منصورين عبد الله ومساعده بومدين كلاهما من مدينة ندرومه أرسلها بوصوف من المغرب للولاية الأولى.
القاضي هو محمد الصالح شيخي

قيادة المنطقة الأولى

1- الضابط الثاني: محمد الشريف عايسي قائد عام
2- الضابط الأول: مسعود عبيد
3- الضابط الأول: عيسى بخوش
4- الضابط الأول الجمعي بوقادي

قيادة المنطقة السادسة

1- الضابط الثاني محمد الهادي رزايمية: قائد عام
2- الضابط الأول علي بن يونس
3- الضابط الأول أحمد الزمولي

قيادة المنطقة الرابعة

1- الضابط الثاني محمد حابة: قائد عام.
2- الضابط الأول رابح جميل

أما قيادة المنطقة الثانية فكانت كما يلي :

1- الضابط الثاني محمد الصغير هلايلي: قائد اعاما
2- الضابط الأول إسماعيل شعبان: سياسي.
3- الضابط الأول الصادق عبد الصمد: عسكري.
4- الضابط الأول بلقاسم بوزيدي.
5- سماعيل رابحي قاضي المنطقة.
6- تيمقلين مصطفى قاضي الناحية.

الكاتب العام للمنطقة كان "محمد زايدة" برتبة مساعد إستمر في عمله إلى غاية توقيف القتال، ثم طلب الإلتحاق بالجزائر العاصمة، عندها بحثنا على شاب مزدوج اللغة من بين الشبان الملحقين حديثا بالثورة ليعوض "زايده محمد"، حرصا منا على عدم المس بالتنظيم الهيكلي للوحدات والقسمات والكتائب، فكان الإختيار على "عبد الرحمان بلعياط" الذي شغل ذلك المنصب، وقد تكونت بيني وبينه علاقة مميزة مكنته من الترشح للمجلس الوطني الشعبي لفترة 1977 بحكم مهمتي في ولاية سطيف كقائد قطاع عسكري، وبذلك فتحت له ابواب التدرج في المهام السياسية.

والحقيقة أن "عبد الرحمن بلعياط" المجاهد الذي كنا نعرفه لا يشبه في أخلاقه أبدا "عبد الرحمن بلعياط" السياسي صاحب الطموح المبالغ فيه إلى الحد الذي يتجاوز حدود المعقول في بعض الأحيان.

أعود وأقول كان بجانب بلعياط في مكتب المنطقة، شبان في مستوى المسؤولية بعضهم تدرج في المسؤوليات داخل الجيش الوطني الشعبي، والبعض الآخر إلتحق بالوظيف العمومي.

كانت "لي" رفقة "عبد الرحمان بلعياط" قصة مع المرحوم "محمد بوخشم" المكلف بالمالية على مستوى الولاية بعد توقيف القتال، ولما تقرر حل المناطق قمنا بتقديم التقرير المالي للمنطقة الثانية إلى "بوخشم" فأظهر بعض المماطلة، وبعد الحاحي عليه بضرورة تسلم التقرير، تسلمه منا ثم أعاده لنا بعد أن سحب منه (فاتورات) بقيمة ثلاثين مليون مستثيم في تلك الأونة، ولما سألته عن السبب فاجأني بقوله: تقريركم قد تضمنه التقرير العام للولاية، فلا تشغلوا بالكم، لم تطمئن لجواب "بوخشم"، ولكنني قررت المحافظة على التقرير تحسبا لأي مراجعه أو رقابة مفاجئة، لقد أبقيته لسنوات في خزانتي الشخصية إلى غاية إلتحاق "بوخشم" بالرفيق الأعلى رحمة الله عليه.

- مرحلة ما بعد مؤتمر طرابلس 1962

وبعد أن ظهرت معالم نجاح الثورة الجزائرية واضحة للعيان بجهود أبطال المعارك كما سبق وأن بينا، بدأنا نلمس ميولات الإستلاء على السلطة من طرف البعض، تلك الميولات التي كان "عبان رمضان" قد بالغ فيها محاولا التخلص من منافسيه مثل "بن بله" خاصة بعد استشهاد "زيروت يوسف" و"العربي بلمهيدي".

لقد شكل "عبان" لجنة التنسيق والتنفيذ من السياسيين بالأغلبية على حساب مفجري الثورة، وأعطى لنفسه حق قيادة الثورة كمنسق للقياده التنفيذية المركزية، وهو تصرف لم يرض قادة الولايات خاصة الثانية والثالثة والخامسة، فتوحدوا ضده واستعادوا منه قيادة الثورة في أول إجتماع للمجلس الوطني للثورة بالقاهرة1957، (وكما يدين المرأ يدان) لقد أطفئ نجم "عبان "وسطع نجم الحلفاء الثلاثه المعروفون (بالباءات الثلاثه) وذلك لفترة محددة هيأت لمرحلة ثالثة سيكون صاحبها القوي هو "العقيد بومدين" وحلفاؤه.

والخلاصة أن "عبان السياسي" كان قد سن بدعة الصراع على السلطة بإنقلاب مؤتمر الصومام، ذلك الإنقلاب الذي إستمرت آثاره خلال الثورة المقدسة ولم نتخلص من نتائجها المدمرة حتى اليوم.

لقد مهد "عبان" الطموح الطريق "لكريم بلقاسم" الذي إستغل تاريخه وعصبة رجاله ومهمته الأساسية كوزير للدفاع ليحكم قبضته على قيادة الثورة بجهود حليفين نافذين هما "بن طوبال"، و"بوصوف"، وأيضا بحاشية مختارة بخلفية جهوية ضيقة، وباستغلال ضباط إحترافيين لامصداقية ولاتاريخ لهم ليضمن بهم الطاعة العمياء والخضوع الغير مؤسس خاصة على الولاية الأولى الأوراس، والقاعدة الشرقية، مؤمنا ظهره في ذلك بالوحدات التي سحبها من جبهة القتال بمنطقة القبائل، والقوة الضاربة لرئيس الدولة التونسية "بورقيبه لحبيب".

ونتيجة لذلك ألتناقض المحموم المستتر الذي أدى إلى ضياع مصالح أساسية للثورة، منها تجميد وحدات مقاتلة على الحدود، وحجب إمكانيات المعركة عليهم، مما مكن العدو من بناء الخطين المكهربين الذين فصل بهما القياده المركزية للثورة عن قواعدها الداخلية في الولايات التي أصبحت محاصرة.

لقد ظهر البذخ على أفراد الحكومة المؤقتة في الخارج بينما وحدات جيش التحرير في الولايات تعاني الحرمان والتهميش.

لم يكن من المقبول إستمرار ذلك الوضع المأساوي، فقام العقداء قادة الولايات بدق ناقوس الخطر، حيث دخلوا في إجتماعات مارطونية من أجل إنقاذ الوضع المتردي محملين المسؤولية في ذلك للحكومة والعقداء المشاركين فيها، وقد منعوهم حتى من المشاركة في إجتماعاتهم تلك، كانت نتائج تلك الإجتماعات المغلقة تتمثل في قرارين مهمين وهما:

القرار الأول: توسيع المجلس الوطني للثورة ليشمل شخصيات أخرى.

القرار الثاني: تعيين "هيئة أركان عامة" لجيش التحرير الوطني تستأنف المعركة المجمدة، وتكون مسؤولة أمام المجلس الوطني للثورة مثلها مثل الحكومة، بمعنى آخر خلق توازن بين سلطة الحكومة بصلاحياتها السياسية، وقيادة الأركان بمهامها التنظيمية والعسكرية، وبذلك تم إستدعاء المجلس الوطني في شكله الجديد المقترح في المشروع للإجتماعات التي توالت خلال شهري ديسمبر 1959 وجانفي 1960 والتي أسفرت كما قلنا على تعيين " قيادة الأركان بقيادة بومدين وعضوية قايد أحمد ومنجلي".

لقد بدأت معالم مرحلة جديدة، تبشر بانطلاقة حاسمة لجيش التحرير تعالج الآثار السلبية لثلاث مراحل متباينة عن بعضها، وهي: مرحلة السياسيين بزعامة "عبان رمضان" الذي خطط للإستلاء على السلطة بطريقة أولوية السياسي على العسكري والداخل على الخارج، ومقولة السياسي الكفء المتفتح، والعسكري الأمي المتطرف التي أدت إلى تصفية رموز الأوراس التاريخيين بذلك التحالف المخزي مع عدو القضية الجزائرية خلال مرحلة معينه، إنه" الرئيس بورقيبه".

المرحلة الثانية مرحلة الباءات الثلاثة: كريم، وبن طبال، وبوصوف الذين رغم جهودهم ووطنيتهم فإنهم لم يوفقوا بسبب حرصهم على نفوذهم الشخصي الذي إنعكس على مردود جيش التحرير ومهامه القتالية، وذلك من أجل الإحتواء، وفرض السيطرة والإنضباط لأشخاصهم، وتعيينهم عناصر ليست مؤهلة لا للقيادة ولا للهيكلة ولا للتدريب، ولا للتأطير، فكانت غايتهم الخفية ضد حتى من عينوهم، إنها الوصول لقيادة جيش الجمهورية الجزائرية مستقبلا.

أما المرحلة الثالثة فكانت مرحلة (قيادة الأركان العامة) وبالأحرى مرحلة الرجل الإستراتيجي الذي إستغل أخطاء الجميع خلال المرحلتين السابقتين، كما إستغل أيضا تلك التصفيات الجسدية التي شملت الكثير من القاده التاريخيين الأوراسيين خلال المرحتين السابقتين، ليبني قلعة نفوذه في غيابهم وعلى أشلائهم، وبذلك تمكن بالهدوء من إحكام قبضته الحديدية التي فرضت على الجميع الدخول للصف منحنيا.

تمكن بومدين بتجربته وتفهمه لنفسيات أفراد جيش التحرير خاصة فئة الثوار، حيث عرف كيف يكسب ودهم وثقتهم، فكانوا له عونا على منافسيه، فخاض بهم معارك فاصلة مكنته من تشرذم الخصوم السياسيين الأقوياء أعضاء الحكومة المؤقتة، ثم تمكن مع حلفائه من إقتحام العاصمة، ثم مواجهة هجوم المملكة المغربية في 1963، وما ترتب على ذلك، لقد كسب بهم كل تلك الحروب، والأهم من ذلك تحقيق الإستقلال السيادي وبناء أسس الدولة الجديدة.

فعبقرية "بومدين، تكمن في كونه لم ينفصل على أفراد جيش التحرير الذين كان يعيش حياتهم، ويتلمس إحتياجاتهم، ويتحسس معاناتهم وظروفهم كأفراد وكوحدات، وبذلك تمكن من كسب ثقة جيش التحرير الذي تحول لقوة فاعلة في الميدان، إستغلها "بومدين" ضد العناصر التي تسببت في إضعاف فعاليته القتالية خلال سنوات 59/58/57 نتيجة حساباتهم الشخصية السلطوية الضيقة.

- **مؤتمر طرابلس ينشر حبات عقد القيادة**

لقد بدأ ت جلسات مؤتمر طرابلس بتاريخ 25 ماي واستمرت الى غاية 7 جوان 1962 وذلك بقصد الإتفاق على "ميثاق وطني "يضبط القواعد التي سترسى عليها قواعد الدولة الجديدة بعد توقيف القتال، وبناء المؤسسات على المنهج السياسي

العقائدي المعتمد للمستقبل، ثم تعيين قيادة سياسية انتقالية ريثما تتكون "الحكومة "و"المجلس الوطني التأسيسي".

بكل أسف لم تظهر هناك خلافات على الأفكار والنصوص السياسية و التنظيمية، بقدر ما كانت عميقة على أسماء أعضاء المكتب السياسي، ذلك لأن فتنة التنافس على القيادة التي ورثناها من مؤتمر الصومام، إستفحلت من جديد، وعمقت الخلافات التي أدت في النهاية إلى تعليق أعمال المؤتمر نهائيا، حيث عاد الجميع إلى حيث يجدون الأمان ويستقبلون حلفاءهم.

لقد عاد رئيس الحكومة "بن خده" الغاضب لمقر الحكومة، كما سافر "ايت أحمد" المشاكس إلى سويسرا، وعاد "بن بلة" و"خيذر" للقاهرة، أما الحليفان الجديدان اللذان ربطت بينهما الأزمة وهما:" كريم بلقاسم" و"محمد بوضياف" فقد عادا للحدود التونسية فلأول مرة تقرب بينهما الظروف.

أما "بومدين" الذي يملك خيوط اللعبة الجديدة، فقد إلتحق بقيادته على الحدود رغم محاولة الحكومة المؤقتة القبض عليه بجهود الحكومة التونسية، كماعاد قادة الولايات كل لولايته، وبذلك إنتثرت حبات عقد قيادة الثورة التي ظهرت بعد مؤتمر الصومام "، وذلك في أول إمتحان حقيقي واجهها.

وبالنسبة "للعقيد الزبيري"، فإنه هوالآخرعاد لمقر الولاية المتواجد بوسط الأوراس، وذلك بعد فشله في نصرة حليفه "كريم، وضم أسمه لقائمة أعضاء المكتب السياسي الجديد، وهو بذلك يحاول رد الجميل "لكريم بلقاسم" الذي رفعه لأعلى المراتب بتعيينه على الولاية الأولى، وهو شرف ماكان أبدا يحلم به لولا فضل "كريم" عليه، ولما أدرك "الزبيري" أن موازين القوى قد تغيرت لغير صالح أعضاء الحكومة، إضطر لأن يدير ظهره عن حليفه "كريم"، ويتموقع مع أقوياء المرحلة الجديدة" العقيد بومدين" و"حليفه بن بله" الذي خرج من السجن بسمعة براقة، كان قرار "الزبيري "موفقا، إذ لامجال للمغامرة

بمصلحته الشخصية، وأيضا بمصلحة الولاية الصخرة الصلبة التي تكسرت عليها الكثير من العصي، فحليف البارحة الرجل القوي "السيد كريم" الذي كان قد سيطر على الأحداث خلال سنوات 57 /58/ 59/ بدأت الأيام تجافيه، بعد أن تزعزع مركزه لمرتين متتاليتين؛ الأولى عندما تغير موقعه من وزير الدفاع الى وزير الخارجية، والثانية بعد تحالف بومدين مع "بن بله" الذي كان عبان رمضان قد أقفل في وجهه كل الأبواب بواسطة مؤتمر الصومام.

ولا بأس من التذكير للتاريخ بأن "العقيد الزبيري" كان قبل تلك النتيجة المأساوية التي فجرت مؤتمر طرابلس قد إقترح علينا في إجتماع عام ضم قادة المناطق والنواحي في عمق الأوراس بضرورة البقاء على الحياد في أزمة الحكومة المؤقتة مع قيادة الأركان العامة، والتريث لفترة معينة ريثما تتجلى الحقائق ويتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود في المستقبل السياسي للبلاد، إلا أن ذلك الحياد الذي نصحنا به "العقيد الزبيري" قائد الولاية الأولى لم يطل كثيرا، بسبب ذلك الموقف المرتجل الذي أقدم عليه" رئيس الحكومة بن خده"، وهو قرار حل "قيادة الأركان" وتوقيف أعضائها، مكررا بذلك (جريمة استقواء القادة على مرؤوسيهم بالأجنبي "الرئيس بورقيبه") وها هو "بن خده" يقتدي في ذلك "بعبان" و"كريم " في معركته مع قيادة الأركان العامة (فالغاية تبرر الوسيلة لدى السياسيين).

لقد أدرك "العقيد الزبيرى" بأن من غير المعقول الخروج عن الإجماع العسكري، فتخلى عن حليفه "كريم " حيث لا وفاء للعهود في السياسة، خاصة وهو يدرك أن "العقيد الحاج لخضر"، و"مصطفى مراردة" لايزالان يتربصان تعثراته ليعودا لقيادة الولاية المختطفة منهما بنصرة "كريم" له، فلا قوة تواجه زحف "بومدين" على رأس الجيش القوة الضاربة على الحدود الغربية والشرقية، فحسابات بومدين الدقيقة لم تترك "للزبيري" المناورة، وحتى "العقيد بومدين" نفسه كان يتطلع

لإنضمام قادة الولايات له كعسكريين، وقد شذت عن تلك الولاية الثالثة التي ناصرت "كريم"، والولاية الثانية التي ناصر جزء منها "بوصوف" و"بن طوبال"، لكن الزبيري ساعد بومدين على إخضاع الولاية الثانية وذلك بإرسال قوة من الولاية الأولى لنصرة الجناح الموالي" لبومدين وبن بله".

ونتيجة لموقف "الزبيري" من أعضاء الحكومة قام "بومدين" بزيارة للولاية الأولى لتهيئة طريق دخول جيش الحدود الشرقية، حيث عقد عدة إجتماعات مع "العقيد الزبيري"، ثم قام بزيارة مجاملة لعضو قيادة الولاية الجريح "سي محمد الصالح يحياوي" المتواجد في مزرعة "بوزيان بوزيان" قرب مدينة خنشله، وصادف أن تزامنت زيارتي "لمحمد الصالح يحياوي" بوجود" العقيد "بومدين" عنده، لأول مرة أتعرف على "بومدين" الذي وجدته مسترسلا في شرح تفاصيل الخلافات وأبعادها وخلفياتها وأخطارها خاصة على وحدة الجيش، ولخلو ذهني من خلفيات تلك الخلافات فقد فاجأني "سي بومدين" بتفاصيلها المروعة، وبعد إستفسار "بومدين" عن شخصي عرفه سي "محمد الصالح يحياوي " بشخصي ومهمتي، لم تطل جلستي معهما حيث إستأذنت للخروج وانصرفت لشؤوني.

وبعد مدة إنتقل "العقيد الزبيري" من باتنه متجها إلى تلمسان بصحبة "العقيدين "بومدين" و"شعباني" لحضور إجتماع تكوين المكتب السياسي الجديد مع "بن بلة" والأطراف الأخرى التي كانت تكون "مجموعة تلمسان"، التي ستسترجع السلطة من جماعة مؤتمر الصومام، وتعيد الأمور لمربعها الأول، وبذلك يعيد التاريخ نفسه.

- دورة الزمن تطوي فترتي عبان والباءات الثلاثه

وهكذا طويت فترتا "عبان رمضان" مهندس مؤتمر الصومام، وأيضا فترة "كريم بلقاسم" وحليفه "بن طوبال" و"بوصوف" التي طغى فيها الحرص على النفوذ الشخصي

والتحالف، ودخلنا مرحلة جديدة سيطر عليها "بومدين" المتحالف مع "بن بله" المقصي من ساحة الصراع على السلطة مبكرا بعد مؤتمر الصومام، ولكن "بومدين" قد فتح باب السلطة أمامه من جديد، وذلك من مدينة " تلمسان "على الحدود الغربية.

لقد دخل "بن بلة" مدينة تلمسان كالفاتح المنتصر بفضل مخططات "بومدين" ذات البعد المستقبلي، حيث إستقرت المجموعة المتحالفة في" الفيلا جولي" ومنها وجهت الدعوة للعناصر المساندة لحضور إجتماع تكوين المكتب السياسي الجديد، كان من بين المجموعة رئيس الحكومة السابق "فرحات عباس" و"أحمد فرنسيس" و" بطاط " و"خيذر"، والعقداء قادة الولايات الأولى "الزبيري"، والخامسة "عثمان" والسادسة "شعباني"، والرواد الثلاثة "علي منجلي"، و"قايد أحمد"، و"العربي بن رجم "من الولاية الثانية، بينما رفض حضور الإجتماع كل من "كريم بلقاسم" و"بوضياف" واحتميا بالعقيد "محند ولحاج " قائد الولاية الثالثة.

- **قرار الدخول للعاصمة بحدة السلاح**

عاد "العقيد الزبيري" للولاية من إجتماع مجموعة تلمسان مصمما على تنفيذ القرارات التي إتخذت في إجتماع تلمسان، من ذلك الدخول إلى العاصمة عنوة وبقوة السلاح، وكان أول عمل قام به "العقيد الزبيري" كما ذكرت آنفا هو تزويد "الرائد رابح بلوصيف" المتواجد في قسنطينه بمقاتلين من الولاية الأولى لتمكينه من إقتحام مدينة قسنطينه عنوة وإخضاع "العقيد "بوبنيدر صالح "المدعو(صوت العرب) و"بن طوبال"، وفعلا تمكن بلوصيف من تحقيق غرضه، ثم أصدر لنا "العقيد الزبيري" تعليمات بتشكيل وحدات خاصة للمشاركة في فتح الطريق نحو العاصمة، وبصفتي قائدا للمنطقة الثانية فقد قمت بإستدعاء بعض الوحدات للتجمع في قرية "الشمره" شرق

مدينة باتنه، حيث جهزنا كتائب تولى بعض القادة البارزين قيادتها من بينهم: "محمد الصالح بالعباس" و"الطاهر معاليم"، على أن تكون كلها تحت قيادة "العقيد الزبيري" نفسه . تقدمت تلك القوات على محور الطريق الجنوبي مسيله (عين لحجل) -(سيدي عيسى) -و(بير قبالو) حيث واجهت قتالا عنيفا، سقط فيه الكثير من الضحايا منهم "النقيب سي محمد الصالح بلعباس"، كانت تلك الخسائر البشرية الباهضة ثمن الصراع على السلطة الذي إبتدعه "عبان رمضان"بعد مؤتمر الصومام.

وهكذا عندما نتابع مسيرة "العقيد الطاهر الزبيري" نجدها حافلة بأحداث ملفتة للإنتباه بدأ بتطوعه لمساعدة القائد "كريم بلقاسم" على إخماد تمردات واحتجاجات وحدات القاعدة الشرقية، ووحدات الولاية الأولى على طول الحدود الشرقية ضد قيادة "محمدي السعيد " و"الرائد إيدير " وزبانيته.

حارب العقيد الزبيري تمرد "موح أولحاج، وآيت أحمد" في الولاية الثالثة، ثم واجه مجموعة الولاية الرابعة، وساهم في اقتحام العاصمة بقيادة "بن بله" و"بومدين"، كان للزبيري دورا في إيصال" بن بله" لمنصب رئيس الحكومة، ثم لمنصب رئيس الجمهورية، ولكن مقتضيات السياسيه وتقلبات الأحوال دفعته إلى إقتحام مقر الرئاسة على "الرئيس بن بله" وإخراجه منها للإقامة الجبرية تنفيذا لقرارات مجموعة الحركه التصحيحية 19 جوان 1965 التي كان "بومدين" من ورائها، وعملا بمبدأ (لاصديق دائم ولاعدو دائم في السياسة) إضطر العقيد الزبيري مرة ثالثة لإعلان الإنقلاب العسكري على الحليف " الرئيس بومدين" الرقم الصعب في المعادلات كلها، وهو إنقلاب لم تتوفر له شروط النجاح بإعتراف منفذه "الرائد عمار ملاح" الذي يؤكد بكل وضوح بأن "العقيد الزبيري" قد فاجأهم بأمر التحرك دون توفير شروطه، ولكن "ملاح" إضطر لتطبيق أمر التحرك في تلك الليلة حتى لايتهم بالفشل أو الخيانة أو الجبن، وبعد فشل المخطط ألزم "ملاح" نفسه بضرورة رصد "رئيس

"الجمهورية" وقصفه، قرب قصر الحكومة حيث أصابه برصاصات غير قاتلة، دفع "سي عمار ملاح" وزملاؤه ثمن ذلك بالسجن لمدة 15 سنة نافذة تحت الأرض، ويبقى الفضل كل الفضل "البومدين" الذي لم يعدمهم متميزا في ذلك عن "الرئيس بن بله" الذي نفذ حكم الإعدام في "العقيد شعباني"، ومتميزا أيضا عن "كريم بلقاسم" الذي نفذ أحكام الإعدام في مجموعة "محمد لعموري المتهمين بتدبير الانقلاب ضد الحكومة المؤقتة، وقبل ذلك تنفيذ حكم الإعدام في القيادات التاريخية للولاية الأولى وعلى رأسهم "عباس لغرور" ورفاقه رموز الأوراس في تونس.

لم يعدمهم، إنما ترك لهم فرصة إستئناف الحياة السياسية والمهنية من بابها الواسع بعد خروجهم من السجن كل حسب مؤهلاته وهي عملية تحسب له.

وهكذا فلقد مر من أمامنا وعلى حسابنا وحساب المجتمع المتعطش للحرية شريط الطموح الأعمى، والصراع الجنوني على السلطة الذي عشعش في عقول مسؤولينا السياسيين والعسكريين في فترات معينة، بدأ بعبان رمضان سنة 1956، ثم مرحلة كريم وبن طوبال وبوصوف خلال سنوات 59/58/57، وانتهاء بخلافات مؤتمر طرابلس الأخير المنعقد يوم 25 ماي 1962 وما تلاها من أزمات التنافس على السلطه المتواصل.

- **مغامرة oas في الأوراس**

من جديد تضامنت منظمة الجيش السري (OAS) مع الجبهة الوطنية للعمل الديمقراطي المصالية (FAAD) من إجل مواصلة الحرب في الجزائر متحدين في ذلك قرار "رئيس الجمهورية الفرنسية" الذي أعلن توقيف القتال في الجزائر نتيجة لإتفاقيات (إيفيان)، وكان إعتمادهما في ذلك على أفراد "الحركى" الذين لم يسحب منهم الجيش الفرنسي السلاح عن

قصد لإشاعة الفوضى في الجزائر وبالخصوص في الشرق الجزائري و الأوراس.

لقد إستمر نجاح الثورة الجزائرية غصة في حلق غلاة الإستيطان والحركى والعملاء، والجنرالات والتنظيمات الإرهابية.

لم توفق الحكومات الفرنسية في إخماد شعلة الثورة التحريرية في الجزائر رغم تجنيد كل إمكانيات المجتمع الفرنسي، والمساعدات السخية للحلف الأطلسي بما في ذلك سلاح الحوامات الذي مكن الجيش الفرنسي من تكثيف عملياته الباغتة لوحدات جيش التحرير، لقد أغمضت الحكومات الفرنسية عيونها عن جرائم التنظيمات والحركات الإرهابية، كمنظمة الجيش السري (OAS) وجهاز اليد الحمراء، وتلامذة مجرمي حرب الإبادة من أمثال (بيجو) وعمالقة الصناعة الجدد من أمثال (راقي) الرأسمالي، ومجموعة الجزائر فرنسية، راحوا كلهم يتحدون" رئيس الجمهورية برفضهم توقيف القتال وإصرارهم على مواصلة القتال في الجبال.

حاولت منظمة الجيش السري (OAS) إستغلال "الحركى لمواصلة القتال، مستعينة في ذلك ببعض القاده المنتمين (للجبهة لجزائرية للعمل الديمقراطي (FAAD) الذين فصلهم 'مصالي الحاج' من مكتبه السياسي في الحركة الوطنية بتاريخ 30 جوان 1961 مثل " بالهادي لمين"، و"خليفة بن عمار"، و" بلقوان "، و"سعيد عبد الرحمن" الأمين العام للإتحاد النقابي للعمال، وحتى "السيد "ميشال دوبري"" نفسه كان مشاركا في تلك العملية اليائسة،حين قامت المخابرات الفرنسية خلال شهر نوفمبر 1961 بتعيين أحد أفرادها وهو (الأجودان شاف لافونصو) ليؤطر تنظيم (FAAD)، ويوفر له كل الشروط من مال، وسلاح، وتنظيمات هيكلية، وتجنيد، وتوجيه، وتخطيط، وعندما إقتنع "الرئيس دوقول" بحتمية تمكين الجزائر من

إستقلالها قررت المخابرات حل ذلك التنظيم، ولكن عناصره تمردوا على سلطة "رئيس الجمهورية الفرنسية"، متحالفين في ذلك مع المنظمة السرية (OAS) وبعض الجنرالات المتمردين بقصد مواصلة القتال بالحركى المسلحين في الجبال. وخاصة في محيط "أريس".

لقد تسرب خبر هذه المغامرة الخطيرة الى قيادة الولاية الأولى، حيث وجه لي شخصيا قائد الولاية "العقيد الزبيري " تعليمات عاجلة بصفتي قائدا للمنطقة الثانية، يأمرني فيها بسرعة التحرك لإفشال المغامرة.

سارعت إلى ربط الإتصال بالمسؤولين القاطنين (للحركى) في محيط مدينة أريس، وفم الطوب، قصد نزع فتيل المغامرة بما تقتضيه الظروف. كلفت بعض الضباط المنتمين لمدينة أريس بالمهمة، وعينا من يتولى الإتصال ببعض قادة الحركى (القومية) الأساسيين مثل "القائد السبتي" و"الصالح بن عمار فروجي" الذي تفاعل معنا وساعدنا على إجهاض المؤامرة.

لقد تفهم "الصالح بن عمار" خطورة المؤامرة عليهم وعلى المنطقة ككل لأن ماعجز عليه الجيش الفرنسي خلال سبع سنوات لايمكن لحفنة من المغامرين تحقيقه.

وحتى نبعث الطمأنينة في نفوس كل أفراد "الحركى" المسلحين، أكدنا لهم بأن الثورة قد طوت صفحة الماضي مع أبنائها المغرر بهم (فعفى الله عما سلف)، ستوفر الدولة الحديثة الأمن لكل أبنائها المغرر بهم، وسيعيشون أحرارا آمنين على حياتهم وممتلكاتهم، شريطة تسليمهم السلاح الذي بأيديهم، وعدم التفكير في مد اليد إلى المغامرين، ومن رغب منهم بالبقاء وسط جيش التحرير فله ذلك.

بلغنا قائد الولاية بفحوى الإتفاق، فحدد هو شخصيا موعدا لمقابلة "الصالح بن عمار فروجي" ليؤكد له شخصيا تلك الضمانات.

ونتيجة لذلك قام "الصالح بن عمار" باستدعاء كل عناصر القومية الذين يثقون فيه لحضور تجمع عام في عمق المنطقة المحررة، وبالضبط بالمكان المسمى "المصارة"، في السفح الجنوبي لقمة شلية.

كان عدد الملبين للدعوة يزيد عن 300 حركي، حضروا جميعا "المصارة"، كان التجمع عبارة عن حفل هائل، تناول قائد الولاية فيه كلمة أزاحت الخوف من عقول عناصر الحركي، وبعثت الطمأنينة في نفوسهم، وبذلك ترك بعضهم السلاح وعاد لأهله بكل رضى وطيب خاطر، ومنهم من قبل أن ينضم لجيش التحرير فوزعوا على النواحي، ونتيجة للحياة القاسية التي كان جيش التحرير لايزال يعيشها، فقد طلب بعضهم العودة للحياة المدنية، وبذلك انتهت المغامرة بسلام، واستفاد أفراد الحركي من عدم المحاسبة على الماضي.

أما بالنسبة لقائدهم "الصالح بن عمار" فإنه بقي معي شخصيا في المنطقة مكرما مبجلا، وكنا نشمله بالعطف لأنه رجل مسن ومصاب بمرض السكري، فلم يصبر على تحمل صعوبة حياتنا القاسية، وبمجرد دخولنا مدينة خنشلة في ضيافة لجنة المدينة المتكونة من " بلقاسم درنوني"، و"محمود بوزيان"، و"الزراري ريحاني"، و"عبد الحميد هامل"، طلب مني زيارة عائلته بالمدينة (بلدية الشمول) للتزود بالدواء، فسمحت له بذلك دون تردد، والحقيقة أننا لم نكن مقيدين بأية تعليمات للتضييق عليه وعلى غيره، وبالتالي تركنا له الحرية في إختيار ما يساعده ما دامت المهمة قد انتهت على ما يرام، سلمته رخصة الزيارة المعمول بها مع المجاهدين،فترك سيارته وانطلق لأهله، لعله كان بدون رخصة سياقة أو أنه لايستطيع السياقة لكبر سنه.

أو أنه تركها لنا عن قصد، وبعد عدة أيام علمنا أنه سافر لفرنسا بصفة سرية، موهما نفسه بأنه قد استغفلنا في ذلك، ولعله كان خائفا على حياته، فالجرائم التي تسبب فيها خلال الثورة ليست بالهينة ولكننا أبدا لم ننوي محاسبته.

تعقيبات على بعض مانشر

التعقيب الأول كان حول: نقاط وردت في مذكرات "العقيد الزبيري"

في البداية أهنئ العقيد سي الطاهر على المعلومات الهامة التي تضمنتها مذكراته الشخصية، وعلى الشجاعة في سرد الأحداث بأسلوب صريح ومباشر. وبما أن التاريخ ملك مقدس للأمة، فإن الواجب يفرض علينا المساهمة بما نملكه من حقائق قد تساعد المختصين على الدقة والتحري، ومن هنا يأتي حرصنا الشديد بضرورة تسليط الضوء على بعض النقاط الواردة في شهادة العقيد لإضفاء المصداقية، والدقة في تسجيل تاريخ الثورة.

فالعقيد عاش كل أطوار الثورة، كأسير محكوم عليه بالإعدام، ثم كمجاهد بسيط، وكضابط عادي، وفي الأخير كضابط سامي، فهو بذلك قد ساير مختلف تطورات الأحداث، والخلافات التي تخللت مسيرة الثورة، خاصة لما أصبح هو القائد العام للولاية الأولى التي مكنته من المساهمة الفاعلة في بعث أول جمهورية للدولة الجزائرية.

لذلك سأسمح لنفسي بالتركيز على بعض المواضيع الواردة في مذكراته، وقبل كل ذلك أطرح سؤالا مهما حول الظروف التي إستثنت العقيدين "الحاج لخضر" و"الزبيري" من أحكام الإعدام التي شملت أغلب قادة الأوراس التاريخيين (مفجري الثورة)، كما شملت أيضا القيادة التي عوضتهم من الجيل الثاني، رغم كونها معينة من طرف من غيبوا القاده التريخيين أي ممثل "عبان" في تونس، ورغم ذلك كان مصيرهم هو نفس مصير أسلافهم.

فبالنسبة للحاج لخضر، فإن ذكاءه الفطري هو الذي هداه الى رفض الإلتحاق بتونس رغم تعليمات قائد الولاية الثالثة"

محمدي السعيد "الذي فوضه" عبان لتسيير الولاية الأولى، مباشرة بعد محاولة "عميروش" إغتيال عجول.

فلقد أدرك "الحاج لخضر" حينها بأن المخطط المعد للأوراس لايمكنه قبوله، وليست له القدرة على مواجهته، ولذلك قرر البقاء داخل الأوراس بعيدا عن ذلك الجو المشحون، مركزا جهوده على مقاتلة العدو، ولذلك لم تشمله التصفية التي راح ضحيتها زملاءه الذين لبوا دعوة العقيد "محمدي السعيد" لدخول تونس، والذين تم تهميشهم والتخلص منهم بطرق مختلفة، بدأ "بعباس لغرور" خلال شهر سبتمبر 1956 وزميله "عجول" اكتوبر 1956، انتهاء بالآخرين الذين تمت تصفيتهم خلال سنوات 1957 /1958/1959.

أما بالنسبة "للعقيد الزبيري"، فقد تولد لديه شعور بعزة النفس، جعله يرفض بأن يكون مرؤوسا إلا لأحد السته التاريخيين، لذلك سارع للإلتحاق بمصطفى بن بولعيد في الأوراس، ولما تأكد من إستشهاده،راح يتقرب من "كريم بلقاسم" الذي حل في تلك الأونة بمنطقة سوق اهراس مسقط رأسه شخصيا، ومن حسن حظ "الزبيري" أن وحدات تلك المنطقة كانت قد تمردت على "كريم" ورجاله، فتطوع "الزبيري" لمساعدة "كريم" على إخماد تلك التمردات، وبذلك نال ثقة "كريم"، وقد أثمرت له تلك الثقةلاحقا بتعيينه قائدا عاما للولاية الأولى على حساب زملائه الآخرين، ولذلك لم تشمله التصفية التي شملت الآخرين، وبالعودة إلى موضوع التعقيبات أقول:

اولا: أكد العقيد الزبيري في مذكراته مايلي:

(بأنه لم يبق إلا "عباس لغرور" و"عاجل عجول" رافضان لمؤتمر الصومام)

وهو اتهام غير مؤسس ويستهدف الحط من قيمة هذين القائدين التاريخيين الذين برهنا على صدق المسعى ونبل المقصد، والوفاء الغير محدود للثورة بدليل ما حققاه من انتصارات لم يتمكن أحد من القاده الذين عوضوهما في قيادة الأوراس من تحقيقها.

نؤكد على أن "عباس لغرور، وعاجل عجول"أبدا لم يكونا ضد قرارات مؤتمر الصومام، حقا كانت لهما بعض التحفظات التي لم تتعلق بالجوهر بدليل مايلي:

أ - تلك الرسالة المشهورة التي بعث بها "عجول" بإتفاق مع" عباس لغرور" إلى لجنة التنسيق والتنفيذ بالولاية الثالثة مباشرة بعد إنتهاء "أشغال المؤتمر"، ولما دخل " الرائد عميروش للأوراس بتعيين من "عبان رمضان" تأكد من تلك الرسالة، وتضمنها تقريره الذي رفعه للجنة التنسيق والتنفيذ على مهمته داخل الأوراس خلال شهر اكتوبر 1956 ع

ب - كما أن عجول كان قد أرسل مع الرسالة المذكورة (الختم الرسمي لمنطقة الأوراس) من أجل تغييره بختم يحمل " الولاية الأولى بدل المنطقة الأولى

ج - حرصا من "عجول" على تبليغ رأي منطقة الأوراس حول نتائج المؤتمر إلى أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ، إختار لتلك المهمة أقدم مناضل في الأوراس، هو "بلعقون مسعود"، وذلك من أجل الإتصال "بكريم" واستيعاب جوهر القرارات الجديدة منه شخصيا، وتسلم وثائق المؤتمر يدا بيد من أحد أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ.

فهذه النقاط الثلاثة تعطي الدليل على أن "عجول" وعباس "كانا بحكم مسؤوليتهما على منطقة الأوراس يتطلعان للتعامل مع لجنة التنسيق والتنفيذ بما يقتضيه واجب المسؤولية التي في عنقهما وطنيا وإقليميا دون إحتواء ولا تبعية لطرف دون طرف.

ثانيا: ذكر العقيد في الصفحة 178 من كتابه "آخر قادة الأوراس التاريخيين مايلي:

(عندما انفض إجتماع إطارات الولاية في 19 أكتوبر 1956 رجع عجول ليستريح في إحدى الأكواخ، ومعه نحو عشرة من الجنود، ولشدة ذكائه وضع بعض الحراس فوق الكوخ، في حين نام هو ونحو ثمانية جنود داخله، وبمجرد أن أطفئت الأنوار، ترك عجول مكانه لأحد الجنود، ونام في جهة أخرى، وبذلك نجا من الموت وهرب قاصدا بيت أبيه المقيم في الجبل وهو ينزف بالدماء. الخ.)

والحقيقة أن هذه الشهادة أيضا خاطئة على طول الخط، لأن "العقيد الزبيري" لم يعشها، وقد يكون إستقاها من بعض الذين يجهلون الواقعة، أو ممن يتعمدون تغيير الحقائق للتهرب من المسؤولية، وقد تعرضت بالتفصيل لعملية محاولة إغتيال عجول في موضوع "مهمة عميروش" وأيضا في " موضوع تعقيبات على مقال الجنرال "سي حسين بن معلم"، ولا بأس من التركيز هنا على بعض النقاط:

1) أن "عجول" لم يحضر معه الى الكوخ الذي نام فيه إلا ثلاثة مرافقين، (لاعشرة، ولا ثمانية) وهم: "محمد الصغير هلايلي" صاحب المذكرات والشاهد على الحادث المؤلم، والثاني الشهيد "الصادق بادسي"، والثالث الشهيد "ثنيه عبد الرحيم"، الذين حصدهما رصاص الغدر في تلك الواقعة المؤلمة، وأقول

من السذاجة أن يميز عجول نفسه "على الحاج لخضر" الذي كان في حمايته تلك الليلة.

2) أبدا لم يتبادل "عجول" مع أحد جنوده موقع نومه، ولا لباسه مع كاتبه حسب رواية البعض، فذلك تصرف غريب على القاده التاريخيين،فهو تصرف غير أخلاقي، لمن يضحي بحراسه لايأمن شرهم.

3) أن عجول لم يتوجه "لبيت أبيه" لأنه ببساطة كان بعيدا جدا عن مكان الحادث، وإنما توجه مباشرة لفوج حراسته القريب منه لتلقي العلاج، وبعد الإسعافات الأولية، تنقل بسرعة إلى مركز الكتيبة التي يقودها خاله "المكي بيوش"، والتي تبعد عن مكان الحادث بنحو 15 كم.

4) أن عجول لما وصل للكتيبة التي يقودها خاله "المكي بيوش" تدارس مع نوابه واقعة الأعتداء عليه،و لكونه كان غير متأكد من تورط عميروش في دمه، لذلك قرر مراسلته للتأكد من ذلك، وأيضا لمواصلة الحوار، ولما رفض عميروش لقاء عجول الجريح، تبين تورطه، وتحمل مسؤولية محاولة الإغتيال، خاصة لما أصدر تعليماته بملاحقة "عجول" حتى القضاء عليه أو دفعه للعدو حسب تصريحه حرفيا.

ثالثا: وفي الصفحة 142 من نفس المصدر تعرض" العقيد زبيري، لحادثة إغتيال الرمز "مصطفى بن بلعيد" بقوله:

أ) **أن فرقة فرنسية تعمدت ترك (البوسط الملغم) بالقرب من مركز القيادة العامة للأوراس)**

وهي رواية غير دقيقة لأن كل المجاهدين يعلمون بأن المركز العام لقيادة الأوراس في تلك الأونة يوجد في (غابة بني ملول) والفرنسيون أسقطوا اللغم في منطقة (الجبل لزرق) قرب قرية (منعه المشهورة).

ب) وفي الصفحات 143 و144 وأيضا في ص 42/41 تضمنت شهادات متأثرة بالعاطفة والكراهية.

لعل العقيد إستقاها من أقوال بعض الرواة الذين كانوا متأثرين بالخلافات التي كانت بين عجول وعمار بن بولعيد، فتوهم العقيد صحتها، أو أن حساسيته الشخصية ضد "عجول" جعلته يصدقها ويتأثر بها، رغم انه لم يعشها، ولم يراها بعينيه، ومن لم يسمعها ولم يراها بنفسه، فإنها بالتأكيد تقلل من مصداقية شهاد ته، وفوق ذلك تتسبب في زرع الضغائن بين أحفاد الشهيدين المتصالحين بين يدي خالقهما، فالحكمة تقتضي من أصحاب العقول التغاضي عن ذكر ذلك حتى لايتسبب في إثارة الفتنة النائمة.

فسي "مصطفى" بوزنه ورمزيته الكبيرة، وثقته في نفسه، وثقة الآخرين فيه، لا يعبأ بأي شخص قد تحدثه نفسه بالتطاول عليه سواء كان "عجول" أو غيره. ، ومن يتعمد إتهام نواب "مصطفى" بقتله فهو بذلك ينقص من قيمة الرمز "مصطفى" ومن مكانته في المجتمع، فهو فوق ذلك كله، ومن يصر على ذلك فهو بالتأكيد جاهل.

ثم أن "عجول" بذكائه ومعرفته الدقيقة بشخصية "سي مصطفى" لا يمكن أن تحدثه نفسه باقتراف جريمة قتل سي مصطفى، فجذور العلاقة بين الرجلين تعود للأربعينات، ولايقدر معناها غيرهما.

أما بالنسبة لقرار إخضاع الفارين من السجون للوقاية، فهو أمر نظامي عادي جدا، ولا أحد يزكي نفسه ويضع نفسه فوق القانون الذي أصدره "مصطفى بن بولعيد" نفسه بوعي وتروي، ولعل العقيد في هذه القضية بالذات يتكلم على نفسه ويزكيها رافضا أن يشمله الإحتراز الأمني الوقائي العادي الذي قد فرضه" مصطفى" على نفسه لمدة تزيد عن أربعة أشهر دون دون غرور ولا تزكية للنفس، وكل من يدعي القدسية في

مثل هذه الحالات لايمكن إلا أن يكون مريضا بوهم "الغرور والعظمة"، فلا عصمة إلا للأنبياء.

والتعليمات في أصلها عمل إحترازي وقائي طبق في مختلف مراحل الثورة على الجميع، من بداية الثورة حتى نهايتها، ولم يعترض احد عليه، فما معنى إستثناء من فروا مع سي مصطفى من السجن؟

فإذا كان "سي مصطفى" على دراية بحقيقة إخلاص الفارين معه من السجن ومنهم "الزبيري"، فإن "عجول" و"عباس لغرور" بحكم مسؤوليتهما على الثورة في المنطقة بالتأكيد يجهلا ن كل شيئ على المجموعة التي فرت مع "سي مصطفى بن بولعيد" الذي طبق التعليمات على نفسه رغم محاولة البعض دفعه لتزكية نفسه إستثنائيا بالتزلف، فهم بذلك يتقمصون التزلف ليكونوا ملوكا أكثر من الملك، فمن يسعى لتزكية نفسه بالإنتساب للرمز "مصطفى" فهو مخطئ ومغرور، فمصطفى قد تحاشى إحراج نفسه والآخرين، فما الداعي إذن إلى إحداث هذه الحساسية بعد أكثر من خمسين سنة مضت ؟

أولم تتورط قيادات سامية في الثورة حين أعطت لنفسها حق التفاوض مع "رئيس الجمهورية الفرنسية" نفسه في فترة من الفترات، كما أن "عبان رمضان" نفسه قد إتهم من طرف الوزراء في الحكومة المؤقتة بأنه كان على إتصال ببعض الفرنسيين دون علمهم، وهناك أسرى كثيرون كانوا قد تعرضوا للأسر وأخضعوا لعملية غسل المخ من طرف العدو، ولما اطلقوا سراحهم لينضموا من جديد لجيش التحرير بمهمة الدس والخيانة، فكانت لهم الشجاعة وصدق الوطنية بكشف ماوقع معهم وما طلب منهم، فما العجب إذن في توخي الحيطة والحذر واتخاذ الإجراءات الاحترازية اللازمة من أجل سلامة الثورة؟

رابعـا: كما جاء أيضا في مذكرات "العقيد الزبيري" في الصفحة 264 حول موضوع تشكيل مجلس الولاية الأولى، خلال شهر جانفي 1962 ما يلي:

(بعد خروج مقداد جدي القائد السابق للمنطقة السادسة من السجن جاءني إلى مركز الولاية، ففكرت في تعيينه، ولكن بعد جس نبض المجاهدين وجدت أن بعضهم يشك في الطريقة التي ألقت بها فرنسا القبض عليه، فاستبعدته من ذهني، ثم فكرت في "محمد الصغير هلايلي" لكنني تحفظت بشأنه).

بهذا الأسلوب المقتضب جاء تحفظ العقيد الغامض بشأني أنا العبد الضعيف "محمد الصغير هلايلي" قائد المنطقة الثانية، وهو تحفظ مبهم يعطي الإنطباع بالطعن في سيرتي ومصداقيتي، وتضحياتي، وجهودي خلال تلك الفترة الصعبة التي كنا فيها جميعا تحت وطأة الأخطار لافرق بين الرئيس والمرؤوس.

من حيث المبدأ لا أنكر على "قائد الولاية" صلاحياته في تقدير من يصلح لهذه المهمة أو تلك من بين مرؤوسيه، شريطة احترام نفسيات المعنيين، وعدم المس بكرامتهم، لأن كرامتهم من كرامته هو، لقد كان على العقيد الذي أوكل كتابة مذكراته لصحفي مقتدر يمتلك من اللغة وفن الكتابة ما يضفي على أسلوبه الجميل الوضوح والدقة في التعبير، ولو أن "العقيد" وضح له حقيقة التحفظ بأسلوب جلي لما إعتمد الصحفي المحترم ذلك التحفظ المبهم المقتضب الذي لا يعفي من تعمده عن قصد المسؤولية الأدبية، والأخلاقية، فهناك الف صيغة لتوضيح المقصود إن لم تكن وراء ذلك خلفية معينة، كأن يقول العقيد بوضوح قررت ولاأحد يعترض على قراره، أو يقول تبين لي أن فلانا أصلح من فلان في مهمة بعينها، خاصة وأنه استعمل ذلك الأسلوب بالنسبة "لمقداد جدي "حين برر قراره بالتأني في أمر تعيينه لمجلس الولاية.

لم أصدق أن مسؤولي المباشر الذي أجله كثيرا نتيجة علاقة العمل التي كانت قد ربطت بيننا في فترة من الفترات سيفاجئني بعد مسيرة 53 سنة في وثيقة تاريخية (بتحفظ) يعطي الانطباع بسوء السيره الذاتية، أو بخيانة الأمانة، أو الفشل في المهام التي أوكلت لي تحت قيادته كأحد المسؤولين الفاعلين في محيطه بحكم المهمة التي كنت أشغلها كمسؤول للمنطقة الثانية التي تكاد تصبح جزءا من هيأة الولاية.

لقد أشعرني تحفظ العقيد بتلك الصيغة الجافة والمبهمة بأنه كان يتعمد جرح كرامتي وكبريائي وتاريخي، والطعن حتى في وطنيتي، رغم ماكنا نقوم به من أعمال تشرف الولاية التي كان هو قائدها في تلك الأونة.

لقد حاولت الإهتداء لأسباب ذلك (التحفظ الجارح)، وذهبت بي الظنون مداها طمعا في أن أهتدي إلى إستنباط الأسباب الحقيقية

قلت في نفسي لعل العقيد لا يزال متأثرا بنميمة بعض من كانوا حوله من المتزلفين القلائل ناشري الفتن بقصد تسويد القلوب بالوسوسة التي كانوا ينفثونها في آذان أصحاب القرار لتحقيق مكاسب على حساب غيرهم.

كماحاولت أيضا أن استحضر شريط ذكريات فترة عملي معه متوقفا عند بعض المحطات وربطها بذلك (التحفظ) وأدركت من خلال مراجعة بعضها أن السبب الجوهري لتحفظ "العقيد" يعود لعلاقتي السابقة "بعجول" و"بعباس لغرور"، وعلي معهما بصفة مباشرة منذ مطلع سنة 1955، وهي علاقة أفتخر بها، ولاأقبل الطعن فيها، لأني أعتز بها أيما إعتزاز، كيف لا وهما بالنسبة لي القدوة، فمنزلتهما بالنسبة لي لاتقل عن منزلة الرمز والقائد الفذ " مصطفى بن بولعيد"، فهم الثلاثة الذين فتحوا بصيرتي النضالية والجهادية، وعززوا تكوين شخصيتي على الصدق والطهارة والوفاء وقول الحق.

نعم لقد أدركت بما فيه الكفاية بأنه لا تزال في نفس "سي الطاهر الزبيري" المجاهد بعض المآخذ على القائدين "عجول" و"عباس لغرور" مترسخة في أعماقه، ولم تتمكن الأيام من محو آثارها من نفسه رغم إنتقالهما لرحاب الله.

إنني على دراية تامة بما أسبغه الرجلين على شخص "العقيد سي الطاهر" من تقدير وتكريم، ولولا جهود القادة الثلاثة "مصطفى الرمز" ومساعديه الميدانيين "عجول" و"عباس لغرور" لما وجد "سي الطاهر الزبيري" نفسه مسؤولا على ولاية الأوراس المشهورة بتضحياتها، وبوفرة رجالها أبطال المعارك الذين جندوهم ليتولى قيادتهم هو نفسه في آخر مشواره الجهادي.

يظهر أن رحلة "سي الطاهر الزبيري" الطويلة إلى الأوراس بعد خروجه من السجن للبحث على "الرمز مصطفى"، والتي أسهب في سرد تفاصيلها في مذكراته، وما واجهه من متاعب خلالها نتيجة الظروف المميزة بخصوصيتها في تلك الأونة والمتعلقة باستشهاد "سي مصطفى"، و التي فرضت على القيادة في تلك الظروف كتم خبر إستشهاد "الرمز مصطفى" حتى لايؤثر ذلك على معنويات المجاهدين والشعب، ولكن عزة النفس التي تولدت لدى "سي الطاهر "من خلال معاشرته "لسي مصطفى "في السجن حجبت عليه الغاية من كتم إستشهاد "سي مصطفى" عليه شخصيا وبالتالي جعلته لايغفر "لعجول" و"عباس"ذلك لأنه كان يرى نفسه مميزا على غيره، ولذلك إستمرت مؤاخذته لهما مترسبة في نفسه، بدليل ماسمعته منه شخصيا ذات يوم، وبالضبط خلال شهر فيفري 1961، حيث حملني صراحة مسؤولية تعاملي مع "أبرز قائدين عظيمين على الإطلاق في الأوراس وذلك طبعا بعد الرمز مصطفى بن بولعيد قائد الجميع، وهما "عجول" و"عباس لغرور".

والقصة كاملة وقعت بعد ما تولى العقيد "قيادة الولاية الأولى وراح يجري تنظيمات في الولاية إقتضتها المستجدات والأحداث، ترتبت عليها ترقيات لتغطية المهام الشاغرة بسبب الإستشهاد والأسر، والتنقلات والتنظيمات الجديدة، وقد شملتني تلك الترقية كعضو قيادة المنطقة الثانية في مهمة (سياسي)، كما شملت أيضا زميلي "سي عمار ملاح" بنفس الرتبة (إخباري)، و"سي محمد حابه" أيضا بنفس الرتبة (عسكري) وكان ثلاثتنا تحت قيادة الضابط الثاني" سي محمد الصالح يحياوي".

وعند خروجنا من أحد الإجتماعات النظامية مع قائد الولاية "العقيد الزبيري، توقفنا خلال الطريق للراحة والترفيه عن أنفسنا بمحادثات ودية لتلطيف الجو وتخفيف عناء التعب وضغط جو الحرب المسيطر. لقد جلس "العقيد الزبيري"خلال تلك الإستراحة على جذع شجرة يابسة ملقاة على الأرض، فأخذت مكاني بجانبه الأيسر فوق جذع تلك الشجرة، بينما توزع الآخرون أمامنا كل في ناحية، فهذا على حجر، وذاك على كومة تراب، والقهقهات الخافتة تملأ المكان، كنا حقا في ذروة السعادة بلقائنا مع بعضنا البعض، فالمناسبة لاتتكرر كثيرا في ظروف الحرب خاصة مع قائد الولاية، وفجأة توجه نحوي "العقيد الزبيري" واضعا ذراعه الأيسر على كتفي والابتسامة تعلو محياه، توهمت حينها في مخيلتي بأنه سيهنئني على الترقية، غيرأن تخميناتي لم تكن في محلها، فقد فاجأني بقوله: **(صح ليكم، بدل أن نحاسبكم ها نحن نرقيكم لمراتب عليا).** قالها والابتسامة لا تزال مرسومة على محياه، لقد أصابت عباراته القاسية سويداء قلبي، لعله تعمد تلك الإبتسامة ليخفف عني وطأة العبارات القاسية التي يعلم أنها ستصيبني في الصميم، لقد تمالكت نفسي محاولا التظاهر بعدم استيعابي لمقصوده كاتما ألمي، مستحضرا قول البصيري في البردة:

جرح الأحبة عندي غير ذي ألم

أدركت حينها أن حساسية العقيد ضد "عجول" و"عباس" لا تزال مترسبة في أعماقه، فهو يحملهما مسؤولية حرمانه من مجد محقق كان سيناله بمجرد لقائه "بسي مصطفى بن بولعيد"، وبذلك إستمر حاقدا عليهما رغم مرور الأيام وتغير الأحوال، ورغم ماتعرفه من جميل لهما عليه، ذلك أن "عباس لغرور" قد عرض عليه مسؤولية سكتور (الهنشير) وهو سكتور مهم يقع جنوب خنشلة فرفضه "سي الطاهر الزبيري"، وهو يعلم أن طلب المسؤولية خيانه ورفضها خيانة، ومع ذلك لم يؤاخذه عباس

أما "عجول" فقد خصه بشرف قيادة مجموعة متطوعين (كومندوس) مشكل من ثلاث فرق مسلحة بأحسن الأسلحة التي إفتكها الرجال المحيطون بعجول من بين أيدي جنود العدو قبل دخول "سي الطاهر" للأوراس ومع ذلك فضله عليهم "عجول"تطيبيا لخاطره، نعم لقد فضله على البطل "تاج الدين "، و"لزهر شريط"، و"عمار عشي"، و"بوالنخل محمد"، و"المكي بيوش" و"عبد الرحمن العمراني" وغيرهم، لكن "سي الطاهر" رغم ذلك التفضيل لم يطمئن للعمل في الأوراس، حيث قرر الفرار إلى مسقط رأسه، وقد رسم لنا طريقه على الخريطة، حتى كنت أشبهه بطريق الهجرة النبوية لكثرة الأخطار التي عدد تفاصيلها، والحقيقة أن العقيد لم يطب له المقام والجهاد في منطقة الأوراس بعد تأكده من استشهاد "سي مصطفى الذي كان معلقا عليه أمالا كبيرة لانستطع تخيلها مهما حاولنا، وراح يتقرب من القائد "كريم بلقاسم".

بالتأكيد أن عشرة "سي الطاهر" لمصطفى بن بولعيد" وفراره معه، قد كونت في نفسه نوعا من التعالي والتفضيل، بحيث أصبح لايرضى لنفسه بأن يكون مرؤوسا من غير أحد

أشنه التاريخيين مفجري الثورة، لذلك عجل بالتنقل حيث يوجد (كريم بلقاسم) الذي حل بمنطقة سوق اهراس مسقط راس "سي الطاهر" ليحقق بذاك هدفين:

الأول: تحقيق طموحه الشخصي بربط علاقة مباشرة مع الرجل القوي "كريم"

والثاني: القرب من العائلة، وقد كان موفقا في ذلك التخطيط الذكي الذي أثمر له بربط العلاقة التي كان يحلم بها مع "كريم" تلك العلاقة التي حققت له أمنية لم يكن يوما يحلم بها، وهي تعيينه (قائدا عاما على الولاية الأولى) التي كتب لها أن تحصر أبرز قادتها التاريخيين الذين أعدموا خلال فترتين ملساويتين سبق الحديث عنهما.

ومهما يكن حكم "العقيد الزبيري" على "عجول" و"عباس" فإن للرجلين بصمات جد هامة ومميزة خلال مسيرة الثورة في الأوراس لايستطيع أحد مهما كانت مصداقيته أن يشكك فيها ولا أن يرقى لها ممن تداولوا على قيادة الأوراس بعدهما، "فعباس" و"عجول" هما من واجه الحصار الفرنسي على الأوراس في غياب قائد الثورة "مصطفى بن بولعيد "الأسير، وهما من غير المعادلة من الضعف إلى القوة في وجه قوات العدو المحاصرة لمنطقة الأوراس بالحكمة والتبصر والإقدام والإيمان والشجاعة والتمرس، فالأسلحة التي إفتكت من يد العدو خلال فترتهما وعلى أيديهما لم يستطع غيرهما ممن تداولوا على القيادة في الأوراس بعدهما إفتكاكها، فهما من فرضا على الجيش الفرنسي إخلاء مراكزه من عمق الأوراس الذي اصبح منطقة محرمة في عز تلك الحملة الشرسة الكبرى المحاصرة للأوراس وذلك خلال صيف سنة 1955، واستمرت كذلك محرمة خلال فترة "سي الطاهر الزبيري" نفسه.

فما هي إذن مآخذ "العقيد سي الطاهر" وغيره على الرجلين غير البطولة والعبقرية والتاريخ المشرف ؟

خامسا: شهادة أخرى قدمها" العقيد الزبيري" في كتابه الثاني(نصف قرن من الكفاح) والتي فرضت علي الرد عليها في الصحافة.

- **وهذا نص الرد الذي نشرته لي صحيفة الشروق بتاريخ 17 أكتوبر2011**

جميل أن نعيش أحداث فترة ثورتنا المظفرة، وأحداث المرحلة الأولى لإرساء دعائم الدولة الحديثة، وذلك من خلال مذكرات المجاهدين الأبطال التي ستمكن الطلاب والمؤرخين من الإطلاع على الحقائق كما هي من أفواه وأقلام صانعيها.

لقد أفادنا "العقيد الطاهر الزبيري" بنشر كتابين له، الأول تحت عنوان "مذكرات أخر قادة الأوراس التاريخيين"، وهو كتاب يزخر بالمعلومات القيمة، وكان لي شرف قراءتها والتعقيب على بعضها في مذكراتي الشخصية التي هي الآن تحت الطبع، وستظهر قريبا إن شاء الله، وذلك قناعة مني، بأن التاريخ أمانة، والكتاب الثاني بعنوان (نصف قرن من الكفاح)، وقد تابعنا فصوله من خلال الحلقات الست عشره التي نشرتها جريدة "الشروق"، وما أدهشني هو أن العقيد قد أقحم إسمي في موقف إنتهازي لا ينسجم مطلقا مع أخلاقي وثقافتي وتكويني الذي إكتسبته من معايشتي للقائد الفذ"مصطفى بن بولعيد" ونائبيه "عاجل عجول"و"عباس لغرور" وهو موقف غريب.

ورد في الحلقة العاشرة من جريدة الشروق بتاريخ 2أكتوبر2011 تحت عنوان (الشاذلي أمر قواته بالوقوف مع الطرف الغالب) وتحت هذا العنوان أكد العقيد حرفيا مايلي:

(أما الرائد الشاذلي قائد الناحية الثانية وحسب مارواه لي النقيب "هلايلي محمد الصغير"، فبعد سماعه لخبر تحرك الفيالق الوفية لنا، أرسل هو الآخر فيلقين للمشاركة في المعركة، وكلف هلايلي بأن يسبق الفيالق الى العاصمة، وذلك

يوم 13ديسمبر 1967 لإستطلاع الوضع، وقال الشاذلي لهلايلي إذا وجدت الأمور تميل للطاهر الزبيري، وإذا وجدتم الوضع لصالح بومدين فقفوا مع الطاهر بومدين، وانطلق النقيب هلايلي للعاصمة ولكنه توقف في صف الترك الوطني ببورومي، فترك سيارته هناك ودخل العاصمة في هذا النص الواضح أسند لي العقيد الزبيري ذلك الدور المخزي الذي أتبرأ منه، كما نسب لي أيضا تلك الرواية التي يقول أني رويتها له على موقف قائد الناحية الشاذلي بن جديد، والحقيقة أن الشاذلي بن جديد أبدا لم يطلب مني المشاركة بأية مهمة لها علاقة بانقلاب ليلة 14 ديسمبر1967 حسب تعبير منفذه "عمار ملاح"، وبالتالي يوصمني بذلك الموقف الإنتهازي لأن موقف الشاذلي بن جديد كان واضحا منذ اللحظة الأولى للإنقلاب وهو الوقوف مع الرئيس بومدين، ولم يتأخر في إرسال الجيش لمحاصرة الجماعة التي تحركت مع الزبيري، وهو ما ينفي عليه اللجوء لذلك الموقف الإنتهازي الذي حمّلني العقيد وزر تنفيذ فصوله بالرغم من أنه يعرف جيدا مواقفي من خلال عملي معه خلال الثورة لما كنت قائدا للمنطقة الثانية بالأوراس، وبالعكس من ذلك فقد كنت متهما بالتعاطف مع العقيد الزبيري، وإسمي كان موزعا على مصالح الأمن للقبض علي في تلك الليلة مع بعض الضباط المنتمين للولاية الأولى التاريخية خاصة، وكان ذلك الإنقلاب الفاشل فرصة سانحة لبعض الأطراف على مستوى وزارة الدفاع لتصفية الضباط المجاهدين من الجيش الوطني الشعبي كما هو معروف.

لقد كنت خالي الذهن تماما من إنقلاب 14 ديسمبر 1967 الى أن فوجئت بمرسول قائد الناحية الشاذلي بن جديد يطرق باب منزلي في ساعة متأخرة من تلك الليلة ليستعجل حضوري بين يدي قائد الناحية الذي كان قد تلقى تعليمات بالقبض علي كما ذكرت بتهمة التعاطف مع منفذي الإنقلاب، ولما دخلت على "الرائد الشاذلي" في مكتبه سألني إن كانت لي إتصالات بالعقيد

الزبيري فأكدت له أنني قد زرته في منزله خلال شهر نوفمبر 1967، أي قبل 15 عشر يوما مضت، وذلك بحكم علاقتي القديمة معه، وقد شرح لي أسباب الخلاف بينه وبين الرئيس بومدين، ولما خرجت من مكتبه لاحظت "حمودي بوزيد" الملازم له دوما، وهو يسترق السمع من وراء باب المكتب وكأنه مدسوس عليه، كما شاهدت أيضا أمام منزل العقيد دراجات الشرطة مركونة تحت الأشجار، وذلك يعني أن رقم سيارتي وسيارات الزوار مسجلة لديهم.

وفي الأخير لما تأكد قائد الناحية الرائد الشاذلي بن جديد من براءتي نصحني بعدم مغادرة مدينة وهران دون أن يشعرني بقرار القبض علي، وبعد أيام قليلة أوقفني رجال الدرك الوطني في حاجز أمني على أطراف مدينة وهران وحولوني لمركز "بوفطيس"، لكن قائد الناحية الشاذلي بن جديد أمر النقيب "شلوفي" بإطلاق سراحي في الحين، والحقيقة التي أأكدها للتاريخ هي: أن قائد الناحية الشاذلي لم يكلفني بأية مهمة لها علاقة بتحرك العقيد الطاهر الزبيري وجماعته ليلة 14 أكتوبر 1967 لا من قريب ولا من بعيد، كما أنني أنفي نفيا قاطعا تلك الرواية التي قال العقيد أنني حدثته بها حول موقف الشاذلي بن جديد، وأجزم بأن موقف الشاذلي كان صريحا مع الرئيس بومدين، وبالتالي لم يكن مضطرا لإنتظار المنتصر لينضم إليه، وكان له الفضل في حمايتي من السجن رغم إصدار الأمر بالقبض علي.

بقلم هلايلي محمد الصغير

الموضوع الثاني

الرد على من إتهموا قادة الأوراس الأوائل بالأمية السياسية والقبلية

هناك بعض مدعي الثقافة الذين إختاروا في ساعة الحسم نعيم الحياة ودفء الأحضان، على شرف الجهاد في صفوف جيش التحرير إقتداء بزملائهم من أمثال "الشيخ يوسف ليعلاوي"، و"الشيخ مزهودي"، و"الشيخ إبراهيم مزوزي"، و"الشيخ المكي حيحي"، و"الشيخ علي رابح"، و"العلامة الشيخ العربي التبسي"، و"الشهيد رضا حوحو" وغيرهم ممن توجوا تاريخهم بشرف الجهاد، متميزين في ذلك على من إختاروا القعود مع الخوالف، والإختفاء وراء الستائر الحريرية وكأن الأمر لا يعنيهم، وعندما وضعت الحرب أوزارها تسارعوا لاهثين لسرقة مناصب على مستوى هرم الدولة الحديثة لم يتعبوا عليها، ثم راحوا بكل وقاحة يطلقون أحكامهم وتقييماتهم المسمومة على من حرر لهم تلك المراتب السامية (من وزارات وسفارات).

فهؤلاء المنتفعين لم يكفهم ما أغترفوه من نعيم جهود أمجاد فترة الجهاد، بل راحوا يتطاولون عليهم بأحكام حاقدة متناسين بأنهم هم من هيأوا للثورة، وجندوا طلائع أعظم ثورة في العصر الحديث ضد أعتى قوة على مستوى أوروبا بشهادة أشراف العالم، وذلك من خلال معارك يشيب لها الولدان على مستوى الجبل الأبيض، وجبل أحمر خدو، والجبل لزرق، وجبل الشلعلع، وقمة شلية منارة الأوراس الشاهد الصادق على عبقرية وبطولات قادة ملهمين تجرأ صاحبنا المنتفع بثمرة جهودهم على إتهامه بالأمية السياسية، والروح القبلية، جاهلا أو متجاهلا بأنه لما كان يتسكع في شوارع المدينة، كان هؤلاء القادة منذ الأربعينات يقضون لياليم في كهوف الأوراس،

يزرعون الأمل في نفوس شباب الأوراس المهمش لخوض غمار المعركة المقدسة.

إن إتهامكم يا مدعي الثقافة لمن واجهوا "بجار"، وأخرجوه من المعركة بتلك الرصاصة التي أخطأت قلبه، وأرغموا جنرالات الجيش الفرنسي على الخروج من عمق الأوراس الذي حولوه لمنطقة محرمة عن قواتهم البرية منذ صيف 1955، شاهدين على أنفسهم بالعجز أمام عبقرية قادة الأوراس الأوائل "مصطفى بن بولعيد، ونوابه الثلاثة "شحاني، وعباس لغرور، وعاجل عجول "، الذين حطموا حملاتهم على صخرة الأوراس الصامد وقهروا التهم العسكرية المدعمة بجهود الحلف الأطلسي، ذلك لأنهم خريجي مدرسة النضال التي حققت المعجزات بإشراف القائد الفذ "مصطفى بن بلعيد".

فمن غيرهم بعث الوعي في المجتمع الأوراسي الريفي منذ الأربعينات، كمؤطرين ومربين، وهم أنفسهم من عمق وعيهم بحتمية المعركة الفاصلة حين كان بعض مدعي الثقافة وأمثالهم من محترفي السياسة يعتبرون الثوره مغامرة خاسرة عليهم تجنب التورط فيها، وهم من جندوا الخلايا الثورية والطلائع الأولى في عمق الأوراس التي نالت شرف تنفيذ حوادث الثورة ليلة الفاتح من نوفمبر التي زلزلت الأرض من تحت أقدام غلاة الإستعمار بالتحدي والتبصر، وهم من واجه الحصار الكبير المضروب على الأوراس لوأد الثورة في مهدها الأول.

وإن كنتم لا تدرون فإن من تتهمونهم بتلك النعوت الباطلة كانوا هم رؤساء الأقسام الثلاثة في التنظيم الحزبي الذين تخلوا عن الزعيم "مصالي" وناصروا "مصطفى بن بولعيد" في تبني العمل المسلح لتحرير الجزائر ،الذي فاجأ أمثالكم.

فمن يقوم بتلك الأعمال الجبارة في وجه دولة إستعمارية متغطرسة، لا ينعت بالغباء والجهل وسوء التقدير، ومن هيأ للثورة ونظم الصفوف ودرب الرجال وعمق وعيهم بنبل الغاية

ان ترجمة التضحية بالزوجة، والولد، والأم، والمال، لا يمكن إلا أن يكون في منزلة السلف الصالح الذي نشر الإسلام فبدد به ظلمة الجهل والكفر والطغيان.

لهذا ليس من حقكم تقييم الرجال الذين لم تعاشروهم، ولم تخندقوا معهم في ثغور النضال وجبهات القتال، ولم تعيشوا ظروفهم والمستجدات التي كانت تفرض عليهم في كل لحظة، فتدفعهم لإتخاذ مواقف قد ترونها بعد ثلاثين سنة غير صائبة، وقد تكون فعلا غير مجدية ولكن الظروف في بعض الأحيان تفرض على قائد المعركة الإنحناء في وجه العاصفة إلى حين، وبذلك حققوا المعجزات، وأوصلوا صدى الأوراس خلال الثورة إلى أصقاع العالم لا بالجهل والأمية السياسية كما تدعون، إنما بالعبقرية في التسيير والصمود في الثغور ومواجهة الأهوال بما يذللها.

لقد تجاوزتم في ذلك حدودكم بالتجني على رجال تجهلون ظروفهم، فانحزتم بأحكامكم مع من إنقلب على رجال أول نوفمبر بخلفية سياسية أصبحت في حكم الماضي.

كان الأجدر بكم أن تحمدوا الله الذي هيأ للجزائر رجالا من طينة "مصطفى بن بولعيد "، وبشير "شحاني"، والبطل المغوار "عباس لغرور"، و"عاجل عجول"، و"شريط لزهر" و"الحاج عبد المجيد عبد الصمد" و"علي رابح"، والمشائخ الذين تعرضنا لأسمائهم وعددنا فضائلهم.

كان عليكم أن لاتعطوا لأنفسكم شرف تقييم الأبطال الذين مجدهم التاريخ، أتركوهم للتاريخ فهم من طينة غير طينتكم، وشتان بين التبر والتراب، ويكفيكم ما تمتعتم به من نتائج تضحياتهم، وما سرقتموه من إنتساب كاذب للجهاد، وقديما قيل أن (الثورة يخطط لها الفلاسفة، وينفذها الشجعان، ويستغلها المتربصون.) .... إنتهى

الموضوع الثالث: التحذير من خطر ثقافة طمس الحقائق في كتابة تاريخ الثورة

قديما قيل (أن الثورة تأكل أبناءها، وأن التاريخ يكتبه المنتصرون والباقون على قيد الحياة، وأن النصر يستغله المتربصون)

خلال معركة التحرير عشنا ملاحم فوق الوصف في ميدان القتال قام بها رجال أصبحوا بشجاعتهم ووطنيتهم وجرأتهم أعلاما وقدوة لزملائهم المرابطين على ثغور جبهات القتال خلال معركة الجهاد المقدس، فكانوا بذلك نموذجا لعشاق البطولات الخالدة الذين يحملون أكفانهم فوق هاماتهم طلبا للشهادة في سبيل الوطن وحده، لقد كانوا بحق قادة ملهمون إستهووا عقول صناع المجد وعشاق المفاخر من أتباعهم الذين برهنوا على نقاوة معدنهم، ونبل مقصدهم، فاستحقوا بذلك مراتب المجد والخلود.

غير أنه ولسوء حظ هولاء أن القدر قد غيبهم فجأة، وأتاح الفرصة لبعض مدعي المجد الذين راحوا ينسبون لأنفسهم ولمن يرضون عليهم سراب المجد ووهم البطولات على حساب الأبطال الحقيقيين الذين تمكنوا من إفتكاك إعترافات العدو لهم بالندية الفعلية خلال ملاحم البطولات في ساحة الوغى عسكريا وسياسيا.

وبما أن الأمانة في كتابة التاريخ تفرض الواقعية والتجرد في تسجيل أحداث ثورتنا الخالده كما هي، وبالصفة التي ظهرت بها للوجود، ومن طرف صانعيها الحقيقيين في الزمان والمكان، وسواء كانت لهم أو عليهم، فإن الواجب يقتضي بأن لا تترك الفرصة لأصحاب هذه الشهادات الغير مؤسسة بأن يضفوا على أنفسهم ذلك التقديس الكاذب على حساب الرموز الحقيقيين لمعركة التحرير.

والمسؤولية القانونية والأخلاقية على تطهير التاريخ من الشوائب والبدع في واقع الأمر مستقع بالتأكيد على المؤرخين المحترفين، ومن آل إليهم شرف مهمة تسجيل تاريخ ثورة التحرير المقدسة...............وفق الله الجميع

ملحق الصور



على اليمين مسعود بن عمار وبجانبه هلايلي محمد الصغير



فرقة لجيش التحرير حاصرها الجيش الفرنسي بعد إمضاء اتفاقية توقيف
القتال قائد الفرقة طيب موسى باللباس الأبيض والثاني على اليسار
عبد الله الرحال ممثل جيش التحرير الوطني في لجنة تنفيذ توقيف القتال



الأول على اليمين الشهيد دبابي ويليه هلايلي محمد الصغير



اجتماع في الولاية الأولى على اليمين العقيد الطاهر الزبيري يليه الضابط الثاني هلايلي



الأول على اليمين الشهيد هلايلي الهادي



هذه صورة وجدناها في أرشيف لصاص مرقم عليها الأول هلايلي الثاني غواطي الطاهر الثالث عبد المجيد زحاف الرابع مجاهد من الصحراء



على اليمين المرحوم لخضر شريف بجانب هلايلي محمد الصغير



اليمين بلقاسم درتوني في الوسط ريحاني الزراري ثم هلايلي



الأول على اليمين هلايلي محمد الصغير في الوسط حسين وقاو وعلى اليسار الضابط الحبيب خطاف



مجموعة من المجاهدين في زيارة لقرى الزاب الشرقي



صورة تذكارية لمجموعة من المجاهدين يتوسطهم دركيان فرنسيان بمناسبة توقيف القتال



مجموعة من المجاهدين في عمق غابة كيمل بالمنطقة الثانية الأوراس



قائد الناحية الرابعة الكمبل هلايلي محمد الصغير في لقاء مع السكان



العقيد الزبيري والرائد عمار ملاح يستعرضان فرقة من الجيش



قائد المنطقة الثانية هلايلي محمد الصغير يلقي خطابا على السكان



إسماعيل محفوظي على اليمين وهلايلي محمد الصغير على اليسار في الوسط
الممرض الشاب العايد رحماني



من اليمين الصاغ الأول محفوظ إسماعيلي يصافح قائد المنطقة الثانية هلايلي محمد الصغير



كتيبة لجيش تحرير الوطني في حالة تدريب



هذه الصورة لمجموعة الحركة الذين أجهضوا مؤامرة الجيش السري OAS في الأوراس بعد توقيف القتال



اجتماع المنطقة الثانية على اليمين قائد المنطقة هلايلي في الوسط الطاهر معاليم على اليسار عبد الصمد الصادق



قائد المنطقة الثانية يلقي خطابا على سكان في الزاب الشرقي



أحد الدركيين الفرنسيين زار مركز جيش التحريروهو خارجٌ من إحدى الكزمات



من اليمين إلى اليسار الرائد علي سوايعي الجندي بعاي ، النقيب محمد الصالح بلعباس ، بن عبد الله منصور ، الرائد طاهر الزبيري



على اليمين هلايلي في الوسط قائد الأركان اليمين زروال والثالث قائد القطاع لتلمسان



هذه صورة للسلطات المحلية في مدينة وهران يتصدرها قائد القطاع العسكري
النقيب هلايلي محمد صغير



من اليمين الى اليسار هلايلي محمد الصغير وبجانبه قائد الناحية الثانية
الجنرال حسن بن معلم



على اليمين رئيس الحكومة عبد الحميد إبراهيم وبجانبه
المحافظ الوطني بتلمسان هلايلي محمد الصغير



الجلس على اليمين العقيد الحاج لخضر ومن خلفه مباشرة هلايلي محمد الصغير وقفا



اليمين وزير الداخلية الحاج يعلى في الوسط المحافظ هلايلي محمد الصغير
وبجانبه الأيسر رئيس الحكومة عبد الحميد إبراهيمي



صورة لمجموعة النواب في المجلس الوطني على اليمين حسين سلمان بجانبه صالح بوجمعة
يليه هلايلي محمد الصغير ثم بلعياط عبد الرحمان وأخيرا الطاهر بودربالة



على اليمين وزير الداخلية الحاج يعلى وفي الوسط المحافظ الوطني هلايلي محمد الصغير
يتحدث مع الوزير الأول عبد الحميد إبراهيمي



صورة لمجلس التنسيق الولائي لمدينة تلمسان على اليسار المحافظ الولائي
هلايلي محمد الصغير وفي الوسط الوالي هني مختار وعلى يمينه
قائد القطاع العسكري



قائد المنطقة الثانية هلايلي محمد الصغير يسلم تهنئة الناجح لإحدى التلاميذ
خنشلة 1962م



هذه صورة تذكارية للمجاهدان هلايلي محمد صغير المحافظ الوطني في اليمين
وعبد القادر خليفة والي ولاية سيدي بلعباس على اليسار



مجموعة من التلاميذ في مدينة خنشلة تتوسطهم الأديبة زليخة سعودي ومن
خلفها قائد المنطقة الثانية هلايلي محمد صغير جالس للمناسبة توزيع
الجوائز على الناجحين 1962



من اليمين محمد الصغير عبد الصمد الوسط محمد صغير هلايلي وفي اليسار عمار ملاح في محادثة مهمة



معالي الوزير في محادثة خاصة مع هلايلي



إجتماع أعضاء المجلس الوطني للمجاهدين في متحف باتنة



الوزير في محادثة مع أحد المجاهدين وبجانبه في الوسط هلايلي محمد الصغير



معالي وزير المجاهدين المجاهد محمد الشريف عباس بالقشابية
وبجانبه محمد الصغير هلايلي



على اليسار قائد الناحية الثانية شاذلي بن جديد وعلى اليمين النقيب هلايلي



سلطات ولاية وهران من بينهم هلايلي محمد الصغير بلباس عسكري

محتويات الكتاب

• الفترة الثانية

• الفترة الثالثة

• الفترة الرابعة

- الملحقات